

مكتبة

f.me/soramnqraa

حائز على
جائزة
هوغو

ن. ك. جيميسين

السماء الحجرية

ثلاثية الأرض المكسور - الكتاب الثالث

ترجمة: محمد أ. جمال

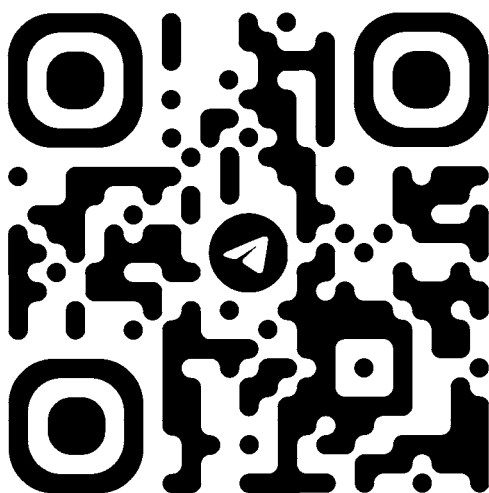
منشورات تكوين | مرايا
TAKWEEN PUBLISHING



سجل في مكتبة
اضغط! الصفحة
SCAN QR

السماء الحجرية

ثلاثية الأرض المكسور - الكتاب الثالث



مكتبة

t.me/soramnqraa

الكاتب: ن. ك. جيميسين
عنوان الكتاب: السماء الحجرية: ثلاثية الأرض المكسور - الكتاب الثالث
ترجمة: محمد أ. جمال

العنوان باللغة الأصلية: The Stone Sky
الكاتب: N.K. Jemisin

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله
تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 3-80-808-9921-978
الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2025
1000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©
© The Stone Sky: Copyright © 2017 by N.K. Jemisin. All rights reserved.

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 965 98 81 04 +
بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 964 78 11 00 58 60 +

✉ takween.publishing@gmail.com f takweenkw
📷 takween_publishing 🐦 TakweenPH
🌐 www.takweenkw.com

ن.ك. جيميسين

مكتبة

t.me/soramnqraa

السماء الحجرية

ثلاثية الأرض المكسور - الكتاب الثالث

رواية

ترجمة

محمد أ. جمال

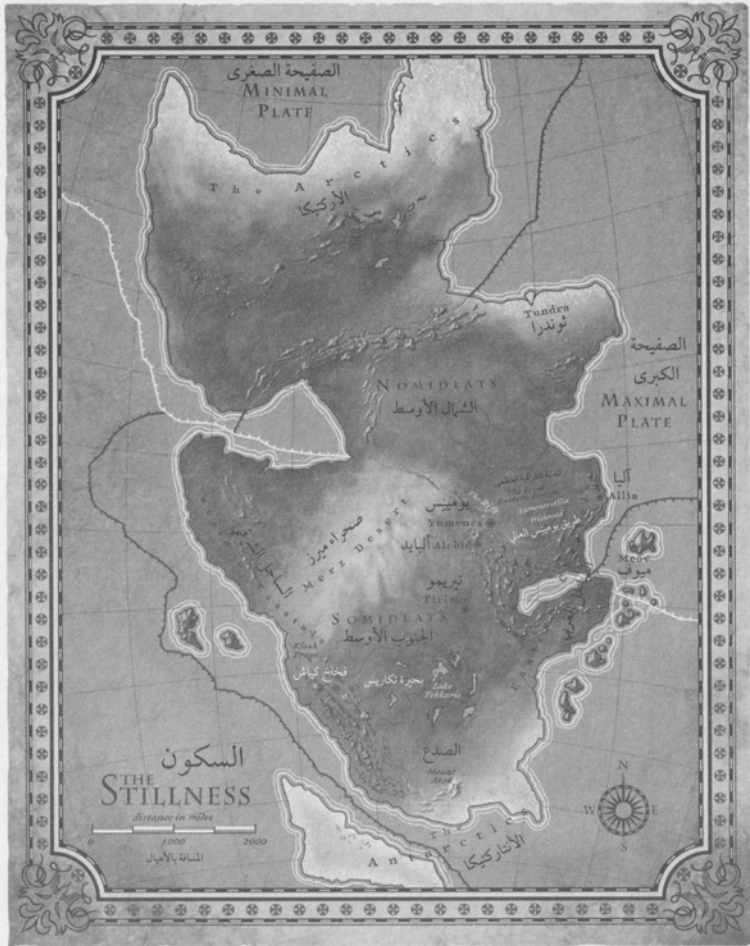
منشورات تكوين | مرايا
TAKWEEN PUBLISHING



المحتويات

٩	تمهيد. أنا، حينما كنت أنا
١٧	١. أنت، في اليقظة والنام
٤١	٢. ناسون، تتحرر من قيودها
٥٥	سيل أناجيست: ٥
٦٥	٣. أنت، غير متزنة
٩١	٤. ناسون، هائمة في البراري
١١٧	سيل أناجيست: ٤
١٣٥	٥. أنت، تتذكرين
١٥٧	٦. ناسون، تقرر مصيرها
١٧١	سيل أناجيست: ٣
١٨١	٧. أنت، تخططين لما هو قادم
٢٠٧	٨. ناسون، تحت الأرض
٢٣٩	سيل أناجيست: ٢

٩. الصحراء، وأنت ٢٥٧
١٠. ناسّون، عبر النيران ٢٧٥
- سيل أناجيست: ١ ٢٩٥
١١. أنت، على مشارف البيت ٣١٣
١٢. ناسّون، ليست وحيدة ٣٣٩
- سيل أناجيست: صفر ٣٦٧
١٣. ناسّون وإيسّون، في جانب العالم المظلم ٤٠٥
١٤. أنا، في الأيام الأخيرة ٤٣٧
- ختامًا. أنا، وأنت ٤٥٧
- شكر وعرفان ٤٦٩



تمهيد

أنا، حينما كنت أنا

مكتبة

t.me/soramnqraa

شارف الوقت على نهايته يا حبيبتى. هلاً اختتمنا ببداية العالم؟

إن ذاكرتي... غريبة. ذكرياتي مثل حشرة متحجرة في كهروماتة، قلما تجد بقاياها المتحجرة منذ قديم الأزل سليمة. لا تجد عادةً أكثر من ساق، شيء من قشور الجناح، قطعة من الصدر... فتات من خلالها يمكن استنتاج الكل بالكاد، ويبدو كل شيء متداخلاً غائماً عبر شقوق متسخة خشنة. عندما أضيق عينيّ وأنظر إلى ذكرياتي، أرى وجوهاً وأحداثاً ينبغي أن تعني لي شيئاً، لكنها... لا تفعل. الشخص الذي شهد تلك الأمور مباشرة كان أنا، لكنه ليس أنا.

كنت شخصاً آخر في تلك الذكريات، بالضبط مثلما كانت السكون عالماً آخر حينها.

حينها. هذه القارة كانت ثلاث قارات، وإن كان ثلاثتهم عملياً في نفس أماكن ما سوف ندعوه ذات يوم السكون. في نهاية المطاف، المواسم المتتابعة ستراكم الثلج عند القطبين وينزل مستوى البحر، وتصبح «الأركتيكتا» و«الأنتاركتيكا» أكبر وأبرد. بيد أن حينها...

... الآن، أشعر وكأن حينها هو الآن عندما أتذكر نفسي وقتئذٍ، هذا ما عنيته حين وصفت الذاكرة بالغرابة.

الآن، في زمن ما قبل السكون هذا، أقصى الشمال وأقصى الجنوب أراضي زراعية ممتازة. وما تسمينه أنت السواحل الغربية، ليس الآن إلا غابات مطيرة ومستنقعات. كل هذا سيموت في الألف سنة القادمة. بعض المناطق الشمال أوسطية لم توجد بعد، ستخلقها الانبعاثات البركانية على مدى آلاف السنين من الثورات المتتالية. وباليللا؟ مسقط رأسك؟ لم توجد بعد. لكن بأخذ كل شيء في الاعتبار، فلم يتغير الكثير. إن بين حينها والآن لمحة بصر بمقاييس الكوكب. تذكري، عندما نقول «انتهى العالم»، فتلك عادة كذبة. الكوكب بخير.

ماذا نسمي هذا العالم الضائع إذن، هذا الحاضر، إن لم نسمه السكون؟

دعيني أخبرك قبلها عن مدينة.

إنها مدينة سيئة التصميم، بمقاييسك. إذ تمتد على مساحات لا يمكن أن يُسمح لكومونة معاصرة أن تبلغها، فذلك سيتطلب أميالاً من الأسوار. وضواحي هذه المدينة قد تفرعت وتشعبت على طول الأنهار وغيرها من شرايين الحياة، حتى أثمرت مدناً جديدة، بالضبط مثل العفن المتكاثر على السيقان الغنية في وسط خصيب. قد تفكرين أن تلك المدن الكبرى وذريتها المنبثقة متلاصقة أكثر من اللازم، أكثر تداخلاً وارتباطاً من اللازم، ولن تتمكن أي منها من النجاة وحدها لو بترت عن البقية.

أحياناً يصبح لبعض تلك المدن الصغيرة الناقبة ألقاب محلية، خاصة لو كانت إحداها كبيرة أو قديمة بما يكفي لتنبثق منها ذريتها الخاصة من المدن الصغيرة، لكنها مسميات سطحية. لقد أصبت في رؤيتك للروابط بينهم، فلديهم جميعاً نفس البنى التحتية، نفس الثقافة، نفس المخاوف والطموحات. كل من تلك المدن مثل أختها، كلها جميعاً، عملياً، مدينة واحدة. هذا العالم، في هذا الحاضر، اسمه نفس اسم تلك المدينة: سيل أناجيست.

أيمكنك، يا ابنة السكون، أن تستوعبي سعة أمة كاملة استيعاباً كاملاً؟ إن السانزا القديمة برمتها، لو فردتها على اتساعها، بكل شظاياها من مئات «الحضارات» التي عاشت وماتت بين وقتها والآن، لن تساوي شيئاً عند المقارنة. إذ لم تكن أكثر من مجموعة من المدن الدويلات والكومونات التي اتفقت على المشاركة، أحياناً، بغرض النجاة. سوف تحتزل المواسم العالم إلى مثل تلك الأحلام الشحيحة.

أما هنا، الآن، فليس للأحلام حدود. لقد أخضع قوم سيل أناجيست قوى المادة وتراكيبها، وتمكنوا من تشكيل الحياة حسب أهوائهم، وخاضوا في ألغاز السماء حتى ملّوها، حتى انتقل اهتمامهم إلى الأرض تحت أقدامهم. إن سيل أناجيست في الواقع حية، وكم نفيض بالحياة، بشوارعها الصاخبة ونشاطها التجاري الذي لا ينقطع ومبانيها التي سيشقّ على عقلك أن يعدها مباني. لتلك المباني حوائط سليولوزية تتعسر رؤيتها تحت الأوراق والطحالب والأعشاب والثمار والدرنات. ترفرف فوق بعض الأسطح رايات ليست في الواقع إلا زهور فطر

ضخمة مفتوحة. تمر الشوارع بأشياء ما كنت لتدركي أنها عربات، لكنها تنقل وتنتقل. بعضها يزحف على سيقان مثل عناكب عظيمة، وبعضها لا يزيد عن منصات مفتوحة تنزلق فوق وسادات كمية التزامن... آه، أنت لن تفهمي هذا. لنكتفي بقول إن تلك المركبات تطفو فوق الأرض ببضع بوصات، ولا تقطرها دابة ولا يدفعها محرك بوقود. ولو حدث أن وقع تحتها شيء، مثل طفل أو حيوان أليف، فسيختفي من الوجود مؤقتًا، ثم يعود مجددًا على الناحية الأخرى، دون تبدل في سرعته أو إدراكه. لا أحد يعدّ ذلك موتًا.

عدا أن ثمة شيئًا وحيدًا كنت لتتعرفي عليه هنا، شيء يقف منتصبًا في قلب المدينة، الأطول والأكثر توهجًا لأميال، وكل الطرق والمسارات تتصل به على نحو أو آخر. إنها صديقتك القديمة، المسلة الجمشتية. لكنها لا تطفو، ليس بعد، بل تجلس شبه مستقرة في مقبستها، تنبض بين حين وحين على نحو سوف تشهدينه في آليا. على أن نبضاتها هنا أصح مما شهدته، فالجمشتية ليست مثلما كانت العيقية المتضررة المحتضرة. لكن مع ذلك، لو جعلك التشابه تجفلين، فتلك ليست بالاستجابة الخاطئة.

حيثما يوجد تكتل سيل أناجيستي كبير بما يكفي في أي مكان بالقارات الثلاث، ثمة مسلة مستقرة في مركزه. ترقط المسلات وجه العالم، مثل مئتي وستة وخمسين عنكبوتا في مئتي وست وخمسين شبكة، تُغذي كل مدينة، وتتغذى عليها بدورها.

يمكنك أن تعدّهم، إن أردت، شبكات حياة. فالحياة مقدسة في سيل أناجيست.

والآن، تخيلي مجمع مبان سداسي الأضلاع يحيط بقاعدة الجمشثية. أيًا كان ما تتخيلينه لن يوفي الواقع حقه، لكن يكفينا تخيل أي شيء جميل. انظري عن كثب هنا، عند الحافة الجنوب غربية للمسلة، إلى ذلك المبنى على التل الصغير المنحدر. لا توجد قضبان على نوافذه الكريستالية، لكن لتخيلي نسيجًا باهتًا أغمق من المادة النافذة الرائقة تمتد خيوطه فوقها. إنها خلايا لاسعة، طريقة شائعة لتأمين النوافذ ضد الملامسات غير المرغوبة. على أنها لا توجد إلا على السطح الخارجي للنافذة، لمنع المتطفلين. لا تقتل، بل تلسع (فالحياة مقدسة في سيل أناجيست). أما بالداخل، فلا حراس على الأبواب. إن الحراس بلا فائدة في جميع الأحوال. لم يكن المرتكز أول منشأة تظن إلى حقيقة النوع البشري الأبدية: لا حاجة إلى حراس ما دمت تستطيع إقناع الناس أن يتعاونوا على تقييد أنفسهم طواعية.

وهنا زنزانة في هذا السجن الجميل.

إنها لا تبدو مثل زنزانة. أعلم ذلك. ثمة قطعة أثاث منحوتة نحتًا جميلًا، لعلك كنت لتعتبرها أريكة، مع أنها بلا ظهر، وتتكون من احتشاد عدة قطع معًا. بقية الأثاث أشياء عادية ما كنت لتستغريها، فكل المجتمعات تحتاج إلى طاولات ومقاعد. تطلّ النافذة على حديقة، ليست في الواقع إلا سقف مبنى آخر. تلتقط الحديقة السقف في هذا الوقت من اليوم أشعة الشمس المنكسرة عبر كريستالة ضخمة. زُرعت زهور الحديقة وُصِّمت على نحو يراعي هذا التأثير؛ إذ يرسم النور البنفسجي الممرات والأحواض، وتتألق الزهور تألقًا خافتًا بهذا اللون،

وبعض أضواء تلك الزهور البيضاء الصغيرة تنطفئ وتضيء من حين إلى حين، ما يجعل الحديقة كلها تبدو متألقة كسماء الليل.
وثمة من يرنو من النافذة نحو الزهور الوماضة.

إنه في الواقع شاب يافع، رغم هيئته الخارجية الناضجة نضوجاً زائفاً، على نحو لا يشي بعمره الحقيقي. إن تصميمه أقرب إلى المدكوك منه إلى المكتنز. وجهه عريض ممتلئ الخدين وثمره صغير. كل ما فيه أبيض؛ بشرته عديمة اللون وشعره مثلها، وعيناه بيضاوتان بياض الثلج، ومثلها ملابسه المتدللية بأناقة. كل ما في الغرفة نفسها أبيض؛ الأثاث والسجاد والأرضية تحت السجاد، والحوائط من السليلوز الأبيض الذي لم ينبت عليه شيء. وحدها النوافذ وسط هذه المساحة المعقمة تضيف ألواناً، وترمي الداخل بأشعة أرجوانية من الخارج، ووحده الصبي يبدو حياً.
نعم، أنا هذا الصبي. لا أتذكر بصراحة اسمه، لكنني أذكر أن حروفه الصدئة كانت كثيرة. دعنا نسميه هو/ه، نفس الصوت لكن مع تبطين آخره بوسادة هوائية عبقة بالمعاني الخفية، وأظنه قريباً بما يكفي، ويرمز بشكل مناسب إلى...

أوه! أنا غاضب أكثر مما ينبغي. مذهل. دعينا إذن نغير الموضوع إلى آخر أقل شائكية، ولنعد إلى الآن الذي سيكون، وإلى هنا المختلف أشد الاختلاف.

الآن هو حاضر السكون، القارة التي لا يزال صدى التصدع يتردد فيها. أما هنا فليس السكون بالضبط، وإنما كهف يعلو قاعة الحمم الرئيسية في بركان درعي عتيق شاسع، أي في قلب البركان لو كان هذا

ما تفضليته وكان لديك حس مجازي، وإن لم يكن فهذه حويصلة عميقة مظلمة مستقرة بالكاد، داخل صخرة لم تبرد بما يكفي على مدى آلاف الأعوام المنقضية منذ تجشأها الأب الأرض. أقف داخل هذا الكهف مندبجاً جزئياً بكتلة صخرية، ما يسمح لي بملاحظة الاضطرابات الدقيقة أو التشوهات الكبرى التي تسبق الانهيار. أنا لست بحاجة إلى هذه المراقبة اليقظة، فقليلة هي الأمور التي يستحيل إيقافها أكثر من هذا الذي بدأت هنا. لكنني مع ذلك أدرك معنى أن تكون وحيداً مذعوراً وقت عدم اليقين، عاجزاً عن تخمين ماذا سيحدث بعد ذلك.

أنت لست وحيدة، ولن تكوني وحيدة أبداً، إلا إن اخترت ذلك بنفسك. أنا أعلم ماذا يهم هنا، في نهاية العالم.

آه يا حبيبتي. إن نهاية العالم شيء نسبي، أليس كذلك؟ عندما ينشق سطح الأرض، فتلك كارثة لأشكال الحياة المعتمدة عليه، لكن بالنسبة إلى الأب الأرض فهذا لا شيء. عندما يموت رجل، فينبغي أن يكون ذلك كارثياً عند بنت كانت تدعوه ذات يوم أبي، لكنه يصبح لا شيء عندما توصف تلك البنت بأنها وحش مراراً وتكراراً، حتى تتقبل ذلك اللقب في النهاية. عندما ينتفض عبد، فذلك لا يعني الكثير لمن يقرؤون عنه لاحقاً، كلمات هشة على أوراق هزيلة تبلى بسرعة في لحظات من التاريخ (سيقولون: «كتم عبيداً؟ وماذا في ذلك؟»، وكأن هذا لا شيء). لكن من عاشوا تمرد عبيد، سواء كانوا ممن اعتبروا هيمنتهم حقاً طبيعياً إلى أن حلّ عليهم الظلام، أو الآخرون المستعدون لرؤية العالم يحترق عن آخره على أن يبقوا لحظة أخرى «في مكانهم»...

لم يكن هذا مجازًا يا إيسون، لم يكن مبالغة. لقد رأيت العالم بالفعل
يحترق. لا تحديثيني عن الشهود الأبرياء ولا عمن لم يستحقوا المعاناة
ولا عن قسوة الانتقام. عندما تُقام كومونة فوق خط هزات نشيط،
هل تلومين أسوارها عندما تقع حتمًا على رؤوس أهلها؟ لا، بل تلومين
من كانوا حمقى بما يكفي لأن يحسبوا أنهم قادرون على عصيان قوانين
الطبيعة إلى الأبد. بعض العوالم بُنيت فوق خطوط هزات نشيطة من
الأم، أساسها الكوابيس. لا تأسفي على انهيار عالم كهذا. إن الغضب
الذي أثاروه كان فيه هلاكهم من البداية.

سأخبرك الآن كيف انتهى هذا العالم، عالم سيل أناجيست. سأخبرك
كيف أنهيته، أو على الأقل كيف قضيت على ما يكفي منه كي يضطر إلى
البدء من جديد ويبنى نفسه من الصفر.

سأخبرك عن كيف فتحت البوابة وأطحت بالقمر وأنا أبتسم.
وسأخبرك كل شيء لاحقًا عن كيف أنني، فيما يحلّ هدوء الموت،
همست:

الآن

الآن.

وأجابني الأرض:

ليحترق العالم.

مكتبة
t.me/soramnqraa

أنت، في اليقظة والمنام

مكتبة

t.me/soramnqraa

الآن، دعينا نراجع.

أنتِ إيّسون، الأوروچينية الوحيدة في العالم التي فتحت البوابة ولا تزال حية. لم يتوقع أحد منك هذا المصير العظيم. لقد كنتِ يومًا في المرتكز، لكنك لم تكوني نجمة صاعدة مثل ألابستر، بل كنتِ بريّة، عُثر عليك في البراري، لا يميزك سوى أن قوتك الكامنة كانت أعلى بقليل من الروجا المتوسط المولود بقدراته صدفه. مع أن بدايتك كانت مميزة، إلا أن تطورك ارتخى مبكرًا، وليس لأي سبب واضح، وإنما لأنك افتقرت ببساطة إلى الرغبة في الابتكار والحاجة إلى التميز، أو هكذا حسب كبار المرتكز خلف الأبواب المغلقة. خضعتِ بسرعة لنظام المرتكز، وهذا قيدك.

وهذا جيد، لأن لولا ذلك ما كانوا ليرخوا عنانك كما فعلوا أبدًا، وما كانوا ليرسلوك في تلك المهمة مع ألابستر. لقد كانوا يخافونه خوفًا، أما أنت... فحسبك من الصاغرين، من المكسورين والمتدربين على الطاعة، من النوع الذي لا يرجح أن يمحو مدينة من سطح الأرض

عرضاً. انقلب السحر على الساحر. كم مدينة دمرتها حتى الآن؟ واحدة، نصف متعمدة. أما الثلاثة الآخرون فمن دون قصد. لكن بصراحة، هل تعمدك من عدمه يهم؟ لن يهم الميتين على الأقل.

تحلمين أحياناً لو أنك ما خضت كل ما خضت. لو أنك لم تتوجهي إلى مسلة آليا العيقية، واكتفيت بدلاً من ذلك بمراقبة الأطفال يلعبون بسعادة على شاطئ الرمال السوداء، بينما تنزفين من سكين الوصي السوداء. تحلمين لو أن أنتيموني لم تأخذك إلى ميوف، بل عدت بدلاً من ذلك إلى المرتكز لتنجبي هناك كورندوم. ما كان ليموت منك بعد الولادة، وما كنت لتحظي بإينون، وكان كلاهما سيظل حياً (هذا على حسب تعريفك لـ«حياً»، فقد كانوا سيضعون كورو في محطة توصيل). لكنك حينها ما كنت لتعيشي في تريمو، وما كنت لتنجبي أوتشي ليموت بقبضة أبيه، وما كنت لتربي ناسون حتى يخطفها أبوها، وما كنت لتسحقي من كانوا يوماً جيرانك جراء محاولتهم لقتلك. حيوات كثيرة ما كانت لتهلك لو أنك فقط بقيت في قفصك، أو مُت حين أُمِرت بذلك.

والآن، هنا، وقد تحررت من قديم الزمان من قيود المرتكز المحكمة الصارمة، غدوت جبارة. لقد أنقذت مجتمع كاستريما، والثنان كان كاستريما نفسها. ثمن هين لقاء كلفة الدماء التي كان العدو سوف يسفكها لو انتصر. حققت نصرك من خلال تحرير القوة المكبوتة لميكانيزم غامض عتيق أقدم من التاريخ المكتوب... ولأنك قتلت ألابستر ذا الخواتم العشرة، وأنت تتعلمين التحكم في تلك القوة. لم تقصدي قتله، بل وتستريين أنه أرادك أن تقتليه. لكنه مات في كلتا الحالتين، وهذا

التسلسل من الأحداث أدى إلى أنك صرت أقوى أوروبيني على سطح الكوكب.

ويعني أيضًا أن تبوأك تلك المنزلة ليس إلى أجل غير مسمى، لأن نفس ما جرى لألابستر يجري لك: أنت تتحولين إلى حجر. يقتصر هذا على ذراعك اليمنى حتى الآن. كان يمكن أن يسوء أكثر. وسوف يسوء أكثر عندما تفتحين البوابة المرة القادمة، أو حتى عندما تستخدمين ما يكفي من ذاك الشيء الفضي غير الأوروبيني، الذي أسماه ألابستر سحرًا. لكن ليس لديك خيار، ففي انتظارك مهمتان. مهمة يتعين عليك فعلها من أجل ألابستر، ومن أجل فرقة آكلي الصخر الغامضة التي تحاول بهدوء إنهاء الحرب القديمة بين الحياة والأب الأرض، وهي أسهل المهمتين بحسب ما تظنين؛ الإمساك بالقمر، وغلق الصدع اليوميني، وتقليص التأثير المتوقع للموسم من آلاف أو ملايين السنين إلى شيء مقدور عليه، شيء يسع البشر النجاة منه، وإنهاء المواسم الخمسة إلى الأبد.

أما المهمة الثانية، تلك التي ترغبن في فعلها؛ إيجاد ناسون، ابتك، واستعادتها من الرجل الذي قتل ابنك وجرحها خلفه عبر نصف العالم تقريبًا في قلب الأبوكاليس.

وبخصوص ذلك، عندي خبر جيد وخبر سيئ، لكننا سنتطرق إلى جيغا في وقته.

أنت في الواقع لست في غيبوبة. بل كنت مكونًا رئيسيًا في نظام معقد شهد أخيرًا تدفقًا تشغيليًا هائلًا محدود التحكم، وتوقف طوارئ حادًا

قبل أن يتسنى له وقت كافٍ للاستقرار، يعبر عن نفسه من خلال مقاومة
سحروكيميائية عابرة لأطوار حالات المادة، ومن خلال تحورات جينية
مرتدة. أنت بحاجة إلى وقت من أجل... إعادة التشغيل.

هذا يعني أنك لست فاقدة للوعي، بل أنت أقرب إلى التقلب بين
دورات من نصف النوم ونصف اليقظة. أنت واعية بالأشياء حولك،
نوعًا ما؛ بالتمايل الناجم عن الحركة، والتدافع في بعض الأحيان، لو
أن لذلك أي معنى. يدس أحدهم طعامًا وشرابًا في فمك، ولحسن
الحظ عقلك حاضر بما يكفي للمضغ والبلع، إذ إن طريقًا يغشاه الرماد
عند نهاية العالم ليس أفضل مكان تحتاجين فيه إلى أنبوب تغذية. تنزل
الأيادي ملابسك ويحتك شيء ما بفخذيك... حفاظة. هذا مكان سيئ
لاحتياج هذا أيضًا، لكن هناك من هو مستعد للاعتناء بك إلى هذا الحد،
وأنت لا تمنعين. بالكاد تلاحظين؛ لا تشعرين بجوع ولا عطش قبل
أن يطعموك، ولا يشعرك الإخراج بارتياح خاص. تتابعين الحياة، ولا
يتطلب ذلك حماسًا خاصًا لفعله.

في النهاية، تصبح فترات النوم واليقظة أكثر تمايزًا، ثم تفتحين
عينيك ذات يوم لترى سماءً غائمة تعلو فوق الرؤوس، تتأرجح بين
الأمم والخلف، وتحجبها فروع الأشجار النحيلة العارية من حين
إلى حين. تلمحين ظلًا باهتًا لمسلة عبر الغيوم، لعلها الإسبينية، وقد
ارتدت إلى هيئتها وهيئتها العادية، وتتبعك مثل جرو يشعر بالوحدة،
بعد ما مات ألابستر.

التحديق إلى السماء يضجرك بعد فترة، فتديرين رأسك وتحاولين

فهم ماذا يحدث. يتحرك حولك أشخاص، مثل ظلال في أحلام مكتسية بالرمادي الأبيض... لا، بل هم يرتدون ملابس عادية، لكنها يغطيها الرماد، ملابس كثيفة بسبب البرد... ليس برذاً كافياً لتجميد المياه، لكنه يكاد. مراقبة العاملين على بدء الموسم، عامين بلا شمس. ينفث الصدع حرارة هائلة عند خط الاستواء، لكنها لا تكفي لتعويض احتجاب كرة النار العملاقة في السماء. مع ذلك، من دون الصدع، كان البرد ليسوء عن ذلك، كانت الحرارة ستخفض تحت حد التجميد بكثير، بدلاً من أن يكاد الماء يجمد كما هو الآن. أفضل من عدمه.

على أي حال، يبدو أن أحد المنقوعين في الرماد قد لاحظ يقظتك، أو شعر بانزياح مركز ثقلك. يبرز رأساً يختفي خلف قناع ونظارات واقية ويتفحصك، ثم يتابع النظر إلى الأمام. يتبادل الشخصان أمامك التمتمة، ولا تفهمين ما يقولان. إنهما لا يتحدثان بلغة غريبة، وإنما أنت لست متنبهة كفاية والرماد المتساقط يمتص جزئياً وضوح الكلام.

يتحدث أحدهم خلفك، تتبهن وتلتفين فترين آخر في نظارة واقية ووجه مقنع. من هؤلاء الناس؟ (لا يخطر لك أن تخافي، مثلما لم يخطر لك أن تجوعي. مثل تلك الأشياء الجسدية أبعد ما تكون عنك الآن) ثم تتبهن فجأة وتفهمين؛ أنت على نقالة، ليست أكثر من قضييين مربوطين برقعة جلدية يحملها أربعة أشخاص. ينادي أحدهم، ويحييه آخر من بعيد. نداءات كثيرة وأشخاص كثر.

بعد نداء آخر بعيد يتوقف من يحملونك. يتبادلون النظر فيما بينهم ثم ينزلونك أرضاً بسلاسة ونظام من اعتادوا فعل الشيء نفسه معاً

طويلاً. تشعرين باستقرار النقالة على طبقة من الرماد الناعم المسحوق، فوق طبقة أسمك من الرماد، فوق ما لعله الطريق. ثم يتعد حاملو النقالة عنك، يفتحون المتاع ويستقرون أرضاً، في طقوس تألفينها من الشهور التي قضيتها على الطريق. وقت الراحة.

أنت تعلمين هذه الطقوس. ينبغي عليك أن تنهضي وتأكلي شيئاً، وتتفحصين حذاءك بحثاً عن ثقب أو حصي، وتتفحصين قدميك بحثاً عن قروح جديدة، وتأكدين من أن قناعك... لكن، هل ترتدين قناعاً؟ لو أن الجميع يرتدون أقنعة فـ... لقد تأكدت من وجود قناعك في مخلاة هروبك، أليس كذلك؟ أين مخلاتك؟

تبرز إحداهن من الضباب والرماد المنهمر. طويلة، عريضة كهضبة، يخفي ملابسها وقناعها هويتها، لكن يفصح عنها الملمس المجعد لشعرها الرماد بركاني. تفرص بالقرب من رأسك، «لست ميتة؟ هاه، خسرني الرهان لصالح تونكي».

تقولين: «هياركا». صوتك أجش أكثر من صوتها.

تخمين من ارتخاء قناعها أنها تبسم. ثمة غرابة في إدراك ابتسامة هياركا من دون التهديد الضمني الناجم عن أسنانها المشحودة. «ولا شك في أن مخك لا يزال سليماً. على الأقل فزت برهاني مع إيكا»، تنظر حولها وتصيح: «لرنا!»

تحاولين رفع يدك لتشديها بينطالها، غير أنك تشعرين وكأنك تحاولين تحريك جبل. يفترض بك القدرة على تحريك الجبال، فتركزين في رفعها ولو حتى نصف المسافة، ثم تنسين أنك كنت تبغين لفت

انتباه هياركا. تجيلين بصرك حولك مجدداً، لحسن الحظ، وتلمحين يدك المرفوعة، إنها ترتجف من المجهود. بعد لحظة تأمل، تنتهد هياركا وتأخذ بيدك، وتشيح بناظرها وكأنها محرجة.

تتمكنين من قول: «..... يحدث؟».

«صدأ عليّ لو كنت أعرف. ما ظننت أننا بحاجة إلى استراحة جديدة بهذه السرعة».

ليس هذا ما تقصدين، لكن قول المزيد يتطلب مجهوداً هائلاً. فتظلين ممددة مكانك، تمسك بيدك امرأة لا تخفي أنها تفضل فعل أي شيء آخر عدا ذلك، لكنها تمنّ عليك بإبداء العاطفة لأنها تحسبك بحاجة إليه. أنت لست بحاجة إلى العاطفة، لكنك ممتنة لمحاولتها.

ينفصل اثنان آخران عن ضباب الرماد، تتعرفين على كليهما من هياتهما المألوفة. أحدهما ذكر نحيل، والأخرى أنثى مكنتزة. يحلّ النحيل محل هياركا عند رأسك، وينحني كي ينزع عنك النظارة التي لم تدريكي أنك كنت ترتدينها. يقول: «أعطني حجراً». إنه لِرنا، لكن ليس لقوله معنى.

تقولين: «ماذا؟».

يتجاهلك. تونكي، المرأة الأخرى، تنكز هياركا بمرفقها، فتنتهد الأخيرة وتبحث في حقيبتها حتى تجد شيئاً صغيراً، تمنحه لِرنا.

يضع يداً على وجنتك ويرفع الأخرى تحمل هذا الشيء. يبدأ الجسم يتوهج بنور أبيض. تفتنين أن الحجر من كريستالات كاستريا السفلية، ويتوهج لأنه متصل بأوروجينية من خلال لِرنا. عبقرى. باستخدام نور

الحجر، ينحني عليك وينظر عن كثب في عينيك. يغمغم لنفسه: «الحدقتان تنقبضان بشكل طبيعي». يده تهتز على وجتك. «لا توجد حمى».
تقولين: «أشعر بالثقل».

يقول: «أنت على قيد الحياة»، وكأن هذه إجابة طبيعية. لماذا لا يتحدث أحد بلغة يسعك فهمها اليوم. «القدرات الحركية واهنة، والإدراك...؟».

تنحني تونكي. «بماذا حلمت؟».

لقولها نفس غرابة قول أعطني حجرًا، لكنك تحاولين الرد لأنك لست متنبهة بما يكفي لإدراك أنك لا ينبغي أن تردي. تغمغمين: «كانت هناك مدينة». يقع على رمشك ندفة رماد فتجفلين. يعيد لِرنا وضع النظارة الواقية عليك. «كانت حية، وكان فوقها مسلة». فوقها؟ «أو ربما، فيها، أعتقد ذلك».

تونكي تومئ. «نادرًا ما تتلصق المسلات فوق محلات إقامة البشر. كان عندي صديق في الجامعة السابعة عنده بضع نظريات عن ذلك. أتودين سماعهم؟».

أخيرًا تدركين أنك تفعلين شيئًا غبيًا، أي تشجعين تونكي. تبذلين مجهودًا جبارًا حتى تحدقي إليها وتقولين: «لا».

ترمق تونكي لِرنا. «يبدو عقلها سليمًا. ربما بليد نوعًا، لكنها كانت كذلك دومًا».

«نعم، شكرًا على مساعدتك». ينهي لِرنا ما يفعله، أيًا كان ذلك، ثم يعود ليجلس على عقيبه. «أتحبين أن تجربي المشي يا إيّسون؟».

تسأل تونكي: «أليس هذا تسرعاً؟»، عبوسها جلي حتى عبر نظارتها الواقية، «لقد استفاقت توها من غيبوبة».

«أنت تعلمين مثلما أعلم أن إيكبا لن تمنحها وقتاً طويلاً للنقاها، علاوة على أن هذا قد يفيدها».

تونكي تتنهد، غير أنها تساعد لِرنا وهو يمد ذراعه تحتك، ليرفعك من الاستلقاء إلى الجلوس. حتى هذا يتطلب مجهوداً خرافياً. تتأبك الدوخة ما إن ينتصب ظهرك، لكنها تزول. بك شيء ليس بخير، ربما هو دليل على كل ما خضتيه، أو لعل ظهرك تحذب تحذباً دائماً، فكتفك اليمنى تتدلى وذراعك تثقلها وكأنه...

...ها صُنعت من

أوه.

يُفسح لك الآخرون ريثماً تدركين ما حدث. يراقبونك ترفعين كتفك الثقيلة قدر ما تستطيعين، محاولة تحريك ذراعك اليمنى إلى مجال بصرك. إنها ثقيلة، وكتفك تؤلمك وأنت تفعلين هذا، حتى مع أن أغلب مفصلك لا يزال لحماً، لأن الحجر يثقل اللحم. بعض الأوتار تحولت، لكنها لا تزال مربوطة بالعظام الحية؛ حجارة خشنة تحتك فيما كان ينبغي أن يكون تجويفاً سلساً ناعماً. عدا أن هذا لا يؤلمك بقدر ما حسبه يؤلم، عندما كنت تراقبين ألابستر يفعل هذا. كان يمكن أن تكون أسوأ.

أما بقية ذراعك، التي مزق أحدهم أكمام قميصك ومعطفك كي يكشف عنها، تغيرت إلى حد يصعب التعرف عليها معه. إنها ذراعك،

أنت متأكدة من ذلك، بالإضافة إلى أنها لا تزال متصلة بجسدك، لها نفس هيئة ذراعك... ذراعك التي لم تعد بنفس رشاققتها وانسيابيتها وأنت صغيرة. لقد اكتسبت من الوزن بعضه، وأثر ذلك كان يظهر في بشرة ساعدك المتوردة والمتهذلة قليلاً تحت أعلى الذراع. باتت العضلة ذات الرأسين أكثر بروزاً مما كانت، إثر عامين من محاولات النجاة. اليد متكورة في قبضة، وذراعك بأكملها مثنية قليلاً عند المرفق. لطالما كنت تقبضين يدك حينما تمارسين نوعاً صعباً من الأوروجينية.

لكن الشامة، الشامة التي كانت في منتصف ساعدك مثل علامة تصويب سوداء صغيرة، ذهبت. لا تقدرين على إدارة ذراعك حتى يتسنى لك النظر إلى مرفقك، فتتحسسين؛ الندبة المتخلفة عن جرح أصابك عند وقعة، ما عدت تحسّين بها، مع أنها يجب أن تكون بارزة نوعاً ما مقارنة بجلدك حولها. التمايز الدقيق بين أنواع البشرة تلاشى في ملمس خشن وكثيف، مثل حجر رملي غير مصقول. تفرकिनها، ربما برغبة في التدمير الذاتي، لكن ذراتها لا تنفرط من أصابعك، إنها أصلب مما تبدو عليه. لو أنها يتراوح بين درجات متباينة من الرمادي، لا علاقة له ولا حتى من بعيد بلون بشرتك.

لرنا، الذي كان صامتاً طوال فحصك الذاتي، يقول: «كانت على هذا النحو منذ جاء بك هوّا»، صوته محايد، «وقال إنه يحتاج إلى إذنك كي، آه...».

تتوقفين عن محاولة فرك الحجر على جلدك. لعلك مصدومة، ولعل الخوف سلبك الصدمة، ولعلك في الواقع لا تشعرين بشيء.

تقولين لـ لِرنا: «أخبرني إذن»، المجهود الذي بذلته كي تنهضي، ورؤية ذراعك، قد أعادا إليك بعض صوابك، «بحسبك رأيك الـ.... الاحترافي، ماذا عليّ أن أفعل بهذه؟».

«أعتقد أن عليك إما أن تدعي هواً يأكلها، وإما تجعلي أحدنا ينزل عليها بالمطرقة الثقيلة».

تجفلين، «ألا ترى أن في هذا بعض المبالغة؟».

«لا أظن أن أي شيء أخف من هذا يمكن أن يشيها حتى. لا تنسي أنني سُنحت لي فرص عديدة لفحص ألابستر، حينما كان هذا يحدث له».

تذكرين فجأة بلا مقدمات كيف كان ألابستر يحتاج إلى من يذكره كي يأكل، لأنه ما عاد يشعر بالجوع. لا علاقة لهذا بشيء، لكن الفكرة برزت فجأة في عقلك. «أتركك تفحصها؟».

«لم أترك له خيارًا. كان يجب أن أعرف إذا كان معديًا، خاصة وأن تحوله كان يزداد يومًا بعد يوم. أخذت منه عينة ذات مرة، وقال مازحًا إن أنتيموني، آكلة الصخر، ستريد استعادتها».

بالتأكيد لم يكن يمزح. ألابستر كان يبتسم دائمًا عندما يقول الحقيقة العارية، «وهل أعدتها؟».

«طبعًا». يمسح لِرنا شعره بيده، فيزيح كومة رماد صغيرة، «اسمعي، يجدر بنا تغطية الذراع ليلاً، كي لا تؤثر برودتها في حرارة جسدك. توجد آثار شدّ على كتفك، حيث تشدّ الذراع اللحم. أظنها تشوه العظم وتجهد الأوتار، فالمفاصل لم تُخلق لتحمل مثل هذا الوزن»، ثم يتردد، «يمكننا

إزالتها الآن ومنحها هواءً لاحقاً لو تفضلين هذا، لا أرى أي سبب يجبرنا على... البقاء هكذا».

تعتقدين أن هواءاً تحت أقدامكم في مكان ما الآن، ينصت. لكن لِرنا يبدو حساساً حساسية غريبة تجاه الأمر. لماذا؟ تخمين. «لا أمانع أن يأكلها هوا»، لا تقولين ذلك فقط من أجل هواء، بل أنت مقتنعة به حقاً، «لو كان في أكلها نفع له، وسيزيلها عني، فما المانع؟».

يلمع شيء في تعبير لِرنا، يختل قناعه عديم الشعور، وترين مرة واحدة أنه مشمئز من فكرة قضم هواء ذراعك من جسدك. بصراحة، إنها فكرة مقرزة في أساسها، تبدو عند تأملها شديدة البراجماتية، شديدة البدائية. أنت تعلمين عن كذب ما الذي يحدث في ذراعك، من الساعات التي قضيتها في التنقيب بين خلايا وجزيئات جسد ألابستر المتحول. عندما تنظرين إليها تكادين ترين خطوط السحر الفضية تعيد ترتيب جزيئاتك متناهية الصغر وطاقاتك، تحرك هذا الجزء كي توازي وتطابق مسار ذاك الجزء، وتوثقهم معاً بعناية وإحكام في شبكة بنيوية تربط كل شيء ببعض. أيّا كانت ماهية تلك العملية، فهي أدق وأقوى من أن تُعد مصادفة، ومن أن يُعد جهاز هواء الهضمي بالبشاعة التي يراها لِرنا على السطح. عدا أنك غير قادرة على شرح هذا له، وليس لديك الطاقة الكافية لهذا حتى لو قدرت.

تقولين: «أعينوني على النهوض».

تأخذ تونكي بذراعك الصخرية بحذر بالغ، تعينك على دعمها كي لا تتحرك أو تنقلب فتخلع كتفك، وترمق لِرنا حتى يتغلب على نفسه

أخيرًا ويضع ذراعه تحتك مجددًا. وبينه وبينها، تتمكنين من الوقوف على قدميك، لكن ليس بلا عناء. في النهاية تجددين نفسك تلهثين، وركبتك رخوتين، والدماء في جسدك لا تتحمس فورًا للقضية، فيخفّ رأسك وترنحين للحظة. يقول لِرنا من فوره: «حسنًا، دعينا نجلسك مرة أخرى». فتقعدين مجددًا، بأنفاس متهدجة هذه المرة، وذراعك تخبط كتفك على نحو غريب حتى تعدل تونكي وضعها. إن هذا الشيء ثقيل حقًا.

(بل اسمها ذراعك، وليس «هذا الشيء»). أنت فقدت ذراعك اليمنى، وعمّا قريب ستأسين على فراقها، لكن الآن من الأسهل أن تفكري فيها وكأنها شيء مستقل عنك، طرف اصطناعي عديم النفع، ورم حميد ينبغي إزالته. كل تلك الأشياء حقيقية، لكنها أيضًا ذراعك الصدئة).

وأنت في مكانك، تلهثين وتتمنين لو يتوقف العالم عن الدوران، تسمعين اقتراب أحدهم. تقترب امرأة صوتها عالٍ، تطلب من الجميع أن يجهزوا ويتحركوا، نحتاج إلى قطع خمسة أميال أخرى قبل حلول الظلام. إنها إيكا. ترفعين رأسك ريثما تقترب منك، وفي تلك اللحظة تفتنين أنك تعدّينها صديقة. تدركين ذلك لأنك تسعين لسماع صوتها، ولتجسدها خارج الرماد المتساقط. آخر مرة رأيتها كانت مهددة بالقتل على يد آكلي الصخر الذين اقتحموا كاستريا السفلية. وذلك كان أحد أسباب استخدامك لكريستالات كاستريا السفلية لاصطياد المهاجمين؛ فأنت أردتها، هي وكل أوروچينيو كاستريا، ومن ثم كل أناس كاستريا الذين اعتمدوا على أولئك الأوروچينيين، أن يعيشوا.

لذا تبتسمين. ابتسامة ضعيفة، فأنت ضعيفة. ولذا أيضًا تتألمين عندما تلتفت إليك وتزعم شفيتها في تعبير لا شك أنه اشمئزاز. تنتزع القماشة التي كانت تغلف النصف السفلي من وجهها. لا يسعك تمييز ما خلف نظارتها الواقية المرتجلة - وهي عوينات تحفها قطع القماش لمنع الرماد - إلا من بعض الكحل الرمادي الذي حتى نهاية العالم لن تمنعها من التزين به. تقول لهياركا: «اللعة، أنتِ لن تتجاوزي الأمر أبدًا، أليس كذلك؟».

تهز هياركا كتفيتها، «ليس قبل أن تدفعي».

تحديقن إلى إيكا، تتجمد الابتسامة الصغيرة المترددة على وجهك. يقول لِرنا: «أعتقد أنها ستشفى بالكامل»، صوته محايد على نحو تشعرين معه بالحذر، حذر من يخطو فوق أنبوب الحمم، «لكنها مع ذلك ستستغرق بضعة أيام قبل أن تتمكن من المشي».

إيكا تتنهد، وتضع يدها على فخذاها ويبدو عليها بوضوح التردد في الاختيار بين عدة أشياء ترغب في قولها. وما ترسو عليه في النهاية محايد أيضًا. «طيب، سأستمر في تدوير مسؤولية حمل النقالة مدة أطول. لكن فلتجعلها تمشي بأسرع ما يمكن، ففي هذه الكومونة إما أن تحمل المرء قدميه، وإما نتركه ونذهب». تلتفت وتمضي قدمًا.

ما إن تصبح إيكا خارج نطاق السمع، حتى تقول تونكي بخفوت: «إنها غاضبة من تدمير الجيود».

تجفلين. «تدمير ال...»، أوه، لكن... عندما حبست آكلي الصخر في الكريستالات كان قصدك إنقاذ الجميع، غير أن كاستريها كانت آلة...

آلة عتيقة شديدة الحساسية لم تفهميها. وأنتم الآن على السطح، تسافرون عبر سيول الرماد... «يا صداً الأرض، لقد دمرته فعلاً».

«ماذا؟ ألم تدركي ذلك؟». تضحك هياركا قليلاً، لكن ضحكة فيها حدة، «أحسبت أننا هنا على السطح، الكومونة الصدئة كلها، نساfer نحو الشمال وسط البرد والرماد، بغرض التنزه؟». تخطو بعيداً وتهزّ رأسها. يبدو أن الغضب ليس حكراً على إيكا وحدها.

«أنا لم...»، تريدان أن تقولي لم أقصد، وتتوقفين، لأنك لم تقصدي ذلك قط، ولم يشكل قصدك أي فارق في النهاية.

يطلق لِرنا تنهيدة صغيرة وهو يراقب وجهك، «رينانيس هم من دمروا الكومونة يا إيستون وليس أنت». يساعدك على الاستلقاء مجدداً، لكنه لا ينظر إلى عينيك. «لقد خسرناها منذ تركنا الغلايات تغزو كاستريما السطحية كي ننجو بأنفسنا. ما كانت الغلايات لتذهب أو تترك لنا أي شيء لناكله. لو بقينا في الجيود كنا سنهلك، بطريقة أو بغيرها».

هذا حقيقي، وعقلاني تماماً. عدا أن رد فعل إيكا يثبت أن بعض الأمور لا علاقة لها بالعقلانية. حينما تأخذ من الناس بيوتهم وإحساسهم بالأمان مرة واحدة وبطريقة درامية، لا تتوقع منهم أن يتأملوا التسلسل الممتد للأسباب قبل أن يغضبوا من الأمر.

«سيتجاوزون». ترمشين، فتجدين لِرنا ينظر إليك الآن. نظرته واضحة وتعبيره صريح. «مثلما تجاوزت أنا من قبل، سيتجاوزون. لكن سيأخذون وقتهم».

لم تعلمي أنه لم يتجاوز تيريمو.

يتجاهل تحديقك إليه، ويومئ إلى الأشخاص الأربعة المجتمعين قريباً. ولأنك ممددة بالفعل، يضع ذراعك الصخرية إلى جوارك، ويتأكد من تغطيتها بالبطانيات. يبدأ حاملو النقالة الأربعة في ممارسة مهمتهم مجدداً، وأنت تضطرين إلى كبح أوروچينيتك، التي بعدما استيقظت، تصر على اعتبار كل حركة زلزالاً. تبرز رأس تونكي في محيط بصرك عندما يشرعون في حملك. «لا تقلقي، سيكون كل شيء على ما يرام. أنا أيضاً يكرهني الكثيرون».

هذا كله غير مطمئن، ومحبط أيضاً، محبط لأنك تهتمين، ويرى الآخرون بوضوح أنك مهتمة. أين ذهب قلبك الفولاذي القديم؟ لكنك تفتنين فجأة إلى سر ذلك. تقولين لتونكي: «ناسون».

«ما لها؟».

«ناسون، أنا أعلم أين هي يا تونكي». تحاولين رفع يدك اليمنى كي تمسكي يدها، ويتتابك شعور يحتاج كتفك يشبه الألم ويشبه الطفو، وتسمعين رنيناً غريباً. هذا لا يؤذيك، لكنك تلعين نفسك سراً على نسيانك ابتتك. «يجب أن أذهب لأجدها».

ترمق تونكي حاملي النقالة، ثم تنظر حيث اختفت إيكا، وتقول: «اخفضي صوتك».

«ماذا؟». إن إيكا تعلم جيداً أنك تريدان الذهاب للبحث عن ابتتك. كان هذا أول شيء قلته لها.

«تابعي الحديث لو أردت أن يتركوك خلفهم على قارعة الطريق
الصدى».

أما هذا فيخرسك، هذا والجهد المستمر الذي تبذله لكبح
أوروجينيتك. إيكا إذن غاضبة إلى هذا الحد.

يتابع الرماد الهطول حتى يغشي نظارتك الواقية، وليس بك طاقة
كافية لإزاحته. في العتمة الرمادية الناجمة، يتغلب عليك احتياج جسدك
للتعافي، فتروحين في النوم من جديد. المرة التالية التي تزيحين فيها الرماد
عن وجهك ستكون عندما توضعين أرضاً مجدداً، ويوكز ظهرك حجر أو
فرع شجرة أو شيء مماثل. تجاهدين كي تجلسي مستندة إلى مرفق واحد،
وتنجحين، وإن كان هذا مبلغ ما في وسعك.

لقد حلّ الليل. عشرات الأشخاص حولك يفترون صخرة من
نوع ما، تبرز وسط ما لا يرقى لوصفه بالغابة. سسبنة هذا البروز لها
وقع مألوف لك من استكشافك الأوروجيني السابق لمحيط كاستريما،
ويساعدك هذا على تحديد موقعك: مرتفع تكتوني جديد نسبياً، يقع على
بعد حوالي مئة وستين ميلاً شمال جيود كاستريما. هذا يعني أن رحلة
الكاستريميين لم تبدأ إلا منذ أيام قليلة، خاصة وأن الجماعات الكبيرة
يشقّ عليها التحرك بسرعة كبيرة. ويعني أيضاً أن ثمة وجهة واحدة لا
بد أنكم متجهون إليها ما دمتم تتولون الشمال؛ رينانيس. لا بد أن الجميع
يعرفون بشكل ما أنها خاوية وقابلة للسكن، أو لعلهم يأملون هذا فقط،
ولا بديل لديهم من هذا الأمل. يمكنك أن تطمئنيهم بخصوص هذا
على الأقل... لو كانوا مستعدين للإنصات.

يجلس الناس حولك في دوائر، يقيمون نيران التخيم وينصبون المراحيض. في بعض الأماكن هنا وهناك توجد أكوام من شظايا كريستالات كاستريا، توفر بعض الإضاءة الإضافية. هذا يسرك، لأنك تفهمين أن معناه نجاة عدد كافٍ من الأوروچينيين الضروريين لتشغيلها. بعض النشاطات الدائرة غير فعالة لعدم اعتياد الناس عليها، لكن أغلبية العمل يجري في نظام. اتضح أن ضم كاستريا لعدد أكبر من اللازم من الذين يعرفون كيفية النجاة على الطريق نعمة. غير أن حاملي نقالتك قد تركوك حيث وضعوك، ولو كان هناك من سيقيم لك نارًا أو يجلب لك طعامًا، فلم يعرب عن نفسه بعد. تلمحين لِرنا منحنياً وسط جماعة من المنحنيين على شيء ما مثله، لكنه مشغول. آه، طبيعي، لا شك في أن هناك كثيرًا من الجرحى المتخلفين عن اقتحام الجنود الرينانيسيين للجiod.

طيب. لا أنت بحاجة إلى نار ولا أنت جائعة، لذا لا تؤذيك لا مبالاتهم مؤقتًا، إلا شعوريًا. ما يزعجك هو غياب مخللة هروبك. لقد حملتها على ظهرك عبر نصف القارة، وخبأت خواتمك القديمة فيها، بل وحتى حافظت عليها من الاحتراق التام عندما بدل أكل الصخر هيئته في مخدعك. لم يعد فيها ما يزال يهيك أمره كثيرًا، بيد أن الحقيقة نفسها أمست لها قيمة عاطفية لديك بعد كل هذا.

لكن، من لم يخسر شيئًا؟

يثقل وعيك الوشيك فجأة شيء بوزن الجبال. تجددين نفسك، برغم كل شيء، تبسمين. «كنت أتساءل متى ستأتي».

يقف هوّا بجوارك. لا تزال رؤيته على هذا النحو تصعقك: رجل راشد متوسط الحجم لا طفل صغير، وبشرة رخامية ذات عروق عوضًا عن اللحم الأبيض. لكنك مع ذلك يسهل عليك استيعاب أنه نفس الشخص؛ نفس هيئة الوجه ونفس النظرة العميقة في عيون بياض الثلج، ونفس الغموض العصي على الوصف، ونفس الإحساس الكامن بالغربة... مثله مثل هوّا الذي عرفته طوال السنة المنقضية. ما الذي تغير بحيث لم يعد أكل الصخر غريبًا عليك؟ أمور سطحية فيه، وكل شيء فيك.

يسألك: «كيف تشعرين؟».

«أفضل». تشدّك ذراعك حينما تلتفتين كي تنظري إليه، تذكّرة دائمة بالعقد غير المكتوب بينكما، «هل أنت من أخبرهم عن رينانيس؟».

«نعم، وأنا من يرشدهم إليها».

«أنت؟».

«بقدر ما تنصت إيكّا. أظنها تفضل أكلي الصخر تهديدًا صامتًا عن حلفاء نشيطين».

هذا يستخرج منك ضحكة منهكة. لكن، «هل أنت حليف فعلاً يا هوّا؟».

«لست حليفهم، لكن إيكّا أيضًا تفهم هذا».

نعم. ولهذا على الأرجح أنت لا زلت حية. ما دامت إيكّا تحميك وتطعمك، هوا سيساعدهم. ها قد عدت إلى الطريق، وعادت الحياة إلى الحركة الصدئة الدائمة مرة أخرى. الكومونة التي كانت كاستريها لا

تزال حية، لكنها ما عادت في الواقع مجتمعًا كومونيا بعد الآن، وإنما زمرة من المسافرين ذوي العقول المتشابهة يتعاونون على النجاة. ربما تصبح كومونة حقيقية من جديد ما إن تجد بيتًا تدافع عنه، لكن في الوقت الحالي، تفهمين سخط إيكّا. كان لديها شيء جميل كامل وخسرته.

تنظرين إلى نفسك. أنت أيضًا ما عدت كاملة، لكن ما بقي يمكن تقويته، وعمّا قريب سيكون بوسعك الخروج بحثًا عن ناسون. لكن الأهم فالمهم. «أسنفعل هذا؟».

لا يرد هوا للحظة. «هل أنت متأكدة؟».

«لا نفع لذراعي على حالها هذا».

يصدر عنه أوهن الأصوات؛ صوت حجر ينسحق، ببطء وبلا هوادة. تستقر يد شديدة الثقل على كتفك نصف المتحول، لكنك تشعرين أن هذه اللمسة، رغم ثقلها، أرفق ما يمكن بمعايير آكلي الصخر. يتعامل هوا معك بعناية بالغة.

يقول: «ليس هنا»، ويأخذك معه إلى عمق الأرض.

ولا يدوم هذا أكثر من لحظة. دائمًا ما يحافظ هوا على الانتهاء من تلك الرحلات الأرضية بسرعة، غالبًا لأنها إن طالت أكثر سيتعذر التنفس... والحفاظ على العقل. لا تمرين في هذه الرحلة بأكثر من إحساس مبهم بالحركة، طرفة عين من الظلام، رائحة عابرة لربة طينية غنية بما هو أكثر من الرماد الحامض. ثم ها أنت ممددة على بروز صخري آخر، لعله نفس البروز الذي تستقر عليه بقية كاستريما، لكنه بعيد عن المخيم. لا توجد نيران مخيمات هنا، النور الوحيد قادم من الانعكاس الخشن لنار الصدع

على الغيوم الكثيفة بالأعلى. عينك تعتاد الظلام بسرعة، وإن كان ليس هناك كثير مما يمكنك رؤيته أكثر من الصخور وظلال الأشجار القريبة، وسيلويت له هيئة بشرية، يربض بجوارك.

يمسك هوّا ذراعك الحجرية برفق، بل بما يشبه التوقير. تشعرين رغماً عنك بجلالة اللحظة. وكيف لا تكون جليلة؟ إن هذا هو القربان المطلوب لاستخدام المسلات، دين الدم الواجب سداده من اللحم من أجل ابنتك.

يقول هوّا: «ليس الأمر كما يبدو عليه»، وللحظة، تستريين في قدرته على قراءة أفكارك. لكن الأرجح أنه يستطيع قراءة تعبير وجهك، لأنه قديم كالجبال. «إنك ترين ما فقدناه، لكن ثمة ما اكتسبناه أيضًا. هذا ليس قبيحا كما قد يظهر».

ما يظهر هو أنه سيأكل ذراعك، ولا مانع لديك، لكنك تودين أن تفهمي. «ما حقيقة الأمر إذن؟ لماذا...» تهزين رأسك، لست متأكدة حتى أي سؤال تريدین سؤاله. لعل سؤال لماذا لا يهم، ولعلك لن تستطيعي الفهم أصلاً.

«هذا ليس غذاءً لي، إننا لا نحتاج كي نعيش إلا إلى الحياة».

النصف الثاني هراء كامل، فتتمسكين بالأول: «لو أن هذا ليس غذاء، إذن...؟».

يتحرك هوّا ببطء مجددًا. ليس هكذا يتحرك آكلو الصخر عادة. إن الحركة هي أكثر شيء يميز طبيعتهم غير العادية، يشبهون البشر كثيرًا ومع ذلك يختلفون عنهم أكثر. كان سيسهل استيعابهم لو كانوا

غرباء بالكامل. عندما يتحركون بهذه الطريقة، يمكنك أن تعرفي ماذا كانوا ذات يوم، وتلك المعرفة تهديد وتحذير لكل ما هو إنساني في داخلك.

ومع ذلك. إنك ترين ما فقدناه، لكن ثمة ما اكتسبناه أيضًا.

يرفع يدك بكلتا يديه، إحداهما تحت مرفقك، والأخرى تحمل برفق قبضتك المحكمة المشروخة. ببطء، ببطء. هكذا لا يؤلم كتفك. وفي منتصف الطريق نحو وجهه، يحرك يده من تحت مرفقك إلى أسفل النصف العلوي من ذراعك. تنزلق يده الحجرية على ذراعك الحجرية بصوت احتكاك خشن، والغريب أنك تجددين هذا حميمًا، حتى وأنت لا تشعرين بشيء.

ثم تستقر قبضتك على شفتيه. لا تتحرك شفتاه وهو يقول من داخل صدره: «هل أنت خائفة؟».

تتأملين سؤاله للحظة تطول. أيجب عليك أن تخافي؟ لكن... «لا». يجيب: «جيد. أنا أفعل هذا من أجلك يا إيّسون، كل هذا من أجلك، هل تصدقين هذا؟».

في البداية لا تعلمين كيف تردين. ترفعين يدك السليمة استجابة لدافع لحظي، وتتحسسين بأصابعك وجنته الباردة الصلبة المصقولة. كم تصعب رؤيته، إنه أسود في الظلام، لكن أصابعك تجد حاجبيه وتتحسس طريقها حتى أنفه، التي تجددها أطول في هيئته الراشدة. لقد أخبرك ذات مرة أنه يعدّ نفسه بشريًا رغم جسده الغريب. وتدركين متأخرًا أنك اخترت أن ترينه بشريًا أيضًا. هذا يجعل من الأمر أكثر من

مجرد فعل التهام. لا تعرفين ماذا يمكن اعتباره إذن، لكنك... تشعرين أنه نعمة.

تقولين: «نعم، أصدقك».

يفتح فمه. يتسع، ويتسع، ويتسع أكثر مما يسع أي إنسان. ذات يوم حسبت فمه أصغر من اللازم، أما الآن فهو واسع كفاية للانتقام قبضة. ويا لتلك الأسنان في الداخل، أسنان صغيرة ماسية، تلتمع لمعاناً جميلاً في نور الليل الأحمر هذا. أما خلف هذه الأسنان فلا يوجد إلا الظلام. تغلقين عينيك؟

كان مزاجها عكراً. قالت لي إحدى أبنائها إن هذا من كبر السن. قالت إن هذا من الضغط الناجم عن محاولة تخدير الناس، الذين لا يرغبون في سماع أن الأزمنة الصعبة قادمة. لم يكن هذا مزاجاً عكراً، بل كانت تستخدم الأفضلية التي يمنحها كبر السن، أي التخلي الكامل عن كذبة التهذيب.

قالت: «لا شرير في هذه القصة». كنا جالسين تحت قبة الحديقة، والتي كانت ذات قبة فقط لأنها أصرت على ذلك. إن المتشككين الأناجيستيين لا يزالون يزعمون أنه لا يوجد دليل على أن الأمور ستحدث مثلما تقول، لكنها لم تخطئ قط في أي من توقعاتها السابقة، وهي أناجيستية أكثر منهم جميعاً. وكانت تشرب أماناً، وكأنها توطر الحقيقة بالكيمياء.

تابعت: «ولم توجد أيضاً أي لحظة بعينها شريرة تغير فيها كل شيء».

كانت الأمور سيئة، ثم أسوأ، ثم أفضل، ثم سيئة مرة أخرى، وتكرر هذا مرارًا، لأن أحدًا ما اعترض على هذا. من الممكن تغيير الأمور، بإطالة وقت الأفضل، وتوقع وتضييق الأسوأ، وأحيانًا يمكن منع الأسوأ فقط من خلال تقبل السيئ. لقد يئست من محاولة إقناعكم، وقررت الاكتفاء بتعليم أبنائي أن يتذكروا ويتعلموا ويعيشوا... حتى يأتي أحدهم في النهاية ويكسر الدائرة كسرًا نهائيًا.

ارتبكتُ. «أتحدثين عن الحريق الكبير؟». كان هذا ما جئت لأتحدث عنه. لقد تَنَبَّأت بأنه سيدوم مئة عام، قبل خمسين عامًا. ماذا قد يهم غير ذلك؟

ولم ترد سوى بالابتسام.

من مقابلة مسجلة، ترجمها شيناش مبتكر ديبارس من نقوش (باني المسلات س)، التي اكتُشفت في أطلال هضبة تاييتا رقم ٣٢٧. التاريخ: غير معروف، الكاتب: غير معروف. التخمين: أهذه أول القوالين؟ تعليق شخصي: ليتك ترى هذا المكان يا ألابستر. إن كنوز التاريخ في كل مكان، أكثرها مهترئ إلى حد يستحيل معه فك تشفيره، لكن مع ذلك... ليتك هنا.

ناسّون، تتحرر من قيودها

تقف ناسّون إلى جوار جثة أبيها، هذا إن كان يمكن وصف كومة صخور مهشمة أنها جثة. تترنح قليلاً، دائخة لأن الجرح في كتفها - حيث طعنها أبوها - ينزف بغزارة. كان الطعن نتيجة للقرار المستحيل الذي أمرها أن تتخذه: إما أن تكون ابنته، وإما أن تكون أوروبية. هي رفضت أن ترتكب انتحاراً وجودياً، وهو رفض أن يسمح لأوروبية بالحياة. لم تكن ثمة ضغينة تعتمل في أيهما في تلك اللحظة الأخيرة، لم يكن هناك سوى ظلمة العنف الحتمي.

على أحد ناحيتي هذا المشهد يقف شافا، وصي ناسّون، يتأمل ما بقي من جيجا مقاوم جيكتي بمزيج من العجب والرضا البارد. وعلى الناحية الأخرى يقف فولاذي، أكل صخر ناسّون. بات من اللائق نسبته إليها، فقد ظهر وقت الحاجة. لم يأت للمساعدة، فهو ليس من النوع المساعد، وإنما ليمنحها شيئاً. ما منحها إياه وما أدركت هي أخيراً أنها بحاجة إليه، هو الهدف. حتى شافا لم يمنحها ذلك، لكن هذا لأن شافا يحبها حباً غير مشروط. إنها تحتاج إلى هذا الحب أيضاً، كم هي تحتاجه. لكن في

تلك اللحظة، لحظة تهشم قلبها ألف قطعة، ولحظة انحسار عقلها حتى انعدام التركيز، في تلك اللحظة تصبو إلى شيء أكثر... أكثر صلابة.

ستنال كل الصلابة التي ترغب فيها. ستقاتل من أجلها، ستقتل من أجلها، لأنها اضطرت إلى فعل ذلك مرارًا وتكرارًا، حتى أمسى القتل لها عادة. وإذا ما أصابت ما أرادت فهي مستعدة للموت في سبيله. إنها في نهاية المطاف ابنة أمها... والموت لا يخشاه إلا من حسب أن له مستقبلًا.

في يد ناسون السليمة شظية كريستال مستدقة تبلغ الأقدام الثلاثة طولًا، لونها أزرق عميق، وذات أوجه مصقولة متعددة، عدا أن هيئتها المنتظمة تشوه قليلًا قرب قاعدتها، وينجم عن التشوه ما يشبه المقبض. هذا السكين الغريب الطويل يتذبذب بين حالة شفافة غير ملموسة تكاد تكون غير حقيقية، وحالة حقيقية تمامًا. لا شيء سوى تركيز ناسون، يمنع هذا الشيء الذي تحمله من تحويلها إلى حجارة ملونة، مثلما فعل بآبيها. إنها تخشى مما قد يحدث إن فقدت الوعي نتيجة للنزيف، لذا تود أن تُعيد الياقوتية الزرقاء إلى السماء، كي تعود إلى هيئتها الأصلية وحجمها الهائل، لكنها لا تستطيع. ليس بعد.

والسبب، هناك، عند المهاجع، سبيان للدقة: أومبر ونيدا، الوصيان الآخران من أوصياء القمر الجديد، يراقبانها. تستقر نظرتها عليهما. ثمة تذبذب في أهداب الفضة المتهاوجة بينهما. لا يتبادلان الكلام ولا النظرات، لا يتواصلان إلا بهذا النحو الصامت، الذي ما كانت ناسون لتدركه لو كانت أحدًا غير ناسون. تنبت من الأرض أسفل الأوصياء خيوط فضية رقيقة، تدخل في أقدامهم، وتشعب حتى الشظايا الحديدية

المزروعة في أنماخهم، عبر شبكات تجري في أعصاب وأوردة أجسادهم. تلك الخيوط الشبيهة بالجذور كانت تربط الأوصياء بالأرض على الدوام، لكن ناسون تلاحظ الآن، ربما بسبب توتر اللحظة الزائد، أن الخيوط التي تربط أومبر ونيدا بالأرض، أسمك بكثير من التي تربط شافا به، وفهمت أخيراً معنى ذلك: أومبر ونيدا ليسا أكثر من دمتين في يد إرادة أكبر. لقد حاولت ناسون أن ترى فيهما ما هو أكثر، بحثت فيهما عن أشخاص مستقلين، بيد أنها، الآن، والياقوتية الزرقاء في يدها، وأبوها ميت تحت قدميها... لا تحتمل كل الثمار انتظار الموسم المناسب للنضوج.

هكذا ترمي ناسون نطاق قوة عميق في الأرض، لأنها تعلم أن أومبر ونيدا سيشعران بهذا. هذه حيلة، فهي لا تحتاج إلى قوة الأرض، وهي تستريب أنهما يدركان ذلك. عدا أنهما مع ذلك يستجيبان؛ أومبر يحلّ ساعديه المعقودين، ونيدا تعتدل بعدما كانت مستندة إلى حاجز الشرفة. شافا أيضاً يستجيب، نظرتة ترنو إليها، وتلقاه نظرتها. لا مفر من أن يلاحظ أومبر ونيدا تواصلهما، لكنه حتمي أيضاً. إن ناسون لا تمتلك شظية من الأرض الشرير مزروعة في نخها لتسهيل التواصل مع شافا، لكن حيثما تفشل المادة، تنجح المحبة. يقول شافا: «نيدا»، وهذا كل ما تحتاجه.

أومبر ونيدا يتحركان بسرعة، بسرعة هائلة، لأن شبكة الفضة داخل كل منهما عززت قوة عظامهما وشدّت أوتار عضلاتهما، حتى أمسى بوسعهما فعل ما لا يسع الجسد البشري العادي فعله. تسبقهما

نبضة إلغاء عاتية كعاصفة، تضرب سسبينة ناسون وتحمد لحظيًا فصوصها الرئيسية. لكن ناسون كانت بالفعل في وضع الهجوم. ليس بدنيًا، فهي لا تستطيع مضاهاتهم في قتال، ناهيك عن أنها لا تقف على قدميها إلا بالكاد. ما عاد لديها سوى الإرادة والفضة.

هكذا، بجسد ساكن وعقل هائج، تنتزع ناسون خيوط الفضة من الهواء حولها، وتحيك منها شبكة مرتجلة لكن فعالة (إنها لم تفعل مثل هذا من قبل، لكن من قال إن هذا غير ممكن؟). تتجاهل أومبر لأن شافا طلب منها ذلك، وتلفّ جزءًا من الشبكة حول نيدا. وتفهم لماذا طلب منها شافا التركيز في أحد الوصيين الأعداء لا كلاهما. كان ينبغي أن تحاصر الفضة المغزولة المرأة بسرعة، مثل حشرة في شبكة عنكبوت. لكن نيدا بدلًا من ذلك يتوقف اندفاعها، ثم تضحك فيما تغزل شيئًا آخر ينبعث من داخلها وتضرب به الهواء، فتمزق الشبكة حولها. تندفع نيدا نحو ناسون مرة أخرى، لكن ناسون -بعدما دُهِشت من سرعة وكفاءة رد فعل الوصية- ترفع صخورًا من الأرض تحرق بهم قدمي نيدا. لكن هذا لا يعيق نيدا إلا قليلًا، تنكسر شظايا الصخور بينما تتابع نيدا الاندفاع حتى وأطراف الخوازيق تبرز من حذائها. إحدى يديها مرفوعة كما المخالب، والأخرى مسطحة أصابعها مشدودة كنصل. اليد التي ستبلغ ناسون أو لا ستحدد كيف ستمزقها المرأة بيديها العاريتين.

وهنا تهلع ناسون، تهلع قليلًا فقط، لأنها إن هلعت كثيرًا ستفقد تحكمها بالياقوتية الزرقاء، لكنه هلع مع ذلك. تحسّ ناسون بالارتجاج الشره الفوضوي لخيوط الفضة التي تعصف بنيدا. إن هذا لا يشبه أي

شيء خبرته من قبل، وهذا، بشكل ما، مرعب. لا تعلم إلى ماذا قد يؤدي هذا الارتجاج الغريب، إن لمس أي جزء من نيدا بشرة ناسون العارية (وإن كانت أمها تعرف جيداً). تتراجع خطوة إلى الخلف، وتأمربإرادتها السكين الياقوتي الأزرق الطويل، أن يتمركز بينها وبين نيدا في وضع دفاعي. لا تزال يدها السليمة تحمل مقبض الياقوتية، هكذا تبدو وكأنها تلوح بالسلاح من خلال يد مرتجفة وشديدة البطء. تضحك نيدا مجدداً، ضحكة عالية متشبية، فكما يرى كلاهما حتى الياقوتية لن تكفي لردعها. تتلوى يد نيدا المخلبية بأصابع منفرجة وتنطلق تريد وجنة ناسون، حتى وهي تلتف حول السكين الطويل...

تدع ناسون الياقوتية تسقط، وتصرخ، وسسبييتها المخدرة تتلوى بياس وعجز...

لكن الأوصياء كلهم نسوا بالكامل حارس ناسون الآخر.

لم تبدُ على فولاذي أية حركة. في لحظة هو واقف مثلما كان، ظهره ناحية الركाम المتبقي من جيغا، تعبيره رائق ووقفته مرتحية ويواجه الأفق الشمالي، وفي التالية بات أقرب، جوار ناسون مباشرة، وقد نقل نفسه بسرعة فائقة، حتى أن ناسون سمعت فرقعة حادة من الهواء المنزاح. يتوقف زخم اندفاع نيدا مرة واحدة، بعدما يعلق حلقومها في قبضة فولاذي المحكّمة المرفوعة عالياً.

تصرخ نيدا. لقد سمعت ناسون نيدا تثرثر من قبل لساعات طوال بصوتها الخفّاق، ولعل ذلك ما جعلها تفكر في نيدا كطائر مغرد بريء. لكن هذه صيحة جوارح، طائر كاسر متوحش هائج إثر منعه

من الانقضاض على ضحيته. تنتفض كي تحرر نفسها بعنف يهدد لحمها وأوتارها بالتمزق، لكن قبضة فولاذي محكمة كما الصخر. لا فكاك.

يأتي صوت من خلف ناسون يجعلها تلتفت منتفضة. ينخرط أومبر وشافا في قتال يدوي على بعد عشرة أقدام منها. يتحركان بسرعة بالغة، ضرباتهما خاطفة قاسية. في الوقت الذي يستغرقه صوت ضربة كي يصل إلى أذنها وتستوعبه، يكونان قد انتقلا بالفعل إلى وضع جديد. لا يسعها تمييز ماذا يفعلان، لكنها خائفة، خائفة جدًا على شافا. تتدفق الفضة في أومبر أنهارًا، يتغذى بطاقة مستمرة من جذوره الأرضية الوهاجة. في المقابل التدفق الواهن لشافا، ليس إلا سلسلة مريعة من العوائق والدوامات التي تشدّ أعصابه وعضلاته، وتحرقه على نحو غير متوقع كي تشتت تركيزه. ترى ناسون من محيا التركيز على وجه شافا أنه لا يزال هو المتحكم، وهذا ما ينقذه. حركاته إستراتيجية، غير متوقعة، مخططة بعناية. لكن مع ذلك مجرد أنه قادر على القتال لأمر مذهل.

أما كيفية إنهائه للقتال، أي دفعه يده حتى الرسغ من أسفل فك أومبر، لأمر مريع.

يصدر أومبر صوتًا مريعًا، ينتفض ثم يتوقف، لكن بعد لحظة تنقض يده على حلق شافا مرة أخرى، بسرعة يتعسر معها رؤيتها. شافا يشهق -شهقة سريعة جدًا حتى إنها قد تبدو تنفسًا عاديًا، لكن ناسون تسمع فيها القلق- ويصدّ الهجوم، لكن أومبر ما انفك يتحرك، حتى وقد تراجعت عيناه إلى داخل رأسه وأمسّت حركته متعثرة مرتجفة.

حينها تفهم ناسون، لم يعد هناك من يُدعى أومبر، وإنما تتحرك أطرافه وتستجيب بحسب أوامر شيء آخر ما دامت وصلاته الرئيسية في أماكنها. في اللحظة التالية يخلص شافا يده من أومبر ويطرحه أرضاً، ثم يدهس رأس غريمه.

لا تستطيع ناسون أن تنظر. تسمع صوت السحق، وهذا كافٍ. تسمع أطراف أومبر مستمرة في الارتجاف، أمست حركته واهنة لكن مستمرة، ثم تسمع الحفيف الخافت للملابس شافا وهو ينحني، ثم تسمع شيئاً، سمعته أمها آخر مرة في غرفة صغيرة بجناح الأوصياء في المركز قبل نحو ثلاثين عاماً؛ عظام تنهشم وفقرات تتمزق، بينما تسعى أصابع شافا في قاعدة جمجمة أومبر المكسورة.

لا تستطيع ناسون أن تغلق أذنيها، فتركز عوضاً عن ذلك في نيدا، التي ما زالت تجاهد للتحرر من قبضة فولاذي غير القابلة للكسر. تحاول ناسون أن تتكلم: «أنا... أنا...». لم يهدأ نبضها إلا قليلاً. ترتجف الياقوتية في يدها أكثر، ولا تزال نيدا تريد قتلها. فولاذي، الذي قدم نفسه حليفاً محتملاً فقط لا حليفاً أكيداً، لا يحتاج إلا إلى تخفيف قبضته قليلاً فتموت ناسون. لكن... تتمكن من قول: «أنا لا أريد قتلك»، وتلك حقيقة.

نيدا فجأة تسكن وتصمت. يتداعى الغضب من وجهها رويداً رويداً حتى ما يعود عليه أي تعبير. تقول: «حينها، لم يفعل سوى ما كان ينبغي فعله».

تنتصب الشعيرات على جلد ناسون، حينها تدرك أن شيئاً غير

ملموس قد تغير. ليست متيقنة من كنهه بالضبط، لكنها تعتقد أن هذه لم تعد نيدا. تزدرد لعابها: «من؟ فعل ماذا؟».

تقع نظرة نيدا على فولاذي. يتردد صوت انسحاق واهن، فيما يثني فم فولاذي متحولاً إلى ابتسامة واسعة تكشف عن أسنانه. ثم، وقبل أن تفكر ناسون في سؤال آخر، تتبدل قبضة فولاذي. لا ترتخي، بل تدور، بهذا البطء الذي لعله يقصد محاكاة -أو السخرية من- حركة البشر. يشدّ ذراعه ويلوي رسغه كي يدير نيدا بحيث يواجه ظهرها مقدمته. كاهلها أمام فمه.

تتابع نيدا بهدوء: «إنه غاضب»، وإن كانت الآن لم تعد تواجه فولاذي ولا ناسون، «مع ذلك، لا يزال مستعداً للمساومة، للمسامحة. إنه يريد العدل، لكن...».

يقول فولاذي: «لقد نال عدله منذ آلاف السنين، وما عدت أدين له بشيء». ثم يفتح فمه على اتساعه.

تدير ناسون وجهها مرة أخرى. حتى في الصباح الذي فتت فيه أباهما فتاتاً، لا تزال هناك أشياء أبشع من أن تراها عيونها الطفلة. على الأقل نيدا لم تتحرك مرة أخرى بعدما ترك فولاذي جسدها يقع.

يقول شافا: «لا يمكننا أن نظل هنا». عندما تزدرد ناسون لعابها وتركز فيه، ترى أنه يقف فوق جثة أومبر، يحمل شيئاً صغيراً وحاداً في يد منقوعة في الدماء. ينظر إلى هذا الشيء بنفس النظرة الباردة المنفصلة، التي ترتسم على وجهه عندما ينوي القتل. «سيأتي آخرون».

وضوح الذهن الناجم عن أدرينا لين الموت الوشيك، يجعل ناسون

تفهم أنه يعني بالآخرين أوصياء ملوثين بالكامل، وليسوا أنصاف ملوثين من الذين تمكنوا من الاحتفاظ ببعض الإرادة الحرة، مثل شافا نفسه. تزدرد لعابها وتومئ، وقد بدأت تهدأ بعدما ما عاد هناك من يحاول قتلها حالاً. «ماذا عن بقية الأطفال؟».

بعض الأطفال المعنيين يقفون في شرفة عنبر النوم، وقد أيقظهم هدير المسلة حينما استدعتها ناسون في هيئة السكين الطويل. رأت ناسون أنهم شهدوا كل شيء، بعضهم يبكي من رؤية أوصيائهم يموتون، لكن أكثرهم يكتفون بالنظر إلى شافا في صمت المصدومين، وأحد صغارهم يتقيأ من فوق حاجز الشرفة.

يرمقهم شافا مطولاً، ثم ينظر إليها بجانب عينه. لا يزال في عينه برود يقول ما لا تفصح عنه كلماته. «سيتعين عليهم مغادرة جيكتي، بسرعة، فبغير أوصياء، لا أظن أهل الكومونة سيتحملون وجودهم». أو يقتلهم، هذا ما فعله مع كل أوروچيني قابله لا يخضع لتحكمه. هم إما له، وإما عليه.

تندفع ناسون: «لا». ردّاً على بروده الصامت، لا ما قاله. يزداد برود شافا قليلاً. لا يجب شافا أبداً أن تقول له لا. تأخذ نفساً عميقاً، وتتمكن من استحضار بعض الهدوء، وتصيح نفسها. «أرجوك يا شافا، أنا... لا أستطيع تحمل المزيد».

هذا نفاق صريح. إن قرارها الذي اتخذته قبل قليل، الوعد الصامت الذي وعدته فوق جثمان أبيها، يناقضه. لا يستطيع شافا معرفة قرارها، لكنها على حافة نطاق رؤيتها، واعية إلى حد مؤلم بوجود فولاذي

وابتسامته الدموية. تزم شفيتها معا. إنها تعني ما قالته رغم كل شيء،
لم تكذب، لا تستطيع تحمل مزيداً من القسوة والمعاناة المستمرة، هذا هو
أصل الأمر. ما تعتزم فعله سيكون على الأقل سريعاً رحيماً.

يتأملها شافاً للحظة، ثم يتشنج قليلاً، مثلما رآته يفعل كثيراً في
الأسابيع القليلة المنقضية. بعدما ينتهي تشنجه، يرسم ابتسامة ويتجه
نحوها، لكن ليس إلا بعدما أغلق كفه بإحكام حول الشظية المعدنية
التي انتزعها من أومبر. «كيف حال كتفك؟».

تلمس كتفها. قماش ذراع رداء نومها مبتل بالدماء، لكنه غير
منقوع، ولا تزال قادرة على تحريك ذراعها. «تؤلمني».

«يؤسفني أن هذا سيدوم بعض الوقت». يجيل البصر حوله، ثم
ينهض ويتجه إلى جثة أومبر. يمزق أحد أكمام قميص أومبر -تلاحظ
بعض الارتياح أنه الكمّ الأقل اتساخاً بالدماء- ثم يأتي ويرفع كمّتها،
ويساعدها على ربط القماش الممزقة حول الكتف. يربطها بإحكام.
تعلم ناسون أن هذا جيد، وسيعفيها على الأرجح من الاحتياج لتخييط
الجرح، لكن مع ذلك يصبح الألم أسوأ للحظة، وتميل كي تستند إليه
قليلاً. يسمح بذلك، ويمسد على شعرها بيده الحرة. أما الأخرى،
الغارقة في الدماء، فتلاحظ ناسون أنها تظل محكمة الانقباض حول
الشظية المعدنية.

تسأل ناسون وهي تحديق إلى اليد المنقبضة: «ماذا ستفعل بها؟». لا
يسعها إلا تخيل ما في يده شيئاً خبيثاً، تتلوى أهدابه بشعبانية، ويبحث عن
الضحية التالية التي سيغزوها بإرادة الأرض الشرير.

يقول شافا بصوت مثقل: «لا أعلم. إنه لا يشكل خطرا عليّ، لكنني أذكر أن...»، يقطب للحظة، يبدو بوضوح أنه يحاول عبثًا القبض على ذكرى ذهبت، «أنا ذات يوم، في مكان آخر، كنا ببساطة نعيد تدوير هذه الأشياء. أما هنا، فأعتقد أنني سأبحث عن مكان ناءٍ ما أرميها فيه، وأتمنى ألا يتعثر فيها أحد في أي وقت قريب. ماذا ستفعلين بهذه؟».

تتبع ناسون نظرتة إلى السكين الطويل الياقوتية الزرقاء، التي لما باتت متروكة بغير اعتناء، أخذت تحوم خلفها بعدما ركزت نفسها في الهواء، تطفو على بعد قدم واحد بالضبط من ظهر ناسون، وتتحرك برفق مع حركتها، وتطن طنينًا واهنًا. لا تستطيع ناسون أن تفهم لماذا تتصرف هكذا، وإن كانت تجد بعض الطمأنينة في قوتها القريبة الساكنة. «علي يجب أن أعيدها مكانها».

«كيف لك أصلا أن...؟».

«أظن أنني احتجتها، وهي لما علمت باحتياجي إليها تبدلت من أجلي». تهز ناسون كتفيها قليلاً. إن هذه أمور يتعذر على الكلام وصفها. ثم تمسك قميصه بيدها السليمة، لأنها تعلم أن شافا عندما لا يرد على سؤال، فتلك ليست علامة طيبة. «ماذا عن الآخرين يا شافا؟».

يتنهد أخيراً. «سأساعدهم على تجهيز متاعهم. هل بوسعك المشي؟». ناسون ترتاح بشدة حتى إنها للحظة تشعر وكأنها تستطيع الطيران. «نعم. شكرًا، شكرًا لك يا شافا».

يهز رأسه بأسف واضح، حتى وهو يتسم مرة أخرى. «أذهبي إلى

بيت أبيك يا صغيرة واجمعي كل ما خف حملة ونفع حامله، وسوف أقابلك هناك».

تردد. لو أن شافا قرر أن يقتل باقي أطفال القمر الجديد... لكنه لن يفعل، أليس كذلك؟ قال إنه لن يفعل.

شافا يتوقف، يرفع حاجبًا فوق ابتسامته في صورة تساؤل مهذب. هذا وهم. لا تزال الفضة تعصف في داخله، تحاول حثه على قتلها. لا شك أنه يقاسي ألمًا هائلًا. بيد أنه يقاوم، كما كان يقاوم له أسابيع. إنه لا يقتلها لأنه يحبها. وهي لن تستطيع أن تثق بأحد ولا في شيء إن لم تثق به. تقول: «حسنًا، أراك في بيت بابا».

وبينما تتبعد عنه، تلمح فولاذي، الذي التفت بدوره لينظر إلى وجه شافا. يبدو أنه في وقت ما من اللحظات القليلة المنصرمة مسح الدماء عن شفثيه. لا تعلم كيف فعلها. غير أنه يمد إحدى يديه الرماديتين إليها... لا، بل إلى شافا. شافا يميل رأسه قليلًا للحظة، يفكر، ثم بعد وهلة يضع الشظية الحديدية الدامية في يد فولاذي. فولاذي يغلق قبضته عليها، ثم يفتحها، ببطء، وكأنه يؤدي خدعة خفة يد. ذهبت الشظية الحديدية من يده. شافا يحني رأسه بشكر مهذب.

هاهما حارساها الوحشيان، مضطران إلى التعاون كي يعتنيا بها. لكن هل ناسّون وحش أيضًا؟ تفكر في الشيء الذي أحست به قبل مجيء جيغا ليقتلها، تلك الذروة المبالغتة من القوة الهائلة، تركزها وتكبرها عشرات المسلات التي تعمل بالتزامن. قال فولاذي إن اسمه بوابة المسلة؛ ميكانيزم شاسع عتيق، صنعتها نفس الحضارة الميتة التي صنعت المسلات، لنفس

الهدف غير المفهوم. ذكر فولاذي شيئاً اسمه القمر. لقد سمعت ناسون من قبل الحكايات التي تقول إن الأب الأرض، قبل زمن بعيد، كان عنده ابن، وفقدان ذلك الابن هو ما أغضب الأب وجلب المواسم.

تقدم تلك الحكايات رسالة تتضمن أملاً مستحيلاً، وقولاً بلا معنى يستخدمه القوالون لتحفيز الجماهير المستثارة: ذات يوم، سيعود ابن الأرض المفقود... والنتيجة أن الأب الأرض قد يرضى أخيراً. أي ذات يوم، قد تنتهي المواسم، ويصبح كل شيء في العالم على ما يرام. عدا أن الآباء لن يتوقفوا عن محاولة قتل أبنائهم الأوروبيين، حتى لو عاد القمر. لا شيء سيوقف ذلك.

فولاذي طلب منها إعادة القمر إلى بيته، وإنهاء معاناة العالم.

بعض الخيارات في الواقع ليست خيارات أبداً.

ناسون تأمر المسلة بإرادتها أن تأتي لتحوم أمامها مرة أخرى. ما عادت تقدر على السسبنة بعد موجة إلغاء أومبر ونيدا، لكن ثمة طرق عديدة لإدراك العالم. ووسط وميض الحالة غير المائبة للياقوتية الزرقاء، بينما هي تتلاشى وتتجسد نفسها من جديد، من خلال المخزون الفضي الهائل المركز داخل بنيتها الكريستالية، توجد رسالة ضمنية مكتوبة بمعادلات القوة والتوازن، تحلها ناسون غريزياً بشيء يتجاوز الحساب. بعيداً. عبر البحر المجهول. ربما تمتلك أمها مفتاح بوابة المسلة، لكن ناسون تعلمت على طرق الرماد أن هناك طرقاً متعددة لفتح أي بوابة... هناك مفصلات يمكن كسرها، وسائل للتسلق أو أنفاق للعبور. وهناك، في الناحية الأخرى من العالم، ثمة مكان يمكن فيه إلغاء تحكم إيسون بالبوابة.

تقول ناسون: «شافا، أنا أعلم إلى أين ينبغي أن أذهب».
يرمقها للحظة، نظرته تقفز إلى فولاذي وتعود. «أتعلمين فعلاً؟».
«نعم، لكن الطريق طويل جداً»، تعضّ شفّتها، «هل ستأتي معي؟».
يلوح برأسه، ابتسامته واسعة ودافئة. «إلى أي مكان يا صغيرة».
تطلق ناسون زفرة ارتياح، وتمنحه ابتسامة مترددة. ثم تولي ظهرها
للقمر الحديد وجثته عمداً، وتنزل الهضبة من دون أن تنظر خلفها.

٢٧٢٩ إمبراطوري: أبلغ شهود عيان في كومونة أماند (ربع
ديبا، غرب الشمال الأوسط) عن قيام روجا غير مسجلة بفتح
جيب غازي بالقرب من المدينة. نوع الغاز غير محدد. يقتل في ثوانٍ؟
يحول لون اللسان إلى البنفسجي؟ خائف أم سام؟ أم كلاهما؟ أبلغوا
أيضاً عن روجا أخرى حالت دون تحقيق مجهودات الأولى بطريقة
ماء، وأعادت الغاز إلى الجيب وأحكمت غلقه. سارع مواطنو أماند
حينها إلى قتل كليهما تجنباً للمزيد من الحوادث. تقييم المرتكز
اللاحق للجيب الغازي كان هائلاً؛ كافياً لقتل أكثر الناس والماشية
في النصف الغربي من الشمال الأوسط، علاوة على تلوث التربة بعد
ذلك. الأنثى التي بادرت بالحادثة كانت في السابعة عشرة، ردّاً على
تعدّد مزعوم على أخت صغرى. والأنثى التي أخذت الجيب كانت
في السابعة، أخت الأولى.

بيتر مبتكر ديبارس - سجلات المشروع

سيل أنا جيست: ه

يقول صوت قادم من خلفي (خلفي؟ أنا؟): «هواه».

التفت عن النافذة وحديقة الزهور المتذبذبة. ثمة امرأة تقف مع چيواه وأحد الميسرين، لا أعرفها. بالنسبة إلى عيني هي منهم؛ ذات بشرة بنية ناعمة وأعين رمادية، وشعرها أسود بني مجدول وطويل، وهناك أيضًا أطياف من الآخرين في اتساع وجهها، أو لعلّي الآن، وأنا أتأمل الذكرى عبر عدسة الزمن، أرى ما أود رؤيته. هيئتها لا تهم، ما يهم هو أنها بالنسبة إلى سسبييتي، قريبة لنا قرابة واضحة وضوح شعر چيواه الهائش. وجودها يشكل ضغطًا كبيرًا على البيئة المحيطة، فيه قوة متقلبة لا يمكن مقاومتها. هذا يجعلها منا، وكأنها صُبت من نفس المزيج البيوسحري.

(أنت تبدين مثلها. لا. بل أنا الذي أريدك أن تبدي مثلها. هذا ليس عدلًا، فحتى لو كان هذا صحيحًا، فأنت تشبهينها فيما يتجاوز مجرد الشكل الظاهري. أعذر عن اختزالك بهذه الطريقة).

تحدث الميسرة أيضًا مثل بني جنسها، بتلك الترددات الواهنة التي لا تتردد إلا عبر الهواء، ولا ترحزح من الأرض ولا ذرة غبار. أي

بالكلام. أعرف الكلمة التي هي اسم هذه الميَّسرة، فِلين، وأعرف أيضًا أنها أحد الأكثر لطفًا من بينهم. لكن كل هذه المعرفة قاصرة وغير مميزة، مثل أكثر ما يخصهم. لقد ظللت لوقت طويل غير قادر على التفريق بين أفراد جنسهم؛ قد يبدوون مختلفين لكن لهم جميعًا نفس الوجود عديم التأثير في البيئة المحيطة. لا زلت بحاجة إلى تذكير نفسي أن ملمس الشعر وشكل العينين وروائح الجسد المختلفة تعني لهم ما تعنيه لنا اضطرابات الصفائح التكتونية.

يجب عليّ أن أحترم اختلافاتهم، ففي النهاية، نحن الناقصون لا هم، نحن من جُردنا مما يجعلنا بشرًا. كان هذا ضروريًا، ولا يضايقني، فأنا أحب كوني مفيدًا. لكن أمورًا كثيرة كانت ستصبح أيسر فقط لو تمكنت من فهم خالقينا فهما أفضل.

ها أنا ذاك أحرق إلى المرأة الجديدة، المرأة التي هي منا، وأحاول أن أركز انتباهي بينما الميَّسرة تقدمنا إليها. إن التقديم هو طقس يتضمن شرح أصوات الأسماء والعلاقات الـ... الأسرية؟ الوظيفية؟ صدقًا لا أعرف. أنا أقف حيث يُطلب مني وأقول ما ينبغي أن أقول. تخبر الميَّسرة المرأة الجديدة أنني هواه وأن چيواه هي چيواه، وتلك هي الأسماء التي ينادوننا بها. وتقول الميَّسرة إن المرأة الجديدة هي كلنلي. هذا ليس صحيحًا، بل اسمها في الواقع طعنة عميقة، اختراق سطح الطين بنعومة، طبقة السيليكات السفلية الطرية، اهتزاز. لكنني سأحاول أن أتذكر «كلنلي» عندما أستخدم الكلمات للحديث.

تبدو الميَّسرة سعيدة عندما أقول «كيف حالك» وقتما ينبغي أن أفعل.

وهذا يسعدني. إن عملية التقديم صعبة جدًا، لكنني تعبت كثيرًا حتى أتقنتها. بعد هذا تبدأ تتحدث مع كلنلي، وعندما يصبح من الواضح أن الميسرة لن توجه إليَّ أي حديث آخر، أذهب وأقف خلف چيواه وأبدأ في تضيف بعض شعرها الهائش السميك. تبدو الميسرة سعيدة بفعلي هذا، وإن كنت لا أعلم لذلك سببًا. قال أحدهم ذات مرة إن اعتناء بعضنا ببعض على هذا النحو أمر «لطيف»، يشبه البشر كثيرًا. لا أعرف بالضبط ما معنى «لطيف» هذه. وفي تلك الأثناء، أنصت.

تقول فلين بتنهيده: «هذا لا يعني شيئًا، أعني... إن الأرقام لا تكذب، لكن...».

تقول كلنلي: «لو تودين تسجيل اعتراضك»، كلماتها تفتنني كما لم أفتن بكلام من قبل. صوتها، على عكس الميسرة، له وزن وملمس، عميق ومتعدد الطبقات كالأرض. تتغلغل كلماتها في الأرض وهي تتحدث، فتتردد كموجات صدى صامت تزيد الكلام واقعية. فلين، التي لا تلاحظ مدى عمق كلام كلنلي، أو ربما لا تهتم، يرتسم على محياها تعبير منزعج ردًا على ما قالت، فتكرر كلنلي: «لو تحبين ذلك، فسوف أتحدث مع جالات ليزيلني من جدول الخدمة».

«كي يبدأ يصيح ولا يتوقف بعدها أبدًا؟ إن طبعه وشر الموت لحاد»، تبسم فلين، لكنها ليست ابتسامة مبتهجة، «لا بد أنه يعاني الأمرين من رغبته في نجاح المشروع، مقابل رغبته في أن تظلي... حسنًا. أنا عن نفسي لا أمانع في أن تكوني احتياطية فقط، لكنني أيضًا لم أرَ بعدُ بيانات المحاكاة».

«أنا رأيتها»، تتكلم كلنلي بجديّة، «كانت المخاطرة بالانهيار الناجم عن التأخير ضئيلة، لكنها ذات شأن».

«طيب، هكذا هو الوضع إذن، حتى أقل مخاطرة تعدّ أكثر مما ينبغي، ما دام بوسعنا أن نفعل شيئًا حيالها. لكنني أظنهم أكثر توترًا مما يُظهرون، فقد أدخلوك في...»، تبدو فلين فجأة محرجة، «آه... آسفة، لم أقصد أي إساءة».

تبتسم كلنلي. أنا وچيواه نرى أنها ابتسامة سطحية فقط، وليست تعبيرها الحقيقي. «أعلم، لا تقلقي».

تزفر فلين في ارتياح. «حسنًا إذن، سأذهب أنا إلى غرفة المراقبة وأدع ثلاثكم تتعارفون. اطرقني الباب عندما تنتهين».

عندئذ تغادر الميسرة فلين الغرفة. وهذا جيد، لأن بغياب الميسرين نستطيع الحديث بسهولة أكثر. ينغلق الباب وأستدير لمواجهة چيواه (التي هي في الواقع مذاق ملحى لامع لجيود مشروخ، صدى خافت). تومئ چيواه إيماءة دقيقة، لأنني أصبت في تخميني أنها تريد إخباري بأمر مهم. إننا تحت المراقبة على الدوام، لا غنى عن الحفاظ على حد معين من الأداء.

تقول چيواه بفمها: «لقد أخبرتني الميسرة فلين أنهم سوف يغيرون من تركيبنا»، وبقيتها يقول من خلال الاضطرابات الأتموسفيرية والشد المتوتر لخيوط الفضة: لقد أخذوا تلوّاه إلى التوالف.

«تغيير في هذه المرحلة المتأخرة؟»، أرمق المرأة التي هي منا، كلنلي، لأرى إن كانت تتابع المحادثة كلها. إنها تبدو مثلهم كثيرًا، بكل هذه

الألوان الخارجية والعظام الطويلة التي تجعلها أطول من كليتنا بمقدار رأس. أسألها: «هل أنت هنا لأمر يتعلق بالمشروع؟»، بينما أرد في الوقت نفسه على ما أعلنته چيواه عن تتلواه، لا.

قولي «لا» ليس استنكارًا، وإنما تقرير حقائق. لا زلنا قادرين على الشعور بـاضطراب البقعة الساخنة واضطراب طبقات الأرض وهدير الأعماق الذي هو تتلواه، لكن... ثمة أمر مختلف. لم يعد قريبًا، أو على الأقل لم يعد في نطاق استشرافنا الأرضي، وكل اضطرابه واضطرابه وهديره ما عادوا ملحوظين.

خرج عن الخدمة. هكذا يحب الميسرون وصف غياب أيّ منا. لقد طلبوا منا من قبل، كلٌّ على حدة، أن نصف إحساسنا عند حدوث ذلك، لأن هذا يزعزع من استقرار شبكتنا. تحدث كل منا في اتفاق غير منطوق عن إحساس بالفقد، بالانتزاع، بالاستنزاف... بوهن في إشارات القوة. ومن خلال اتفاق غير منطوق لم يذكر أي منا بقية الإحساس، والذي كان على أي حال متعذرًا على الوصف باستخدام كلمات الميسرين. ما قاسيناه في الواقع كان شعورًا حارقًا، واخزًا، كان اشتباكًا مقاومًا متداعيًا يعود إلى روابط قبل سيل-أناجيسية عتيقة، مثل تلك التي نقابلها أحيانًا خلال استكشافنا للأرض، وقد أمست صدئة وحادة بعد تحليلها وتدهور إمكانياتها. شعور يشبه هذا.

بأمر ممن؟ أريد أن أعرف.

تصبح چيواه موجة زلزالية بطيئة أنماطها صارخة محبطة مرتبكة. إنه الميسر جالات، وبقية الميسرين منزعجون من ذلك، وأحدهم

أبلغ المستويات العليا بالأمر، ولذلك أرسلوا لنا كلنلي. كان الإمساك بالأونيكية وصخرة القمر يحتاج إلى ثلاثتنا معًا، والآن هم قلقون على استقرارنا.

أراجع منزعجًا، كان عليهم أن يفكروا في هذا قبل أن...

تقاطع كلنلي: «نعم، أنا هنا لأمر يتعلق بالمشروع»، وإن كان تدخلها لم يقطع أو يعيق أي تواصل منطوق، إن الكلام المنطوق لشيء بطيء جدًا جدًا مقارنة بحديث الأرض. «إنني أمتلك بعض الوعي السحري، وقدرات مشابهة لقدراتكم»، ثم تضيف: وأنا هنا كي أعلمكم.

تنتقل بسلاسة بين كلام الميسرين وكلامنا، كلام الأرض. إن حضورها التواصلي مثل معدن ثقيل مشع، خطوط فيض مغناطيسي متوهجة لحديد نيزكي، ومزيد من الطبقات المعقدة تحت كل ذلك، كلها حادة الحواف وقوية إلى حد جعلني أنا وحيواه نشق في تعجب.

وماذا في قولها إنها ستُعلمنا؟ ما الذي نحتاج إلى تعلمه؟ فنحن منذ صُببنا أول مرة نعلم تقريبًا كل ما نحتاج إلى تعلمه، والبقية القليلة تعلمناها في أول أيامنا برفقة أقراننا المدوزنين. لولا هذا لكان بين التوالف أيضًا.

أتأكد من رسم التجهم على وجهي. «كيف لك أن تكوني مدوزنة مثلنا؟». هذه الكذبة موجهة إلى مراقبينا، الذين لا يرون من الأمور إلا سطحها، ويحسبوننا مثلهم. صحيح أنها ليست بيضاء مثلنا، ولا قصيرة ولا غريبة، لكننا عرفنا جيدًا أنها منا منذ أدركنا حضورها المزلزل الهائل. أنا لا أنكر أنها واحدة منا، فأنا لا أقدر على إنكار ما لا يُنكر.

كلنلي تبتسم بتهكم يقرّ بالكذبة. «لست مثلكم بالضبط، لكنني قريبة بما يكفي. أنتم التحفة الفنية المكتملة، أنا مجرد نموذج». خيوط السحر تسعى في الأرض وترتجّ وتضيف معاني أخرى؛ أنا قالب أولي، عنصر تحكم في تجربة إنشائنا صُنع مبكرًا للرؤية كيف ينبغي إتمامها. إنها تختلف عنهم في شيء واحد، مقابل اختلافاتنا العديدة عنهم، وهو أن لديها نفس سسبيتنا المصممة بعناية فائقة. هل هذا يكفي لتنفيذ المهمة؟ حضورها الأرضي الذي لا ينكر يؤيد ذلك. تتابع بالكلام: «أنا لست أول النماذج المصنوعة، أنا فقط الناجية الوحيدة منهم».

نرفع جميعًا أيادينا في الهواء لطرد الموت الشرير. لكنني أسمح لنفسي بإظهار عدم الفهم، بينما أتساءل هل نجرؤ على الثقة بها؟ لقد رأيت كيف كانت الميسرة مسترخية في وجودها. إن فلين من الميسرين الطيبين، لكن حتى هي لا تنسى أبدًا ماهيتنا. غير أنها نسيت ماهية كلنلي. ربما يحسبها البشر جميعًا أنها منهم، وذلك حتى يخبرهم أحدهم بغير ذلك. ترى، ما شعور أن يُعامل المرء مثل البشر وهو ليس منهم؟ هذا غير حقيقة أنهم تركوها وحدها معنا. إنهم يعاملوننا كما لو أننا أسلحة قد تنفجر بالخطأ في أي لحظة... لكنهم يثقون بها.

سألتها جهراً، وكان هذا أمر يهم: «كم شذرة دوزنت نفسك معها؟»، وهذا أيضًا تحدّ.

تقول كلنلي: «واحدة فقط»، لكنها لا تزال تبتسم، «الأونيكسية». أوه. أما هذا فمهم بالتأكيد. أبادل مع حيواه نظرة تعجب وقلق قبل أن نواجهها مرة أخرى.

تتابع كلنلي بإصرار مفاجئ على إعلان هذه المعلومات المهمة بكلمات مسموعة، ما يضيف عليها طابع الأهمية: «وسبب وجودي هنا هو أن الأمر قد صدر. صارت الشذرات في حالة التخزين المثلى، وباتت جاهزة لدورة التوليد. كوربوينت والموقع صفر سيبدأ أن في العمل بعد ثمانية وعشرين يوما. وسوف نشغل أخيراً المحرك البلوتوني».

(بعد عشرات آلاف السنين، بعدما ينسى الناس «المحركات» ويطلقون على الشذرات اسم «المسلات»، سيكون هناك اسم مختلف لذلك الشيء الذي يحكم حياتنا الآن، سيُدعى باسم «بوابة المسلة»، وهو اسم أكثر شاعرية وبدائية على نحو غريب. أحب هذا الاسم أكثر).

أما في الحاضر، وبينما أنا وچيواه نحدد فيها من أماكننا، ترمي كلنلي قبلتها الأخيرة من خلال الذبذبات المترددة بين خلايانا:

ما يعني أن أمامي أقل من شهر كي أعرفكم حقيقتنا.

چيواه تقطب، وأنا لمعرفتي أن الميسرين يراقبون أجسادنا كما يراقبون وجوهنا، أتمكن من عدم إبداء أي استجابة، لكن بالكاد، فأنا مرتبك أقصى الارتباك، ولم أملك لدي أدنى فكرة، وقت تلك المحادثة، أن هذه بداية النهاية.

فنحن المدوزنين لسنا أوروبيين. الأوروبينية شيء مختلف، ستحدث بعد أجيال من التكيف مع عالم متقلب. أنتِ نسخة أقل عمقا وأكثر تخصصا وأقرب للطبيعة، من غرابتنا التي لا صلة لها بالطبيعة ألبته. لن يدنو من مدى قوتنا وتنوع قدراتنا إلا أقل القليل منكم فقط، مثل ألابستر. لكن هذا لأننا اصطنعنا عمدا، كما اصطنعت الشذرات

التي تسمونها المسلات؛ نحن مثلها شذرات من آلة كبرى، ومثلها نحن
مأثرة هندسية-جينية وجيوسحرية، وغير أولئك من المجالات التي لن
يكون لها في المستقبل أسماء. في وجودنا تمجيد للعالم الذي خلقنا، مثل أي
تمثال أو صولجان أو أي غالي نفيس.

نحن لا نستاء من ذلك، فأراؤنا وخبراتنا قد صُممت بعناية أيضًا،
ولا نحن نفهم أن ما جاءت كلنلي كي تمنحنا إياه هو الشعور بالإنسانية.
نحن لا نفهم لماذا حُرمتنا من قبل من هذا الإدراك بالنفس... لكننا
سنفهم.

وعندئذ سنفهم أن البشر لا يمكن أن يكونوا ممتلكات. ولأننا
بشر وفي الوقت نفسه ممتلكات، وهذا لا ينبغي أن يكون، سيتشكل
مفهوم جديد في داخلنا، حتى ونحن في هذا الوقت لم نكن قد سمعنا
من قبل الكلمة التي تصفه، لأن الميسرين لا يسمح لهم بمجرد ذكرها
في حضورنا: الثورة.

نحن لا نأبه كثيرًا بالكلمات، لكن في النهاية هكذا هي البداية،
وأنت يا إيسون، ستشهدين النهاية.

أنت، غير متزنة

تستغرقين بضعة أيام حتى تتعافى بما يكفيك للمشي وحدك. وما إن تمشين حتى توظف إيكًا حاملي النقالة في مسؤوليات أخرى، فيتركونك تتعثرين وحدك، واهنة خرقاء جراء فقدان ذراعك. لعدة أيام تتأخرين عن مسيرة المجموعة، ولا تلحقين بهم إلا بعد ساعات من استقرارهم ليلاً. حين تذهبين لتحصيل حصتك من الطعام، لا تجددين قد بقي منه إلا الفتات، من الجيد إذن أنك ما عدت تشعرين بالجوع. لا يتبقى أيضًا مساحة جيدة كافية لفرد فراشك القابل للطي، وإن كانوا على الأقل قد منحوك الأساسي من الزاد والمتاع لتعويضك عن مخلاتك المفقودة. المساحات المتبقية ليست جيدة، بالقرب من حافة المخيم أو خارج الطريق بالمرّة. لكنك تنامين على أي حال، لأنك منهكة. وتفترضين أن لو كان هنالك أي خطر حقيقي، هوّا سيأخذك بعيدًا مرة أخرى، فهو يبدو قادرًا على نقلك مسافات صغيرة عبر الأرض من دون مشاكل.

يتلكأ هوّا وتونكي معك أيضًا. تشعرين مثل الأيام الخوالي، عدا أن هوّا يبدو وكأنه يمشي، ثم تتركاه خلفكما وتتابعان المشي، ثم يظهر

أمامكما مجدداً. يتخذ أكثر الوقت وضعيات وقوف طبيعية، لكنه يتخذ أحياناً وضعيات سخيفة، وكأنه يركض مثلاً. يبدو أن آكلي الصخر أيضاً يضجرون أحياناً. تظل هياركا مع تونكي، ما يجعلكم أربعة، أو خمسة؛ فيتلكأ لِرنا بدوره ليمشي معك، غاضباً مما يعدّه إساءة معاملة لأحد مرضاه. يرى لِرنا أن امرأة قامت فوراً من غيبوبة، لا يصح أن تُجبرَ على المشي إطلاقاً، ناهيك عن تركها في المؤخرة. تحاولين أن تطلبي منه ألا يبقى معك، كيلا يجلب على نفسه غضب كاستريما، لكنه يضحك مستهزئاً ويقول لو أن كاستريما قررت أن تخاصم الوحيد في الكومونة الحاصل على تدريب رسمي في الجراحة، فهم لا يستحقونه. وهو... بصراحة، محق. فتخرسين.

لكنك تتمكنين من تدبر أمورك أفضل من المتوقع، من توقع لِرنا على الأقل. هذا لأنك لم تكوني في غيبوبة حقيقية، ولأنك لم تفقدي جل تهيئتك لحياة الطريق، خلال إقامتك لسبعة أو ثمانية أشهر في كاستريما. العادات القديمة تعود بسهولة في الواقع، مثل إيجاد وتيرة خطى ثابتة، تلتهم الأميال بثبات حتى لو كانت بطيئة، ومثل حمل حزمك أسفل ظهرك، كي يركز أكثر وزنها على أردافك بدلاً من أن تشدّ كتفيك، ومثل حني رأسك وأنت تمشين، فلا يتراكم الرماد المتساقط على نظارتك. إن فقدان الذراع أقرب إلى إزعاج منه إلى معاناة حقيقية، على الأقل مع وجود كثير من المتطوعين للمساعدة حولك. باستثناء خلل التوازن والانزعاج من ألم أو حكة شبيهة في أصابع لم تعد موجودة، أصعب شيء هو ارتداء الملابس في الصباح. لكن تفاجئك السرعة التي

تتمكنين بها من القرفصة من أجل التبول أو التبرز من دون أن تقعي،
لعل دافعك لهذا هو أيامك الطويلة مع الحفظات.

هكذا تتدبرين أمرك، ببطء في البداية، ثم أسرع مع مرور الأيام.
لكن ثمة مشكلة في كل هذا: أنت ذاهبة في الاتجاه الخطأ.

تأتيك تونكي ذات ليلة، وتقول من دون مقدمات: «أظن أنك لا
يمكنك أن تذهبي قبل أن نتوغل غربا أكثر، على الأقل حتى نبليغ ميرز.
ولو تريدين فعل ذلك، فعليك أن تتصالحي مع إيكا».

تحقين إليها، لكن هذا بالنسبة إلى تونكي أقصى درجات الكتمان،
فقد انتظرت حتى صارت هياركا تغط في نومها، وحتى ذهب لِرنا
ليستخدم مرحاض المخيم. لا يزال هوّا قريباً، يقف عما قريب حارساً
لمجموعتكم الصغيرة داخل مخيم الكومونة، وتلمع انعكاسات نيرانكم
على انحناءات رخام وجهه الأسود. غير أن تونكي تعلم أنه وفي لك،
وفي القدر ما يعنيه مفهوم الولاء له.

بعدما يفشل تحديقك في حثّ أي تراجع أو ندم في تونكي، تقولين
أخيراً: «إيكا تكرهني».

تقلب عينيها: «ثقي بي، أنا أعلم كيف هي الكراهية. إن ما بإيكا
هو... ذعر، وشيء من الغضب، وأنت تستحقين بعضه، فقد عرضت
قومها للخطر».

«أنا أنقذت قومها من الخطر».

تلاحظين ما يبدو وكأنه تأكيد على وجهة نظرك، على الناحية
الأخرى من المعسكر ثمة من يتحرك بصعوبة وجلبة، إنها إحدى جنديات

رينانيس، من القلة الذين أُسروا أحياء بعد المعركة الأخيرة، تمشي مقيدة بطوق خشبي بمفصلات يحيط برقبتها، في ألواحها ثقب ثقب ذراعيها وتبقيهما مرفوعتين متباعدين، وتتدلى منه أغلال تقبض على كاحليها. قيد بدائي لكنه فعال. يعالج لِرنا قروح قيود في المساجين، وتدرकिन أنهم يُسمح لهم بخلعها ليلاً. هذا حال أفضل مما كان الكاستريميون لاحظون به إن انعكس الحال، لكنه مع ذلك يجعل الأمور مربكة. في النهاية لا يسع الرينانسيون المغادرة، فحتى من دون قيودهم لو حاول أحدهم الهروب من دون متاع ولا حماية الجماعة، سيصبح طعامًا خلال أيام. إن القيود ليست إلا ملحًا على جرح، تذكرة دائمة بأن الحال يمكن أن يسوء. تشيحين بنظرك.

ترى تونكي أنك لاحظت. «صحيح أنك أنقذت كاستريما من خطر، لكنك عرضتها لخطر بنفس السوء، وإيّاك كانت تريد الجزء الأول من هذا فقط».

«لم يكن هناك مفر من الجزء الثاني. أم كان عليّ أن أترك آكلي الصخر يقتلون الروجات؟ يقتلونها؟ لو نجحوا كانت جميع ميكانيزمات الجيود ستفشل في جميع الأحوال».

«إنها تعرف ذلك، ولذلك قلت إن ما بها ليس بكراهية، لكن...»، تونكي تنتهد وكأنك تتحامقين عمدًا، «انظري، كاستريما كانت تجربة، ولا تزال. لا أعني الجيود، وإنما الناس. لطالما كانت تعرف أن محاولة بناء كومونة من الضائعين والروجات هي محاولة هشة، لكنها نجحت. نجحت في جعل القدامى يفهمون أنهم بحاجة إلى الوافدين، وفي جعل

الجميع يعتبرون الروجات بشرًا، وأن يوافقوا على الحياة تحت الأرض، في أطلال حضارة ميتة يمكن أن تقتلنا في أي لحظة، بل وحتى نجحت في منعهم من الانقلاب بعضهم على بعض عندما منحهم آكل الصخر الرمادي سببا لذلك...».

تغمغمين: «أنا من أوقفهم عن ذلك»، لكنك تنصتين.

توافقك: «أنت ساعدت، لكن ماذا لو كنت في ذلك وحدك؟ تعلمين جيدًا أنك ما كنت ستنجحين. كاستريا صنيعة إيكّا، لأنهم يعرفون يقينًا أنها مستعدة للموت من أجل الكومونة. ساعدي كاستريا وستجدين إيكّا في صفك مرة أخرى».

لكن لا يزال أمامكم أسابيع، وربما شهور، قبل أن تبلغوا مدينة رينانيس الاستوائية الخاوية. تقولين باضطراب: «أنا أعلم أين ناسون الآن، لكن حينما تبلغ كاستريا رينانيس، ربما ستكون قد ذهبت إلى مكان آخر».

تونكي تنهد. «انقضت أسابيع من حينها يا إيسون».

وربما أمست ناسون في مكان آخر من قبل أن تقومي من إغماءتك حتى. ترتجفين. أنت لست عقلانية، وأنت تعلمين ذلك، ومع ذلك تندفعين: «لكني إن ذهبت الآن لعلّي... لعلّي ألحق بها، ربما يتمكن هوا من أن يجد أثرها مرة أخرى، وربما أستطيع...»، ثم تتلعثمين حتى الصمت، حينما تسمعين صوتك المرتجف الحاد، فتندفع غرائز الأم الصديقة الثلثة من داخلك لتوبخك: دعك من النحيب. فتزدردين آخر كلماتك، لكنك لا زلت ترتجفين، قليلًا.

تهزّ تونكي رأسها، ثمة تعبير على وجهها قد يكون تعاطفًا، وقد يكون مجرد إقرار حزين بمدى بؤس حالك. «طيب. على الأقل أنت مدركة أن هذه فكرة سيئة، لكن ما دمت عازمة، فمن الأفضل أن تبدئي الآن». وتلفتت عنك. لا لوم عليها بصراحة. حينها يكون الاختيار بين خوض المجهول المحفوف بالمخاطرة مع امرأة دمرت من قبل عدة كومونات، وبين البقاء مع كومونة ستحظى قريبًا، ولو نظريًا، ببيت جديد، فهذا في الواقع لا يرقى إلى أن يكون محل تساؤل بأي حال.

لكنك تعلمين أن محاولة التنبؤ بما قد تفعله تونكي لا طائل منه. بعدما تنسحبين وتسندين ظهرك إلى الصخرة التي كنت تستخدمينها مقعدًا، تنهد، وتقول: «أظن أنني قادرة على استخلاص بعض اللوازم من أمين المخازن، لو أنني قلت لهم إني ذاهبة لاستكشاف بعض الأشياء من أجل المبتكرين. إنهم معتادون مني على ذلك. لكنني لست متأكدة من قدرتي على إقناعهم بمنحي ما يكفي لشخصين».

يفاجئك مدى امتنانك لها... همم. ليس الولاء بالكلمة المناسبة لوصف هذا، ربما التعلق؟ ربما أنت كنت موضوع بحثها لزمّن طويل، لذا هي غير مستعدة لتركك تفلتين من يدها بعدما اتبعتك لعقود وعبر نصف القارة.

ثم تعبين. «شخصان؟ لا ثلاثة؟». حسبت أن أمورها طيبة مع هياركا.

تهزّ كتفيها، ثم تنحني وتدفن وجهها في وعاء الأرز والفاصولياء

الذي تتناوله. تقول بعدما تزدد: «أحب أن أتحفظ في توقعاتي، وليتك تفعلين أيضًا».

تعني بهذا لِرنا، الذي يبدو أنه يقطع مسافات في مشوار تعلقه بك. لا تفهمين لماذا، فأنت لست بالجائزة؛ تنقصك ذراع ويغطيك الرماد، ويبدو أكثر الوقت غاضبًا منك، وما يدهشك أنه ليس كذلك كل الوقت. لطالما كان ولدًا غريبًا.

تتابع تونكي: «وعلى أي حال، ثمة شيء أريدك أن تفكري في شأنه: ماذا كانت ناسون تفعل عندما وجدتها؟».

فتجفلين. لأن تونكي، اللعينة، قالت مرة أخرى بصوت عال ما كنت تفضلين تركه دون تذكر، من دون تفكير.

ولأنك تذكرين تلك اللحظة، حين كانت قوة البوابة تصول وتجول فيك، حين توجهت ولمست وشعرت بصدى مألوف يرد عليك، صدى مدعوم ومقوى بشيء أزرق، وعميق، ويقاوم بغرابة الاتصال بالبوابة. وأخبرتكَ البوابة، على نحو ما، أنها الياقوتية الزرقاء.

كيف لطفلتك ذات الأعوام العشرة أن تلعب بمسلة؟

كيف لطفلتك ذات الأعوام العشرة أن تظل حية بعدما تلعب بمسلة؟

تفكرين فيما شعرت به إبان هذا التواصل الوجيز، في مذاق تلك الذبذبة المألوفة لأوروجينية كنت تقمعيها من قبل ولادتها، وتدريبها منذ كان عمرها عامين، لكنها الآن أقوى وأشد. أنت لم تحاولي أن تأخذي الياقوتية الزرقاء من ناسون، بل كانت البوابة التي حاولت

ذلك، اتباعاً لتعليمات غرسها الصانعون الميتون القدامى على نحو ما في البنية الشبكية متعددة الطبقات للأونيكية. غير أن ناسون احتفظت بياقوتيتها مع ذلك. نجحت في مقاومة بوابة المسلة.

ما الذي كانت صغيرتك تفعله خلال تلك السنة الطويلة السوداء، لتنمي مثل تلك المهارة؟

تونكي تتابع حديثها، فتدفعك إلى الخروج من هذا الاستغراق المريع وإعادة تركيزك إليها: «أنتِ لا تعلمين طبيعة موقفها، وليس لديك فكرة عن الناس التي تعيش معهم. قلتِ إنها في الأنتاركتيكا، في مكان ما قريب من الساحل الشرقي؟ يفترض أن تلك النواحي لم تتأثر بالموسم كثيراً بعد. ماذا ستفعلين إذا كان الأمر كذلك؟ ستنتزعينها من كومونة آمنة وافرة الطعام لا تزال ترى السماء، وتجرينها إلى أخرى في الشمال تطل على الصدع، حيث الهزات دائمة وقد يقتل انفجار غاز الجميع في أي لحظة؟». تحديق إليك بشدة، «هل تريدان مساعدتها أم فقط استعادتها؟ فهذان ليسا الأمر نفسه».

تنفجرين: «جيجا قتل أوتشي». الكلمات لا تؤملك، إلا لو فكرت فيها وأنت تنطقينها، إلا لو تذكرت رائحة ابنك أو ضحكته الصغيرة، أو رؤية جسده تحت البطانية، إلا لو فكرت في كورندم. تستخدمين الغضب في كبح نبضتي الأسى والذنب. «يجب أن آخذها بعيداً عنه، فهو قد قتل ابني!».

«لكنه لم يقتل ابنتك بعد. كان لديه نحو عشرين شهراً أو ربما واحد وعشرون كي يقتلها، ولم يفعل، هذا يعني شيئاً». تونكي تلمح لِرنا

عائداً نحوكما عبر الجموع، ويتنهد. «كل ما أقوله إن هناك أمور عليك أن تفكري فيها، وأنا لا أكاد أصدق أنني من يقول ذلك. هل تتخيلين أن هناك مستخدمة للمسلات أنا لا أستطيع الذهاب للتحقيق في أمرها؟»، تنبس بصوت محبط غاضب، «كم أكره هذا الموسم اللعين، كم يضطرنني إلى التصرف على نحو عملي صدئ».

تفاجئين من صدور ضحكة خافتة عنك، وإن كانت واهنة. إن الأسئلة التي طرحتها تونكي وجبهة بالطبع، وبعضها ليس لديك إجابة له. تفكرين فيها لوقت طويل في الليل، وفي الأيام التالية.

رينانيس تكاد تكون على السواحل الغربية، بعد صحراء ميرز مباشرة. يتحتم على كاستريما قطع الصحراء كي تبلغها، هذا لأن الالتفاف حولها سيطيل زمن الرحلة زيادة فادحة، مثل الفارق بين الشهور والأعوام. بيد أنكم تحرزون تقدماً طيباً في أواسط الجنوب الأوسط، حيث الطرق قابلة للعبور إلى حد مقبول، ولا يضايقكم قطاع طرق أو حيوانات برية ذات بال. عثر الصيادون على كثير من الأعلاف لتعزيز مخازن الكومونة، بما في ذلك فرائس أكثر بقليل مما كانوا يجدون من قبل. وليس في هذا ما يدهش، فلم تعد هناك أسراب من الحشرات تنافسكم عليها. غير أن كل هذا لا يكفي، فبعض الفئران والطيور الصغيرة لا تكفي لإطعام كومونة يزيد تعدادها على الألف لفترة طويلة. لكن هذا أفضل من لا شيء.

وحينما تلاحظين تبدل حال الأرض التي تسبق الصحراء -تضاؤل الغابة الهيكلية، وتسطح التضاريس، والتراجع التدريجي

للمياه الجوفية بين الطبقات - تقرر ان الوقت قد حان لمحاولة الحديث مع إيكّا.

أنتم الآن تقطعون غابة حجرية؛ مكانًا يعجّ بأبراج صخرية سوداء طويلة حادة الحواف تنبثق بغير انتظام من الأرض، كمخالب تبغي القبض على السماء فوق وحول جماعتكم، وأنتم تمرون فيما بينها. لم يعد في العالم كثير مثلها، أكثرها دمرتها الهزات أو دمرها المعاطف السوداء التابعون للمرتكز - عندما كان هناك مرتكز - بتكليف من الكومونات المحلية. لا تعيش الكومونات في الغابات الحجرية، ولا تريد أي كومونة حصيفة القيادة غابة حجرية قريبة، فبالإضافة إلى نزوعها إلى الانهيار وتدمير كل من في داخلها، يشيع أيضًا فيها الكهوف المائية وغيرها من التكوينات الرطبة التي تمثل بيوتًا ممتازة للحوانات والنباتات، وأحيانًا الناس، الخطرة.

يمر الطريق مباشرة عبر الغابة الحجرية، وهذا محض غباء. فلا يوجد شخص عاقل يبني طريقًا عبر مكان كهذا. لو أن محافظ ربع اقترح استخدام أموال ضرائب قومه في إقامة مرتع قطاع الطرق هذا، فسيخسر في الانتخابات التالية... أو سيُغتال ليلاً. هذا إذن أول برهان أن ثمة شيئًا خاطئًا في هذا المكان. والثاني أن ليس هناك الكثير من النباتات في هذه الغابة. ليس هناك الكثير من النبات في أي مكان بعد توغل الموسم إلى هذا الحد على كل حال، لكن ليس هناك أي علامة إن كان هناك أي نبات هنا في الأصل. هذا يعني أن تلك الغابة الحجرية حديثة، حديثة إلى حد أن لم يمر وقت للريح والمطر بتعرية الصخر بما يكفي لنمو النبات. حديثة إلى حد أنها لم توجد قبل الموسم.

والبرهان الثالث هو ما تخبرك به سسبيتك. إن أكثر الغابات الحجرية تكونت من نحت المياه في الحجر الجيري عبر مئات ملايين السنين. أما هذه فسبجية، أي زجاج بركاني. حوافها الحادة ليست مستقيمة تتجه إلى الأعلى والأسفل، وإنما أقرب إلى الانحناء إلى الداخل، بل وهناك بعض الأقواس الكاملة تمتد فوق الطريق، تستحيل رؤيتها عن قرب، لكنك تسسبنين النمط كله: الغابة كلها نتيجة انفجار حمم بركانية، تجمد في ذروته. لم يهتز شبر واحد من الطريق من مكانه. في الواقع هذا عمل بديع.

تجدين إيكّا تجادل عضوة من الكومونة. كانت قد أمرت بالتوقف قبل حوالي مئة قدم من الغابة، والناس في حيرة، هل هذه وقفة استراحة عادية أم أن عليهم إقامة مخيم بما أن آخر اليوم قد أوشك؟ تتعرفين على عضوة الكومونة الأخرى، إنها إزني شديدة كاستريما، المتحدث باسم طائفة الأشداء. ترمقك بنظرة مستريبة وأنت قادمة كي تقفي إلى جوارهم، ثم تخلع نظارتها الواقعية وقناعها، ويسترخي تعبيرها. لم تتعرف عليك في البداية لأنك حشرت خِرْقًا في كمك محل ذراعك المفقودة لتدفئك. في تعبيرها تذكرك مطمئنة أن ليس كل من في كاستريما غاضبًا منك. إن إزني حية لأن أسوأ جزء من الهجوم، أي حينما حاول الجنود الرينانيسيون شقّ طريقهم بالدم في صفوف الأشداء الذين يحمون الإطلالة الخلافة، انتهى حينما حبست أكلي الصخر المهاجمين في الكريستالات.

أما إيكّا فلم تلتفت، مع أنها تقدر على سسبنة حضورك بسهولة.

تقول، لإزني حسبما تظنين، وإن كان قولها يصلح لك أيضًا: «لا أريد أن أسمع أي جدال آخر الآن».

تقولين: «جيد، لأنني أفهم بالضبط لماذا توقفت هنا، وأرى أن هذا رأي سديد». يأتي صوتك أعلى مما يحتاج أن يكون بقليل. تحدجين إزني بنظرة تعني أنك تنوين مواجهة إيكا الآن، ولعل إزني ترغب في تجنب حضور هذا. لكن امرأة تقود دفاعات الكومونة ليست من النوع الذي يخاف بسهولة، لذا لا تستغربينها عندما تبدو مستمتعة وتطوي ذراعيها فوق صدرها، وتستعد للاستمتاع بالعرض.

تلتفت إيكا إليك، ببطء، على وجهها نظرة يمتزج فيها الانزعاج بالشك. تقول: «شكرًا على موافقتك»، بنبرة فيها كل شيء إلا الرضا، «وإن كانت في الواقع لا تلزميني في شيء».

تعقدين فكك. «أتسببنين هذا؟ أظنه من عمل ذو أربعة أو خمسة خواتم مرتكزي، لكنني أعرف الآن أن البريين بينهم ذوي قدرات خاصة»، وتقصدينها بذلك. هذا غصن زيتون، أو مجرد مداهنة.

لكنه لا يؤثر. «ستتابع قدر ما نستطيع قبل حلول الليل، ثم نخيم حيث وصلنا»، وتومئ نحو الغابة، «إنها أكبر من أن نقطعها في يوم واحد. ربما ندور حولها، لكن ثمة شيئًا...»، تفقد نظرتها التركيز، ثم تعبس وتشيح بناظرها، وقد انزعجت من أنها أبدت ضعفها لك. إنها حساسة بما يكفي لتسببن أن ثمة شيئًا، لكنها لا تدرك بالضبط كنه ما تسببنه.

أنت من قضيت الأعوام في تعلم قراءة الصخور تحت الأرضية

بالأوروپينية، فتدلين بدلوك. تشيرين نحو العشب الميت المحيط بالغابة الحجرية عند أحد جوانبها وتقولين: «ثمة فخ من الخوازيق مغطى بأوراق الشجر في هذا الاتجاه، وبعده توجد منطقة تزخر بالمصائد، لا أعلم عددها، لكنني أسسبن طاقة الوضع الناجمة عن شد الأسلاك أو الحبال. لكن لو أننا ذهبنا من الناحية الأخرى، فهناك أعمدة حجرية وجملاميد صخر مفتتة جزئياً، موضوعة عند حواف الغابة الحجرية، ويسهل استخدامها في التسبب في انهيار صخري. وأسسبن أيضاً حفرا موجودة في نقاط استراتيجية عند الأعمدة الخارجية. من هناك يمكن التسبب بضرر بالغ بسهم قوس مستعرض، أو حتى بقوس وسهم عادي». مكتبة سُر من قرأ

إيكا تنهد، «طيب، يعني أفضل طريق هو عبر الغابة لا حولها»، وترمق إزني بنظرة جانبية، التي يبدو أنها كانت تجادل في صالح المرور حولها. تنهد إزني أيضاً، ثم تهز كتفيها، وترضح للحجة.

تواجهين إيكا. «أيا كان من صنع هذه الغابة، لو أنه لا يزال حياً، فلديه من الدقة ما يكفيهِ لتثليج نصف الكومونة في ثوان بأقل سابق إنذار ممكن. لو أنك عازمة على المرور عبرها، فعلينا أن نقوم بدوريات مراقبة، وأقصد بذلك نحن الأوروپينيين جيدي التحكم. وعليك أن تبقينا مستيقظين طوال الليل».

تضيق عينيها. «لماذا؟».

«لأننا لو كنا نائمين حينما يبدأ الهجوم»، وأنت شبه متأكدة أن هجوماً سوف يكون، «سيكون رد فعلنا غريزي».

إيكا تقطب. إنها ليست بالبرية المتوسطة، لكنها برية بما يكفي لمعرفة ماذا قد يحدث حينما يتسبب شيء ما في إثارة رد فعلها الأوروجيني خلال نومها. من لن يقتله الهجوم، ستكون هي قاتلته من دون قصد. «اللعنة». تنظر بعيداً للحظة، وتتساءل إن كانت تصدقك، لكنها على ما يبدو تفكر. «طيب، ستبادل نوبات المراقبة، وليعمل الروجات الذين لا يراقبون في... تقشير البازلء البرية التي وجدناها قبل أيام، أو في إصلاح الأحزمة التي يستخدمها الأشداء في السحب، بما أننا سنصبح ناعسين ومنهكين غدا وغير قادرين على المشي، وسيضطرون لجرنا على العربات». «حسناً،...». تتردد، ليس الآن، لا يسعك الاعتراف بضعفك لتلك النساء، ليس بعد. لكن، «لست معكم».

تضيق إيكا عينيهما، وترميك إزني بنظرة مستريية، وكأنها تقول ما بالك؟ فتضيفين بسرعة: «لا أعلم إذا كنت قادرة على شيء، بعدما فعلته في كاستريما السفلية... أنا مختلفة».

وهذه ليست كذبة. تتجهين من دون تفكير إلى ذراعك المفقودة، تتحسسها يدك من فوق كم معطفك. لا يستطيع أحد رؤية الجعدة، لكنك تصبحين واعية بها إلى حد فائق فجأة. يبدو أن هو لم يعجبه كيف تركت أنثيموني أثار أسنانا على جدعات ألابستر، فترك جدعتك ملساء مستديرة شبه مصقولة. سعي موسوس صديء نحو الكمال.

تتبع إيكا حركتك التي تنم عن وعي بالغ بالذات، فتجفل. «آه، نعم، أظنك كذلك»، فكها ينعقد، «مع ذلك يبدو أنك لا زلت تسسبنين جيداً».

«صحيح، أستطيع أن أساعد في المراقبة، لكنني يجب ألا... أفعل أي شيء».

تهزّ إيكا رأسها لكنها تقول: «لا بأس، فلتأخذي آخر نوبة إذن».

وهي أكثر النوبات المكروهة، في أبرد الأوقات، عندما تبدأ درجة حرارة الليل تنزل عن حد التجميد، وأكثر الناس يفضلون قضاء ذلك الوقت نائمين في دفء أسرّتهم القابلة للطي. وهي أيضًا الأخطر، فهذا الوقت الأنسب للهجوم حين يفكر أي عاقل يرغب في ضرب جماعة ضخمة مثل هذه، أملًا في مباغطة المدافعين ناعسين خاملين. لا تفهمين إن كان هذا التكاليف بدافع من الثقة أو العقاب. تقولين على سبيل التجريب: «هل يمكن أن أحمل سلاحًا على الأقل؟»، إنك لم تحملي سلاحًا منذ بعد تيريمو بأشهر قليلة، حينما قاضت سكينك بثمر الورد المجفف للوقاية من الإسقربوط.

«لا».

الصدأ على ذلك. تحاولين طي ذراعيك، فتذكرين أن هذا غير ممكن عندما يختلج كمك الفارغ، فتتجهمين بدلًا من ذلك (وإيكا وإزني تتجهمان أيضًا). «ماذا يفترض بي أن أفعل إذن؟ أصرخ بأعلى صوتي؟ هل أنت مستعدة فعلاً للمخاطرة بالكومونة كلها بسبب ضغينتك تجاهي؟».

تقلب إيكا عينيها. «عليك الصدأ»، تجدين في قولها صدى لأفكارك يجعلك تقطين وجهك، «لا أصدق، أنت تحسبيني غاضبة بسبب الجيود؟».

لا تقدرين على منع نفسك من النظر إلى إزني، تجدينها تحديق في إيكا كما لو أنها تقول «ألست كذلك؟». وذلك بليغ بما يكفي للتعبير عن كليتيكما.

إيكا تتوهج، ثم تحكّ وجهها وتفرج عن تنهيدة عميقة. «إزني، اذهبي... ابحثي لنفسك عن شيء تفعلينه. إيسّي، تعالي هنا. امشي معي بحق الصدأ»، وتلوح لك بإحباط. تمنعك حيرتك من الشعور بالإهانة. تلتفت وتمشي، وتتبعينها. تهزّ إزني كتفيها وتبتعد.

تمشيان عبر المخيم في صمت للحظات. يبدو أن الجميع مدرك لشدة الخطر الذي تشكله تلك الغابة الحجرية، وبهذا تصبح هذه من أكثر وقفات الراحة التي شهدتها انشغالا. بعض الأشداء ينقلون المتاع بين العربات، حتى تكون الأساسيات على العربات ذات العجلات الأقوى والحمل الأقل، ليسهل الهروب بها ساعة الخطر. وينحت الصيادون رماحا حادة من الفروع والشجيرات الميتة قرب المخيم، لغرسها حول محيط المكان فور انتهاء نصب المخيم، بحيث تضطر المهاجمون إلى التوجه إلى مناطق القتل. أما بقية الأشداء فينامون قدر المستطاع، لعلمهم أنهم إما سوف يضطرون إلى جولات المراقبة أو سيؤمرون بالنوم في الحلقة الخارجية للمخيم عندما يحل الظلام. قول الحجر يقول «الأشدة لحمايتهم أجمعين»، أي أن الأشداء الذين لا يحبون أن يُستخدموا دروعا بشرية، فعليهم إما أن يجدوا لأنفسهم فائدة تميزهم وينضموا إلى طائفة استخدام أخرى، أو يبحثوا عن كومونة أخرى.

تنكمش أنفك عندما تمرين في عجالة على المصرف المحفور في جانب الطريق، الذي يشغله الآن ستة أو سبعة أشخاص، بالإضافة إلى بعض صغار المقاومين الجاهزين لردم المخرجات بالرمال. عادة ما يكون صف المنتظرين لدورهم في قضاء الحاجة محدودًا، لكن لا يفاجئك إقبال كل هؤلاء لإفراغ أمعائهم في نفس الوقت؛ فالآن، مع الخطر الكامن في ظلال الغابة الحجرية، الكل متحفز. ولا أحد يريد أن يُباغت وبنطاله مخلوع في الظلام.

تفكرين أنك بحاجة إلى حجز دور أيضًا حينما تفاجئك إيكّا فتخرجك من تأملك الطويل: «هل أحببتنا بعد؟». «نعم؟».

فتشير إلى المخيم، إلى أهل الكومونة. «لك مع كاستريما قرابة السنة. هل صار لك أية أصدقاء؟».

تفكرين أن تقولي أنت، ثم توقفين نفسك. تقولين: «لا». تتأملك للحظة، وتتسألين في ذنب إن كانت تتوقع منك تسميتها. ثم تنهد. «ألم تتطور أمورك مع لِرنا بعد؟ لا أستطيع التنبؤ بالأذواق، لكن المستولدين يقولون إن العلامات كلها موجودة. أنا عن نفسي عندما أريد رجلًا، أختار من لا يتكلم كثيرًا. والنساء أضمن، فهن يعرفن ألا يفسدن الأجواء». تبدأ تشد أطرافها، ويختلج وجهها وهي تحاول دفع وجعًا عن ظهرها. تستغلين هذا للتحكم في الحرج المريع الذي ارتسم على وجهك. ألا يجد هؤلاء المستولدين الصدين ما يشغل وقتهم أم ماذا؟

تقولين: «لا».

«ليس بعد؟».

تتهدين: «ليس... بعد».

«ما الذي تنتظرينه بحق الصدا؟ لن يزداد الطريق أمناً».

تحديق فيها. «حسبت أنك لا تكثرين».

«هذا صحيح، لكن استفزازك بهذا الشأن يساعدي على توضيح قصدي». إيكّا تقودك نحو العربات، أو هذا ما تحسبينه في البداية. ثم تتجاوزان العربات، وتتجمدين من المفاجأة.

ها هنا، يجلس السجناء الرينانيسيون السبعة، يأكلون. إنهم حتى وهم جالسون مختلفون عن أهل كاستريما. جميع الرينانيسيون سانزيون أنقياء أو أقرب ما يكونون إلى ذلك، وأضخم حتى من متوسط حجم هذا العرق، ويعلو رؤوسهم كلها شعر رماد براكينى مكتمل النمو، منتصب إلى أعلى أو يتدلى في صفائر إلى جوار جوانب مخلوقة. أطواقهم الخشبية منزوعة مؤقتاً - وإن كانت السلاسل المعدنية التي تربط كل مسجون بطوقه لا تزال في محلها - وثمة بعض الأشداء يحرسونهم عمّا قريب.

يفاجئك أنهم يأكلون، خاصة وأن المخيم لم يُنصب بالكامل بعد. والأشداء الحراس يأكلون أيضاً، لكن هذا منطقي، فهم يتهيؤون لليلة طويلة. يرفع الرينانيسيون رؤوسهم إليك، وإيكّا تقترب. تتوقفين في مكانك عندما تتعرفين على أحد السجناء، إنها دانييل، قائدة جيش الرينانيسيين. سليمة معافاة، باستثناء العلامات الحمراء حول رقبتها

وساعديها من الأطواق الخشبية. آخر مرة رأيتهما عن قرب كانت تستدعي وصية لقتلك.

وتتعرف عليك دانييل بدورها، فيتسطح فمها في ابتسامة متهمكة مستسلمة. ثم تومئ إليك على نحو متعمد جدًا، وتعود إلى صحنها. تتفاجئين حينما تنحني إليك دانييل، تقول: «كيف الطعام؟». تهز دانييل كتفها دون أن تتوقف عن الأكل. «أحسن من التضور جوعًا».

يقول سجين آخر: «الطعام جيد»، ويهز كتفيه عندما يحدق إليه أحدهم، «إنه جيد بالفعل».

يقول الرجل الذي حدق إليه: «إنهم يعلفوننا كي نجرّ عرباتهم». إليك تقاطعه: «نعم، هذا صحيح تمامًا. يحصل أشداء كاستريما على حصة طعام وفراش، عندما يتيسر لنا تقديمهم، مقابل إسهاماتهم. على ماذا حصلت من رينانيس؟».

يقول المحدق وهو يحدق أكثر: «بعض الكبرياء الصدي».

تقول دانييل: «اخرس يا فاولد».

«يحسب هؤلاء المخلطون أنهم...».

تضع دانييل طبقها أرضًا، فيخرس المحدق فورًا ويتوتر، وعيناه تتسعان قليلًا. بعد لحظة، تلتقط دانييل صحنها وتتابع الأكل. كل ذلك دون أن يتبدل محياها. تجدين نفسك تشكين أنها ربت أطفالاً من قبل.

مرفق إيكا يستند إلى إحدى ركبتيهما، وتستريح ذقنها على قبضتها،
وتراقب فاولد للحظة. ثم تقول لدانييل: «ماذا تريدني أن أفعل به؟».
يعبس فاولد فوراً. «ماذا؟».

دانييل تهز كتفيها. أمسى صحنها خاوياً، لكنها تمسح بإصبعها محيطه
لتعلق آخر المرق. «لم يعد هذا من شأني».

ترّم إيكا شفيتها وهي تتأمل الرجل: «لا يبدو فائق الذكاء. ليس
سئ الشكل، لكن استيلاد الأذكاء أصعب من استيلاد الحلوين».

لا تقول دانييل شيئاً للحظة، بينما يقلب فاولد نظره من إيكا إليها
بغير تصديق. ثم، وبتنهيذة ثقيلة، ترفع دانييل عينها إلى فاولد. «ماذا
تريدني مني أن أقول؟ لم أعد قائدته، ولم أرغب في أن أكون من البداية.
أنا مجنّدة، والآن لم أعد آبه بشيء بحق الصدا».

يقول فاولد: «لا أصدق»، صوته يتعالى بهلع، «لقد حاربت من
أجلك».

«وخسرت»، تهز دانييل رأسها، «والآن لا شيء يهم سوى النجاة
والتكيف. انس كل هراء رينانيس عن السانزيين والمخلطين، كل هذه
كانت بروباجندا لتوحيد الكومونة. الحال الآن مختلف، «القانون الوحيد
هو الضرورة»».

«لا ترميني باقتباسات قول الحجر بحق الصدا!».

ينفجر الرجل الآخر الذي أعجبه الطعام: «إنها تقتبس من قول
الحجر لأنك لا تفهم، إنهم يطعموننا، ويسمحون لنا بإثبات فائدتنا، إنه
اختبار أيها الغبي، يريدون رؤية إن كنا نستحق مكاناً في هذه الكومونة».

«هذه الكومونة؟»، يشير فاولد في أرجاء المخيم، وتردد أسطح الحجر أصداء ضحكته. يتبادل الناس النظر، يحاولون فهم إن كان كل هذا الصياح يعني وجود مشكلة. «أسمع نفسك؟ لا أمل لهؤلاء الناس. عليهم أن يجدوا لأنفسهم ملجأ ما، أو لعلهم يعيدون بناء إحدى الكومونات التي أجهزنا عليها في طريقنا، بدلاً من...».

تتحرك إيكّا ببساطة لا تخدعك. كان بوسع الجميع توقع حدوث هذا، بما فيهم فاولد، عدا أن عناده حجب عنه الحقيقة. نهضت، ونفضت رمادا غير موجود على كتفيها، وقطعت الدائرة نحوه، ثم وضعت راحتها على ذروة رأسه. حاول فاولد أن يتنفض وينفضها عنه. «لا تلمسيني بحق الص...».

ثم يتوقف، وعيناه تجحطان. فعلت به إيكّا ما فعلته بكاتر في كاستريما من قبل، حينما بدأ الناس يتجمعون في غوغاء كارهة للأوروچينيين. ولما كنت تتوقعين ما سوف يحدث، تمكنت من سسبنة كيف أطلقت هذه النبضة الغريبة. إنها وبلا شك من السحر، تلاعب على نحو ما بالفتائل الفضية النحيلة، التي تتراقص وتنفض بين ذرات جوهر فاولد. قطعت نبضة إيكّا عقدة من الخيوط في أساس مخ فاولد، فوق السسبينا مباشرة. لم يزل كل شيء سليماً جسدياً، لكن فعلها على الصعيد السحري يكافئ قطع رأسه تماماً.

يترنح إلى الخلف، ثم تنزاح إيكّا جانباً لتدعه يقع وكأنه بلا عظام على الأرض.

إحدى الرينانسيات الأخريات تشهق وتراجع إلى الخلف، فتقرقع

سلاسلها. يتبادل الحراس النظرات فيما بينهم بعدم ارتياح، لكن بغير دهشة، فقد شاع في الكومونة ذكر ما فعلته إيكا من قبل بكاتر كالنار في الهشيم. بدر عن رينانسي لم يتحدث من قبل سبة بلغة ساحلية، لكنها ليست إيتروبية، فلا تفهمينها، لكن خوفه واضح بما يكفي. أما دانييل فتكتفي بالتنهد.

إيكا أيضًا تنهد وهي تنظر إلى الرجل الميت، ثم تنظر إلى دانييل. «أنا آسفة».

تبتسم دانييل ابتسامة هزيلة. «لقد حاولنا، وأنت قلتها بنفسك: لم يكن فائق الذكاء».

إيكا تومئ. ولسبب ما ترمقك أيضًا للحظة. لا تفهمين ما الدرس الذي تريدك أن تتعلميه من هذا. تقول: «فكوا القيود». تختارين للحظة ثم تفهمين حينما تدركين أنه أمر موجه للحراس. أحدهم يتحرك كي يتحدث إلى آخر، ثم يشرعون في العبث في سلاسل المفاتيح. ثم تبدو إيكا مشمئزة من نفسها وهي تتحدث بثاقل: «من المسؤول عن المخازن اليوم؟ ميمسيد؟ أخبروه أن يأتي مع بعض الرينانسيين الآخرين لتولي أمر هذا»، وتشير بعنف نحو فاولد.

يتجمد الجميع في مكانهم، لكن أحدًا لا يعترض. صحيح أن الصيادين يعثرون على مزيد من الفرائس والمؤن، لكن كاستريما تعج بالاحتاجين إلى بروتين أكثر بكثير مما ينالونه، والصحراء تقترب. كان هذا سيحدث عاجلاً أم آجلاً.

بيد أنك بعد لحظة صمت، تتجهين إلى إيكا، وتسألينها بخفوت:

«هل أنت متأكدة من هذا؟». يأتي أحد الحراس كي يفك أغلال كاحل دانييل، دانييل التي حاولت أن تقتل كل كائن حي في كاستريما، التي حاولت أن تقتلك.

تهز إيكّا كتفيها: «وما الذي يجعلني غير متأكدة؟»، صوتها عالٍ بما يكفي لأن يسمعها بقية المساجين، «إننا نعاني نقصًا في الأشداء منذ هاجمنا الرينانسيون، والآن حصلنا على ستة جدد».

«ستة سيطعنوننا في ظهورنا عند أول فرصة، أو ربما يطعنونك وحدك».

«صحيح، إن لم نرهم يحاولون قبلها ونسبqهم بالقتل. لكن هذا سيكون غباءً منهم، وأنا لم أقتل أغباهم من دون سبب». تفهمين أن إيكّا لا تحاول إخافة الرينانسيين، وإنما هي فقط تقول ما هو واضح. «هذا ما أحاول أن أخبرك به يا إيسّي؛ إن العالم ليس أصدقاء وأعداء، بل هو ناس قد تساعدك، وناس ستقف في طريقك. علام سأحصل لو أنني قتلت هؤلاء؟».

«الأمان؟».

«للأمان طرق عديدة. صحيح أن بهذا زادت فرص اغتيال ليلاً، إلا أن به زاد أمن الكومونة. وكومونة أقوى تعني فرصة أكبر لبلوغ رينانيس على قيد الحياة»، وتهزّ كتفيها، ثم تنظر حولها نحو الغابة الحجرية، «أيّا كان من بنى هذه فهو واحد منا، فائق المهارة، ونحن نحتاج إلى هذا».

«ماذا؟ أتريدين تبني...»، وتهزين رأسك في غير تصديق، «قطاع طرق بريون متوحشون؟».

ثم حينها تتوقفين، لأنك ذات مرة أحببت قرصانا برياً متوحشا.
إيكّا تراقبك وأنت تتذكرين إينون وتتأسين عليه من جديد. ثم،
وبرقة بالغة، تقول: «أنا أَلعب لعبة أطول من مجرد النجاة يوماً بيوم يا
إيسّي، ليتك تجربينها ولو على سبيل التغيير».

تشحين بنظرك، وتشعرين برغبة غريبة في الدفاع عن نفسك. إن
رفاهية التفكير فيما يتجاوز اليوم بيومه ليست أمراً سُنح لك يوماً تجربته.
«أنا لست بقائدة، أنا مجرد روچا».

تميل إيكّا رأسها بإقرار متهم. أنت نادراً ما تستخدمين تلك الكلمة
مقارنة بها. حينما تقولها فهي تفاخر، وحينما تفعلين أنتِ فهي إهانة.

تقول إيكّا: «وأنا الاثنان، قائدة وروچا. أنا اخترت أن أكون
الاثنين، وأكثر»، تمشي وتتجاوزك، ثم ترميك بآخر كلماتها من وراء
ظهرها، وكأنها بلا معنى. «أنت لم تفكري في أي منا وأنت تستخدمين
المسلات حينها، أليس كذلك؟ كل ما فكرت فيه كان تدمير الأعداء،
والنجاة، لكنك لم تقدرى على تجاوز ذلك. لهذا أنا كنت غاضبة منك يا
إيسّي. لك أشهر في كومونتي، ولا زلت «مجرد روچا»».

ثم تبتعد وهي تصيح في كل من يستطيع سماعها أن الراحة انتهت.
تراقبينها حتى تختفي في الزحام الممتد الصاخب، ثم تنظرين إلى دانييل،
التي منذ أن وقفت وهي تفرك الآثار الحمراء للأغلال على ساعديها.
ثمة نظرة محايدة على وجه هذه المرأة وهي تنظر إليك.

تقولين: «لو ماتت، ستموتين». إن كانت إيكّا لا تنوي الاعتناء
بنفسها، فستولين أنت ذلك.

تزفر دانييل زفرة وجيزة جزلة. «هذا صحيح، سواء كنت قاتلتي أو لا. لا أرى الكثير ممن قد يمنحونني فرصة أخرى هنا غيرها». ترميك بنظرة مستريية، تتضمن كبرياءها السانزي كاملاً رغم تبدل الحال. «واضح أنك لست ماهرة فعلاً في مثل هذه الأمور».

يا نار الأرض ويا جيوب الصدأ. تبتعدين، لأن إيكا مستاءة منك بالفعل لقضائك على الأعداء بالكامل، ولن تحب أن تراك تقتلين من يزعجونك لمجرد أنك مغتازة.

٢٥٦٢: هزة من الدرجة التاسعة ضربت السواحل الغربية، مركزها كان مكاناً ما في ربع باجا. تقول سجلات قوالين ذلك الزمان إن هذه الهزة: «جعلت سطح الأرض سائلاً» (أهذا تشبيه شاعري؟). إحدى قرى الصيادين هناك نجت بسلام. من سجلات أهل القرية: «روچی لقيط هزّ الهزة، فقتلناه». تقرير مرتكزي (تم التصريح بمشاركته) وضعه أوروچيني إمبراطوري زار المنطقة فيما بعد، ذكر أن ثمة حوض نفط تحت أراضي قبالة الساحل هناك، وكانت الهزة ستخرقه، لكن الروچا المارق في القرية منع هذا. لو لم يفعل، كان سيسمم المياه لأميال على طول الساحل.

بيتر مبتكر ديارس - سجلات المشروع

ناسّون، هائمة في البراري

كان شافا طبيبًا كفاية لأخذ بقية أطفال القمر الجديد خارج جيكتي مع ناسّون ومعه. قال لقائدة الكومونة إنهم ذاهبون إلى رحلة تدريب بعيدًا عن الكومونة بعدة أميال، كيلا يزعجوا أهلها بهزّات أرضية إضافية. ولما كانت الياقوتية الزرقاء هائمة فوق الكومونة، هائلة ومنخفضة، بعدما أعادتها ناسّون للسماء بهزيم رعد مدوّ ناجم عن انزياح الهواء، أصبحت القائدة متلهفة على تجهيز الأطفال بالمخالي التي تحتوي مؤن السفر كي يعجلوا من ذهابهم. هذه لم تكن أفضل أشكال متاع السفر المطلوبة للرحلات الطويلة؛ فلم تتضمن بوصلة ولا أحذية جيدة ولا أصناف طعام تبقى صالحة للأكل بعد أسبوعين، غير أنها تظل أفضل من المغادرة بأيدي خاوية.

لم يعلم أي من أهل الكومونة أن أومبر ونيدا ميتان. حمل شافا جثتي الوصين إلى مهجعيهما ومددهما في فراشيهما على نحو طبيعي. هذا نجح في حالة نيدا، التي بدت هيئتها متماسكة نوعًا باستثناء مؤخرة عنقها، أكثر مما نجح مع أومبر، الذي صار رأسه هشيمًا. بعدها غطى شافا بقع

الدماء بالرمال. سيفهم أهل جيكتي ما حدث في نهاية المطاف، لكن حينها لن يعود الأطفال في تناول أيديهم، وربما آمنون.

أما جيجا فتركه شافا حيث قضت عليه ناسون، فجثته ليست أكثر من كومة حجارة جميلة، هذا فقط حتى تتفحصها عن قرب.

باكتئاب، غادر الأطفال الكومونة التي كانت بيتهم، لأعوام في بعض الحالات. غادروا باستخدام سلام الروجات، وهو الاسم الذي يطلقونه فيما بينهم (وبفظاظه) على أعمدة البازلت شمال الكومونة، التي لا يستطيع تجاوزها سوى الأوروبيين. وجدت ناسون أن أوروبية جينية ووديه أكثر استقرارًا بكثير مما سببته منه من قبل، حينما أخذهم جميعًا إلى أسفل عبر دفع أحد الأعمدة البازلتية إلى داخل البركان العتيق. ومع ذلك رأت بوضوح نظرة الرعب مرتسمة على وجهه، وأوجع ذلك قلبها. يمشون نحو الغرب مجموعة واحدة، لكن قبل أن يقطعوا ميلًا كاملاً يبدأ طفل أو اثنان في النحيب. ناسون، التي لم تذرف عينها دمعة، حتى خلال خواطر عابرة مثل «أنا قتلت أبي» و«وحشتني يا بابا»، تشاركهم الأسى. إن اضطرابهم إلى المعاناة بهذا النحو، بأن يغادروا الكومونة خلال الموسم بسبب ما فعلته هي (تحاول أن تقول لنفسها: بسبب ما حاول جيجا فعله، لكنها لا تصدق نفسها)، لقسوة شديدة. لكن تركهم في جيكتي سيكون أقسى بكثير، حيث سيدرك أهل الكومونة في النهاية ما حدث وينقلبون عليهم.

أويجين وينجين، التوأمتان، وحدهما تنظران إلى ناسون بما يشبه التفهم. لقد كانتا أول من خرج حين انتزعت ناسون الياقوتية الزرقاء

من السماء. وفي حين لم يرَ البقية سوى قتال شافا وأومبر وقتل فولاذي لنيدا، رأت الشقيقتان ما حاول جيجا أن يفعله بناسون، وفهمتا أن ناسون كانت تقاوم مثلما قد يفعل أي شخص. بيد أن الجميع يتذكرون أنها قتلت إيتز. بعضهم ساعدها، مثلما توقع شافا، خاصةً المكسوفة، التي أخبرت ناسون فيما بينهما بما فعلته في جدتها التي طعتها في وجهها منذ زمن بعيد. إن أطفال الأوروچينيين يتعلمون معنى الندم مبكرًا جدًا.

لكن هذا لا يعني أنهم ما عادوا يخشون ناسون، والخوف يكشف عن نفسه لديهم بوضوح قاطع، يفوق أي محاولة للفهم العقلاني. إنهم ليسوا قتلة في جوهرهم في نهاية الأمر، على عكس ناسون. لكنها لا تود أن تكون كذلك أكثر مما قد يود أيهم).

والآن تقف المجموعة كلها عند تقاطع طرق حقيقي، حيث يلتقي ممر محلي يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي، بالطريق الإمبراطوري بين جيكتي وتيفاميس يتجه غربًا. يقول شافا إن الطريق الإمبراطوري سوف يؤدي في النهاية إلى الطريق العالي، وهو شيء سمعت عنه ناسون لكنها لم تره في سفرها أبدًا. وهنا، في تقاطع الطرق، يختار شافا أن يخبر بقية الأطفال ألا يتبعوه بعد الآن.

وحدها المتهربة تعترض على هذا. تقول لشافا ببعض اليأس: «لن نأكل كثيرًا»، «ليس عليك أن تطعمنا، فقط دعنا نتبعك، وسنجد طعامنا بأنفسنا. أنا أعرف كيف أجد أكلي».

يقول شافا: «على الأرجح ثمة من سيلاحقني أنا وناسون». في صوته رقة لا تخفى. ناسون تعلم أن هذه الرقة في الواقع تجعل الكلام

أسوأ، فهي تكشف عن أنه يكثرث فعلاً بشأنهم. الوداع القاسي أسهل.
«سنذهب إلى رحلة طويلة غرباً، خطيرة جداً، من دوننا أنتم آمن».
ووديه يقول: «أغيار آمنون»، ويضحك. وكان ذلك أكثر صوت
مرير سمعته ناسون منه على الإطلاق.

تبدأ المتهربة تبكي. تترك الدموع خطين نظيفين على وجتيها اللتين
صارتا رصاصيتين بفعل الرماد. «أنا لا أفهم. أنت تحبنا يا شافا، كنت
تهتم بنا أكثر من نيدا وأومبر. كيف لك أن... لو أنك تنوي أن ت...».
تقول لاشار: «كفي عن هذا». لقد صارت أطول في العام المنصرم،
مثل أي سانزية حسنة الاستيلاد. ومع أن أكثر غرورها المعتر بجدتها
الاستوائي بهت مع الزمن، لم تزل تلجأ إلى التكبر حينما تنزعج من شيء.
تطوي ذراعيها وتشيح بنظرها عن الطريق، نحو مجموعة تلال جرداء
على المدى القريب. «تحلوا ببعض الكبرياء. إننا لا نزال أحياء، وهذا هو
المهم حتى لو بُذنا. بوسعنا أن نحتمي بهذه التلال ليلاً».
تحقق إليها المتهربة: «ليس هناك أي ملجأ، سنموت من الجوع،
أو...».

«لن نجوع»، ديشاتي، التي كانت تنظر إلى الأرض وهي تنفض
الرماد القليل على إحدى قدميها، ترفع عينها مرة واحدة. تراقب شافا
وهي تخاطب المتهربة والآخرين: «هناك كثير من الأماكن التي يمكن أن
نعيش فيها، نحتاج فقط إلى أن نجعلهم يفتحون لنا البوابات».
ترتسم على وجهها نظرة قوية عازمة. يلتفت شافا ويتأملها مطولاً،
ولا تجفل من نظره. يسألها: «أنقصدين أن تدخلوها عنوة؟».

«أليس هذا ما تريدنا أن نفعله؟ ما كنت لتنبذنا لو كنت تمنع أن... أن نفعل ما نحن مضطرون إلى فعله». تحاول أن تهز كتفيها، لكن توترها البالغ يمنعها من تنفيذ هذه الإيلاء البسيطة، فتبدو للحظة متشنجة، وكأنها مشلولة. «ما كنت لتتركنا أحياء لو كان عندك مانع».

تنظر ناسون في الأرض. لو أن هذا هو خيارهم الوحيد فهذا ذنبها. كان القمر الجديد جميلًا، برفقة زملائها، هناك عرفت ناسون سعادة الإفصاح عن ماهيتها الحقيقية بين أناس يفهمونها ويشاركونها تلك السعادة. والآن، مات شيء عظيم.

قال لها فولاذي إنها ستقتل كل من تحبه في النهاية، وتكره أنه محق. شافا يتأمل الأطفال طويلًا. أصابعه تختلج. لعله يتذكر نفسه في حياة سابقة، كان فيها لن يتقبل فكرة إطلاق سراح ثمانية ميسالم في العالم. لكن هذه النسخة من شافا ميتة، واختلاجة أصابعه رد فعل لا أكثر.

يقول: «نعم. هذا ما أريدكم أن تفعلوه، لو أن هذا ما تريدون أن تسمعوه مني. فرصتكم ستكون أفضل في كومونة كبيرة مزدهرة مما هي وأنتم وحدكم. اسمحوا لي أن أقترح شيئًا»، يقترب شافا ويقرص كي ينظر إلى ديشاتي في عينيها، ويمد يده ليقبض على كتف المتهربة الهزيل. يقول لهم جميعًا، بنفس الرقة التي تحدث بها من قبل: «في البداية لا تقتلوا سوى واحد. اختاروا واحدًا ممن يحاولون إيذاءكم، ليس أكثر من واحد حتى لو حاول الكثيرون، أما البقية فعطلوهم فقط. لكن هذا الذي تقتلونه خذوا معه وقتكم، اجعلوه يتألم، اجعلوه يصرخ. هذا مهم، لو ظل صامتًا، اقتلوا آخر».

حدقوا جميعًا إليه، حتى لاشار بدت مشوشة. أما ناسون فقد رأت شافا يقتل من قبل. صحيح أنه تخلى عن بعض طبيعته القديمة، لكنه يظل فنانًا في تلك الصنعة. لو أنه رأى أن يشاركهم بعض أسرار فنه، فهم محظوظون. وتمنت لو أنهم يقدّرون ذلك.

واصل حديثه: «عندما تنتهون من القتل، وضحوا للبقية أنكم لم تفعلوا هذا إلا دفاعًا عن أنفسكم، واعرضوا عليهم أن تعملوا في مكان القتل، أو في حمايتهم من الخطر... لكنهم سيفهمون مغزى التحذير، أي إنهم يجب أن يقبلوكم في كومونتهم»، يتوقف، ويثبت عينه البيضاء بياض الثلج على ديشاتي، «وإن رفضوا، ماذا تفعلون؟». تزدرد لعابها. «ن... نقتلهم كلهم؟».

يبتسم مرة أخرى لأول مرة منذ غادر جيكتي، ثم يأخذ مؤخرة عنقها في راحة يده معرّبًا عن تأييده.

تشهق المتهربة قليلًا، وقد توقفت عن البكاء من شدة الصدمة. أويجين وينجين يحتضنان بعضهما بعضًا، بملامح لا تحوي إلا الذعر. فك لاشار يضيق ومنخراها يتسعان، وتعتزم أن تحفظ كلمات شافا في قلبها. وديشاتي أيضًا حسبا ترى ناسون... لكن هذا سيقتل بلا شك شيئًا في ديشاتي.

شافا أيضًا يدرك هذا. وعندما ينهض يقبل ديشاتي في جبهتها، وترى ناسون في فعله أسى بالغًا حتى إنها تتألم من جديد. يقول: «كل الأشياء تتغير في الموسم. لا تموتوا، أريدكم أن تعيشوا».

تتبلور دمعة في عين ديشاتي، قبل أن ترمش حتى تزول. تزدرد

لعابها بصوت مسموع، ثم تخطو مبتعدة عنه، وتراجع حتى تقف مع الآخرين. أمسى بينهما الآن بحر كامل: شافا وناسون في ناحية، وأطفال القمر الحديد في أخرى. افترقت الطرق. لا يبدي شافا أي انزعاج من ذلك. عليه أن يفعل. تلاحظ ناسون الخيوط الفضية حية وتنبض في داخله، تعترض على قراره بالسماح لتلك الأطفال بالذهاب أحرارًا. لكنه لا يظهر أمله. حينما يفعل ما ينبغي عليه فعله، لا يقويه عليه إلا الألم. ينهض. «وإن بدت يومًا أي علامات حقيقية أن الموسم في انحسار، اهربوا، تفرقوا واندمجوا في أماكن أخرى قدر ما تستطيعون. إن الأوصياء لم يموتوا يا صغار، سوف يعودون، وما إن يصلهم خبر ما فعلتم، فسيأتون من أجلكم».

تعلم ناسون أنه يقصد الأوصياء العاديين، غير الملوئين، مثلما كان هو ذات يوم. لا خبر عن هؤلاء منذ بدأ الموسم، أو على الأقل لم تسمع ناسون عن انضمام أي منهم إلى أي كومونة، أو عن رؤية أحدهم على الطريق. «عودتهم» تعني أنهم ذهبوا جميعًا إلى مكان معين. إلى أين؟ إلى مكان لم يذهب إليه شافا وغيره من الملوئين، أو لا يستطيعوا أن يفعلوا. لكن المهم الآن أن هذا الوصي، مهما كان ملوثًا، يساعدكم. يتأجج في ناسون فجأة أمل غير عقلائي. لا شك أن نصيحة شافا ستبقيهم آمنين، بشكل ما. تزدرد ريقها وتضيف: «إنكم جميعًا أوروچينيون جيدون، لعل الكومونة التي تختارونها... لعلهم سي...».

ثم تتوقف، لم تعد تعلم ماذا عليها أن تقول. كانت تفكر لعلهم سيحبونكم، لكن هذا يبدو حماقة. أو لعلكم تفيدونهم، لكن ليس هكذا

تجري الأمور. كانت الكومونات تستأجر أوروچينيين مرتكزين لأوقات قصيرة، لعمل ما ينبغي عمله ثم المغادرة. حتى الكومونات القريبة من البقاع الساخنة وخطوط الهزات لا ترغب في استبقاء أي أوروچيني بقاءً دائماً، مهما كان قدر حاجتهم إليه.

لكن قبل أن تتمكن ناسون من القبض على الكلمات، يحدق إليها ووديه. «اخرسي».

ناسون ترمش. «ماذا؟».

تهمس له المتهربة كي يسكت، لكنه يتجاهلها. «أقول لك اخرسي، أنا أكرهك بحق الصدا. نيدا كانت تغني لي». ثم، وبدون سابق إنذار، ينفجر في البكاء. تبدو المتهربة محتارة، لكن بعض الآخرين يحيطون به، ويواسونه ويربتون عليه.

تراقب لاشار هذا، ثم ترمق ناسون مؤنبة، ثم تقول إلى شافا: «سندهب إذن، شكرًا لك أيها الوصي على... على كل شيء».

تلتفت وتبدأ تقودهم. تتحدث ديشاتي معها بعينها إلى الأرض ولا تنظر خلفها. تتلصقاً ينجين قليلاً بين المجموعتين، ثم تلتفت إلى ناسون وتهمس: «أنا آسفة»، ثم تغادر بدورها، وتسرع كي تلحق بالآخرين.

بمجرد أن غاب الأطفال عن نظر شافا، وضع يده على كتف ناسون ليقودها بعيداً، غرباً، على طول الطريق الإمبراطوري.

بعد أميال صامتة، تقول: «أما زلت تظن أن قتلهم كان أفضل؟».

«نعم»، ينظر إليها، «وأنت تعلمين ذلك مثلي بالضبط».

تعقد ناسون فكها. «أعلم»، وهذا سبب أدعى لإيقاف هذا، لإيقاف كل شيء.

يقول شافا: «لديك وجهة معينة». هذا ليس بسؤال.

«نعم. أنا... أحتاج إلى الذهاب إلى الناحية الأخرى من العالم». هذا يشعرها وكأنها تقول أحتاج إلى الذهاب إلى النجوم، لكن لما كانت النجوم لا تبعد كثيرًا عما هي بحاجة إلى فعله في الواقع، تقرر أن تتغافل عن شعورها بتلك السخافات الصغيرة.

عدا أنه يفاجئها حينما يميل برأسه بدلاً من أن يضحك. «إلى كوربوينت؟».

«نعم؟».

«إنها مدينة في الناحية الأخرى من العالم. أهذه وجهتك؟».

تبلع ريقها، تعض شفتها. «لا أعلم. كل ما أعرفه أنني بحاجة إلى...». لا تدري كيف تعبر عما تريد بالكلام، فتؤدي عوضاً عن ذلك إشارات تمثيلية بيديها وأصابعها، ترسل موجات خيالية تتصادم وتتشابك بعضها مع بعض. «المسلات... إنها تنجذب إلى هناك. لقد صنعت بهذه الطريقة. لو أنني ذهبت إلى هناك، أعتقد أنني سأتمكن من... آه... شذاها؟ لا أستطيع فعل ذلك من أي مكان آخر لأن...». لا تستطيع شرح خطوط القوة وخطوط الرؤية والتكوينات الحسابية. كل المعرفة التي تحتاج إليها موجودة في عقلها، لكنها لا تستطيع أن تعبر عنها بلسانها. بعض هذه المعرفة كانت هبة من الياقوتية الزرقاء، وبعضها تطبيق لنظريات علمتها إياها أمها، وبعضها ببساطة نتيجة

لربط النظرية مع الملاحظة ومعالجة الأمور كلها بالغريزة. «لا أعرف أي مدينة هناك أريدها، لكنني لو اقتربت، وسافرت هناك قليلاً، لعلني أ...».

«لا شيء في الناحية الأخرى من العالم سوى كوربوينت يا صغيرة». «ماذا؟».

يتوقف شافا فجأة ويخلع حقيقته، تفعل ناسون مثله، وقد قرأت فعله على أنه إشارة إلى أن الوقت حان للاستراحة. إنها عند الناحية المواجهة للريح، من تل ليس في الواقع إلا كومة حمم قديمة منبعثة من البركان القديم المتمد تحت جيكتي. في كل مكان حول هذه المنطقة مدرجات طبيعية، نحتتها الرياح والأمطار في السبج البركاني، لكن الصخرة الموجودة تحت بضع بوصات أصلب من أن تصلح للزراعة أو لتكوّن الغابات. بعض الشجيرات ضحلة الجذور المصممة على النمو في مكان كهذا، تتمايل فوق المدرجات الخاوية المغطاة بالرماد، لكن أكثرها مات من هطول الرماد. بهذا سوف يتمكن ناسون وشافا من رؤية أي خطر محتمل قادم من مسافة بعيدة.

وفيم تُخرج ناسون بعض الطعام ليتشاركاه، يرسم شافا شيئاً فوق بقعة رماد متطاير بإصبعه. تثرئ ناسون بعنقها فترى أنه رسم دائرتين على الأرض. في إحدهما مخطط تقريبي لقارة السكون، كما تعرفها من دروس الجغرافيا في المدرسة، عدا أنه رسمها في قطعتين، يفصل بينهما خط الصدع بالقرب من خط الاستواء. نعم، إنه الصدع، الذي صار حاجزاً يستحيل تجاوزه أكثر من آلاف الأميال من المحيط.

أما الدائرة الأخرى، التي صارت ناسون تفهم أنها تمثل الوجه الآخر للعالم، فيتركها خاوية إلا من نقطة واحدة فوق خط الاستواء بقليل وإلى الشرق قليلاً من خط الطول الأوسط للدائرة. لا يرسم جزراً ولا قارات، بل تلك النقطة فقط.

يشرح: «كان هناك ذات يوم مزيد من المدن في الجانب الخاوي من العالم، بنت بعض الحضارات المدن فوق وتحت البحر عبر آلاف السنين، لكن لم يدم منها الكثير، كل ما بقي هو كوربوينت».

إنها حرفياً تبعد عالماً كاملاً. «كيف نصل إلى هناك؟».

«لو...»، ثم يتوقف. تتقلص معدة ناسون عندما ترسم تلك النظرة الغائمة على محياه. هذه المرة يجفل، ويغلق عينيه أيضاً، وكأن محاولته للوصول إلى نفسه القديمة زادت وجعه.

«ألا تتذكر؟».

«أتذكر أنني كنت أتذكر».

تدرك ناسون أن كان عليها توقع ذلك، فتعصّ شفتها. «لعل فولاذي يعرف».

تلاحظ حركة خفيفة في فك شافا، بسرعة ثم تختفي. «بالتأكيد».

فولاذي، الذي اختفى بينما كان شافا يخفي جثتي الوصيين، لعله يسمعهما من داخل الصخر في مكان قريب. هل عدم ظهوره كي يخبرهما ما عليهما فعله حتى الآن له مغزى ما؟ لعلهما لا يحتاجانه. «ماذا عن المرتكز الأنتاركتيكي؟ أليست به سجلات وما شابه؟». تتذكر أنها رأت مكتبة المرتكز قبل أن تجلس هي وشافا وأومبر مع قادة المكان، وشربوا

الأمان، ثم قتلوهم جميعاً. كانت المكتبة غرفة غربية عالية مترعة من الأرض إلى السقف برفوف الكتب. إن ناسون تحب الكتب - كانت أمها تبذر وتشتري كتاباً كل بضعة أشهر، وأحياناً كانت ناسون تقرأها لو أن جيجاً وافق على اعتبارها مناسبة للأطفال - وتتذكر أنها غلبها الذهول حينها لأنها لم ترَ كل هذا الكم من الكتب في حياتها قط. لا يمكن أن نفتقر كلها إلى بعض المعلومات عن... مدن قديمة جداً لم يسمع بها أحد، ولا يعرف غير الأوصياء كيفية الذهاب إليها. همم.

يقول شافا: «لا أظن ذلك، هذا غير أن المرتكز الآن لا بد أن كومونة أخرى قد ضمته، أو استولى عليه حفنة أغيار. فحقوله كانت تزخر بمحاصيل قابلة للأكل، وبيوته قابلة للسكن. العودة إلى هناك إذن ستكون خطأ».

تعصّ ناسون على شفقتها. «ربما نأخذ... قارب؟». لا تعلم ناسون شيئاً عن القوارب.

«لا يا صغيرة، القوارب لا تقطع رحلات بهذا الطول».

يتوقف لوقت طويل، وترى ناسون في هذا تحذيراً كي تنتهي للقادم. هنا سيهجرها، إنها متيقنة من هذا يقيناً مؤلماً مخيفاً. هنا سيطالب بمعرفة ماذا تنوي أن تفعل، ثم لن يرغب في أن يشارك فيه. ولماذا قد يفعل؟ حتى هي تعلم أن ما تريده كارثي.

يقول شافا: «أظنك تريدين تولي زمام بوابة المسلة؟».

ناسون تشهق. أيعلم شافا ماهية بوابة المسلة؟ إن ناسون نفسها لم تسمع المصطلح إلا من فولاذي في ذلك الصباح. لكن في المقابل،

لا تزال المعرفة بتفاصيل العالم وآليات عمله وحمولة دهور من الأسرار
كامنة في عقل شافا سليمة معافاة. لم يفقد شافا تمامًا إلا ما يربطه بنفسه
القديمة... ما يعني أن الطريق إلى كوروبوينت هو أمر كان شافا القديم
يحتاج إلى معرفته. ما معنى هذا؟ «آه، نعم، لهذا أريد الذهاب إلى
كوروبوينت».

فمه يتقوس من الدهشة. «لقد كان هدفنا الأصلي من إنشاء القمر
الجديد، هو إيجاد أوروچيني يستطيع تفعيل البوابة القديمة يا ناسون».
«نعم؟ لماذا؟».

يرمق شافا السماء بنظره، بدأت الشمس تغيب. لا يزال بإمكانها
المشي ساعة أخرى مثلاً قبل أن يمنعها الظلام التام من المتابعة. غير أن
ما ينظر إليه في الواقع هو الياقوتية، التي لم تتحرك قيد أنملة من مكانها
فوق جيكتي. تمنع شافا في الإطار الباهت للمسلة بين الغيوم المحتشدة
وهو يفرك كاهله، ويومئ وكأنها يومئ إلى نفسه.

يقول: «قبل عشر سنوات، أنا ونيدا وأومبر تلقينا تعليمات بالسفر
جنوبًا وإيجاد بعضنا بعضًا. وأمرنا بالبحث عن أي أوروچيني قد يتمكن
من الاتصال بمسلة وتدريبه. هذا ليس ما يفعله الأوصياء عادةً، لأن
ليس هناك إلا سبب واحد لتشجيع الأوروچينيين على خوض طريق
المسلات. لكن هذا ما أراده الأرض، لماذا؟ لا أعلم. كنت حينها أقل
قدرة على التساؤل»، يلتوي فمه قليلاً في ابتسامة نادرة، «أما الآن، فلدي
بعض التخمينات».

ناسون تتجههم. «أي تخمينات؟».

«عند الأرض خطط للبشر...».

فجأة يتيسر شافا بالكامل، ويتمايل في جلسته. تمسكه ناسون بسرعة كي لا يقع، فيضع ذراعه غريزيًا حول كتفيها. تقبض عليها ذراعه بشدة، لكنها لا تحتج. احتياجه إلى طمأنينة وجودها واضح، وغضب الأرض عليه، ربما لأنه يفشي أسرارها، ظاهر أكثر من أي وقت مضى، ظاهر وملموس مثله مثل النبض الخام والجراح للفضة في كل عصب وخلية من جسده.

تقول ناسون: «لا تتحدث»، صوتها مخنوق، «لا تقل شيئًا آخر لو أن هذا يؤذيك...».

يقول شافا في دقات سريعة بين لهاته: «أنا لست عبدًا له... لم تبلغ قبضته قلبي... حتى... حتى لن يقيدني بلجامه حتى ولو نمت في حظيرته».

«أعلم يا شافا»، تعض ناسون شفتها. يستند شافا بثقله إليها، وهذا يؤلم ركبتها حيث تركز على الأرض ألمًا شنيعًا. لكنها لا تهتم. «لست مضطرًا إلى قول كل شيء الآن، سأكتشف كل شيء بنفسي».

فهي تعتقد أن لديها كل البراهين. قالت نيدا يومًا عن قدرة ناسون على الاتصال بالمسلات إنها شيء كنا نلغي من يجيده في المرتكز. لم تفهم ناسون قصدها حينها، لكنها بعدما ذقت شيئًا من قدرة البوابة الهائلة، تستطيع أن تخمن لماذا يريد الأب الأرض موتها ما دامت لم تعد تحت سيطرته من خلال شافا.

هل شافا سيفهم؟ إنها لا تعلم إن كانت ستتحمل لو أنه قرر أن

يتركها، أو الأسوأ، لو انقلب عليها. لهذا، تأخذ نفسًا عميقًا، وتقول: «فولاذي يقول إن القمر سيعود».

لوهلة، لا شيء سوى الصمت من ناحية شافا، صمت بطعم المفاجأة. «القمر؟».

تندفع: «إنه حقيقي». غير أنها لا تعلم إن كان حقيقياً أم لا، لا علم لها به سوى من حديث فولاذي. بل إنها حتى لا تعلم ما هو القمر، باستثناء أنه ابن الأرض الضائع كما تقول الحكايات. لكنها مع ذلك تؤمن أن هذا الجزء على الأقل من حديث فولاذي حقيقي. حتى وهي لا تسببه، ولا تجد أي خيوط فضية متبقية منه في السماء، تؤمن به مثلما هي تؤمن أن هناك ناحية أخرى من العالم، حتى لو لا تراها، ومثلما تعلم كيف تشكلت الجبال، ومثلما تؤمن أن الأب الأرض حقيقي وحي وعدو. إن بعض الحقائق أعظم من أن يمكن إنكارها.

لكن لدهشتها شافا يقول: «أعلم أن القمر حقيقي». لعل ألمه تلاشى نوعاً، والآن تعبير وجهه يتصلب، بينما يحدق إلى قرص الشمس الضبابي المتقطع حيث لم تتمكن أشعته من اختراق السحب في الأفق. «أتذكر هذا».

«فعلاً؟ أنت إذن تصدق فولاذي؟».

«أنا أصدقك أنت يا صغيرة، لأن الأوروچينيين يدركون جاذبية القمر حينما يقترب. وعيك بهذا يحدث على نحو طبيعي مثل سسبنتك للهزات. لكنني أيضاً رأيته»، ثم تضيق نظره بحدة ويركز في ناسون، «لكن لماذا أخبرك أكل الصخر هذا عن القمر؟».

تأخذ ناسون نفساً عميقاً، وتخرجه بتنهيده ثقيلة.

تقول: «أنا فقط أردت أن أعيش في مكان لطيف، أن أعيش في أي مكان مع... معك. لم أمانع أن أعمل وأكدح كي أصبح عضوة كومونة صالحة، لعلّي أصبح قوالة مثلاً»، وتشعر بأن فكها يضيق، «لكنني لا أستطيع تحقيق ذلك في أي مكان، ليس من دون أن أخفي حقيقتي. أنا أحب الأوروپينية يا شافا عندما لا أضطر إلى إخفائها. بصراحة أنا لا أظن أن كوني... روجا...»، تضطر إلى التوقف وتتورد حرجاً، ثم تنفض عن نفسها الحرج الغريزي من قول كلمة بذئثة مثل هذه، فهي الكلمة السليمة الآن. «لا أظن كوني كذلك يجعلني خطأً أو غريبة أو شريرة...».

تقاطع نفسها مرة أخرى، وتدفع تفكيرها خارج هذا المسار، لأنه يقودها مرة أخرى إلى فكرة لكنك ارتكبت أفعالاً شريرة.

تكشف ناسون بلا وعي عن أسنانها وتكور قبضتيها. «هذا خطأ يا شافا. من الخطأ أن يريدني الناس أن أكون غريبة أو شريرة، وأن يرغموني على أن أكون كذلك...»، تهزّ رأسها، تتلمس الكلمات، «أنا لا أريد إلا أن أكون عادية، لكنني لست كذلك، والجميع، كل الناس، يكرهونني لأنني لست عادية. أنت الوحيد الذي لا يكرهني لأنني... لأنني أنا. وهذا خطأ».

«هذا فعلاً خطأ»، يتزحزح شافا ليستند إلى حقيبته، يبدو منهكاً، «لكنك تتحدثين يا صغيرة وكأن من السهل أن تطلبي من الناس أن يتغلبوا على مخاوفهم».

ويخطر لنا_\ون فجأة ما لم يقله: وجيجا لم يتمكن من التغلب على مخاوفه.

يتتاب ناسون غثيانًا مفاجئًا حادًا، حتى إنها تضطر إلى وضع قبضتها على فمها للحظة، والتفكير بشدة في الرماد وفي برودة أذنيها. ليس في بطنها شيء سوى بعض تمرات أكلتها فورًا، لكن الشعور بشع في جميع الأحوال.

شافا لا يتحرك كي يطمئننها مثلما قد يفعل عادةً، يكتفي بمراقبتها، بتعبير لا يكشف عن شيء سوى إنهاكه.

«أعلم ذلك». الكلام يساعد، جيد، معدتها لا تهدأ لكنها على الأقل لا تشعر على حافة التقيؤ. «أعلم أنهم، أقصد الراكدين، لن يتوقفوا عن الخوف أبدًا، ما دام أبي لم يفعل...»، يعود الغثيان. تنفض عن تفكيرها آخر جملة، «سيظلون يخافون إلى الأبد، وسنظل نعيش هكذا إلى الأبد، وهذا خطأ. يجب أن يكون هناك حل. هذا لا يصح ما دام بلا نهاية».

يسألها شافا: «هل تقصدين إصلاح العالم قسرًا يا صغيرة؟»، سؤاله هادئ، وخمنت إجابته بالفعل. إنه يعرفها أكثر مما تعرف نفسها، وتجه لأجل هذا، «أم إنهاؤه؟».

تنهض على قدميها وتبدأ تدور دوائر صغيرة بين حقيبتها وحقيبتها. يساعدها هذا على تجاوز الغثيان والاضطراب، التوتر المتصاعد تحت جلدها الذي لا تستطيع وصفه. «لا أعلم كيف أصلحه».

لكن هذه ليست الحقيقة الكاملة، وشافا يشم الكذب كما يشم المفترسون الدماء. «ولو علمت، هل ستصلحينه؟».

وفجأة، في لحظة تذكر لم لم تسمح ناسون لنفسها برؤيته أو التفكير فيه منذ ما يربو على السنة، تتذكر يومها الأخير في تيريمو.

تتذكر العودة إلى البيت، ورؤية أبيها في منتصف الغرفة يلهث. سألت نفسها ما خطبه، ولماذا لم يبدُ مثل أبيها في تلك اللحظة... عيناه جاحظتان وفمه متدل وكتفاه متحدثتان على نحو بدا مؤلماً. ثم تتذكر النظر إلى أسفل.

النظر إلى أسفل والتحديق، والتفكير ما هذا؟ والتحديق والتفكير هل هذه كرة؟ مثل الكرات التي يركلها الأطفال في المدرسة وقت الغداء، عدا أن تلك الكرات مصنوعة من الجلد، بينما الشيء الذي تحت قدمي والدها لونه درجة من درجات البني، بني مرقط بالبقع البنفسجية في جميع أنحاءه، متكتل ومتورم ونصف منفوخ، لا، إنه ليس كرة... ثانية واحدة، هل هذه عين؟ ربما، لكنها مغلقة ومتورمة إلى حد يجعلها تبدو مثل حبة بن سمينية. إنها ليست كرة على الإطلاق ربما لأنها ترتدي ملابس شقيقها، بما في ذلك السروال الذي ألبسته إياه ناسون بنفسها هذا الصباح، بينما كان جيجاً مشغولاً بإعداد صندوق غداها لتأخذه معها إلى المدرسة. انزعج أوتشي من ارتداء السروال لأنه مجرد رضيع يجب أن يلعب، فرقصته ناسون حتى ضحك بشدة، ضحك حتى القهقهة! ضحكته كانت أكثر شيئاً تحبه على الإطلاق، وعندما انتهت رقصته تركها تلبسه السروال شكراً لها. ما يعني أن الشيء غير واضح المعالم المنتفخ كالكرة على الأرض هو أوتشي...

«لا»، تتنفس، «لن أصلحه حتى لو عرفت كيف».

تتوقف عن المشي. إحدى ذراعيها معقودة حول بطنها، واليد الثانية متكورة في قبضة تحشرها في فمها، وتبصق الكلمات من حولها، الكلمات التي تتدفق من حلقها. تعتصر بطنها اعتصارًا، بطنها المليء بأشياء مريعة يجب أن تدعها تخرج وإلا مزقتها من الداخل. هذه الأشياء شوهدت صوته، جعلته زجاجة مرتعشة تندفع فجأة إلى نبرة أعلى وأحد، لأن هذا كل ما تستطيع فعله كيلا تبدأ تصرخ. «أنا لن أصلحه يا شافا، لن أفعل، أنا آسفة، لكنني لا أريد إلا قتل كل من يكرهني...». تثقل عليها بطنها حتى لا تعود قادرة على الوقوف. تنحني، ثم تقع على ركبتيها. تريد أن تتقيأ لكنها تبصق الكلمات على الأرض بين يديها المفرودين عوضًا عن ذلك. «كل شيء! أريد القضاء على كل شيء يا شافا! أريد أن أحرق العالم، أريد إحراقه وإفناءه حتى يصبح عديمًا... لا مزيد من الكراهية، ولا مزيد من القتل، بل عدم تام، عدم صدي تام إلى الأبد...».

يد شافا، صلبة وقوية، ترفعها. تلوح ذراعيها رفضًا له، تحاول أن تضربه. لا ترغب أبدًا في أن تؤذيه، وإنما هي تحتاج إلى أن تفرج عن بعض ما يعتمل في داخلها بأي شكل، وإلا ستجن. تتذكر أباهما لأول مرة وهي تركل وتلكم وتعص وتشدّ ملابسها وشعرها، وتحاول أن تضرب رأسها برأسه. يلقها شافا بسرعة ويحيطها بذراعيه القويتين، ويثبت ذراعيها إلى جانبها كي لا تؤذيه أو تؤذي نفسها في نوبة غضبها.

جزء منها، منفصل وبعيد، يحوم في الأعلى مثل مسلة، يلاحظ: هذا ما شعر به جيغا، هذا ما ثار في داخله حينما أدرك أن ماما تكذب، وأنا

أكذب، وأوتشي يكذب. هذا ما جعله يدفعني خارج العربية، ولهذا جاء إلى القمر الجديد في ذلك الصباح يشهر سكيناً سبجياً.

هذا الجيجا في داخلها هو ما يجعلها تتلوى وتصرخ وتبكي. تشعر بأنها أقرب إليه من أي وقت مضى، في خضم غضبها العاتي هذا. يضمّها شافا حتى تتعب، وترنخي أخيراً، ترتجف وتلهث وتئن، وجهها مغطى بالدموع والمخاط.

وحينما يصبح من الواضح أن ناسون لن تنفجر مرة أخرى، ينزاح شافا كي يجلس متربّعاً، ويشدّ ناسون إلى حجره. تكور نفسها في حضنه مثلما جلست طفلة أخرى مثلها ذات مرة، قبل سنين طويلة وعلى بعد أميال عديدة، حينما أخبرها أن عليها اجتياز اختبار من أجله كي تظل حية. غير أن اختبار ناسون تم بالفعل، حتى شافا القديم كان سيؤيد هذا التقييم. أوروچينية ناسون حتى في ذروة غضبها لم تختلج ولو مرة، ولم تتوجه إلى الفضة على الإطلاق.

«شششش»، شافا يهدئها. كان يفعل ذلك طوال الوقت، وإن كان الآن يربت أيضاً على ظهرها ويمسح بإبهامه دموعها المتقطعة. «شششش يا طفلي المسكينة، هذا ذنبي، ما كان يجب أن أضغط عليك وأنت في هذا الصباح قد...»، يتنهد، «شششش يا صغيرتي، ارتاحي».

تمسي ناسون متعبة وخاوية من كل شيء سوى الأسى والغضب، اللذين يجريان في عروقها كانهجارات الحمم التي تلتهم كل شيء في طريقها، في دوامة هائلة ملتهبة. لم يبقَ إلا الحزن والسخط ممتزجان في شعور واحد أخير ثمين.

«أنت الشخص الوحيد الذي أحبه يا شافا»، صوتها خام ومنهك،
«أنت السبب الوحيد الذي يمنعني من هذا. لكن ... لكنني ...».
يقبل جبهتها. «حققي النهاية التي تحتاجينها يا ناسونتي».
«لا أريد ذلك»، تزدرد لعابها، «أريدك حيًّا».

يضحك بخفة. «لا زلت طفلة رغم كل ما مررت به»، هذا يؤلمها،
لكن معناه واضح. لا يمكنها أن تحظى بشافا حيا والعالم الكريه ميت.
يجب أن تختار إحدى النهايتين.

لكن شافا بعدها يقول بحسم: «حققي النهاية التي تحتاجين».
تراجع ناسون كي تتمكن من رؤيته. يتبسم مرة أخرى بعين رائقة:
«ماذا؟».

يضغط عليها برقة بالغة. «أنت خلاصي يا ناسون. أنت كل
الأطفال الذين كان يجب أن أحبهم وأحبيهم، حتى من نفسي. وإذا كان
ذلك سيحقق لك السلام...» يقبل جبينها، «فسأكون حارسك حتى
يحترق العالم يا صغيرتي».

وكان ذلك عليها بردًا وسلامًا. أخيرًا تتحرر ناسون من قبضة
الغثيان.

وتنام بين ذراعي شافا، آمنة ومقبولة، وتحلم بعالم يتوهج، يحترق،
يذوب، وفي سلام بطريقة ما.

تنادي في الصباح التالي: «فولاذي».

ينبثق فولاذي إلى الوجود واقفاً بين أيديهما، في منتصف الطريق،
ذراعاه مطويتان وعلى وجهه تعبير مستمتع خافت.

بعدما تسأله عما يفتقر شافا إلى معرفته، يقول: «أقرب طريق إلى
كوروبوينت ليس بعيداً، نسبياً، يبعد مسافة شهر...»، ويترك حديثه
يتلاشى متعمداً. كان قد عرض أن يأخذ ناسون وشافا إلى الجانب الآخر
من العالم بنفسه، فذلك على ما يبدو في وسع آكلي الصخر. هذا سيوفر
عليهما خطراً ومشقة عظيمين، لكنه يتطلب أن يعهدا نفسيهما إلى رعاية
فولاذي، فينقلهما بتلك الطريقة الغريبة المربعة عبر الأرض.

تقول ناسون مرة أخرى: «لا، شكراً». لا تسأل شافا عن رأيه في
هذا، مع أنه يقف قريباً مستنداً إلى صخرة. إنها لا تحتاج إلى أن تسأله،
فاهتمام فولاذي بناسون وحدها واضح تماماً، ولن يفرق معه أن ينسى
ببساطة جلب شافا، أو يفقده في الطريق. «لكن أيمكنك أن تحكي لنا
عن المكان الذي يفترض بنا الذهاب إليه؟ فشافا لا يتذكر».

تنتقل نظرة فولاذي إلى شافا، فيجيبها شافا بابتسامة هادئة مخادعة.
حتى الفضة داخله تسكن للحظة، ربما لأن الأب الأرض أيضاً لا يحب
شافا.

يشرح لهما فولاذي بعد لحظة: «يسموننا/المحطة. إنها مكان عتيق،
قد تعتبرينها أطلال حضارة ميتة، عدا أنها سليمة، كامنة في قلب أطلال
أوسع منها ليست كذلك. كان الناس يستخدمون المحطات قبل زمن
بعيد، أو للدقة كانوا يستخدمون العربات الرابضة فيها بغرض السفر
مسافات بعيدة على نحو أكفأ من مجرد المشي. لكن في هذا الزمان، لا

أحد يتذكر المحطات سوى الأوصياء وآكلي الصخر». ابتسامته التي لم تبدل منذ ظهر ثابتة ومتهكمة، ويبدو أن شافا هو المقصود بها بشكل ما. يقول شافا: «للقوة ثمن ندفعه جميعاً». صوته هادئ وناغم كما يكون دومًا حينما يفكر في فعل شيء سيئ.

«صحيح». يتوقف فولاذي للحظة طويلة. «وثمة ثمن ينبغي دفعه أيضًا لاستخدام طريقة الانتقال هذه».

تقول ناسون باضطراب: «ليس معنا نقود ولا أي شيء يصلح للمقايضة».

«هنالك طرق أخرى للدفع لحسن الحظ». يقف فولاذي فجأة بزاوية مختلفة، بوجه يشير إلى الأمام. تتبع ناسون حركته، وتلفتت، وتسببن... أوه. الياقوتية الزرقاء، التي كانت تقترب منها قليلًا خلال الليل، أمست الآن في منتصف الطريق بينهما وبين جيكتي.

يتابع فولاذي: «إن المحطة من زمن ما قبل المواسم، زمن بناء المسلات. كل مخلفات تلك الحضارة تعتمد على مصدر الطاقة نفسه».

ناسون تشهق. «أتقصد... الفضة؟».

«أهذا ما تسميها؟ يا للشاعرية».

تهزّ ناسون كتفيها بغير ارتياح. «لا أعلم لها اسمًا آخر».

«يااااه، كم تغير العالم». ناسون تتجهم، لكن فولاذي لا يتكلف عناء تفسير تعليقه المملغز. «الزما الطريق حتى تبلغاف العجوز. أتعلمان أين هذا؟».

تتذكر ناسون أنها حينما نظرت في خرائط الأنثراكتيكا قبل زمن بعيد، ضحكت من هذا الاسم. تنظر إلى شافا الذي يومئ ويقول: «سنجده».

«وأنا سأقابلكما هناك. ستجدان الأطلال المقصودة في منتصف الغابة العشبية، في قلب دائرتها المركزية. ادخلا المنطقة بعد الفجر مباشرة، ولا تتلكأ في بلوغ مركزها، فأنتما لن تحبّا البقاء هناك بعد حلول الظلام». ثم يتوقف فولاذي، وينتقل إلى وضع جديد، وضع متأمل. ينظر إلى جانبه وتلمس أصابعه ذقنه. «وأنا الذي حسبت هذه مهمة أمك».

شافا يتجمد. ناسون تذهل من شعلة الحرارة التي تجتاحها، ثم يغمرها البرد. ببطء، وبينما تخوض في شبكة مشاعرها المعقدة، تقول: «ماذا تعني؟».

«توقعت أن أمك هي من ستفعل هذا كله»، لا يهزّ فولاذي كتفيه، لكن شيئًا ما في صوته يقترح ذلك، «لقد هددت أمن كومونتها، وعرضت أصدقاءها وكل من تكثر بهم إلى الخطر، وحسبت أنهم سينقلبون عليها، وحينها سيسهل عليها قبول هذا الاختيار».

كل من تكثر بهم الآن. «أليست في تيريمو؟».

«لا، لقد انضمت إلى كومونة أخرى».

«ولم ينقلبوا عليها؟».

«الغريب أنهم لم يفعلوا»، تنزلق عينا فولاذي كي تقابلا عيني ناسون، «إنها تعلم أين أنت، عرفت ذلك من البوابة، لكنها لم تأت، أو على الأقل ليس بعد. تريد أن تطمئن على أمن أصدقائها أولاً».

تعقد ناسون فكها. «أنا لم أعد في جيكتي على أي حال، وقريبًا ستفقد التحكم في البوابة أيضًا، ولن يعود في وسعها العثور عليّ مجددًا». يلتفت فولاذي بالكامل كي يواجهها، بحركة أبطأ وأسلس من أن تكون بشرية، عدا أن اندهاشه يبدو صادقًا. كم تكره حركته البطيئة تلك، فهي تجعل الشعيرات تقف على ساعديها.

يقول: «لا شيء يدوم».

«ماذا تعني بذلك؟».

«أعني أنني قللت من قدرك يا ناسون الصغيرة»، وتكره ناسون فورًا طريقة المخاطبة هذه. يعود مرة أخرى إلى وضعيته المتأمل، لكن بسرعة هذه المرة لحسن حظها. «ومن الأفضل لي ألا أكرر ذلك».

وبذلك القول، يختفي. تنظر ناسون إلى شافا بتجهم، فيهز رأسه. يرفعان حقيبتيهما على كتفيهما، ويتوليان الغرب.

٢٤٠٠: شرق الاستواء، كومونة غير معروفة (يجب التأكد من استقرار شبكة التوصيل في هذه المنطقة، لأن...). تحكي أغنية محلية قديمة عن ممرضة أوقفت انفجارًا بركانيًا مفاجئًا بتحويله إلى ثلج. وقف أحد مرضاها أمام سهم مُطلق نحوها كي يحميها من الغوغاء. تركتها الغوغاء تذهب. واختفت.

بيتر مبتكر ديبارس - سجلات المشروع

سبل أناجيست: ٤

الطاقة كلها واحدة، رغم أشكالها وأسماؤها المختلفة. الحركة تولد حرارة، والحرارة ضوء يتموج كما الصوت، الصوت الذي يشدّ أو يخفف من تماسك الروابط الذرية للكريستالات التي تهمهم وهي ترتج من تأثير القوى القوية والضعيفة. السحر هو تناغم انعكاسي لكل هذا، هو الإشعاع المنبعث من الحياة والموت.

هذه مهمتنا: أن ننسج معًا تلك الطاقات المتباينة، أن نتحكم فيها ونخفف منها حينما تمرّ عبر منشور وعينا، تنتج قوة واحدة فريدة لا يمكن إنكارها. أي أن نحول الفوضى إلى سيمفونية؛ الآلة العظيمة التي اسمها المحرك البلوتوني هي الأداة، ونحن العازفون.

والهدف هو: الجيوأركانية. تسعى الجيوأركانية إلى إنشاء دورة طاقة ذات كفاءة لا نهائية. لو نجحنا، فالعالم لن يعرف الحاجة والشقاق مجددًا... أو هذا ما قالوه لنا. لم يوضح لنا الميسرون أكثر مما نحتاجه من أجل تنفيذ مهمتنا إلا القليل. تكفيينا معرفة أننا، نحن الصغار عديمو الأهمية، سوف نضع البشرية على أول طريق جديد نحو مستقبل باهر

إلى حد لا يمكن تخيله. ربما لسنا أكثر من أدوات، لكننا أدوات دقيقة،
نُستخدم لأغراض هائلة. لا يصعب علينا الفخر بذلك.

نحن متناغمون معًا إلى حد أن فقدان تتلواه جعلنا نضطرب لبعض
الوقت. وعندما نلتقي كي نشكل شبكتنا الجديدة المبدئية، لا تتوازن.
كانت موجات تتلواه هي المتوسطة في طيف موجاتنا. من دونه أنا
الأقرب إلى الوسط، لكن ترددي الطبيعي أعلى بقليل. الشبكة الناتجة
عن هذا أضعف مما ينبغي أن تكون. الخيوط المغذية لنا لا تنفك تحاول
الوصول إلى نطاق تتلواه الوسطي عبثًا.

أخيرًا تتمكن حيواه من تعويض الخسارة. تتوجه توجّهًا أعمق،
وتتردد ترددًا أقوى، وهذا يسدّ الثغرة. نضطر إلى قضاء عدة أيام في
إعادة تشكيل كل روابط الشبكات من أجل خلق تناغم جديد، لكن
هذا لا يشقّ علينا، وإنما يضيع الوقت فقط. ليست هذه أول مرة نضطر
إلى ذلك.

تنضم إلى شبكتنا كلنلي أحيانًا. هذا محبط، لأن صوتها العميق
والقوي، والحاد إلى حد يشعرك بوخز في قدميك، صوتها هذا مثالي.
أفضل من صوت تتلواه، وأوسع منا كلنا مجتمعين. لكن الميسّرين
قالوا لنا ألا نتعود على وجودها، وعندما سألت عن السبب قال
أحدهم: «إنها لن تخدم عند قيام المحرك الفعلي إلا لو لم تتمكن من
أن تعلمكم ما تفعله. الميسّر جالات يريد أن تكون يوم الإطلاق
احتياطية فقط».

وهذا يبدو معقولًا، في سطحه فقط.

حينما تنضم كلنلي إلينا، فهي تتصدر المشهد. هذا يحدث على نحو طبيعي جدًا. لماذا؟ أيتعلق ذلك بكيفية صنعها؟ أم بأمر آخر؟ ثمة... نغمة محتجبة، احتراق عميق في نقطة توازن خيوطها، في مرتكزها، وهذا أمر لا يفهمه أي منا. يوجد احتراق مشابه داخل كل منا، لكنه خافت ومتقطع، يتوهج أحيانًا ويتلاشى سريعًا. أما احتراقها فتوهجه ثابت، بوقود على ما يبدو غير محدود.

أيًا كان هذا الاحتراق المحتجب، فقد اكتشف الميسرون أنه يتناغم تناغمًا بديعًا مع فوضى الأونيكية المدمرة. إن الأونيكية هي كابوشون تحكم المحرك البلوتوني، ورغم وجود طرق أخرى لبدء المحرك، طرق أكثر بدائية، حلول بديلة تتضمن شبكات فرعية أو حجر القمر، سنحتاج يوم الإطلاق إلى دقة وتحكم الأونيكية. فمن دونها تتضاءل فرصتنا في بدء الجيواركانية بشدة... لكن لا أحد فينا، حتى الآن، لديه القوة الكافية للاتصال بالأونيكية أكثر من دقائق معدودة. بيد أننا نشاهد كلنلي بذهول تقودها لساعة كاملة، ثم لا يبدو عليها أي تأثير بعدما تنفصل عنها. حينما نتصل نحن بالأونيكية، تعاقبنا، تجردنا من كل ما يمكننا الاستغناء عنه، ثم نروح في نوم عميق حينما تتركنا الساعات أوريبا لأيام. لكن هذا لا يحدث معها. خيوط الأونيكية لا تنقض عليها وإنما تلاطفها. إن الأونيكية تحبها. هذا تفسير غير معقول، لكنه يخطر لنا جميعًا، ولهذا صرنا جميعًا نفكر فيه. والآن عليها أن تعلمنا كيف تحبنا الأونيكية أكثر، بدلًا منها.

بعدما ننتهي من إعادة التوازن، ويسمحون لنا بالقيام من المقاعد السلكية التي تحفظ أجسادنا بينما عقولنا منخرطة، ونتعثر ونضطر إلى

الاستناد إلى الميسرين كي يأخذونا إلى مخادعنا المنفصلة... بعدما ينتهي كل هذا، تأتي وتزورنا. كل منا على حدة، كي لا يستريب الميسرون في شيء. في الاجتماعات الفردية، نتحدث بأي هراء في الكلام المسموع، وفي الآن ذاته، نتحدث بما يهم فعلاً لنا جميعاً في نفس الوقت عبر كلام الأرض.

توضح لنا إن سر شعورنا أنها أكثر حدة، هو أنها أكثر خبرة. لأنها عاشت خارج مجمع المباني المحيط بالشذرة المحلية، المجمع الذي يعدّ عالمنا بأسره منذ صُبيننا. ولقد زارت أيضاً أكثر نقاط توصيل سيل أناجيسست غير تلك التي نعيش فيها، ورأت ولمست شذرات عديدة غير شذرتنا الجمشتية المحلية، بل إنها زارت أيضاً الموقع صفر، حيث حجر القمر. وكم أذهلنا ذلك.

تقول لنا... بالأحرى لي على وجه التحديد: «عندي سياق». تجلس على أريكتي، وأنا ممدد على بطني على المقعد المجاور للنافذة، لا أنظر إليها. «أنت أيضاً إن فعلت، فستصبح بنفس الحدة».

هذه لغة مبسطة، نستخدم فيما بيننا كلام الأرض كي نضيف معنى إلى الكلام المسموع. كلامها يعني ببساطة «أنا أكبر سنّاً»، ثم بجملة ترسبية تضيف معنى تشوه الزمن؛ مثل الصخور التي تتبدل كي تتحمل ضغطاً لا يمكن تحمله. كي أسهل عملية الحكي، سوف أترجم الحديث كله وكأنه كلام منطوق، (إلا حينما لا يمكنني ذلك).

أرد بإنهاك: «سيكون من الرائع لو صارت لنا حدثك». أنا لا أتذمر، أيام إعادة التوازن دائماً ما تكون صعبة. «أعطنا السياق إذن، كي تنصت لنا الأونيكسية ويذهب عني الصداع».

كِلْنِي تَتَنَهَّد. «لا يوجد شيء بين هذه الأسوار يمكن أن تشحذ به نفسك». (انهيار صخري مستاء، لقد حافظوا عليك أَمْنًا محمياً) «لكن أظن أن هنالك طريقة أستطيع بها مساعدتك والآخرين، لو أنني استطعت أن أخرج من هذا المكان».

«تساعديني... على شحذ نفسي؟».

(تلاطفني بضربة صاقلة، ليس من اللطف إيقاؤك ثلماً هكذا)،
«أنت تحتاج إلى فهم المزيد عن نفسك، عن ماهيتك».

لا أفهم لماذا تحسبني لا أفهم. «أنا أداة».

تقول: «إن كنت أداة، ألا يجب أن تكون مصقولاً بأفضل شكل ممكن؟».

صوتها هادئ، ومع ذلك ترجّ البيئة المحيطة هزة غضب مكبوتة؛
جزيئات الهواء ترتجف، طبقات الأرض تحتنا تنضغط، صوت طحن
منفر يتردد على حافة وعي قدرتي على السسبنة. أفهم من ذلك أن كِلْنِي
كرهت ما قلته فوراً. أستدير وأجد نفسي مفتوناً بإخفاء وجهها لأي دليل
على هذا التناقض. هي في ذلك مثلنا أيضاً. لقد تعلمنا منذ زمن طويل
ألا نبدي خوفاً أو حزناً في أي مكان فوق الأرض وتحت السماء. يقول
لنا الميسرون إننا صنعنا كي نكون كما التماثيل، باردين صامتين صامدين.
لا نفهم لماذا يحسبوننا كذلك، فنحن في النهاية مثلهم، دافئو الملمس،
ونحسّ بالمشاعر كما يبدو أنهم يحسّون، وإن كنا أقل نزوعاً لإبدائها على
الوجه أو في لغة الجسد. ربما هذا بسبب كلام الأرض؟ (الذي يبدو أنهم
لا يلاحظونه، وهو أمر جيد، فنحن في الأرض نكون على حقيقتنا). لم

يتضح لنا قط إن كنا مبنيين على نحو خاطئ، أم أن فهمهم لنا هو الخاطئ، أو أن لا هذا ولا ذاك بهم.

كلني تبدو هادئة من الخارج لكنها تحترق في الداخل. أراقب وجهها لوقت طويل حتى إنها تعود إلى صوابها فجأة وتجدي أراقبها. تبسم وتقول: «أعتقد أنك تحبني».

أفكر في العواقب المحتملة لهذا. أقول من باب العادة: «ليس بهذه الطريقة». اضطررت إلى شرح هذا من قبل لبعض المُسَّرين الجدد أو غيرهم من الموظفين. في هذا أيضًا صُنْعنا كالتماثيل، تصميم فعال وناجح هذه المرة، جعلنا قادرين على التزاوج لكننا غير مهتمين بالمحاولة، وعقيمون لو اهتممنا. هل كلني كذلك أيضًا؟ لا، قال المُسَّرون إنها مختلفة عنهم في شيء واحد فقط: لديها سسبينا قوية معقدة مرنة. فيما عدا ذلك هي مثلهم.

«لحسن الحظ إذن أنني لم أكن أتحدث عن الجنس». تصدر عنها همهمة مرحة، تزعجني وترضيني في نفس الوقت، ولا أعلم لذلك سببًا. تنهض كلني واقفة دون أن تدرك حيرتي المفاجئة. تقول: «سأعود»، ثم تغادر.

لا تعود لعدة أيام. لكنها مع ذلك تظل جزءًا منفصلًا من شبكتنا الأخيرة، بهذا هي حاضرة خلال يقظتنا وطعامنا وإخراجنا وأحلامنا الناقصة خلال نومنا، وفي فخرنا بأنفسنا وبيعضنا. لا أشعر وكأنني مُراقب وهي تراقبنا. أنا لا أتحدث نيابة عن الآخرين، لكنني أحب وجودها.

لا يشاركني الجميع الإعجاب بـكلنلي. چيواه بالتحديد تبدي
عدائية تجاهها، وتعرب عن ذلك في محادثاتنا الخاصة. «لا تظهر إلا
بعدما نفقد تتلواه؟ حينما يكون المشروع على وشك الاكتمال؟ لقد تعبنا
حتى أصبحنا ما نحن عليه، أتنال هي الثناء على عملنا بعدما يتم؟».
أقول بما أحاول أن يكون صوت العقل: «إنها احتياطية لا أكثر، وما
تريده هو ما نريده، يجب أن نتعاون».

«هذا ما تقوله هي»، وهذا رمواه، الذي يعدّ نفسه أذكى من بقيتنا
(لقد صُنِعنا جميعًا متساوين في الذكاء، رمواه مجرد وغد). «لم يتركها
الميسرون بعيدًا من دون سبب، لا بد أنها مثيرة للمشاكل».

أعتقد أن هذه حماقة، وإن كنت لا أسمح لنفسي بقول ذلك حتى
بكلام الأرض. إننا أجزاء من ماكينة كبرى، أي شيء يحسّن من أدائها
مهم، وأي شيء لا يؤدي إلى هذا الهدف لا يهم. لو أن كلنلي مثيرة
للمشاكل لأرسلها جالات إلى التوالف مثل تتلواه. هذا شيء نفهمه
جميعًا، لكن چيواه ورمواه يعقدان الأمور لا أكثر.

أقول بحزم: «لو أنها مثيرة للمشاكل، فهذا سيتضح مع الوقت».
هذا لا يحسم الجدل، لكنه على الأقل يؤجله.

تعود كلنلي في اليوم التالي. يجمعنا الميسرون كي يفسروا لنا. يقول
الرجل الذي جاء لهذا الهدف: «طلبت كلنلي أن تأخذكم في مهمة ضبط
إيقاع». إنه أطول منا بكثير، أطول حتى من كلنلي، ونحيف، ويجب
ارتداء ألوان تلائم بعضها بعضًا تمامًا وأزرار مزخرفة. شعره طويل
وأسود، وبشرته بيضاء، وإن كانت ليست مثلنا أبدًا. أما عيناه فمثلنا،

أبيض داخل أبيض، بيضاء كالثلج. لم نَر منهم من قبل قط أحدًا بأعين مثل عيوننا. إنه الميسّر جالات، رئيس المشروع. يشبه جالات شذرة بلوتونية، شذرة رائقة، بيضاء مثل ألماسة. زواياه وحوافه دقيقة نظيفة، وجميل على نحو فريد، وشديد الخطورة إن لم يُعامل بحذر. لا نسمح لأنفسنا بالتفكير في حقيقة أنه من قتل تتلوا.

(إنه ليس من تحسبينه. أنا فقط أريد من جالات أن يشبهه مثلما أردت أن تشبهها. هذه مشكلة الذكريات المعیوبة).

تقول چیوا ببطء: «مهمة... ضبط... إيقاع»، كي تبدي عدم فهمها. تفتح كلني فمها لتحدث ثم تتوقف، وتلتفت إلى جالات. جالات يتسم لها بأناقة. يقول: «إن مستوى أداء كلني هو ما نأمله منكم جميعًا، لكن أداءكم يظل أقل من المتوقع باستمرار». نتوتر بشدة، نزعج ونصبح واعين بالنقد الموجه إلينا، أما هو فيهزّ كتفيه ببساطة. «لقد استشرت كبيرة اختصاصي السحر البيولوجي، لكنها أصرت أن لا توجد فروق بين قدراتكم النسبية. لديكم جميعًا نفس القدرات التي لديها، لكنكم لا تظهرون نفس مستوى المهارة. توجد إجراءات تصحيحية عديدة لهذا التباين، منها الضبط الدقيق إن صح التعبير، لكن هذه مخاطرة نفضل عدم خوضها مع اقتراب الإطلاق».

نطلق جميعًا ترددًا واحدًا في نفس اللحظة، كلنا سعداء لهذا. بحذر شديد أغامر بقول: «لقد قالت إنها هنا لتعلمنا السياق».

يومي جالات نحوي. «إنها تظن أن الحل يكمن في الخبرات الخارجية، في التعرض المتزايد للمحفزات، وفي تحدي مهاراتكم المعرفية

في حل المشكلات، وأشياء مثل هذه. إنها فكرة تتميز بأنها ذات تدخل محدود، لكننا، من أجل مصلحة المشروع، لا يمكننا أن نخاطر بكم جميعاً في الوقت نفسه. ماذا لو حدث لكم شيء؟ بدلاً من ذلك سنقسمكم إلى مجموعتين، وبما أن عندنا كلنلي واحدة، فسيخرج نصفكم معها الآن والنصف الآخر بعد أسبوع».

نحن ذاهبون إلى الخارج. أنا متلهف على أن أكون في المجموعة الأولى، لكننا نعلم أن إظهار رغبتنا أمام الميسرين ليس أفضل شيء. على الأدوات ألا تبدي رغبتها في الهروب من صندوقها بوضوح.

أقول بدلاً من ذلك: «إننا بالفعل مضبوطون مع بعض من دون المهمة المقترحة»، صوتي مسطح، تمثال، «المحاكاة تظهر أننا قادرون على التحكم بالمحرك على النحو المتوقع بموثوقية».

ويضيف رمواه: «ولعلنا أيضاً نحتاج إلى ست مجموعات لا اثنتين»، من هذا الاقتراح الأبله أدرك تلهفه أيضاً على الخروج. «ألن تخوض كل مجموعة خبرات مختلفة؟ ففي الخارج، مثلما أفهم، لا توجد طرق تحكم في اتساق أشكال التعرض. إن كان لا بد من قضاء وقت بعيد عن تحضيرنا للإطلاق، أليس من الأفضل فعل هذا على نحو يقلل من المخاطر؟».

بينما ترسل إشارات صامتة تبدي إعجابها واستمتاعها. بأدائها التمثيلي، تقول كلنلي: «لا أظن فكرة ست مجموعات ستكون فعالة من حيث التكلفة أو الكفاءة». تنظر إلى جالات وتهزّ كتفيها، لا تبذل حتى عناء التظاهر بأنها عديمة الشعور، وإنما هي ببساطة ضجرة. «بل لعلنا أيضاً نكتفي بمجموعة واحدة عوضاً عن اثنتين أو ست. يمكننا أن

نخطط للمسار، وأن نضع حراسة إضافية على طول الطريق، وإشراك شرطة المواصلات في المراقبة والدعم. بصراحة، أظن أن الرحلات المتكررة ستزيد من فرصة المواطنين الساخطين في تخمين الطريق والتخطيط لأمر... لا تسرّ».

تفتننا جميعًا احتمالية الأمور التي لا تسرّ. تجمع كلني هزّاتنا المتحمسة. يجفل الميسّر جالات من قولها، لقد أصابت وترًا حساسًا. يقول لنا: «إن احتمال تحقيق مكاسب ضخمة هي سبب أنكم ستذهبون». لم يزل يبتسم، لكن ثمة حدة في ابتسامته الآن. تركيزه في كلمة «ستذهبون» أقل ما يمكن، يظهر هذا من الضالة الشديدة في اهتزازات قوله المسموع. ما أفهمه من هذا ليس فقط أنه سيدعنا نذهب، بل وأنه غير رأيه أيضًا في إرسالنا في مجموعات متعددة. بعض من هذا يرجع إلى أن اقتراح كلني كان أكثر منطقية، وبعضه قلق من ممانعتنا الظاهرية.

رمواه يستخدم طبيعته المزعجة بكفاءة إزميل ماسي، كالمعتاد. أقول له بالترددات: ممتاز، فيرد عليّ بمويجة شكر مهذبة.

تقرر أن تغادر في نفس اليوم. جلب لي ميسّر شاب ملابس مناسبة للتحرك في الخارج. أرتدي زيًا ثقيلًا وحذاءً بعناية، منبهراً باختلاف ملمس كليهما، ثم أجلس بهدوء بينما يقوم الميسّر الشاب بتصفير شعري ضفيرة بيضاء واحدة. أسأله: «هل هذا ضروري؟»، بفضول حقيقي، لما كان الميسّرون يتباينون في أشكال شعرهم. بعضهم لا يمكنني أن أحاكه لأن شعري كثيف وخشن ولا يحتفظ بالموجات أو يتحمل الفرد. نحن فقط لدينا مثل هذا الشعر، أما شعورهم فمختلفة الأنواع.

يقول الميسر: «قد يساعدكم. أنتم ستبرزون عن غيركم مهما فعلنا، لكننا كلما حاولنا جعلكم عاديين أكثر، كان هذا أفضل».

أقول: «سيعرف الناس أننا جزء من المحرك»، وأنتصب قليلاً بفخر. تسكن حركة أصابعه للحظة، لا أظنه لاحظ ذلك. «ليس بالضبط... على الأرجح سيحسبونكم شيئاً آخر. لكن لا تقلق، سنرسل معكم الحراس لحمايتكم من أي مشكلة. سيكونون متخفين لكن موجودين. كلنلي تصر على أنكم لا يجب أن تشعرُوا بأنكم محميون، حتى لو كنتم كذلك».

أكرر ببطء، وبتمعن: «على الأرجح سيحسبونكم شيئاً آخر؟». أصابعه ترتجف، ويشدّ خصل شعري أكثر من اللازم. لا أجفل ولا أبتعد. إنهم يرتاحون أكثر حينما يفكرون في أننا تماثيل، والتماثيل لا تتألم. «هذا احتمال بعيد، لكنهم يجب أن يعرفوا أنكم لستم... أعني أن...»، يتنهّد، «أوه، يا شر الموت. الأمر معقد، لا تقلق بشأنه».

يقول الميسرون هذا عندما يرتكبون خطأً. لا أرسل هذا للآخرين على الفور، لأننا نقلل التواصل خارج اللقاءات المصرح بها. لا يستطيع غير المدوزنين أمثالنا إدراك السحر إلا بطرق بدائية، من خلال آلات وأدوات تفعل ما نفعله نحن بشكل طبيعي. لكنهم مع ذلك يراقبوننا دومًا إلى حد ما، لذا لا ندرك إلى أي مدى يسعنا تبادل الحديث والإنصات إلى ما يقولون، من دون أن يرصدوننا.

أصير جاهزاً بعد قليل. وبعدما يتشاور ميسري مع زملائه الميسرين عبر العناقيد، يقرر أن يدهن وجهي بالطلاء والمساحيق. يفترض أن

يجعلني هذا أشبههم، لكنه في الواقع يجعلني أشبه بشخص أبيض طلي بلون بني. لا بد أنني بدوت مسترياً عندما وضع أمامي مرآة، فقد تنهد مُسّري وقال إنه ليس فنّاناً.

ثم يأخذني إلى مكان في البيت الذي أقيم فيه لم أره من قبل إلا مرات قليلة: بهو الطابق السفلي. الحوائط هنا ليست بيضاء، بل بلون السليولوز ذاتي الإصلاح الطبيعي، الأخضر المائل إلى البني، وقد سُمح للحوائط بالازدهار من دون تبييض. زرع أحدهم المكان بنباتات فراولة متسلقة، نما إلى نصفها زهور بيضاء، وإلى النصف الآخر ثمر أحمر ناضج. بديع. وقفنا نحن الستة إلى جوار حوض سباحة في انتظار كلنلي، نحاول ألا نلقي بالاً للعاملين في المبنى الذين يروحون ويحيئون ويحدقون إلينا: ستة أشخاص أضال حجماً من الفرد المتوسط، مدكوكين، شعر أبيض منفوش ووجوه ملونة، وشفاهنا جميعاً مرصوفة في ابتسامات دفاعية ودية. لو أن هناك حراساً، فلا يسعنا تمييزهم عن المحدثين.

لكن حينما تنزل لنا كلنلي، أميز الحراس أخيراً. حارساها يتحركان معها، لا يأبهان بالتخفي؛ امرأة طويلة بنية البشرة ورجل لعله شقيقها. أدرك أنني رأيتهما من قبل، كانا يتتبعانها في مناسبات أخرى حينما تأتي لزيارتنا. يتلكأان في الخلف حينما تصل إلينا.

تقول: «أنتم جاهزان، رائع». ثم تتجههم، وتلمس وجنة دوشواه. يعود إصبعها ملوثاً بالمساحيق. «فعلًا؟».

يشيح دوشواه ببصره غير مرتاح. لم يجب قط إقحامه في أي محاكاة

لصانعينا، لا في ملابسهم ولا في جنسهم، ولا بكل تأكيد هذا. يقول بتعاسة: «يقولون إن هذا سيساعدنا»، ربما يحاول إقناع نفسه.

«بل هو يجعلكم ألفت للانتباه، وسيعرف الناس من أنتم في جميع الأحوال». تلتفت، وتنظر إلى حارستها. «سأخذهم لتنظيف هذه الأوساخ، أتودين المساعدة؟»، تنظر إليها المرأة بصمت. تضحك كلنلي لنفسها، وتبدو ضحكتها صادقة.

تقودنا نحو زاوية الاحتياجات الشخصية. يتمركز الحارسان بالخارج بينما ترش وجوهنا بمياه من الناحية النظيفة للمرحاض، وتفرك الطلاءات بقماشة ماصّة، وتدندن بينما تفعل ذلك. أيعني ذلك أنها سعيدة؟ حينما تمسك بذراعي كي تزيل الأوساخ عن وجهي، أحاول قراءة وجهها لأفهمهما. تحتدّ نظرتها عندما تلاحظ.

تقول: «يا لك من مفكر». لا أفهم ماذا يفترض ذلك أن يعني.

أقول: «كلنا نفكر»، وأسمح بارتجاجة صغيرة تقول يجب علينا جميعاً أن نفعل.

«بالضبط، أنت تفكر أكثر مما يجدر بك أن تفعل». يصعب عليها فرك بقعة بنية بالقرب من حافة شعري أكثر من غيرها. تمسحها، تتجههم، تمسحها مرة أخرى، تنهد، تبلل القماشة وتمسحها مجدداً. أتابع تأمل وجهها. «لماذا تضحكين على مخاوفهم؟».

هذا سؤال غبي، كان عليّ أن أسأله عبر الأرض، وليس بصوت عالٍ. تتوقف عن مسح وجهي. ينظر إليّ رمواه بتوبيخ هادئ، ثم يذهب إلى مدخل الزاوية. أسمع يطلب من الحارسين هناك أن يسألوا الميسّرين

إن كنا سنصبح عرضة لضرر الشمس من دون حماية الطلاء. يضحك الحارس، وينادي زميلته لينقل لها السؤال وكأنه أمر مضحك. خلال لحظة الإلهاء تلك التي وفرها لنا هذا الحوار، تتابع كلنلي فرك وجهي. تقول: «ولم لا أضحك عليها؟».

«ستعجبينهم أكثر لو لم تضحكي». وأرسل إشارات دقيقة بمعاني الانسجام، الاندماج التوافقي، الامثال، المصالحة، التخفيف. أشياء تفعلها إن أردت أن تكون محبوبًا.

«ربما لا أريد أن أعجب أحدًا». تهز كتفيها، وتحاول بلّ القماش مرة أخرى.

«يمكنك أن تعجبيهم، فأنت تشبهينهم».

«ليس بما يكفي».

«أكثر مني»، وهذا واضح، إنها جميلة بمقاييسهم، عادية مثلهم. «لو أنك حاولت أن...».

تضحك من هذا أيضًا. هذه ليست ضحكة قاسية، أدرك هذا غريزيًا، وإنما مشفقة. لكن تحت ضحكتها، وجودها يصبح فجأة جامدًا مكبوتًا، مثل صخرة مضغوطة توشك أن تتحول إلى شيء آخر. إنه الغضب مجددًا. ليس مني، وإنما حفّزته كلماتي. يبدو أنني لا أنفك أغضبها.

تقول: إنهم خائفون لأننا موجودون. إننا لم نفعل أي شيء يستفز خوفهم، غير مجرد الوجود. ليس ثمة ما يمكننا فعله كي نحظى بقبولهم،

إلا التوقف عن الوجود... لذا، إما أن نموت كما يريدون، أو نضحك على جنبهم ونتابع حياتنا.

أفكر في البداية أنني لا أفهم شيئاً مما قالته لي فوراً. لكنني أفهم، ألسنت كذلك؟ لقد كنا ذات يوم ستة عشر، والآن نحن ستة فقط. البقية ألقوا الأسئلة، وتم إلغاؤهم جراء ذلك، وأطاعوا من دون سؤال، وتم إلغاؤهم جراء ذلك، وساموا، ويثسوا، واستسلموا، وساعدوا، وفقدوا الأمل. حاولنا فعل كل شيء، وفعلنا كل ما طلبوه منا وأكثر، ومع ذلك لم يبقَ منا إلا ستة.

أقول لنفسي وأنا متجهم إن هذا يعني أننا أفضل مما كان البقية، وأذكى منهم، وأكثر تكيّفاً ومهارة. هذا مهم، أليس كذلك؟ إننا أجزاء من آلة عظيمة، ذروة عظمة السحر البيولوجي السيل أناجستي. ولو تمت إزالة بعضنا من الآلة بسبب عيوب، ف...

يندفع رمواه مثل صدع مفاجئ: تتلواه لم يكن معيوباً.

أرمش وأنظر إليه. لقد عاد إلى الزاوية، يقف منتظراً بالقرب من يمينواه وساليواه، وقد استخدموا جميعاً مياه النافورة ليزيلوا الطلاء عن أنفسهم، بينما كانت كلنلي تنظفني أنا وچيواه ودوشواه. الحارسان اللذان ألهاهما رمواه لا يزالان في الخارج يضحكان على ما قاله لهما. يحدق إليّ، وعندما أعبس يكرر: تتلواه لم يكن معيوباً.

أشدّ فكي. إن لم يكن تتلواه معيوباً، فهذا يعني أن إلغائه كان من دون سبب.

نعم. رمواه، الذي لا يبدو راضياً أبداً حتى في أفضل الأيام، تلتوي

شفتاه اشمئزأًا، مني. يصدمني هذا حد أنني أنسى التظاهر باللامبالاة.
هذا ما أقصده بالضبط. ما نفعله لا يهم، المشكلة فيهم هم.
ما نفعله لا يهم، المشكلة فيهم هم.

عندما أصبح نظيفًا، تكور كلنلي يديها حول وجهي. «أتعلم ما
معنى كلمة «إرث»؟».

لقد سمعتها وخنت معناها من أحد السياقات. يصعب عليّ إعادة
أفكاري إلى المسار الصحيح بعد رد رمواه الغاضب. لم نتبادل الإعجاب
يومًا، لكن... أهز رأسي، وأركز في سؤال كلنلي: «الإرث يعني شيئًا
قديمًا، لكنك لا تستطيعين التخلص منه بالكامل. شيء لم يعد مرغوبًا،
لكنه لا يزال ضروريًا».

تبتسم ابتسامة مجمدة، لي في البداية ثم لرمواه. لقد سمعت كل ما
قاله لي. «هذا يكفي. لا تنس هذه الكلمة اليوم».

ثم تنهض واقفة. يحدق إليها ثلاثتنا. إنها ليست فقط أطول وبنية
اللون، لكنها تتحرك أكثر، تتنفس أكثر. كلها أكثر. إننا نعبدها. ونخشى
ما ستجعلنا نكون.

تقول: «تعالوا»، ونتبعها إلى العالم.

٢٦١٣: ثار بركان تحت بحري هائل في مضيق تاسر، بين
القطب الأنتاركتيكي والسكون. سليس قيادية زيناس، التي لم
يكن من المعروف أنها أوروبية، أخذت البركان على ما يبدو،
لكنها لم تتمكن من الهروب من موجة التسونامي الناجمة عنه. ظلت

السماء في الأنتاركتيكا قائمة لخمسة أشهر، لكنها راقّت قبل أن يُعلن حلول موسم رسميًا. بعد التسونامي مباشرة، زوج سيليس، الذي كان قائد الكومونة وقت الانفجار، تم عزله في انتخابات عاجلة، وحاول أن يدافع عن ابنه الرضيع من الغوغاء التي كونها الناجون، وقُتل. سبب الموت غير متفق عليه، بعض الشهود قالوا إن الغوغاء رجوه، وبعضهم يقولون إن قائد الكومونة السابق شنقه وصي. أخذ الوصي الرضيع اليتيم إلى واراننت.

يتر مبتكر ديارس - سجلات المشروع

أنت، تتذكرين

يأتي الهجوم كما هو متوقع، قرب الفجر.

والكل مستعد له. يقع المخيم بعد حوالي ثلث الطريق عبر الغابة الحجرية، وهذا أقصى ما أوتي للكاستريميين قطعه قبل أن يحيل الظلام المرور خطرًا. ينبغي على المجموعة أن تقطع بقية طريق الغابة قبل غروب شمس اليوم التالي، هذا بافتراض نجاة الجميع من الليل طبعًا.

تجوسين المخيم بقلق، ولست الوحيدة. الصيادون أيضًا، الذين يفترض بهم النوم، بما إنهم خلال النهار يقومون بدور الكشافة والبحث عن الطعام والفرائس، ترين عددًا منهم أيضًا مستيقظين. الأشداء، الذين ينبغي أن يتبادلوا النوم في نوبات، كلهم مستيقظون، وكذلك عدد غير قليل من أعضاء الطوائف الأخرى. تلاحظين هياركا تجلس على كومة أمتعة، رأسها مخرجة وعينها مقفلة، لكن فيما عدا ذلك فساقتها متأهتان للانتفاض وقوفًا، وفي كلتا يديها سكين سبجي. لم ترتخ أصابعها حتى خلال النوم.

وفقًا لكل ذلك يغدو الهجوم الآن غباءً، لكن ليس هناك وقت

أفضل، ويبدو أن مهاجميكم قد قرروا أن يجربوا حظهم بما لديهم. أنت أول من تسسبنين الهجوم، وتصرخين محذرة وأنت تدورين على عقبك، حتى وأنت تستجمعين إدراكك وتنزلين به إلى ذلك المكان العقلي، الذي تستطيعين منه التحكم بالبراكين. زُرْع في الأرض عمًا قريب مرتكزًا؛ نقطة ارتكاز أوروچينية عميقة وقوية. تتبعينه إلى نقطة منتصف نطاق استهلاكه المحتمل، مركز الدائرة، مثل صقر يراقب فريسته. إنه على يمين الطريق، على بعد عشرين قدمًا داخل الغابة، خارج نطاق الرؤية ووسط بقايا النباتات المتدلية.

«إيكا!».

تظهر فورًا من حيث كانت جالسة بين الخيام. «نعم، شعرت بذلك».

«لم ينشط بعد»، بمعنى أن نطاق الاستهلاك لم يبدأ في شد الحرارة أو الحركة من بيئته المحيطة. لكن هذا المرتكز عميق مثل جذر شجرة، ولا يوجد كثير من الضغط الزلزالي المتجمع في هذه المنطقة، وفي الواقع كثير من ضغط طبقات الأرض السفلية قد امتصّه صنع هذه الغابة الحجرية. مع ذلك، هناك دومًا حرارة لو أنك نزلت إلى عمق كاف، وهذا عميق، وصلب، ودقيق دقة مرتكزية.

إيكا تصيح فجأة: «لسنا مضطرين إلى القتال»، وتتجه إلى داخل الغابة. تتجهزين، مع أنك لا ينبغي عليك ذلك. تذهلك جديتها، مع أن معرفتك بها يُفترض أن تحميك من الاندهاش. تتقدم بخطى مشدودة، جسدها متوتر، ويدها مرفوعتان أمامها، وأطراف أصابعها تتحرك.

يسهل عليك الآن التوجه إلى السحر، مع أنك تبدئين ذلك بالتركيز في جدعة ذراعك، بدافع العادة. لن تعتادي أبدًا على استخدام السحر بدلًا من الأوروجينية بشكل طبيعي، لكنك على الأقل تنقلين وعيك من هذا إلى ذاك بسرعة. إيكا تسبقك بكثير، تراقص موجات وأقواس الفضة على الأرض حولها، أكثرها أمامها، تنتشر وتنفض بينما تنتشلهم من الأرض وتملكهم. النباتات الشحيحة في الغابة الحجرية تجعل هذا أسهل، الكروم والشتلات والطحالب المحرومة من الضوء تقوم بدور الأسلاك، تنقل الفضة وتنسقها في أنماط منطقية، قابلة للتنبؤ، يمكن استخدامها للـ... أها، للبحث. تتوترين في نفس اللحظة التي تتوتر فيها إيكا. نعم، هناك.

هنا، فوق ذلك المرتكز ذي الجذور العميقة في مركز نطاق الاستهلاك، الذي لم يبدأ بعد في الدوران، يجلس مقرصًا جسدًا منحوت من الفضة. لأول مرة، وبالمقارنة بغيره، تلاحظين أن فضة الأوروجينيين أكثر توهجًا وأقل تعقيدًا من النباتات والحشرات حوله. لها نفس الـ... كمية لو أن الكلمة تصلح، أو ربما السعة أو الحيوية، لكن ليس لها نفس التصميم. فضة الأوروجيني مركزة في خيوط قليلة نسبيًا مرتبة في اتجاهات متقاربة. لا تنبض، ولا ينبض كذلك نطاق استهلاكه. إنه يُنصت (خمنت أنه ذكر، وتشعرين أنه كذلك).

إيكا، التي ترينها أيضًا إطارًا يحيط خيوطًا فضية مركزة، تهز رأسها برصًا. تصعد فوق عربة متاع كي يتردد صوتها أكثر.

تصدق: «أنا إيكا روچا كاستريما»، وتخمنين أنها تشير إليك، «وهذه روچا أيضًا، وهو كذلك»، تيميل، «وكذا هؤلاء الأطفال هناك. نحن

لا نقتل الروجات»، تتوقف للحظة، «هل أنتم جائعون؟ لدينا طعام فائض، لستم بحاجة إلى محاولة انتزاعه».

لا يتحرك ذلك المرتكز.

لكن شيئاً آخر يتحرك... من الناحية الأخرى للغابة، تكتلات فضية أخرى نحيلة مخففة تندفع فجأة في حركة فوضوية، يقتربون منكم حثيثاً. غزاة آخرون. يا شر الأرض، لقد ركزتم كامل انتباهكم نحو الروجا حتى أنكم لم تلاحظوا ما خلفكم. غير أنك تسمعينهم الآن، الأصوات تعلو، تسبّ وتلعن، والأقدام تدبّ على الأرض الرمادية. يصبح الأشداء عند حاجز الأوتاد محذرين. تصرخين: «إنهم يهاجمون». تقول إيكا: «لاحظت ذلك»، وهي تستل سكيناً سبجياً.

تراجعين نحو دائرة الخيام، وأنت تشعرين بمدى ضعفك، على نحو غريب عليك ومزعج إلى أقصى حد. بل والأسوأ أنك قادرة على السسبنة، وغرائك تنتفض تريد الاستجابة والمساعدة. يبلغ مجموعة من المهاجمين جزءاً من محيط المخيم ينقصه ما يكفي من الأوتاد والمدافع، وتفتحين عينك فترينهم يحاولون اقتحامه عنوة. ستة غزاة أغيار عاديون، قدرون، هزيلون، يرتدون مزيجاً من الخرق والملابس الجديدة المسروقة. تستطيعين القضاء عليهم كلهم في نفس واحد، بنطاق استهلاك واحد مركز.

لكنك تشعرين بأنك... ماذا؟ متراصة؟ فضة إيكا مُركزة مثل بقية الروجات الذين لاحظتهم، لكنها لا تزال متعرجة، مهتزة، مضطربة بعض الشيء. تندفق في جميع الاتجاهات داخلها وهي تقفز من فوق

العربة وتصرخ في الناس أمرًا بمساعدة الأشداء القليلين ناحية أولئك الغزاة، وتركض كي تساعد بنفسها. أما أنت فسحرك يتدفق بسلاسة ووضوح، تدفق كل خط يطابق تمامًا اتجاه تدفق البقية. لا تعرفين كيف يمكنك العودة إلى ما كنت عليه، لو كان ذلك ممكنًا في الأصل. وتدركين غريزيًا أن استخدام الفضة وأنت بهذا الحال سيرصّ كل جزيء في جسدك بدقة، كما يرصّ البناء الطوب ليقيم حائطًا. ستتحولين إلى حجر بنفس الطريقة.

لهذا تقاومين غرائذك وتختبئين، رغم أن ذلك يزعجك. يختبئ مثلك آخرون وسط خيام منتصف المخيم، أطفال الكومونة، وحفنة العجائز القليلين، وامرأة حامل تعجز عن التحرك بمرونة، وإن كانت مسلحة بقوس مستعرض، واثنين مستولدين يحملان السكاكين، من الواضح أنها مكلفان بحمايتها وحماية الصغار.

فور أن ترفعين رأسك لمراقبة القتال تلمحين مشهدًا خلابًا؛ دانييل، وقد استولت على أحد الأوتاد المدببة المحيطة بالمخيم، تستخدمها لشقّ طريق دموي بين الغزاة. إنها مذهلة، تدور وتطعن وتصدّ وتطعن مجددًا، تقلب العصا بين المهاجمين وكأنها قاتلت الأغيار مليون مرة من قبل. إنها ليست مجرد شديدة خبيرة، بل شيئًا آخر، مهارتها فائقة. لكن هذا منطقي، أليس كذلك؟ فالرينانيسيون لم يجعلوها قائدة جيشهم لدماثتها. لم يدم القتال طويلًا، فقد كانوا في النهاية عشرين أو ثلاثين أغيارًا هزيلين في مواجهة أعضاء كومونة مدرّبين جيدي التغذية. لهذا تنجو الكومونات من المواسم، ولهذا يطول بالمرء الزمن بلا كومونة حكم

إعدام. لا شك أن تلك كانت عصبة يائسة، لا بد أن الحركة عبر هذا الطريق في الشهور المنصرمة لم تكن كثيرة. فيم كانوا يفكرون؟
تدركين أنهم كانوا يعتمدون بالتأكيد على رفيقهم الأوروبيين.
كانوا يحسبونه سيفوز لهم بالقتال. لكنه لم يتحرك بعد، لا جسدياً ولا أوروبياً.

تنهضين، وتتجاوزين آخر من بقي من المقاتلين. تخرجين من الطريق وتنسلين عبر الأوتاد المحيطة، إلى قلب ظلام الغابة الحجرية. لا ترين في الظلام في البداية لتأثر عينيك بالتبايع نيران المخيم، فتتوقفين لحظة حتى تتكيف عيناك مع الظلام. لا سبيل إلى معرفة نوع الفخاخ التي ربما تركها الأغيار هنا، لا ينبغي عليك أن تفعل ذلك وحدك. ثم تتفاجئين مرة أخرى، لأنك بين طرفة عين وأخرى تتمكنين فجأة من رؤية الفضة. الحشرات، أوراق الشجر المبعثرة، شبكة عنكبوت، بل وحتى الصخور... تومض الفضة في كل هذا بأنماط متشابكة متفرعة، تؤطر خلاياها وجسيماتها الشبكات الفضية التي توصلهم ببعضهم...

وبالناس. تتوقفين حينما تميزينهم متخفين جيداً وسط تألق الغابة الفضي. لا يزال الروجا حيث كان، بروزاً ساطعاً وسط خطوط أكثر رقة. لكن يوجد أيضاً جسدين صغيرين منبطحين في كهف صغير، على بعد نحو عشرين قدماً آخرين في داخل الغابة. هذان الجسدان موجودان بشكل ما فوق صخور الغابة المتعرجة. أهما مراقبان؟ لا يكثر أي منهما الحركة، ولا يسعك تمييز إن كانا قد رأياك، أو إن كانا يراقبان المعركة بشكل ما. تتجمدين في مكانك، مرتبكة من هذا التبدل الجديد في شكل

إدراكك. أهى نتيجة لتعلمك كيف تنظرين إلى الفضة في داخلك وفي المسلات؟ ربما ما إن تتمكني من رؤيتها مرة، حتى تريها بعدها في كل مكان؟ أو لعلك تهلوسين كل هذا الآن، وهذه ليست إلا صورة متخيلة عالقة بجفنيك؟ لم يذكر ألابستر قط القدرة على الرؤية بهذا الشكل، لكن متى حاول ألابستر أن يكون معلمًا جيدًا؟

تتابعين المشي قليلا، يدك مفرودة أمامك تحسبًا لأن يكون كل ذلك وهما، لكنه لو كان كذلك، فهو على الأقل وهم دقيق. رغم غرابة شعور أن تضعي قدمك في شبكة من الفضة، تعتادين عليه بعد قليل.

الشبكة الفضية المميزة للأوروجيني، الذي لم يزل يقبض على نطاق استهلاكه، ليست بعيدة، لكنه في مكان عالٍ، ربما أعلى من حيث تقفين بعشرة أقدام. يتضح سر هذا نوعًا حينما تبدأ الأرضية تنحدر إلى أعلى، وتلمس يدك الممدودة صخرًا. لقد تكيفت رؤيتك العادية بما يكفي لأن تري عمودًا هنا، مائلًا وقابلًا للتسلق، على الأقل بالنسبة إلى شخص لديه أكثر من ذراع واحدة. هكذا تتوقفين على بعد قدم منه وتقولين: «مرحبًا».

لا رد. تميزين تنفسًا سريعًا ضحلًا مكبوتًا، مثل شخص يحاول كتم صوت تنفسه.

«مرحبًا»، تضيقين عينيك سعيًا إلى رؤية أفضل، وتميزين في النهاية هيكلًا من الأغصان المكدسة فوق حطام وألواح قديمة. لعله مخبأ ما، يستطيع الكامن فيه مراقبة الطريق. الرؤية لا تهم الأوروجيني العادي، فالأوروجينيين غير المدربين لا يسعهم توجيه قدراتهم نحو أهداف

معينة دونًا عن غيرها. لكن الأوروبيني مرتكزي التدريب يحتاج إلى بعض الرؤية كي يفرق بين الغنائم المفيدة والمدافعين عنها، فلا يثُلج إلا ما لا يحتاج.

يتحرك شيء في المخبأ فوقك. هل كان هناك انقطاع في التنفس؟ تحاولين أن تفكري في شيء مناسب لقوله، لكن ليس في رأسك سوى سؤال واحد: ما الذي يفعله أوروبيني مرتكزي التدريب بين الأغيار؟ لا بد أنه كان في مهمة خارج المرتكز وقت التصدع، بلا وصي، وإلا كان سيقتله. هذا يعني أنه ذو خمسة خواتم على الأقل، أو ربما ثلاثة أو أربعة وفقد زميله الأعلى رتبة. تتخيلين نفسك، ماذا كنت ستفعلين لو كنت في الطريق إلى آليا وقت التصدع؟ كنت ستعلمين أن ثمة وصيًا قادمًا، لكنك ستراهنين أنه لعله يعتبرك ميتة... لا. هذا يقطع تخيلك بالكامل، كان شافا سيأتي لأجلك. بل إن شافا جاء بالفعل لأجلك.

لكن هذا كان في غير وقت موسم. لا ينبغي على الأوصياء أن ينضموا إلى كومونات في المواسم، ما يعني أنهم أيضًا يموتون، وأنت في الواقع لم تري أي وصي منذ التصدع سوى تلك التي كانت مع دانييل في الجيش الرينانيسي، وقد ماتت في ثورة الغلايات التي أثيرتها، وأنت سعيدة لذلك، لما كانت واحدة من الذين يقتلون بأجسادهم العارية، وهذا النوع ألعن من المعتاد بكثير. في جميع الحالات، ثمة واحد من المعاطف السوداء السابقين هنا، وحده، لعله خائف، ولعله متحفز للقتل. أنتِ تعرفين هذا الشعور، أليس كذلك؟ لكنه لم يهاجمك بعد. يجدر بك أن تجدي وسيلة للتواصل معه.

تقولين: «أنا أتذكر». صوتك خافت كالهمس، وكأنك لا تريدين أن تسمعي حتى نفسك، «أنا أتذكر البوتقات، والمدرين، كانوا يقتلوننا كي ينقذونا. هل أجبروك أنت أيضًا على الإنجاب؟»، تتذكرين كورندم، أفكارك تحيد فجأة عن الذكريات، «هل هم... اللعنة!». اليد التي كسرها شافا ذات مرة، يدك اليمنى، تلك التي في الشيء الذي يمكن اعتباره معدة هوا. لكنك لا زلت تشعرين بها، ألم شبحي يعصف بعظام شبحية. «أعلم أنهم كسروا يدك، كسروا أيدينا جميعًا، كسرونا كي...». تسمعين شهقة خافتة ملتاعة قادمة بوضوح من المخبأ.

يدور نطاق الاستهلاك بسرعة هائلة، وينفجر نحو الخارج. أنت قريبة جدًا من هذا حتى يكاد يصيبك، لكن الشهقة كانت بمثابة تحذير كافٍ لك، فهيت نفسك أوروبينًا، حتى لو لم تتمكني من الاستعداد جسديًا. جسديًا تجفلين، وهذا رد فعل أكثر مما يتحملة توازنك الهش ذو الذراع الواحدة، فتعين إلى الوراء وتهبطين بقوة على مؤخرتك. لكنك مُدربة منذ الطفولة على الاحتفاظ بتحكمك على الصعيد الأوروبيني حتى لو فقدته على صعيد آخر. لهذا، في نفس اللحظة، تستخدمين سسبيتك لصفع مرتكزه ببساطة وإزالته من الأرض. يسهل عليك ذلك، فأنت أقوى بكثير. وتتفاعلين سحريًا أيضًا، تقبضين على أحد الأهداب التي أثارها نطاق الاستهلاك، وتدركين متأخرًا أن الأوروبينية تؤثر في السحر، إنها ليست سحرًا في نفسها، بل في الواقع السحر ينفر منها. لهذا كان استخدامك لدرجات عالية من الأوروبينية يؤثر في قدرتك في استخدام السحر... أخيرًا فهمت! ومع ذلك تكبحين الخطوط السحرية الهائجة، وتحمدين

كل شيء مرة واحدة، فلا يصيبك شيء سوى طبقة صقيع خفيفة تغطي جسدك. باردة، لكنها على جسدك من الخارج. لا زلت حية.

ثم تتركين زمام كل شيء، وتندفع عنك الأوروجينية والسحر مثل مطاط مشدود. يبدو أن كل شيء فيك يرنّ في تردد متزايد إثر ذلك، و... أوه، لا... تشعرين بتزايد التردد داخلك حتى تبدأ خلاياك تتراص... وتنضغط، وتصبح حجراً.

لا يمكنك إيقاف ذلك، بيد أنك تستطيعين توجيهه. آنئذٍ تقريرين أيًا من أعضاء جسدك قد تتحملين خسارته. الشعر؟ لا، شعيرات كثيرة، وبعيدة جدًا عن بصيلات شعرك الحية، فعل ذلك سوف يستغرق زمناً، حتى إن نصف فروة رأسك ستتحول إلى حجارة قبل أن تنتهي. أصابع القدمين؟ تحتاجينها للمشي. أصابع اليد؟ ليس لديك سوى واحدة، وتحتاجينها سليمة قدر الإمكان.

الأثناء؟ في الواقع ليست لديك أي نية لإنجاب مزيد من الأطفال. ويكفيك توجيه التردد المتزايد، التحجر، إلى أحدهما. تضطرين إلى تمريره عبر غدد تحت الإبط، وتتمكنين من ذلك دون إصابة طبقة العضلات، هذا سيحول دون تضرر قدرتك على الحركة أو التنفس. تختارين الأيسر، ليوازن خسارة ذراعك اليمنى. عندما تنتهين، تتمددتين في مكانك، وقد صرت واعية أكثر من اللازم بالثقل الزائد فوق صدرك، صدمتك تفوق حزنك... حتى الآن.

ثم تحثّين نفسك على القيام، بصعوبة، بتجهم، بينما يصدر الشخص الكامن في المخبأ ضحكة قصيرة متوترة ويقول: «يا لصدا الأرض،

دامايا؟ أهذه أنت فعلاً؟ آسف على استخدام النطاق، أنا فقط كنت... ليس لديك فكرة عن كيف كانت الأمور. لا أستطيع أن أصدق. هل عرفت ماذا فعلوا بالشرح؟».

تقول ذاكرتك: «أركيتي»، ويقول لسانك: «مشيش». إنه مشيش.

مشيش الآن نصف ما كان عليه من قبل، على الأقل جسدياً. لا سيقان تحت فخذيه، ولديه عين واحدة، أو للدقة واحدة تعمل. الأخرى معتمدة متضررة ولا تتحرك بالتزامن مع الأولى. لم يتبق في جانب رأسه الأيسر أي أثر لذلك الصبي الوسيم الأشقر ذي الشعر الرماد براكينني الذي تذكريه، بل بقايا خشنة من تمزيق سكين، فوضى من الندوب الوردية، ووسط كل هذا تبدو أذنه قد شفيت لكنها انغلقت على نفسها. شوهت الندوب وجنته وجبهته، وشدت فمه جانبا قليلاً في تلك الناحية.

ورغم ذلك ينزل من مخبئه بمهارة، يمشي على يديه ويرفع جذعه وساقيه المبتورتين بقوة عضلاته. مهارته في التحرك من دون سيقان عالية، إذن هو بهذا الحال له فترة طويلة. يصل إليك قبل أن تقفي. «إنه أنت فعلاً. سمعت أنك كنت ذات أربعة خواتم فقط، كيف استطعت اختراق نطاقتي؟ أنا ذو ستة خواتم. ستة! عرفتك من طريقتك، ما زال طابعك السسبيني كما هو، ولا زلت هادئة من الخارج وتتأججين غضباً في الداخل، إنه أنت فعلاً».

يبدأ بقية الأغيار يخرجون زاحفين من مخابئهم. تتوترين مع ظهورهم؛ هياكل عظمية تغطيها خروق ممزقة نتنة، يراقبونك من خلف نظاراتهم الواقية المسروقة أو المصنوعة مما تيسر، وأقنعتهم الملفوفة حول الوجوه، التي كانت على ما يبدو ملابس شخص آخر. بيد أنهم لا يهاجمونك، وإنما يتجمعون ليراقبك أنت ومشيش.

تحديقن إليه وهو يدور حولك، يزحف بسرعة. يرتدي خرق الأغيار البالية، بأكمام طويلة متعددة الطبقات، لكنك ترين انتفاخ عضلات كتفيه وذراعيه تحت الأقمشة الممزقة. بقية جسده شديد الهزال. نحافة وجهه بالذات تؤلم الناظرين، لكن من الواضح ما الذي أعطاه جسده أولوية التغذية خلال شهور الجوع.

تقولين: «أركيتي»، لأنك تتذكرين أنه لطالما كان يفضل الاسم الذي ولد به.

يتوقف عن الدوران وينظر إليك لبرهة برأس مائل. لعله بهذا يرى أفضل بعينه السليمة. غير أن نظرتة تعاتبك، إنه لم يعد أركيتيًا مثلما لم تعود دامايا. لقد تغير الكثير. إذن هو مشيش.

لكنه يقول: «أنتِ تتذكرين». في لحظة السكون تلك، بعد عاصفة كلماته السابقة، تلمحين الصبي الجذاب اللطيف الذي تذكرينه، حتى وإن كانت تلك المصادفة أكثر من أن يمكن استيعابها. الشيء الوحيد الذي قد يكون أغرب من هذا هو أن تقابلي... أن تقابلي أخاك الذي نسيت وجوده حتى الآن. ماذا كان اسمه؟ يا نار الأرض، حتى ذلك نسيته أيضًا. لكنك على الأرجح ما كنت لتعرفيه لو رأيته. إن حصي

المرتكز هم إخوتك الحقيقيون، إخوتك بالألم لو ليس بالدم.

تهزين رأسك كي تركزي، ثم تومئين. أنتِ الآن واقفة، تنفضين أوراق الشجر والغبار والرماد عن مؤخرتك، وتتحركين بخرق مع ذلك الوزن على صدرك. «أنا أيضًا مذهولة من تذكرتي. لا شك أنك تركت في أثرًا».

يبتسم، ابتسامة غير متساوية، فنصف وجهه فقط يعمل على ما يرام. «لقد نسيت... حاولت جاهدًا كي أنسى بصراحة».

تعقدين فكك، وتستجمعين قوتك. «أنا... آسفة». اعتذار بلا جدوى، فلا بد أنه لا يذكر حتى علام أنت آسفة.

يهز كتفيه: «لا يهم».

«بل يهم».

«لا»، يشيح بوجهه للحظة، «كان ينبغي أن أتحدث معك بعدها، ما كان ينبغي أن أكرهك كما فعلت، ولم ينبغ أن أدعها... أن أدعهم يغيرونني. لكنني فعلت كل هذا. والآن، لا شيء من هذا يهم».

تعلمين بالضبط من هي التي أشار إليها. بعد تلك الحادثة مع الشرخ، حادثة التنمر التي كشفت شبكة كاملة من الحصى الذين يحاولون النجاة، وشبكة أكبر من الراشدين الذين يستغلون يأسهم... بعد كل هذا تتذكرين عودة مشيش إلى مهجع الحصى ذات يوم، بيدين مكسورتين.

تهمهمين قبل أن يخطر لك ألا تقولي هذا: «أفضل مما فعلوه بالشرخ».

لكنه مع ذلك يومئ، غير متفاجئ. «ذهبت ذات يوم إلى محطة توصيل. لم تكن محطتها، الأرض الصديء وحده يعلم لماذا فعلت ذلك... لكنني وددت أن أبحث في محطات التوصيل كلها عنها قبل الموسم»، يلفظ بضحكة جافة مريرة، «أنا لم أكن أطيعها حتى، فقط أردت معرفة ماذا حدث لها».

تهزّين رأسك. ليس لأنك لم تفهمي دافعه، سيكون من الكذب قول إنك لم تفكري في ذلك أيضًا، في السنوات التي أعقبت معرفتك بالحقيقة، في الذهاب إلى كل المحطات، والبحث عن طريقة لإصلاح سسبيناتهم المتضررة وإطلاق سراحهم، أو قتلهم رافّة بهم. آه، كنت ستصبحين مدربة ممتازة لو أعطوك في المرتكز الفرصة. لكنك في النهاية لم تفعلي شيئًا، ولم يفعل مشيش أيضًا شيئًا للموصلين في المحطات. وحده ألابستر من فعلها.

تأخذين نفسًا عميقًا، وتقولين: «أنا معهم»، وتشيرين برأسك نحو الطريق. «مثلما سمعت القائدة تقول، الأوروجينيون مقبولون هناك». يهتزّ قليلاً. يصعب عليك رؤية وجهه في الظلام. «لقد سسبنتها. أهى القائدة فعلاً؟».

«نعم، وكل من في الكومونة يعرف هذا. إنهم... هذه الكومونة...»، ثم تتنفسين بعمق، «نحن كومونة تحاول أن تفعل الأمور بشكل مختلف، فيها لا يقتل الأوروجينيون والراكدون بعضهم بعضًا».

يضحك، وهذا يثير سعاله لبعض الوقت. يضحك بعض الأغيار الآخرين أيضًا، لكن سعال مشيش هو ما يقلقك، سعال جاف وحاد

وخشن وعالٍ، لا ينبئ بخير. يبدو أنه استنشق رمادًا كثيرًا بلا قناع. بعد نوبة سعاله، يميل رأسه مجددًا وينظر إليك بنظرة مستمتعة، يقول بتهكم: «وأنا كذلك»، يومئ بذقنه نحو جماعته المجتمعين، «هؤلاء الصدثون باقون معي لأنني لن آكلهم، ولا يحاولون إيذائي لأنني أستطيع قتلهم. هكذا يكون التعايش السلمي».

تنظرين حولك وتتجهمين، يصعب عليك رؤية تعبيرات وجوههم. «لكنهم لم يهاجموا قومي»، وإلا ما ظلوا أحياء.

«لا، من هاجمكم كان أولمشين»، يهز كتفيه، فيتحرك جسده بأكمله، «وغد نصف سانزي، طُرد من كومونتين من قبل بسبب «مشاكل في التحكم في الغضب» حسب قوله. كان سيؤدي بنا جميعًا إلى الموت ونحن نغير عليكم، لذا قلت من يريد منكم أن يعيش ويطبق أن يعيش معي فليتبعني، ونحن سنتولى أمورنا بطريقتنا. هذه الناحية من الغابة لنا، وهذه الناحية لهم».

إذن فهم عشيرتي أغيار لا واحدة. وإن كانت عصابة مشيش لا ترقى إلى أن تكون عشيرة، فهم حفنة أفراد لا أكثر. بيد أنه حسب قوله هؤلاء من يمكنهم تحمل الحياة مع روجا، وهم كما يبدو ليسوا كثيرين.

يلتفت مشيش ويتسلق حتى منتصف الطريق إلى مخبئه، كي يتمكن من الجلوس، وكي تصبح عينه في مستوى عينيك. يدخل في نوبة سعال مخشخشة أخرى إثر هذا المجهود. يستكمل كلامه ما إن يهدأ السعال: «أظنكم توقعتم أن أهاجمكم، هذا ما كنا نفعله، أنا أثلج الضحية، وهو وجماعته يسرقون ما يستطيعون قبل أن أظهر أنا وجماعتي، فينال كلانا ما

يكفيننا للاستمرار يوماً آخر. لكنني صُعقت مما قالته قائدتكم»، ويشيح بنظره ويهزّ رأسه، «كان ينبغي على أولمشين أن يتراجع عندما رأى أني لن أثلّجكم، لكن... هو من جلب ذلك على نفسه».

«صحيح».

«فليذهب في داهية. ما الذي حدث لذراعك؟»، إنه الآن ينظر إليك. لكنه لا يرى ما حدث لصدرك، حتى وأنت تميلين نحو اليسار. كم يؤلمك هذا الثقل على لحمك.

تردين: «وماذا حدث لساقيك؟».

يتسم ابتسامته المشوهة ولا يرد، ولا أنت أيضاً.

«إذن نحن لن نقتل بعضنا بعضاً؟»، يهزّ مشيش رأسه، «ولن تكون هناك مشكلة فعلاً؟».

«حتى الآن، لا زلنا نحاول».

«لن تنجحوا»، يتزحزح مشيش مرة أخرى ويرميك بنظرة، «كم كلفك الانضمام إليهم؟».

لا تقولين لا شيء، لأن ليس هذا ما يسأل عنه. أنت ترين الصفقة التي أبرمها كي ينجو هنا: مهاراته مقابل الطعام القليل الذي يوفره الأغيار ومأواهم المرتجل. هذه الغابة الحجرية، فخ الموت هذا، صنيعته. كم من الناس قد قتل لأجل قطاع الطرق هؤلاء؟

وكم قتلت أنت من أجل كاستريما؟

لا يستويان.

كم عدد من كانوا في جيش رينانيس؟ كم منهم حكمت عليه
بالطهي بالبخار حيًا بالحشرات؟ كم تلة رماد موجودة الآن فوق كاستريما
العلوية، يبرز من كل منها يد أو قدم في حذاء؟

لا يستويان وحق الصدا. حينها كان إما هم وإما أنت.

بالضبط كما مشيش، يحاول أن ينجو، هو أو هم.

تشدين فكك كي تخرسي جدالك الداخلي، ليس هذا وقته.

تقولين: «لا يمكننا أن...»، ثم تغيرين رأيك، «هناك طرق أخرى
للنجاة غير قتل... بعضنا... لسنا مضطرين لفعل هذا»، هذا كلام إيكّا،
يخرج منك مرتبكًا ومزيتًا بالنفاق. هل لا يزال هذا الكلام صحيحًا
أصلًا؟ كاستريما لم تعدّ في جيود يجبر أهلها على التعاون بين الأوروچينيين
والراكدين، ولعل هذا ينهار غدًا.

ربما، لكن إلى ذلك الحين، تجبرين نفسك على المتابعة: «لسنا مضطرين
أن نكون مثلما جعلونا يا مشيش».

يهزّ رأسه، يحدق إلى بقايا ورقة شجر. «وتذكرين اسمي أيضًا».

تلعقين شفتيك. «نعم، وأنا ناسون».

يقطب قليلًا حينما يسمع ذلك، ربما لأنه اسم ذو طابع صخري،
ولهذا اخترته. لكنه لا يسأل عنه. في النهاية يتنهد. «انظري إليّ يا ناسون
بحق الصدا، أنصتي إلى الحجارة في صدري، حتى لو وافقت قائدتك
على قبول نصف روچا، فأنا لن أظل حيًا كثيرًا، وأيضًا...»، يشير إلى
رفاقه الهزيلين كما الهياكل العظمية.

«لن تقبل بنا أي كومونة»، تقولها إحداهن. تظنين أنه صوت امرأة، لكنه أجش ومنهك إلى حد يمنعك من التمييز، «لا تحاولي لعب تلك اللعبة».

تتململين بغير ارتياح. إنها محقة، إيكا قد ترحب بروجا بلا كومونة. لكن مع ذلك متى كنت قادرة على توقع رد فعل إيكا؟ «سأسألها».

تسمعين أكثر من ضحكة متهمكة، خافتة ومنهكة، وأكثر من سعال مخشخش آخر غير سعال مشيش. لقد تضور هؤلاء القوم جوعاً إلى حافة الموت، ونصفهم مرضى. هذا كله بلا معنى. مع ذلك تقولين لمشيش: «لو لم تأت معنا، ستموت».

«جماعة أولمشن كان معهم أكثر المؤن، سنذهب ونأخذها». تنتهي هذه الكلمة بوقفة، تمهيد للتفاوض، «إما جميعاً أو لا أحد».

تقولين: «هذا يرجع للقائدة»، لكنك تميزين صوت المساومة. أوروچينيته المرتكزية مقابل عضوية الكومونة له ولصحبته، مع تعزيز الصفقة ببقايا مؤن قطاع الطرق، وهو مستعد للرفض حال رفضت إيكا سعره المبدئي. هذا يزعجك. «سأضيف إلى ذلك إشادة بشخصيتك، أو على الأقل شخصيتك قبل ثلاثين عامًا».

يتسم قليلاً. يشق عليك عدم اعتبار تلك الابتسامة متعالية. ما لك تحاولين إبداء الأمر على ما ليس عليه؟ لكنك على الأرجح تعكسين مشاعرك الخاصة. «وأنا أيضاً أعرف القليل عن هذه المنطقة، لعل هذا يفيدكم، بما أنكم ذاهبون إلى مكان ما كما هو واضح». يومئ بذقنه نحو

النيران المنعكسة على الصخور القريبة من الطريق. «هل أنتم ذاهبون إلى مكان معين؟».

«رينانيس».

«أوغاد».

ما يعني أن جيش رينانيس لا بد أنه مرّ من هذه المنطقة في طريقه جنوبًا. تسمحين لنفسك بالابتسام. «أوغاد ميتون».

«همم»، ويضيق عينه السليمة، «لقد دمروا جميع كومونات المنطقة، ولهذا نمرّ بوقت عصيب، فلم تعد قوافل التجارة تمرّ بعدما قضى الرينانيسيون على الجميع. لكنني سسبنت شيئًا غريبًا من الجهة التي ذهبوا إليها».

يسكت، ويراقبك، لأنه بلا شك يعرف. لا بد أن أي روچا ذي خواتم قد سسبن نشاط بوابة المسلة عندما استخدمتها لإنهاء حرب كاستريما ورينانيس بحسم تام. ربما لن يعرف كنه ما يسسبنه، وما دام لا يعرف السحر فلن يسسبن أيضًا مدى ما حدث، لكنه على الأقل سيشعر بآثاره.

تقولين: «هذا كان... أنا». اعترافك يفاجئك.

«يا صدا الأرض يا دام... يا إيّسون. كيف؟».

تأخذين نفسًا عميقًا، وتمدّين له يدك. لا ينفك ماضيك يعود ويطاردك. لن تقدرى أبدًا على نسيان من أين أتيتم، لأنك لن تتركي نفسك تفعلين. لكن لعل إيكّا فهمتها صح؛ يمكنك أن ترفض بقايا نفسك القديمة وتظاهر أن لا هذا ولا أحد آخر يهم، أو يمكنك أن

تتقبلها كلها، وتستعيد نفسك منها بقدر الإمكان، وتصبح أقوى،
وأكمل.

تقولين: «لنذهب ونتحدث مع إيكّا. لو أنها قبلتك (أنت وجماعتك)،
سأحكي لك كل شيء». وإن لم يكن حذرًا، ستعلمينه أيضًا كيف يفعلها،
فهو ذو ستة خواتم في النهاية. بهذا لو فشلت، يستطيع غيرك ارتداء
عباءتك.

ولدهشتك، ينظر إلى يدك بما يشبه القلق: «لست متأكدًا أنني أريد
معرفة كل شيء».

يجعلك هذا تبسمين. «معك حق».

يتسم ابتسامته المشوهة: «وأنت أيضًا لا تريدين معرفة ما حدث
لي أيضًا».

تميلين رأسك: «اتفقنا، سنتبادل الأجزاء الجيدة فقط».

يتسم كاشفًا عن أسنانه، أحدها مفقود. «هذه أقصر من أن تكفي
حتى لأغنية قوالين شعبية قصيرة، لن يدفع أحد لقاء قصة كهذه».

لكنه في النهاية يمدّ يده اليمنى. جلده سميك متكثل قذر. تمسحين
يدك في ملابسك بعد المصافحة من دون تفكير، فيضحك عليك قومه.
ثم تقودينه نحو كاستريما، نحو النور.

٢٤٧٠ - الأنتاركتيكا: بدأت حفرة هائلة تنشق تحت مدينة

بيندين (ماتت الكومونة لاحقًا). لم تكن التربة زلزالية، لكن هبوط

المدينة نتج منه موجات تلقاها أوروچينيو المرتكز الأنتاركتيكي. تمكن المرتكزيون من نقل المدينة كلها إلى موقع أكثر استقرارًا، وأنقذوا أكثر السكان. تشير سجلات المرتكز إلى أن ثلاثة أوروچينيين كبار ماتوا إبان فعل ذلك.

يتر مبتكر ديبارس - سجلات المشروع

ناسّون، تقرر مصيرها

استغرق الارتحال إلى أطلال الحضارة الميتة التي وصفها فولاذي شهرًا، دون حدث جدير بالذكر بمعايير أيام المواسم العادية. ناسّون وشافا دبرا طعامًا كافيًا بما لديهما أو بما يجدانه، وإن كانا بدأا يفقدان الوزن. شفي كتف ناسّون بدون مشاكل، إلا من حمى أو هنتها يومين، كان شافا خلاهما يوقف المسير مبكرًا عمّا كان ليفعل في ظروف أخرى. زالت الحمى في اليوم الثالث، وبدأت القشرة تغطي الجرح، وتابعا الطريق.

لا يقابلان أحدًا تقريبًا على الطريق، لكن هذا ليس مستغربًا بعد عام ونصف من بدء الموسم؛ كل من لم يزل بلا كومونة حتى الآن قد انضم على الأرجح إلى جماعة أغيار ما، وحتى هؤلاء لم يبقَ منهم سوى أقسامهم، أو من لديهم ميزة تتجاوز مجرد الوحشية والكانيبالية. تولى أكثر هؤلاء الشمال، نحو الجنوب الأوسط، حيث توجد كومونات أكثر تصلح للإغارة عليها. حتى الأغيار لا يحبون الأنتاركتيكا.

تجد ناسّون العزلة شبه التامة هذه مناسبة لها، لا أوصياء آخرون

ينبغي الحذر منهم، ولا أهل كومونة يخشونها خشية غير عقلانية ينبغي الحيلة منها، ولا حتى رفاق من صغار الأوروچينيين. إنها تشتاق إلى الآخرين، تشتاق إلى ثرثرتهم ورفقتهم التي استمتعت بها زمنًا وجيزًا، لكنها في نهاية اليوم، كانت تستاء من الوقت والاهتمام اللذين يسخرهما شافا لهم. إنها كبيرة كفاية لمعرفة أن غيرتها هذه شعور طفولي (ولقد دلل والداها أوتشي كثيرًا أيضًا، لكنها الآن تعلم، بأسوأ شكل ممكن، أن لفت الانتباه أكثر لا يعني بالضرورة المحاباة). لكن كل هذا لا يعني أنها ممتنة لفرصة امتلاك شافا لنفسها فقط، وتواقة إلى المزيد.

يستأنسان بعضهما ببعض في النهار حتى مع هيمنة الصمت أكثر الوقت، وفي الليل ينامان، متكورين لصق بعضهما اتقاءً للبرد المتزايد، وآمنين بما أن ناسون قد أثبتت أن أقل تغير في البيئة المحيطة، أو أقل قدم تلمس الأرض عمًا قريب، كافيان لإيقاظها. أحيانًا، لا ينام شافا. يحاول، لكنه يرتجف في صمت، ويكتم أنفاسه ويكبت عضلاته كيلا يقلق منامها بمعاناته الهادئة، وحينما ينام في النهاية، ينام نومًا سطحيًا متقطعًا. وأحيانًا، لا تنام ناسون أيضًا، تتألم في شفقة صامتة.

لهذا تعقد العزم على فعل شيء حيال ذلك، شيء تعلمته في القمر الجديد من قبل، لكن بدرجة أقل: تسمح أحيانًا لحجر الأساس في سسبينته بأن يحظى ببعض فضتها. لا تعلم لماذا ينجح هذا في تخفيف ألمه، لكنها تذكر رؤية أوصياء القمر الجديد يأخذون القليل من فضة الأطفال تحت وصايتهم، ويسترخون بعد ذلك، وكأنها بهذا يقدمون لحجر الأساس ضحية أخرى يلوکها بدلًا منهم.

عدا أن شافا لم يأخذ أيًا من فضتها، أو أيًا من فضة أي شخص غيرها، منذ اليوم الذي عرضت فيه عليه تقديم كل فضتها إليه، اليوم الذي أدركت فيه طبيعة الشظية المعدنية داخل مخه. تعتقد أنها تعرف لماذا توقف عن ذلك، فقد تغير بينهما شيء آنذاك، لم يعد قادرًا على جعل نفسه يتغذى عليها مثل الطفيليات. لكنها لنفس السبب تسرب إليه الفضة، لأن شيئًا تغير بينهما، وهو لا يُعدّ طفيليًا إن كانت هي أيضًا تحتاجه، ولو أنها أعطته بنفسها ما يحتاجه.

(ذات يوم، ستتعلم ناسون مفهوم التكافل الحيوي، وتهزّ رأسها بسعادة عندما يصبح لديها لذلك اسم أخيرًا، لكن حتى ذلك الحين، ستكتفي بإطلاق اسم العائلة على تلك العلاقة).

عندما تمنح ناسون شافا الفضة، مع أنه نائم، يمتصّها جسده بسرعة فائقة، حتى إنها تضطر إلى انتزاع يدها بسرعة كي تتجنب أن تنزفها أكثر من اللازم. لا يسعها التخلي عن أكثر من قطرات، وإلا هي التي ستغدو منهكة وغير قادرة على السفر في اليوم التالي. بيد أن هذه الكمية المحدودة تكفيه كي ينام. وبمرور الأيام، تجد ناسون أنها بشكل ما تفرز فضة أكثر. هذا التبدل يسرها، فهكذا صارت تقدر على تخفيف ألمه أكثر من دون أن تجهد نفسها. أمست كل مرة ترى فيها شافا غارقًا في نوم آمن عميق، تشعر بالفخر والرضا. إنها عازمة على أن تكون لشافا ابنة أفضل مما كانت لجيجا. كل شيء سيكون أفضل حالًا، حتى النهاية.

يحكي شافا الحكايات في بعض الأمسيات بينما يطهي العشاء. في تلك الحكايات تبدو يومينس الماضي مكانًا ساحرًا، وغريبًا في الوقت

نفسه غرابة قاع البحر (ودائمًا هي يومينس الماضي، أما يومينس الحاضر فقد ضاعت منه مع ذكرياته عن شافا القديم). لكن حتى مجرد فكرة يومينس يشقّ على ناسون استيعابها: ملايين الناس، ليس من بينهم مزارع ولا عامل مناجم ولا أي شيء يشبه نطاق خبراتها، أكثرهم مهاويس بتقاليع غريبة وسياسات مريبة وترتيبات للطبقات والأعراق أعقد بكثير مما تعرفه. ثمة قياديون، لكن ثمة أيضًا نخبة العائلات اليومينسية القيادية. ثمة أشداء لهم نقابة، وأشداء من دونها، يتباينون في علاقاتهم وأمانهم المادي. ثمة مبتكرون من عائلات مبتكرين عريقة، تتنافس على الدراسة في الجامعة السابعة، ومبتكرون أقصى ما يفعلونه هو الصيانة البسيطة في الأحياء الفقيرة. وأدركت أن الكثير من غرابة يومينس ترجع ببساطة إلى أنها دامت طويلًا جدًا. فقد كان بها عائلات قديمة، وبمكتباتها كتب أقدم من تيريمو نفسها، وجماعات تتذكر أحداثًا وتنتقم من أمور حدثت قبل ثلاثة أو أربعة مواسم.

يتحدث شافا أيضًا عن المرتكز، لكن ليس كثيرًا، ففي ذاكرته فجوة كبيرة، عميقة بلا قرار مثل مسلة، غير أن ناسون لا تقدر على مقاومة استكشاف حدودها. ففي النهاية، ورغم كل شيء، كانت أمها تعيش في تلك الفجوة ذات يوم، وهذا يبهرها. إن شافا يتذكر إيسون لكن من بعيد، وحتى حينما تحاول ناسون استجماع شجاعته وتلقي سؤالًا مباشرًا عن تلك المسألة، يحاول إجابتها، لكن حديثه يعلق ويتقطع، ومحياه يتلوى بالوجع والاضطراب، ويشحب أكثر من المعتاد. لهذا تجبر نفسها على طرح هذه الأسئلة ببطء، يفرق بينها الساعات والأيام، كي

تمنحه وقتًا للتعافي فيما بينها. لا تتعلم من إجاباته إلا ما يزيد قليلًا عمًا ختمته بالفعل عن أمها والمرتكز وحياتها قبل الموسم، غير أن سماع ما لديه يساعدها مع ذلك.

وبين الذكريات والتلصص الحذر حول مسببات الألم، يمضي الطريق.

تسوء الظروف في أنتاركتيكا أكثر يومًا بعد يوم. لم يعد هطول الرماد متقطعًا، والمشهد يتحول إلى لوحة ثابتة من التلال والتتواءات والنباتات المحتضرة، منقوشة بالرمادي والأبيض. تبدأ ناسون تفتقد رؤية الشمس. يسمعان ذات ليلة عويل ما يبدو أنه قطع متجول من الكيركوزات يصطاد، لكنه لحسن الحظ بعيد. ذات يوم يمران ببركة أمسى سطحها مرآة رمادية من الرماد الطافي، والمياه تحته ساكنة سكونًا مريبًا، مع أنها يغذيها على ما يفترض جدول سريع. رغم قرب نفاد مخزونهما من المياه، تنظر ناسون إلى شافا، فيومئ لها في صمت. ليس بالبركة خطورة ظاهرة، لكن... النجاة في المواسم تتطلب حدسًا صائبًا قدر ما تتطلب أدوات سليمة. يتجنبان المياه الراكدة، ويظلان على قيد الحياة.

في مساء اليوم التاسع والعشرين، يبلغان مكانًا ينخفض فيه الطريق الإمبراطوري فجأة وينحرف جنوبًا. تسسبن ناسون أن الطريق يحاذي شيئًا تشعر وكأنه حافة حفرة بركانية. لقد تجاوزوا سلسلة التلال التي تحيط بهذه المنطقة المستديرة المسطحة على نحو غير معتاد، والطريق الآن يقطع منطقة تلال في قوس حول منطقة انفجار قديم، ثم يستأنف المسير

غربًا على الناحية الأخرى. وفي منتصف الطريق، تقف ناسون أخيرًا وتأمل مشهدًا مذهلاً.

فم العجوز هو بركان سومياني؛ أي حفرة بركانية داخل حفرة بركانية. وهذا بالذات غير عادي لأنه ذو تشكيل مثالي. بحسب قراءات ناسون، فعادةً ما تكون الحافة الخارجية القديمة متضررة إثر الثورة التي شكلت الحفرة الداخلية الأجد. لكن في تلك الحالة، الحفرة الخارجية دائرة سليمة شبه مثالية، وإن كانت تأكلت بشدة بفعل الزمن ونمو الغابات؛ لا تستطيع ناسون أن ترى ذلك تحت كل تلك الأشجار، لكنها تسببه بوضوح. أما الحفرة الداخلية فمستطيلة قليلًا، وتوهج بشدة من مسافة حتى إن ناسون خمنت ما حدث دون حاجة إلى سببته. لا بد أن الثورة كانت شديدة السخونة في لحظة ما، حتى أن التكوين الجيولوجي برمته كاد ينمحي بالكامل. لم يبقَ إلا زجاج بركاني، صلب بما يكفي لمقاومة قرون من التآكل. أما البركان الذي خلق هذا التكوين السومياتي فقد مات، قاعة اللحم فيه فرغت بالكامل ولم يبقَ منها شيء. لكن ذات يوم، كان ثقب الرجل العجوز مشهدًا مذهلاً ومروعًا لثقب يمرّ عبر قشرة العالم.

واتباعًا لتعليمات فولاذي، خيمًا في هذه الليلة على بعد ميل أو اثنين من الحفرة. قبيل الفجر بساعات قليلة تستيقظ ناسون على صوت صرير بعيد، لكن شافا يطمئنهما. يقول برفق فوق صوت تشقق النيران: «لقد سمعت مثل هذا من قبل». يصرّ على تولي المراقبة الآن، فقد تولت ناسون النوبة السابقة. «هذا شيء في غابة المنطقة، ولا أظنه متجهًا نحونا».

تصدقه، لكن لا ينام أيهما في تلك الليلة.

في الصباح، ينهضان قبل الشروق ويتجهزان للطريق. ومع نور الصباح المبكر، تحديق ناسون إلى الحفرة البركانية المزدوجة المصمتة على نحو خادع. لكن عن قرب تسهل رؤية الشقوق التي تتخلل الحفرة الداخلية على مسافات منتظمة، أي أن أحدهم أراد إتاحة دخولها للناس. أما أرضية الحفرة الداخلية فمغطاة بالكامل بغابة أشجار متموجة خضراء تميل إلى الصفار، يبدو أنها خنقت نمو أي شكل نباتي آخر في المنطقة. لا تسسبن حتى أي أثر لأي حيوانات صغيرة فيها.

أما المفاجأة الحقيقية، فهي ما تحت فم العجوز.

تقول: «الأطلال القديمة التي قال عنها فولاذي، تحت الأرض».

يرميها شافا بنظرة متفاجئة، لكنه لا يعترض. «في قاعة الحمم؟».

«ربما!». حتى هي لا تصدق هذا، لكن الفضة لا تكذب. تلاحظ

شيئاً غريباً آخر وهي تمدّ وعيها السسوني بالمنطقة أكثر؛ الفضة تعكس الاهتزازات الطبوغرافية والغابة هنا مثلما تفعل في كل مكان، لكن الفضة هنا أكثر توهجاً بشكل ما، ويبدو أنها تتدفق بسهولة أكثر بين نبات وآخر وصخرة وأخرى. وتمتزج هذه التدفقات فتصبح جداول أكثر ضخامة وتوهجاً، حتى تصبح الأطلال القديمة في قلب حوض نور متلألئ مضطرم. لا تقدر على تمييز التفاصيل، فهي كثيرة، تميز فقط فضاءً خاوياً، وانطباعات للمباني. هذه الأطلال شديدة الضخامة، مثل مدينة، وليست مثل أي مدينة سسبنتها ناسون من قبل قط.

لكنها سبق وسسبنت مثل تدفق الفضة الهائل هذا. لم تستطع منع نفسها من الالتفات إلى الياقوتية الزرقاء، التي تبدو شاحبة على بعد أميال خلفها. لقد سبقاها، لكنها لا تزال تتبعها.

يقول شافا: «نعم». لقد كان يراقبها، ولم يفته شيء من ربطها للتفاصيل بعضها ببعض. «أنا لا أذكر هذه المدينة، لكنني أتذكر مدناً أخرى مثلها. لقد صُنعت المسلات في أماكن مشابهة».

تهزّ رأسها، تحاول استيعاب كل ما يقول. «ما الذي حدث لهذه المدينة؟ لا بد أنها كانت تعجّ بالناس في وقت ما».

«الانشقاق».

فتشهق. سبق أن سمعت عن موسم الانشقاق بالطبع، وأمنت به مثلما يؤمن الأطفال بكل الحكايات. تتذكر رؤية تمثيل أحد الفنانين لهذا الحدث في أحد كتب مدرستها: الصخور تنهمر من السماء ويلتمع فيها البرق، والنار تثور من الأرض، وأشكال صغيرة تمثل أشخاصاً يحاولون الهرب من الهلاك. «أهذا ما كان إذن؟ بركان كبير؟».

«هكذا كان الانشقاق هنا»، ويشير إلى الغابة المتوجة حوله، «ولم يكن هكذا في باقي الأماكن. كان مئة موسم مختلف يا ناسون في شتى أرجاء العالم، تضرب كلها في نفس الوقت. إن حقيقة أن بعض البشر قد نجوا من كل هذا لأعجوبة».

إن الطريقة التي يتكلم بها... يبدو هذا مستحيلاً، لكن ناسون تعضّ شفها. «هل كنت... أتذكره؟».

ينظر إليها مندهشاً، ثم يبتسم ابتسامة نصفها تهكم ونصفها إنهاك.

«لا. أظن... أظن أنني ولدت بعده بقليل، لكنني لا أملك دليلاً على ذلك. لكن حتى لو كنت أستطيع تذكر الانشقاق، فأنا متأكد أنني لن أرغب في هذا»، يتنهد، ثم يهزّ رأسه، «لقد أشرقت الشمس، لندع الماضي لحاله ونتولى المستقبل». ناسّون تومى، ويخرجان من الطريق نحو الأشجار.

وهي أشجار غريبة، أوراقها طويلة رفيعة مثل شفرات العشب الطويلة، وجذوعها مرنة نحيلة قريبة من بعضها، حد أن المسافة بين الواحدة والثانية لا تزيد على قدمين. أحياناً يضطر شافا إلى التوقف ودفع جذعي شجرتين أو ثلاث، كي يفسح مساحة يستطيعان الزحف عبرها. جعل هذا المضي صعباً، وبدأت ناسّون في لحظة ما تلهث من التعب. تتوقف، ويبدأ العرق يتساقط منها، لكن شافا يصبر على المتابعة. تقول: «شافا»، وتوشك أن تطلب استراحة.

يقول: «لا»، ويدفع شجرة أخرى بصوت زمجرة، «تذكري تحذير أكل الصخر يا صغيرة، علينا أن نبلغ المركز قبل الغروب. ومن الواضح أننا سوف نحتاج إلى كل لحظة نهار لهذا الهدف».

إنه محق. تزدرد لعابها، وتبدأ تنفس بعمق أكثر كي تستطيع متابعة المسير، وتستأنف دفع الأشجار معه.

مع الوقت يصبح لتعاونهما إيقاع. هي تجيد العثور على أسرع المسارات التي لا تتطلب الكثير من الدفع، وحينها يتبعها. لكن ما إن ينتهي المسار، هو من يدفع ويركل ويكسر الأشجار حتى يروق الطريق، وهي تتبعه. تستعيد أنفاسها خلال تلك الوقفات الوجيزة، لكنها ليست كافية. يبدأ جنبها يؤلمها، وتبدأ رؤيتها تتعسر، لأن أوراق الأشجار تشدّ

شعرها من كعكتيها المعقودتين، وتفكّ ثنايا الخصلات وتحررها فتدخل في عينيها وتعيق رؤيتها. بعد نحو الساعة ترغب في الراحة بشدة، في شرب الماء وتناول أي شيء. غير أن الغيوم فوقها تزداد قتامة، ويشقّ عليهما تمييز كم بقي من النهار.

تحاول ناسون أن تفكر كيف تستخدم الأوروچينية أو الفضة أو أي شيء لتنظيف الطريق، تقول: «أستطيع أن...».

يقول شافا وقد حدس ما تريد قوله بشكل ما: «لا». لقد أخرج خنجراً زجاجياً أسود من مكان ما، ليس بالنصل المناسب لمثل هذا الموقف، لكنه يجعله مناسباً من خلال طعن كل جذوع الأشجار قبل أن يركلها، وبذلك يجعل كسرهما أسهل. «تثليج هذه النباتات سيجعل المرور عبرها أصعب، وأي هزة قد تجعل قاعة الحمام الخاوية أسفلنا تنهار».

«إذن بالفضة، ثم...».

«لا». يتوقف للحظة ويثبت نظره عليها. تنفسه لم يتغير، لكنها تلاحظ بغم شديد لمعة عرق خفيفة على جبهته. إن شظية الحديد في داخله تعاقبه، لكنها لا تزال تمنحه القوة، على مضض. «قد يكون هناك أوصياء آخرون قريبون. هذا غير مرجح لكنه يظل احتمالاً».

لا تملك ناسون إلا أن تلجأ إلى سؤال آخر، فهذه الوقفة المؤقتة تمنحها وقتاً لالتقاط أنفاسها. «أوصياء آخرون؟». ثم تتذكر قوله إنهم يذهبون جميعاً إلى مكان ما خلال الموسم، وأن هذه المحطة التي أخبرهم عنها فولاذي تُعدّ من طرق الترحال. «هل تتذكر شيئاً ما؟».

«لا للأسف»، يتسم قليلاً، وكأنه يعلم حقيقة ما تفعله، «سوى أننا نذهب إلى هناك بهذه الطريقة».

«تذهبون إلى أين؟».

تبهت ابتسامته، ويعود تعبيره إلى الخواء المألوف المربك لوهلة عابرة. «إلى واران».

تذكر عندها أن اسمه الكامل هو «شافا وصي واران». لم يخطر ببالها قط أن تتساءل عن كومونة واران هذه. لكن ما معنى أن الطريق إلى واران يكون عبر مدينة ميتة؟ «لـ... لماذا...».

يهز رأسه ويقسو تعبيره. «توقفي عن المماطلة، لن تنتظر كل الكائنات المفترسة الليلية حلول الليل مع هذا الضوء الخافت». ينظر إلى أعلى بنظرة متوسطة الانزعاج، وكأن هذا لا يهدد حياتيهما.

لا جدوى من التذمر من أنها على وشك الانهيار. إن هذا وقت موسم، من ينهار، يموت. هكذا ترغم نفسها على المرور من الفتحة التي شقها، وتبدأ تبحث مجدداً عن أفضل المسارات.

في النهاية يصلان إلى وجهتهما، وهذا جيد، وإلا كانت هذه حكاية مفادها أن تعرفي أن ابنتك ماتت، فتدعي عالمك يذبل في خضم أحزانك. تبدأ آخر بقعة أشجار عشبية كثيفة تخفّ، وتكشف عن مسار مشذب بعناية يقود إلى داخل الحفرة الداخلية. حوائط هذا الممر تلوح عالية، مع أنها لم تبدُ طويلة إلى هذا الحد من بعيد، والمسار نفسه عريض كفاية لمرور عربتي أحصنة متجاورتين بلا تزاحم. تغطي الحوائط طحالب لزجة وعناقيد متسلقة خشبية من نوع ما، والأخيرة لحسن

الحظ ميتة، وإلا تشابكت وعطلت طريقهم أكثر. يدهسان العناقيد الميتة ويسرعان في طريقهما، إلى أن يوصلهما المر على حين غرة إلى شريحة دائرية واسعة، من مادة بيضاء ناصعة ليست بالمعدنية ولا الحجرية، تسدّ طريقهما. سبق أن رأت ناسّون مثل هذه من قبل، عند أطلال حضارة ميتة أخرى. كانت هذه الأشياء تتوهج قليلاً في الليل. أما هذه الشريحة فتملأ الفراغ بالكامل داخل الحفرة الداخلية.

لقد أخبرهم فولاذي أن الأطلال هنا، في المركز، لكن كل ما تراه ناسّون أمامهما هو بروز أنيق منبعج من المعدن، يبدو أنه يخرج مباشرة من المادة البيضاء. تتوتر وتقف في مكانها، مثلما يخشى الناجون من الظروف القاسية من كل جديد. بيد أن شافا يمشي إلى هذا الشيء بلا تردد، ويقف جواره، ثم يرتسم على وجهه تعبير غريب للحظة، تخمن ناسّون أنه نتيجة الصراع اللحظي بين ما اعتاد جسده على فعله وما لا يستطيع عقله تذكره... ثم يضع يده على الطرف الدائري للبروز المعدني. تظهر بغتة من العدم أشكال وخطوط مسطحة من الضوء على الشريحة حوله. ناسّون تشهق، لكن هذه الأضواء لا تفعل شيئاً سوى التقدم والتوهج واحداً وراء آخر، وتمتد حتى يتكون شكل شبه مستطيل متوهج على الشريحة تحت قدمي شافا. تتردد همهمة لا تكاد تُسمع، تجعل ناسّون ترتجف وتنظر حولها بخوف، لكن بعد لحظة، تتلاشى المادة البيضاء من أمام شافا. لا تنزلق جانباً أو تفتح مثل باب، وإنما تذهب ببساطة. ثم تدرك ناسّون أن هذا بالتأكيد باب. يغمغم شافا: «ها قد وصلنا»، ويبدو وكأنه هو نفسه متفاجئ.

خلف هذا المدخل نفق، ينحدر تدريجياً داخل الأرض ويختفي عن الأنظار. ألواح مستطيلة صغيرة تتوهج على الناحيتين وتضيء درجات السلم النازل أمامهما. يعيد إدراكها ترتيب نفسه وهي تتحرك لتقف إلى جوار شافا، فترى الآن أن البروز المعدني في الواقع درابزين، شيء لتمسك به وأنت تنزل إلى أسفل، إلى العمق.

وفي الناحية البعيدة من الغابة العشبية التي قطعها فوراً، تدوي صيحة حادة تميز ناسون فوراً طبيعتها الحيوانية، أو لعلها أقرب إلى الحشرات. نسخة أقرب وأعلى من التي سمعتها في الليلة المنقضية. تجفل ناسون وتنظر إلى شافا.

يقول: «لعله جراد من نوع ما»، ويضيق فكه وهو ينظر نحو الممر الذي قطعاه، لا شيء يتحرك هناك... حتى الآن. «ادخلي، فوراً. لقد رأيت ميكانيزمات مشابهة من قبل، ينبغي أن ينغلق خلفنا فور عبورنا». يشير إليها كي تدخل أولاً، كي يستطيع حمايتها من الخلف. تأخذ ناسون نفساً عميقاً وتذكر نفسها أن هذا ضروري كي تمنع الأذى من العالم. تبدأ تنزل أولى الدرجات. تتوهج أنوار خمس أو ست درجات أمامها كلما تقدمت أكثر، وتنطفئ ثلاثة خلفها. وما إن ينزلا بضع درجات، كما توقع شافا، حتى تعود المادة البيضاء التي كانت تخفي المدخل مرة أخرى، وتقطع الطريق أمام أصوات الغابة.

ثم لم يعد شيء سوى الأضواء، والدرجات، والمدينة المنسية في مكان ما بالأسفل.

٢٦٩٩: تم استدعاء اثنين من معاطف المرتكز السود إلى كومونة ديننا (ربع أوهر، الساحل الغربي، بالقرب من فخاخ كياش) حينما أبدى بركان إمهر علامات ثورة محتملة. أخبر المعطفان المسؤولين في الكومونة أن الثورة وشيكة، وأنها ستثير على الأرجح مجمع براكين كياش كلها، بما في ذلك بركان الجنون (وهو الاسم الشعبي للبركان الخارق الذي أثار موسم الجنون. بركان إمهر يستقر فوق نفس البقعة الساخنة). حتى بعدما أدركا أن إمهر يفوق قدرتيهما على الإخماد، قام الأوروبيون -أحدهما ذو ثلاثة خواتم، والآخر ذو سبعة، وإن كان لا يرتدي خواتمه لسبب ما- بمحاولة إخماده على أي حال، فلم يكن هناك وقت كافٍ لاستدعاء أوروبيي إمباطوري عالي المستوى وانتظاره. نجحنا في إبطاء الثورة إلى حد يسمح بوقت يكفي لمجيء أوروبيي إمباطوري كبير ذي تسعة خواتم، تمكن من إخماده بالكامل (ووجدنا الثلاثة وذا السبعة متشابكي الأيدي، متفحمين، ومتجمدين).

بيتر مبتكر ديبارس - سجلات المشروع.

سيل أناجيست: ٣

مذهل كيف يصبح تذكر الأمور أيسر عند حكيها... أو لعلني ما زلت إنساناً رغم كل شيء.

في البدء، لم تزد رحلتنا الميدانية عن التجول في المدينة. لقد قضينا أعوامنا القليلة المنصرمة منذ صُبننا، منغمسين بالكامل في حاسة السسونا؛ أي الإحساس بالطاقة بكل أشكالها. التمشية في الخارج ترغمنا على الانتباه إلى حواسنا الأخرى، الأقل شأنًا، وهذا في البداية يثقل علينا. نتوتر من مرونة الأرضفة المصنوعة من الألياف المضغوطة تحت ضغط أحذيتنا، مختلفة تمامًا عن الأرضيات الخشبية الصلبة في مهاجعنا. نعطس حينما نتنفس الهواء المعبق بالروائح النباتية والمنتجات الكيميائية وزفير آلاف الأنفاس. أول عطسة تفزع دوشواه حتى يدمع. نضع أيادينا على آذاننا في محاولة فاشلة لحجب أصوات الحديث وأزيز الحوائط وحفيف الأوراق وعويل الماكينات حولنا. نحاول بيمينواه أن تغطي على كل ذلك بالصراخ، وتضطر كلنلي إلى التوقف كي تهدئها، ثم

تعود إلى الحديث بنبرة عادية مجددًا. وأنا أنحني وأقفز خوفًا من الطيور التي تجلس في شجيرة قريبة منا، مع أني أكثرنا هدوءًا.

ما يهدئ من روعنا في النهاية، هو أننا نحظى أخيرًا بفرصة التطلع إلى الشذرة البلوتونية الجمشتية بكامل بهائها. إنها شيء بديع، تنبض بتدفق السحر البطيء وهي تنتصب في مركز المدينة. إن كل مدينة سيل أناجيستية مهيئة تهيئة فريدة لتلائم الطقس المحلي. سمعنا عن مدن في الصحراء، مبانيها من صبارات عملاقة صلبة، ومدن في المحيط مبنية من كائنات مرجانية مهندسة على نحو يجعلها تنمو وتموت حسب الطلب (إن الحياة مقدسة في سيل أناجيست، لكن الموت ضرورة أحيانًا). أما مدينتنا - أي مدينة الجمشتية - فكانت ذات يوم غابة قديمة، لذا لا أستطيع ألا أفكر أن شيئًا من جلال الأشجار القديمة متجسد في هذه الكريستالة العظيمة. هذا بالتأكيد يجعلها أعظم وأقوى من بقية شذرات الآلة! إن هذا الشعور غير عقلاني بالمرة، لكنني أنظر إلى وجوه رفاقي المدوزنين ونحن نتأمل الشذرة الجمشتية، وأرى في وجوههم الحب نفسه.

(لقد سمعنا القصص عن كيف كان العالم مختلفًا في الماضي البعيد. لم تكن المدن ذات يوم ميتة فقط في ذاتها، غابات من الحديد والحجارة لا تنمو ولا تتبدل، وإنما كانت أيضًا مميتة؛ تسمم التربة وتجعل المياه غير قابلة للشرب، بل وحتى تسبب تبدل المناخ بمجرد وجودها. إن سيل أناجيست أفضل، لكننا لا نشعر بشيء حينما نفكر في المدينة ذاتها، فهي لا تعني لنا شيئًا، ليست أكثر من مبانٍ تعجّ بأناس لا نستطيع فهمهم بحق

أبدًا، يفعلون أمورًا يفترض أن تهمنا، لكن هذا لا يحدث. أما الشذرات، فنسمع أصواتها، ونغني أغنيتها السحرية. إن الجمشتية جزء منا، نحن وهي واحد).

بعدما نتأمل في الجمشتية حتى نهدأ بما يكفي، تقول لنا كلنلي: «سوف أريكم ثلاثة أشياء في هذه الرحلة، وكلها أشياء وافق عليها الميسرون، لو أن هذا ما يهكم»، وتبدي أنها ترمق رمواه وهي تقول هذا، لما كان الوحيد الذي أبدى اعتراضًا على اضطراره إلى الخروج في هذه الرحلة. يصدر رمواه تنهيدة ضجرة. كلاهما ممثلان بارعان، أمام حراسنا المراقبين.

ثم تقودنا كلنلي إلى الأمام مجددًا. كم يبدو التباين جليًا بين سلوكها وسلوكنا، فهي تمشي بسهولة ورأسها مرفوع، تتجاهل كل ما لا يهم، تشع الثقة بالنفس والهدوء إشعاعًا. أما نحن فخلفها، نهول بارتباك وتردد وخرق، يشتنا كل شيء. يحدق إلينا الناس، لكني لا أظن استغرابهم يرجع إلى بياضنا الشديد، وإنما لأننا نبذو حمقى.

لطالما كنت ذا كبرياء، لذا سخريتهم تؤلني. أحاول أن أعتدل وأمشي مثل كلنلي، حتى لو كان هذا يعني تجاهل كل هذه العجائب والمخاطر المحتملة حولي. تلاحظ جيواه ذلك أيضًا، فتحاول بدورها محاكاتها. يلاحظ رمواه ما نفعل فيبدو منزعجًا، ويرسل تمويجة صغيرة عبر الأثير تقول: لن نكون أبدًا في أعينهم سوى غرباء.

أجيبه بنبضة ترددية غاضبة: هذا ليس لأجلهم.

يتنهد، ويبدأ يحاكينا بدوره. ويتبعه الآخرون.

نذهب إلى أبعد أرباع المدينة جنوبًا، حيث يعبق الهواء بروائح الكبريت. توضح لنا كلنلي أن الرائحة ناجمة عن محطات استصلاح المخلفات، والتي تزداد كثافة هنا حيث تجلب المجاري مياه المدينة الرمادية بالقرب من السطح. تنظف هذه المحطات المياه من جديد، وتنشر طبقة سميكة صحية من النباتات على الشوارع لتبريدها، كما يفترض تصميمها أن يحدث. بيد أن حتى أفضل المهندسين الجينيين لم يستطيعوا أن يجعلوا النباتات التي تعيش على المخلفات تفرز روائح لا تشبه ما يتغذون عليه.

رمواه يسأل كلنلي: «أكان قصدك أن ترينا بنية النفايات التحتية؟ هكذا يكون السياق وإلا فلا».

كلنلي تزفر: «ليس بالضبط».

تنحرف عند زاوية الطريق، وهناك نجد أمامنا مبنى ميتا. نتوقف جميعًا ونحدق إليه. يتسلق اللبلاب الجدران المصنوعة من طين أحمر مضغوط في قرميد، ومرصوف حول أعمدة من الرخام. غير أن لا شيء سوى اللبلاب في المبنى ينبض بالحياة. إنه مبنى قصير يشبه صندوقًا مستطيلًا. لا ننسب أي ضغط هيدروستاتيكي يدعم حوائطه، كل ما يبقيه واقفا منتصبًا هو توازن القوى والروابط الكيميائية. والنوافذ ليست أكثر من زجاج ومعدن، ولا أرى عليها أي خلايا لاسعة. كيف يأمن من ورائها على أنفسهم؟ والأبواب من خشب ميت، بني غامق، منحوت بزخارف لبلاّب عاجية، جميلة على نحو مدهش. الدرجات مصنوعة من خليط رملي أبيض باهت (كانوا يسمونه قبل قرون خرسانة). كل

هذا يبدو قديماً هشاً، لكنه مع ذلك سليم ويؤدي وظيفته، ما يجعله فريداً من نوعه.

تقول بيمينواه وهي تلوي شفتها العليا قليلاً: «إنه... شديد الانتظام». تقول كلنلي: «نعم». كانت قد توقفت أمام المبنى لتتركنا نستوعبه. «لكن الناس ذات يوم، كانوا يعدّون مثل هذه المباني جميلة. هيا بنا». وتتجه إلى الأمام.

يحدق إليها رمواه. «إلى أين؟ إلى الداخل؟ أهذا الشيء متوازن بنيوياً؟».

«نعم، ونحن إليه داخلون». تتوقف وتلتفت نحوه، مندهشة، ربما من إدراكها أن بعض مقاومته لم تكن تمثيلاً بالكامل. أشعر بها تربت عليه من خلال البيئة المحيطة، تطمئنه. إن رمواه يصبح وغداً أكثر عندما يخاف أو يغضب، لذا لمستها تساعده. تبدأ أعصابه الثائرة ترتخي. لكنها لا تزال يتوجب عليها لعب اللعبة أمام المشاهدين: «لكن بوسعك أن تظل في الخارج لو أردت».

وترمق الحارسين، الرجل والمرأة البنّين القريبين منها. لا يبقى هذان بعيدين عن مجموعتنا، على عكس غيرهما من الحراس الذين ألمحهم من حين إلى آخر يطوفون بالقرب منا.

ترمقها الحارسة بنظرة موبخة: «تعرفين أن هذا لا يصح».

تهزّ كلنلي كتفها: «مجرد فكرة»، وتشير برأسها نحو المبنى، وتنقل حديثها لرمواه: «يبدو أنك في الواقع مضطر. لكنني أعدك ألا ينهار فوق رأسك».

نتحرك كي نتبعها. رمواه يمشي بثقل، لكنه في النهاية ينضم إلينا. ترسم لافتة هولوغرافية نفسها أمامنا ونحن نعبّر العتبة. إننا لم نتعلم القراءة، غير أن حروف هذه اللافتة تبدو غريبة في جميع الأحوال. لكن حينها يتردد صوت مدوّ عبر نظام صوتي مثبت في المبنى: «مرحبًا بكم في قصة الانهيار». ليست لديّ أدنى فكرة عمّا قد يعنيه ذلك. يعبق المبنى برائحة... خاطئة، جافة ومغبرة، والهواء راكد بلا حيوية، وكأن لا شيء يأخذ منه ثاني أكسيد الكربون. نرى أشخاصًا آخرين، مجتمعين في بهو المبنى الكبير المفتوح، أو يصعدون على السلّمين المتناظرين الملتفين، ويتأملون بإعجاب الألواح الخشبية المزخرفة التي تزين كل سلّم. لا ينظرون إلينا، يشتهم عنا المكان الأغرب منا.

لكن حينها، يقول رمواه: «ما هذا؟».

اضطرابه، الذي ينتشر عبر شبكتنا، يجعلنا جميعًا ننظر إليه. يقف متجهًا، يميل رأسه من ناحية إلى أخرى.

أبدأ أسأله: «ماذا تـ...»، لكنني أسمع ما يقصده، أم لعلّي أسسبته؟ تقول كلنلي: «دعني أريكم».

تقودنا إلى عمق المبنى الصندوقي، ونمشي أمام نوافذ عرض تعرض أجزاءً محفوظة من أشياء غير مفهومة، لكنها قديمة بوضوح. أميز منها كتابًا، ولفافة أسلاك، وتمثالًا لرأس شخص. وتوجد بطاقات تعريفية أمام كل شيء تشرح، كما أظن، أهميته. لكنني لا تفسير يكفي لجعل أي من هذا منطقيًا.

ثم تقودنا إلى شرفة عريضة ذات حاجز خشبي مزخرف على طراز

قديم (وهذا بالذات مرعب جدًا. كيف يعتمد أماننا على حاجر مصنوع من شجرة ميتة، غير متصل بشبكة إنذار المدينة أو أي شيء آخر؟ لماذا لم يزرعوا عنقودًا نباتيًا ما يلتقطنا لو وقعنا مثلًا؟ لقد كانت هذه الأزمنة القديمة مرعبة)، ومنها نشرف على حجرة ضخمة مفتوحة، نرى فيها شيئًا ينتمي إلى هذا المكان الميت، قدر ما ننتمي نحن إليه، أي لا ينتمي إليه إطلاقًا.

أول ما فكرت فيه أن هذا محرك بلوتوني آخر، محرك كامل وليس مجرد شذرة من آلة أكبر. إذ توجد كريستالة مركزية عالية مهيمنة، داخل المقبس الذي تنمو فيه. بل إن هذا المحرك نشيط، جزء كبير من هيكله يخلق فوق الأرض بعدة أقدام ويصدر طنينًا خافتًا. لكن هذا الجزء الوحيد منه الذي أستطيع فهمه. حول الكريستالة المركزية تطفو أشياء طويلة محنية نحو الداخل، التصميم برمته زهري على نحو ما، مثل زهرة أقحوان أنيقة. تتوهج الكريستالة المركزية بوهج ذهبي باهت، وتدرج الكريستالات الداعمة من قواعد خضراء وحتى أطراف بيضاء. جميل، لكنه أيضًا غريب تمامًا.

ومع ذلك، عندما أنظر إلى هذا المحرك بما يتجاوز عيني، وألمسه بأطراف أعصابي المتناغمة مع اهتزازات الأرض، أشهق. يا شر الموت! إن شبكات السحر التي بينها هذا الشيء مذهلة! عشرات الخطوط الفضية الرفيعة كما الخيوط يدعم أحدها الآخر، وتتدفق عبرها طاقة من كل طيف ونوع، وتترابط وتتغير حالاتها في مشهد يبدو فوضويًا، لكنه مع ذلك نظام محكوم. وتنبض الكريستالة المركزية من وقت إلى

آخر وتتبدل بين حالة وأخرى، وأنا أراقب. إن هذا المحرك صغير جدًا. لم أرَ من قبل محركًا بهذا البنيان المحكم. حتى المحرك البلوتوني ليس قويًا أو دقيقًا قياسًا بحجمه. لو كان قد بُني بكفاءة هذا المحرك الصغير، ما احتاج الميسرون أبدًا إلى صنعنا لضبطه.

ومع ذلك، لا معنى له. فهذا المحرك الصغير لا يغذيه سحر كافٍ لإنتاج كل هذه الطاقة التي أميزها هنا. وأهز رأسي. لكنني الآن أسمع ما سمعه رمواه: رنين ناعم مستمر، ذو نغمات متعددة، متداخلة، مؤثرة، تجعل شعيرات مؤخرة رقبتني تنتصب... أنظر إلى رمواه، ويومئ إليّ، تعبير وجهه مشدود.

إن هذا السحر بلا أي غرض واضح سوى أن يبدو جميلًا، وبشكل ما -أرتجف عندما أفهم غريزيًا، لكنني أقاوم هذا الفهم لأنه يناقض كل ما تعلمته من قوانين الفيزياء والسحر معًا- ينتج طاقة أكثر مما يستهلك.

أنظر إلى كلنلي، التي تراقبني، متجهمة. أقول: «هذا لا يجب أن يكون موجودًا». مجرد كلمات. لا أعرف كيف أعبر عمّا أشعر به بغير ذلك. صدمة؟ عدم تصديق؟ خوف لسبب ما؟ قال لنا الميسرون إن المحرك البلوتوني هو أعظم إنتاج جيوميستي صُنع على الإطلاق. ولم يتوقفوا عن تكرار ذلك على مسامعنا لأعوام منذ صُبيننا... ومع ذلك، فهذا المحرك الصغير العجيب، المرمي في متحف شبه منسي، أكثر تقدمًا منه. ويبدو أنه صُنع فقط بغرض استعراض جماله.

لماذا يخيفني هذا الإدراك؟

تقول كلنلي: «لكنه موجود بالفعل». تستند إلى الحاجز، وتبدو مستمتعة بتكاسل... لكنني أسسبنها من خلال التناغم الرائق المتلألئ للمحرك المعروض أمامنا، أسسبنها تنبض في البيئة المحيطة.

تقول من دون كلام: فكروا. وتراقبني أنا تحديدًا، أنا مفكرها.

أنظر إلى الآخرين حولي، وألاحظ خلال ذلك حارسي كلنلي مرة أخرى. لقد اتخذنا موقعيهما على طرفي الشرفة، كي يتمكننا من مراقبة الممر الذي جئنا منه، ومن مراقبة الغرفة المعروضة أيضًا، ويبدو عليهما الضجر. لقد جاءت بنا كلنلي إلى هنا، جعلت المُسَّرين يوافقون على مجيئنا هنا، تريد منا أن نرى شيئًا لا يراه الحارسان. ما هو؟

أتقدم، وأضع يدي على الحاجز، وأأمل ذلك الشيء وكأن هذا قد يساعدي. ماذا يجب أن أفهم؟ إن بنيته الأساسية هي نفس بنية المحركات البلوتونية الأخرى، لكن غرضه يختلف... لا، لا، هذا تقييم بسيط جدًا، وظيفي. الشيء المختلف هنا... فلسفي، موقفي. المحرك البلوتوني أداة، أما هذا الشيء... فن؟

ثم أفهم. هذا ليس صنيعة سيل أناجيسيتية.

أنظر إلى كلنلي. يجب أن أجيها بالكلام، لكن ليس بكلام يمكن للحراس الذين يسمعوننا أن يخمنوا منه أي شيء. «من؟».

تبتسم، ويوخزني جسدي كله بتدفق شيء لا أستطيع تسميته. أنا المفكر، وهي تسعد بهذا، وبسعادتها أسعد أكثر مما سعدت في أي وقت مضى.

تقول: «أنتم»، ولا تزيدني إلا حيرة. ثم ترد عن الحاجز. «أريد أن أريكم أشياء أكثر، تعالوا».

كل شيء يتغير في الموسم.

اللوح الأول - «عن النجاة» - البيت الثاني

مكتبة

t.me/soramnqraa

أنت، تخططين لما هو قادم

ترحب إيكاً بتبني مشيش ورفاقه أكثر مما كنت تتوقعين. لا يسعدها أن مشيش مصاب بحالة متقدمة من الرئة الرمادية، مثلما أكد لِرنا بعدما اغتسلوا جميعاً وفحصهم فحصاً مبدئياً، ولا تحب حقيقة أن أربعة من رفاقه مصابون بمشاكل طبية خطيرة، تتراوح بين الناسور وانعدام الأسنان، وسيكونون جميعاً بين الحياة والموت خلال عملية إعادة التغذية. لكنها، ومثلما تخبركم جميعاً خلال اجتماعها الاستشاري المرتجل، جهراً كي يسمع كل من هو مستعد للسمع، مستعدة للتغاضي عن الكثير عندما يجلب الوافدون معهم مؤناً إضافية، ومعرفة بالمنطقة، وأوروجينية دقيقة قد تساعد على حماية مجموعتكم من الهجوم. وتضيف أن مشيش ليس مضطراً إلى العيش أبداً، يكفيها أن يحيا بما يكفي لمساعدة كومونتها.

ولا تضيف ليس مثل ألابستر، وهذا لطف منها، أو على الأقل أقل قسوة. يدهشك في الواقع أنها تحترم حزنك، ولعل هذه إشارة أنها بدأت تسامحك. من الجيد أن تعود لك صديقة مرة أخرى. بل أصدقاء.

هذا لا يكفي بطبيعة الحال. إن ناسون على قيد الحياة، وأنت بشكل ما تعافيت من غيبوبة ما بعد فتح بوابة المسلة، لذا تصبح معاناتك اليومية هي محاولة تذكر لماذا لم تذهبي خلفها. يساعدك أحيانًا أن تخوضي في أسباب بقائك؛ مثلًا من أجل مستقبل ناسون، أي لكي يصبح لديك مكان تأوينها فيه ما إن تجدينها. ولأنك لا تستطيعين إيجادها وحدك، هذا سبب ثانٍ. لكنك لا تستطيعين السماح لتونكي بالقدوم معك بعد الآن، مهما كانت ترحب بذلك، خاصة مع تضرر أوروجينيتك. رحلة العودة إلى الجنوب ستكون بمثابة حكم إعدام لكليكما. أما هوّا، فلن يستطيع مساعدتك على وضع ملابسك أو طهو طعامك، أو أي من تلك الأشياء التي تتطلب من الأيادي زوجين. والسبب الثالث، وأهم الأسباب على الإطلاق: أنت ما عدت تعلمين إلى أين تذهبين. لقد أكد لك هوّا أن ناسون تتحرك، تسافر منذ يوم فتح البوابة وحتى الآن. حتى حينما استيقظت من غيبوبتك كان الوقت قد تأخر على إيجادها.

لكن هناك أملًا. ذات يوم، قبل الفجر بقليل، وبعدها أنزل عنك هوّا حمل نديك المتحجر، قال برفق: «أظني أعرف وجهتها، ولو أنني محق، فهي ستوقف عمّا قريب»، يبدو مترددًا. لا، ليس مترددًا، وإنما مضطربًا.

تجلسين على نتوء صخري بعيد عن المخيم، تتعافين من هذا الـ... استئصال. لم تكن عملية غير مريحة لك قدر ما حسبتها ستكون. كشفت عمّا تحجر منك، ووضع يده عليه، فانفصل عن جسدك ووقع في راحة يده بنظافة. سألته لم لم يفعل هذا مع ذراعك، فقال: «أنا أفعل لك ما

يريحك أكثر»، ثم رفع الحجر نحو فمه. وقررت حينها التركيز على الفراغ المسطح الخشن قليلاً مكان الاستئصال. يؤلمك قليلاً، لكنك لست متأكدة إن كان هذا ألماً ناجماً عن العملية، أم ألماً نفسياً أكثر.

وبينما تنزلين قميصك -وتحشين الناحية الخاوية من حمالة صدرك بقميص خفيف- تنكزين التوتر الخفي الذي حزرته في صوت هواء: «أنت تعرف شيئاً».

لا يجيبك فوراً. تفكرين في تذكيره بأن بينكما شراكة، وأنت ملتزمة بإمساك القمر من أجل إنهاء المواسم التي لا تنتهي، وأنت تكثرين لأمره، وهذا يعني أن عليه ألا يستمر في إخفاء الأمور عنك بهذا الشكل، لكنه يقول في النهاية: «أظن ناسون تسعى إلى فتح بوابة المسلة بنفسها».

رد فعلك لحظي وحاد؛ خوف خالص. ربما ليس ما يجب أن شعري به. المنطق يقول إن طفلة في العاشرة لا يمكن أن تتمكن من عمل تمكنت أنت منه بالكاد. لكنك على نحو ما، ربما لأنك تتذكرين إحساسك بالطفلة الصغيرة تفور بالقوة الزرقاء، ولأنك فهمت في تلك اللحظة أنها على الأرجح استوعبت المسلات أكثر مما ستستوعبها أنت أبداً، ربما لهذا وذاك لا تجددين غضاضة في تصديق افتراض هواء الضمني، أن ابنتك الصغيرة أكبر مما حسبتها.

تندفعين: «لكن هذا سيقتلها».

«نعم، غالباً».

يا للأرض. «لكنك تستطيع تعقبها مرة أخرى؟ صحيح؟ بعدما فقدت أثرها في كاستريا».

«نعم، بما إنها الآن مرتبطة بمسلة».

مرة أخرى تستشعرين هذا التوتر الغريب في صوته. لماذا؟ ما الذي يضايقه؟ أوه، أوه! يا نار الأرض الصدي. يرتجف صوتك وأنت تفهمين: «ما يعني أن أي صخر يستطيع أن يستشعر وجودها الآن. أهذا ما تقوله؟». كاستريما تحدث من جديد، ياقوتية الشعر والرخامي بلون الزبد وبشعة الملابس، عسى ألا تري هذه الطفيليات مرة أخرى. قتل هوّا أكثرهم لحسن الحظ. «يهتم بنا بني جلدتك إذن حينما نبدأ نستخدم المسلات، أو حينما نوشك أن نقدر على ذلك، صحيح؟».

«صحيح»، يقولها بنعومة بلا نبرة، لكنك تعرفينه الآن جيدًا.

«يا نار الأرض. أحدكم بالفعل يلاحقها!».

لم تحسبي أن آكلي الصخر بوسعهم أن يتنهدوا، لكن الصوت الصادر عن صدر هوّا أقرب شيء إلى تنهيدة. «ذلك الذي تسمينه الرجل الرمادي».

يجتاحك البرد. لكن نعم، لقد أصاب تخمينك بالفعل. كم أوروچيني في العالم كان يستطيع أخيرًا الاتصال بالمسلات؟ ألابستر وأنت والآن ناسون؟ وربما أوتشي، لفترة وجيزة، ولعل كان هناك آكل صخر يتلكأ حول تيريمو حينها. لا شك أن هذا الصدي اللعين بشدة بعدما مات أوتشي على يد أبيه عوضًا عن التحجر.

يلتوي وجهك وتملأ المرارة فمك. «إنه يتلاعب بها»، كي تفتح المسلة وتحول نفسها إلى حجر، وحينها يمكنه أكلها. «هذا ما كان يحاول فعله في كاستريما، إجبار ألابستر أو إجباري، أو حتى إيكا، على فعل

أي شيء يفوق طاقتنا، فنحول أنفسنا إلى...»، تضعين يدك على البقايا الحجرية لصدرك.

«لطالما كان من بيننا من يستغلون اليأس والعجز ويحولونهم أسلحة». قال هذا بخفوت، وكأنها يخجله.

فجأة، يستعر غضبك من نفسك، ومن عجزك. ومع ذلك لا تمنعك معرفة أنك هدف غضبك الأساسي من توجيهه إليه. «يبدولي أن هذا ما تفعلونه جميعاً».

يتخذ هوّا وضعاً يتأمل الأفق الأحمر الخافت البعيد، تمثالاً يخلد ذكرى قديمة بملامح مستغرقة ترسمها الظلال. لا يلتفت، لكنك تسمعين الوجل في صوته. «أنا لم أكذب عليك».

«لكنك حجبت الحقيقة حتى صارت والكذب سيان». تفركين عينيك. كنت قد خلعت النظارة الواقية كي ترتدي القميص مرة أخرى، والآن أصابها الرماد. «لا ترد، ما عدت أريد أن أسمع كلمة أخرى الآن، أحتاج إلى الراحة»، تنهضين واقفة، «أعدني للمخيم». يمدّ يده فجأة نحوك. «ثمة شيء آخر يا إيّسون».

«قلت لك أن...».

«أرجوك، أنت تحتاجين أن تعرفي هذا». ينتظر حتى تكبتي ثورتك، ثم يقول: «جيجا ميت».

تتجمدين.

هنا أود أن أذكر نفسي لماذا أو اصل سر هذه الحكاية من منظورك لا من منظوري، لأنك، من الخارج، بارعة جدًا في إخفاء نفسك. وجهك صار خاويًا، ونظرتك غائمة. لكنني أعرفك، أعرفك جيدًا. وهذا ما يعتمل بداخلك.

المفاجأة، هذا هو شعورك، لا الغضب ولا الإحباط ولا الحزن، وإنما فقط... المفاجأة. ولكن هذا لأن أول ما فكرت فيه، بعد ارتياحك لمعرفة أنك أن ناسون الآن آمنة، هو...

هل هي آمنة فعلاً؟

ثم تتفاجئين من كونك خائفة. لست متأكدة مما أنت خائفة بالضبط، لكن في فمك مذاق حامض قاسٍ. تسألين: «كيف؟». هوّا يقول: «ناسون».

ويتعاضم خوفك. «لا يمكن أن تكون قد فقدت التحكم في أوروچينيته، لم يحدث لها هذا منذ كان عمرها خمس سنوات...».

«لم تفعلها بالأوروچينية، ولم تفعلها عرضاً».

وهنا، أخيراً، تعصف بك صدمة بمستوى التصدع، لكنها بداخلك. تستغرقين لحظة كي تقولي بصوت مسموع: «أقتلته؟ عمداً؟». «نعم».

تحرّين صامتة، مذهولة، مضطربة. لا تزال يد هوّا ممدودة نحوك، يعرض تقديم إجابات. لست متأكدة أنك تريد معرفة، لكن...

لكنك تأخذين يده على أي حال. ربما فقط لتطمئني نفسك. لا تستوعبين كيف انشئت يده بلطف وضغطت برفق شديد على يدك، على نحو يهدئ من روعك. لا يزال ينتظر. يغمرك امتنان شديد لتقديره.

تقولين عندما تصبحين مستعدة: «هل هو... أين...»، لست مستعدة. «هل هناك طريقة تأخذني إلى هناك؟». «هناك؟».

أنت متأكدة أنه يعرف أين تقصدين، لكنه يريد أن يتأكد أنك تعلمين فعلاً ما تطلبينه منه.

تزدردين لعابك وتحاولين استخدام العقل. «لقد كانا في الأنتاركتيكا. جيغا لم يكن ليبقيها على الطريق إلى الأبد. كانت في مكان آمن، وحظيت بوقت صارت خلاله أقوى»، أقوى بكثير، «أستطيع حبس نفسي تحت الأرض لو أنك... خذني إلى حيث كانت...»، لكن لا. هذا ليس حيث تريدان الذهاب. توقفي عن الرقص حول ما تريدين. «خذني إلى حيث جيغا. إلى... حيث مات».

لا يتحرك لحوالي نصف دقيقة. لقد لاحظت هذا فيه من قبل، يستغرق أوقاتاً مختلفة كي يستجيب إلى الحديث. أحياناً تتداخل كلماته مع كلامك حينها يرد، وأحياناً تحسبينه لم يسمعك أصلاً قبل أن يرد أخيراً. لا تظنين أنه يفكر خلال هذا الوقت أو غير ذلك، بل هو حسب ظنك لا يعني له الوقت شيئاً، الثانية مثل العشرة، والآن مثل فيما بعد. لقد سمعك، وسيرد عليك في النهاية.

وكما توقعت، في النهاية، يتشوش قليلاً، وتلاحظين البطء في نهاية

حركته وهو يحرك يده الأخرى ليغطي بها يدك، فيحيطها بين راحتيه الصلبتين. يتضاعف ضغط كلتا اليدين، حتى تصبح قبضته قاسية، لكن ليست غير مريحة. «أغمضي عينيك».

لم يقترح هذا عليك من قبل. «لماذا؟».

ياخذك إلى أسفل. أعمق مما ذهبت إليه من قبل قط. تشهقين من دون قصد، وهكذا تكتشفين أنك لست مضطرة إلى كتم أنفاسك على الإطلاق. يزداد الظلام قتامة، لكنه يتوهج بومضات حمراء، ثم للحظة وجيزة تمرين عبر ألوان حمراء وبرتقالية منصهرة، وتلمحين لمحة خاطفة مساحة مفتوحة شاسعة تتطاير فيها كتل شبه سائلة متوهجة، ثم يحيطك الظلام مرة أخرى، وها أنت تقفين على الأرض تحت سماء تحجبها الغيوم.

يقول هواء: «لهذا السبب».

«يا للصدأ المتقشر اللعين»، تحاولين انتزاع يدك من قبضته وتفشلين، «اللعنة، هوا!».

تحفّ يدا هوا الضغط على يديك، فتتمكنين من تحريرهما. تترنحين قليلاً، ثم تبدئين في تفحص جسدك إن كان لحق به أي أذى. أنت بخير، لم تحترقي حتى الموت، ولم يسحقك الضغط كما كان ينبغي أن يحدث، ولم تحتنقي، بل ولا ترتجفين حتى... كثيراً.

تنصب قامتك وتفركين وجهك. «طيب، يجب أن أتذكر بعد ذلك أن آكلي الصخر لا يقولون شيئاً بلا سبب. لم أرغب قط في أن أرى نار أعماق الأرض فعلياً».

لكن ها أنت ذا، على تل يبدو وكأنه هضبة واسعة. السماء دليلك إلى فهم المكان. الوقت متقدم عمّا كان قبل الانتقال، أي بعد الفجر بقليل بدلاً من قبله. الشمس هنا تظهر فعلياً ولو قليلاً عبر غيوم الرماد الأقل سمكا (تفاجئين من شعورك بحنين مؤلم لهذا المشهد). غير أن هذا المشهد يعني أنك أبعد عن التصدع مما كنت قبل لحظات. تنظرين غرباً، فيؤكد وهج مسلة أزرق خافت تخمينك. إن هذا المكان هو حيث شعرتِ بناسّون قبل نحو شهر.

(لقد ذهبت إلى هناك، لكن هناك هذا يقع بعد آلاف الأميال في قلب السكون).

تجدين أنك واقفة في قلب مجمع مباني خشبية صغيرة على قمة تلّ، من هذه المباني كوخ تخزين يقف على أعمدة، وعدة مظلات صغيرة، وما يبدو مثل مهاجع نوم أو فصول دراسية. كل هذا يحيطه سياج أنيق من أعمدة البازلت المصطفة بدقة بالغة. هذه صنعة أوروبية لا محالة، ثمة أوروبية حصد الانفجار البطيء للبركان الهائل تحت قدميك، هذا واضح لك وضوح الشمس في السماء، وواضح بنفس القدر أيضاً أن المجمع كله خاو. لا يمكن رؤية أحد في الأرجاء، واهتزازات الخطوات على الأرض بعيدة جداً، فيما وراء السياج البازلتي.

تمشين بدافع الفضول نحو فتحة في السياج البازلتي، حيث يتعرج مسار من الحصى والتراب نزولاً إلى أسفل. عند سفح التل تقبع قرية تحتل بقية الهضبة. تبدو القرية مثل كومونة عادية. تميزين بيوتاً أشكالها

متعددة، بعضها لا تزال فيها نباتات حية، وبيوت أحراز قائمة، وما يبدو مثل حمام عام، وورشة فخار.

لا يرفع أي من الناس بين البيوت عيونهم ويرونك، ولماذا قد يفعلون؟ إن هذا يوم لطيف، حيث لا تزال الشمس جليلة أكثر الوقت، ولديهم حقول يعتنون بها، ورحلات إبحار في البحر القريب يخوضونها (وهل هذه القوارب الصغيرة مربوطة بأحد أبراج الحراسة؟)، أما هذا المجمع السكني بالأعلى، فلا يعني لهم على ما يبدو شيئاً. تبتعدين عن القرية، وتلمحين بوتقة.

تقع بالقرب من حافة المجمع، مرتفعة قليلاً عن بقيته، لكنها مرئية من مكانك. حينها تتولين الطريق المتوجه إلى البوتقة لرؤية قاعة التدريب، وهو طريق معبد بالحجارة والطوب، تدفعك العادة القديمة إلى توجيهه وعيك إلى الأرض والبحث عن أقرب صخرة ذات علامة. ليست بعيدة، على بعد خمس أو ست أقدام في الأرض فقط تقريباً. تبحثين في سطحها وتجدين آثار حفر إزميل دقيق، أو ربما مطرقة. الرقم ٤. هذا سهل جداً، على أيامك كانت الصخور تُعلم بالطلاء، ما يجعلها أصعب في التمييز. لكن مع ذلك فهي صخرة صغيرة إلى حد يشق على أي شخص يقل عن مستوى أربعة خواتم من تمييزها. لم يتقنوا تفاصيل التدريب كاملة، لكنهم أصابوا الأساسيات بلا شك.

تقولين: «هذا لا يمكن أن يكون المرتكز الأنتاركتيكي»، وأنت تنحنين لتحسس إحدى الحجارة التي تشكل الحلقة. مجرد حصي، بدلاً

من الفسيفساء الجميلة التي تذكرينها، لكن مرة أخرى، الفكرة الأساسية موجودة.

هوّا لم يزل واقفاً حيث انبثقتها من الأرض، يدها ثابتتان في الوضع الذي اتخذته عندما خف الضغط على يديك، لعله ينتظر رحلة العودة. لا يرد عليك، عدا أنك غالباً تتكلمين مع نفسك.

تتابعين: «لطالما سمعت أن المرتكز الأنتاركتيكي صغير، لكن هذا ليس بمرتكز أصلاً، بل مجرد معسكر»، فلا توجد حديقة دائرية ولا مبنى رئيسي، ولقد سمعت أيضاً أن المرتكزين الأركتيكي والأنتاركتيكي جميلان، رغم صغرهما وبعد موقعيهما. لقد كان جمال المرتكز الشيء الوحيد الذي يستطيع الأوروبيون المعتمدون والمنبوذون إظهاره. أما هذه المجموعة البائسة من الأكواخ فلا مكان لها في ذلك. هذا غير... «إنه فوق بركان، وقريب جداً من الراكدين تحت التل». وهذه القرية ليست يومينس، التي كانت تحيطها من كل جهة محطات توصيل، وتحت حماية أقوى الأوروبيين الكبار. إن نوبة غضب أقوى من اللازم لأحد الحصاة الصغار، كفيلة برمي هذه المنطقة كلها في فوهة البركان. يقول هوّا: «هذا ليس المرتكز الأنتاركتيكي، فهذا يقع في الغرب من هنا، وقد تم تطهيره، ولم يعد يعيش فيه الأوروبيون بعد الآن».

بالطبع تم تطهيره. تجزّين على أسنانك لدفع الأسى. «إذن هذا نوع من التكريم للفكرة؟ أقامه أحد الناجين مثلاً؟». تعثرين من دون قصد على صخرة ذات علامة أخرى تحت الأرض، هذه المرة حصاة مستديرة

صغيرة، تحت نحو خمسة عشر قدمًا. كُتِبَ عليها بالخبر الرقم ٩، لا تستعصي عليك قراءته أبدًا. تهزين رأسك، وتشرعين في استكشاف المكان أكثر.

ثم تتوقفين، وتتوترين، حينما يخرج رجل يعرج من أحد المباني التي تبدو كالمهاجع. يتوقف بدوره، ويحدق إليك مندهشًا. يقول بلهجة أنثراكيتيكية واضحة: «من أنت بحق الصدا؟».

يتجه وعيك إلى الأرض فورًا، ثم تنتزعينه من هناك بسرعة. يا لك من حمقاء، أنسيِتِ أن الأوروچينية سوف تقتلك؟ هذا غير أن الرجل ليس مسلحًا حتى. إنه شاب، لا يزال في عشرينياته على الأرجح، رغم بدء زحف الصلع على رأسه. عرجه خفيف، وأحد حذائيهِ أعلى من الآخر. إنه غالبًا حِرْفِيّ القرية، وقد جاء للقيام بمهام الصيانة العادية للمباني، كي يمكن استخدامها مرة أخرى.

تتلعثمين: «آه، أهلاً». ثم تصمتين، لا تعلمين ماذا عليك أن تقولي بعد ذلك.

«أهلاً». يرى الشاب هوّا فيضطرب، ويحدق إليه بصدمة من لم يسمع عن آكلي الصخر سوى من حكايات القوالين، التي ربما لم يصدقها بالكامل. ولم يتذكر وجودك إلا بعد وهلة. يتجههم من رؤية الرماد في شعرك وملابسك. من الجلي أنك لست بفاكهة للناظرين. يقول لك: «قولي لي إن هذا تمثال»، ثم يضحك ضحكة متوترة، «لكنه لم يكن هنا عندما صعدت التلّ قبل قليل. أهلاً؟».

لا يكلف هوّا نفسه عناء الرد، لكنك ترين عينيه وقد تحولتا إلى

مراقبة الشاب عوضًا عنك. تتناسكين وتتقدمين خطوة. «أسفة لو أننا أخفناك. هل أنت من هذه الكومونة؟».

يركز الشاب أخيرًا عليك. «نعم، وأنت لست كذلك»، عدا أنه بدلًا من أن يبدي الارتباك، يغمز، «هل أنت وصية أخرى؟».

تسري القشعريرة في جسدك. وللحظة تودين أن تصيحى لا، ثم يعود إليك صوابك. تبسمين، كما يتسمون. «أخرى؟».

يتفحصك الشاب من رأسك إلى قدميك، ربما بشيء من الريبة. لا تكثرين بذلك ما دام يجيب على أسئلتك ولا يهاجمك. يقول بعد لحظة: «نعم. لقد وجدنا اثنين منهم ميتين بعدما غادر الأطفال في رحلة تدريب»، ترتعش شفته قليلًا. لا تعلمين إن كان لا يصدق أن الأطفال خرجوا للتدريب، أم هو مستاء من هذين الميتين، أو أن شفته ترتجف عمومًا عندما يتحدث عن الروجات، فلا شك أن الأطفال المقصودين كذلك، ما دام كان هنا أوصياء. «لقد قالت القائدة إن ربما يأتي أوصياء جدد ذات يوم، فالثلاثة السابقون جاءوا فجأة من حيث لا نعلم ذات يوم. أظنك هنا كي تحلّي محلهم؟».

«هممم»، يدهشك كم يسهل عليك التظاهر بأنك وصية، كل ما عليك أن تتابعي الابتسام ولا تفصحى عن أي معلومة، «ومتى غادروا في... رحلة التدريب هذه؟».

«منذ شهر». يتململ الشاب، يبدو أقل راحة، ويلتفت نحو المسلة الياقوتية الزرقاء في الأفق. «قال شافا إنهم سوف يتعدون كيلا تصيبنا الهزّات الناجمة عن تدريب بعض الأطفال. أظن هذا بعيدًا جدًّا».

شافا. تتجمد الابتسامة على وجهك. لا تقدرين على منع نفسك من الهمس: «شافا!».

ينظر إليك الشاب عابسًا، وقد صار الآن مستريبًا تمامًا. «نعم، شافا».

لا يمكن. لقد مات. «طويل، أسود الشعر، عيون بياض الثلج، ذو لهجة غريبة؟».

يرتاح الشاب قليلًا. «صحيح، أتعرفينه؟».

«نعم، أعرفه جيدًا جدًا». الابتسام سهل. الصعب هو مقاومة الرغبة في الصراخ، وفي القبض على هواء، ومطالبته بالغطس بكما في الأرض الآن، الآن، كي تذهبي وتنقذي ابتك. والأصعب من كل شيء هو عدم الوقوع والتكور حول نفسك، ومحاولة القبض على اليد التي لم تعد هناك، التي تؤلمك. يا شر الأرض، إنها تؤلمك كما لو أنها كُسرت الآن من جديد، ألم شبحي لكنه حقيقي حد أن عينيك تدمعان.

تمالكي نفسك، لا يفقد الأوروچينيون الإمبراطوريون سيطرتهم على أنفسهم. أنت لم تعودى منهم لك قرابة العشرين سنة، وها أنت تفقدين سيطرتك الصدئة طوال الوقت... لكن الانضباط القديم يساعدك رغم ذلك. يجب أن تفهمي كيف حدث هذا.

تكررين: «جيدًا جدًا». لن يستغرب أحد هذا التكرار من وصي. «أيمكنك أن تخبرني إن كانت معه بين رعيته فتاة أوسطية؟ بنية البشرة ونحيلة ومجموعة الشعر ورمادية العينين...؟».

«ناسون، صحيح، بنت جيغا»، يرتخي الشاب تمامًا الآن، ولا

يلاحظ تيبسك الكامل، «يا شر الأرض، أتمنى أن يقتلها شافا في هذه الرحلة».

هذا ليس تهديدًا موجهًا إليك، لكن وعيك مع ذلك يتوجه إلى الأرض، ثم تستردينه مرة أخرى. إن إيكًا محقة، أنت فعلاً بحاجة إلى التوقف عن قتل الجميع كرد فعل افتراضي على كل شيء. على الأقل ابتسامتك لم تهتز. «أوه؟».

«نعم، أعتقد أنها من فعلها... الصدا، بل ربما فعلها أي منهم. لكنها أكثر من أن تخيفني». فكه يضيق بعدما يلاحظ أخيرًا الحواف الحادة لابتسامتك. لكن هذا أيضًا ليس بالشيء الذي قد يثير ريبة أي شخص عرف الأوصياء. يكتفي بغض بصره. «فعلاً؟».

«آه، أعتقد أنك لا تعرفين، تعالي، سأريك».

يستدير، ويعرج نحو الطرف الشمالي من مجمع المباني. تتبعينه بعد تبادل نظرات سريعة مع هوا. ثمة مرتفع طفيف آخر هناك، ينتهي إلى منطقة مسطحة كانت تستخدم في الأغلب لمراقبة النجوم أو التأمل في الأفق. ترين من هناك أكثر المناطق الريفية المحيطة، لا تزال تزخر بقدر صادم من الخضراوات تحت طبقة واهنة نسبية من الرماد المتراكم حديثًا. لكن يوجد شيء غريب، هشيم متراكم، تحسبته لأول وهلة بقايا زجاج مكوم لإعادة تدويره؛ كان جيغا يخصص مكانًا لهذا الغرض بالقرب من البيت في تيريمو، وفيه كان يلقي الجيران بقايا الزجاج المكسور وما إلى ذلك، من أجله، كي يستخدمه في صنع مقابض

السكاكين الزجاجية. لكن بعض هذا الركام يبدو أقيم من مجرد زجاج، لعل أحدهم تخلص من بعض الأحجار نصف الكريمة غير المصقولة. فوضى من الألوان، أسمر ورمادي وبعض الأزرق، والكثير من الأحمر. لكن وسط هذه الفوضى نمط ما، شيء يجعلك تتوقفين وتميلين رأسك وتحاولين استيعاب ما ترين بالكامل. وحينما تركزين، تلاحظين أن ألوان وترتيب الأحجار عند حافة الركام تشبه من بعيد سيفساء ما، حذاء، لو أن أحدهم نحت تمثال حذاء من الحصى ثم هشمه. وبالمثل فهذا بنطال، عدا أن في داخله لونًا أبيض غامقًا يشبه العظام و... لا.

يا نار أعماق الأرض.

لا. ناسون لم تفعل هذا، لا يمكنها، إنها...

بل فعلت.

يتنهد الشاب، لقد قرأ وجهك. لقد نسيت متابعة الابتسام، لكن حتى الأوصياء كانوا سيصعقون لم رأى هذا. يقول: «نحن أيضًا لم نفهم ما هذا إلا بعد وقت، ولم نفهمه بالكامل»، وينظر إليك بأمل.

أنت تهزين رأسك، وهو يتنهد مجددًا.

«كان هذا قبل أن يغادروا مباشرة. سمعنا يومئذ صوتًا كالرعد، وحينما خرجنا وجدنا المسلة، مسلة زرقاء كبيرة كانت تحوم حولنا لها أسابيع، تعلمين هذه الأشياء، أقول وجدنا المسلة قد اختفت. ثم لاحقًا في نفس اليوم، سمعنا نفس صوت الفرقة...»، وصفق بيده ليحاكي الصوت، تمنعين نفسك من القفز فزعًا، «... وعادت المسلة. ثم جاء

شافا فجأة ليقول للقائدة إنه سيأخذ الأطفال من هنا، من دون تفسير لما حدث للمسلة، ومن دون أن يذكر أن نيدا وأومبر -وهما الوصيان اللذان كانا يديران المكان مع شافا- ماتا. وجدنا أومبر برأس مهشم، ونيدا...»، يهزّ رأسه، ترتسم على وجهه نظرة اشمئزاز تام، «... مؤخرة عنقها... لكن شافا لم يقل شيئاً، فقط أخذ الأطفال وذهب. الكثير منا يتمنى بصراحة ألا يعود بهم أبداً».

شافا. هذا ما يجب أن تركزي فيه. هذا ما يهم، وليس ما حدث... لكنك لا تستطيعين رفع عينك عن جيجا، جيجا الملعون الصدي. جيجا جيجا.

ليتني كنت لا أزال لحماً ودمًا، من أجلك. ليتني كنت لا أزال مدوزناً، كي أستطيع أن أتحدث إليك عبر حرارة وضغط وتردد الأرض وأهدئ روعك. إن الكلمات عقيمة، لا توفيّ هذا الحديث حقه. لقد كنت مولعة بجيجا رغم كل شيء، بقدر ما تسمح أسرارك. وحسبت أنه أحبك أيضاً، ولقد فعل، بقدر ما تسمح أسرارك. على أن الحب والكراهية ليسا نقيضين، مثلما عرفت بنفسي قبل زمن بعيد. أنا آسف.

تفسرين نفسك على قول: «شافا لن يعود»، لأنك تحتاجين إلى العثور عليه، وقتله، لكن حتى في خضم خوفك ورعبك، يبرز عقلك ويهيمن. هذا المكان محاكاة غريبة للمرتكز، وليست بالمرتكز الحقيقي الذي كان

ينبغي على شافا ليأخذ ناسون إليه، والأطفال هنا كانوا مجتمعين وليسوا مذبحين. وناسون، استخدمت المسلة علانية لفعل هذا... ومع ذلك شافا لم يقتلها. ثمة أمر خفي يعتمل هنا أنت لا تستوعبينه.

تقولين: «احكِ لي عنه»، وتومئين بذقنك نحو ركام الجواهر الملونة، زوجك السابق.

يهز الشاب كتفيه. «آه، هذا، طيب، كان اسمه جيغا مقاوم جيكتي»، ولما كان الرجل ينظر نحو الركام ويتنهد، لا تظنين أنه لاحظ اختلاجاتك من الخطأ في اسم الكومونة، «كان وافداً جديداً، كسار صخر. لم نعانٍ من نقص في الرجال، لكننا كنا في أمس الحاجة إلى الكسارين، لذا عندما جاء، كنا مستعدين لاستقباله ما دام ليس عجوزاً ولا سقيماً ولا بادي الجنون»، ويهز كتفيه مرة أخرى، «والفتاة بدت على ما يرام حينها جاءوا أول مرة. ما كنت لأعرف أنها واحدة منهم، كانت لطيفة ومهذبة، أحسن أحدهم تربيتها». تبسمين من جديد، ابتسامة أوصياء متماسكة، «لم نعرف أنها من هؤلاء إلا من جيغا نفسه، كان قد سمع إشاعات عن أن الروجات يمكن أن يصبحوا... غير روجات بشكل ما. كثيراً ما يأتينا زائرون يسألون عن هذا».

تقطبين، وتكادين تحولين نظرك عن جيغا. غير روجات؟

«لكن هذا لم يحدث قط»، يتنهد الشاب ويعدل عصاه كي يستريح في وقفته، «وحتى لو حدث ما كنا لنستقبل طفلاً كان من قبل منهم، صح؟ ماذا لو كبر وأنجب أطفالاً بهذا العيب؟ فليذهب ويلوث سلالة قوم آخرين. على أي حال، كانت الفتاة تعتني بأبيها حتى قبل بضعة أسابيع. قال الجيران

إنهم سمعوه يصيح عليها ذات ليلة، وأنها انتقلت إلى هنا لتعيش مع بقية الأولاد. من وقتها ظهر التغير واضحا في جيغا... سلبه عقله. بدأ يكلم نفسه ويقول إنها لم تعد ابنته، وصار يسب ويلعن جهرا بين حين وآخر، ويضرب الحوائط ويكسر الأشياء حينما يحسب أن أحدا لا يراه.

أما البنت فقد نأت بنفسها، ومن يلومها؟ صار الجميع حوله يمشون على قشر بيض في هذه الأيام. إن أهدأ القوم أكثرهم جنونا، أليس كذلك؟ كنت أراها دوماً حول شافا، مثل صغار البط حول أمهم، دائما هي في ظله. كلما كان يجلس ساكنا، كانت تأخذ بيده، وهو...، تبدو في عين الشاب نظرة ريبة، «لم أعتد على رؤية أي نوع من الحنان بين جماعتكم، لكنه بدا وكأنه يحبها حبا جفا. لقد سمعت أنه كاد يقتل جيغا حينما جاء لأجلها ذات مرة».

يدك غير الموجودة تؤلمك مرة أخرى، لكن بألم أخف هذه المرة، لأن... لأنه ما كان ليكسر يد ناسون، أليس كذلك؟ لا، لا، لا، أنت من فعلت بها هذا، وأوتشي أيضا كان يدا مكسورة أخرى لها، كسرها لها جيغا. شافا حماها من جيغا، وشافا كان عطوفا عليها، العطف الذي حاولت عبثا أن تمنحها إياه. والآن كل ما فيك يرتعد مما قد يعنيه هذا، وكبح هذه الرعدة في داخلك يتطلب قوة إرادة دمرت من قبل مدنا، لكن...

لكن...

إلى أي مدة قد ترحب ناسون بحب الأوصياء المشروط، بعد أن خانها حب والديها غير المشروط مرة بعد مرة؟

تغلّقين عينيك للحظة، لأن الأوصياء لا يكون.

بمشقة بالغة تقولين: «ما هذا المكان؟».

يرمقك الرجل بدهشة، ثم ينظر إلى هوّا الذي يقف خلفك بكثير.
«إن هذه كومونة جيكتي أيتها الوصية، أما شافا والآخرون...»، ويشير
إلى المجمع حولكم، «يسمون هذا الجزء من الكومونة «القمر الجديد»».
ومن غيرهم يعرف القمر؟ بالطبع يعرف شافا أسرار العالم التي
دفعتي ثمن تعلمها لحماً ودمًا.

يتأملك الشاب بصمت. «يمكنني أن أعرفك على قائدتنا لو أردت،
أعتقد أنها ستسر بوجود أوصياء عندنا مجددًا، فهم خير عون حينما يهجم
الأغيار».

تنظرين إلى جيغا مرة أخرى. ترين حجرًا يشبه تمامًا خنصره. أنت
تعلمين جيدًا خنصره. قبّلت من قبل هذا الخنصر...

هذا كثير جدًّا على احتمالك، عليك أن تتحكمي في نفسك. اذهبي
من هنا قبل أن تنهاري أكثر. «أنا... أحـ...تاج...»، نفس عميق كي
تهدئي، «أحتاج بعض الوقت لتقدير الوضع أكثر. هلا ذهبت وأخبرت
قائدتك أنني قادمة لأعرب عن احترامي بعد قليل؟».

ينظر إليك الشاب بجانب عينه للحظة، لكنك تعلمين أن ليس من
السيئ أن يراك غريبة قليلًا، فهو معتاد على غرابة أطوار الأوصياء. وربما
لهذا يومئ ويبدأ يتحرك. «أيمكنني أن أسألك سؤالًا؟».

لا. «نعم؟».

يعضّ شفّته. «ما الذي يحدث؟ أشعر وكأن... وكأن كل شيء غير طبيعي أخيرًا. أقصد... أعرف أننا في وقت موسم، لكن حتى الموسم يبدو غريبًا. الأوصياء لا يأخذون الروجات إلى المرتكز، والروجات يفعلون أشياء لم أسمع أنهم فعلوا مثلها من قبل»، ويشير نحو بقايا جيجا، «هذا غير الصدا الذي يحدث في الشمال. حتى هذه الأشياء في السماء، المسلات... إنها كلها... الناس يتكلمون، يقولون إن العالم لن يعود مثلما كان من قبل أبدًا».

تحذّقين إلى جيجا، لكنك تفكرين في الأباستر. لا تعرفين لماذا.

تقولين: «إن الطبيعي لشخص، هو الجنون بعينه لآخر»، يتألم وجهك من الابتسام. إن الابتسام الزائف أمام الآخرين فن، وأنت لست موهوبة فيه. «كان سيكون من الرائع أن نحظى كلنا بما هو طبيعي بالطبع، لكن كثيرًا من الناس آثروا عدم مشاركة ما لديهم مع الآخرين، لهذا نحترق جميعًا».

يحدّق إليك طويلا، مدعورًا، ثم يهمهم بشيء ما ويتبعد أخيرًا، ويلفّ لفّة واسعة ليتفادى هوا. في داهية.

تقرفصين بجوار جيجا. كم هو جميل هكذا، مجوهرات وألوان. وكم هو بشع هكذا، تحت الألوان تدركين التداخل العشوائي لخيوط السحر في داخله. هذا مختلف تمامًا عمّا حدث لذراعك وئديك. لقد تهشم تمامًا وشكل من جديد تشكيلاً عشوائيًا، على مستوى متناهي الصغر.

«ما الذي فعلته بك يا بنتي؟ ماذا صرّت؟».

تظهر أصابع قدم هوا في نطاق رؤيتك. «صارت قوية».

وتهزّين رأسك. ناسّون كانت قوية من نفسها.

«صارت حية».

تغلّقين عينيك مجدّدًا. هذا هو الشيء الوحيد الذي ينبغي أن يهتم.
لقد أنجبت في هذا العالم أطفالًا ثلاثة، وهذه وحدها، هذه الأخيرة
الغالية، ما زالت تتنفس، ومع ذلك.

لقد حولتها إلى نسخة مني، نسخة مني، عسى أن يبلعنا الأرض أنا
وهي.

وربما لهذا لا تزال ناسّون حية. لكن لهذا أيضًا، مثلما تدركين وأنت
تحققين إلى ما فعلته بجيجيا، ومثلما تدركين أنك ما عاد يمكنك أن
تنتقمي من جيجيا لأن ابتكت فعلت هذا عوضًا عنك... لهذا أيضًا أنت
تحشينها.

وها هو الشيء الذي لم تواجهيه كل هذا الوقت، هذا هو الكيركوزا
التي يغطي خطمها الدم والرماد. كان جيجيا يدين لك بدين من الدم
لما فعله بابنك، لكنك مدينة لناسّون، فأنت ما كنتِ هناك لتنفذها من
جيجيا، وما كنتِ هناك عندما كانت في أمسّ الحاجة إليك، ما كنت هنا
معهما، في آخر العالم حرفيًا. كيف تجرّئين على افتراض أنك تستطيعين
حمايتهما؟ لقد وجدت حمايتهما في الرجل الرمادي وشافا، وجدت القوة
التي تحتاجها لحماية نفسها.

إنك لفخورة بها أيّما فخر، ولا تجرّئين على الاقتراب منها بعد الآن.
يد هوّ الثقيلة الصلبة تضغط على كتفك السليمة. «ليس من الحكمة
أن نبقي هنا أكثر».

تهزين رأسك. ليأتي أهل هذه الكومونة، ليعرفوا أنك لست وصية،
ليلاحظ أحدهم أنك تشبهين ناسون، ليأتوا بأقواسهم المستعرضة
ونبأهم و...

تلتف يد هوا على كتفك وتقبض بقوة كملزمة. كنت تعلمين أنه
سيفعل هذا لكنك لم تكلفي نفسك عناء الاستعداد وهو يأخذك في
الأرض، عائداً إلى الشمال. تحافظين على عينك مفتوحة هذه المرة،
والمشهد لا يضايقك. إن نار أعماق الأرض ما عادت شيئاً مقارنة بما
تشعرين به الآن، ما تشعرين به كأم فاشلة.

تخرجان من باطن الأرض في ركن هادئ من المخيم، بالقرب من
مجموعة أشجار صغيرة يبدو من الرائحة أنهم استخدموها مرحاضاً.
عندما يتركك هوا، تمشين بضع خطوات ثم تتوقفين. أمسى عقلك
خاوياً. «ما عدت أعرف ماذا أفعل».

يصمت هوا. لا يأبه أكلو الصخر بالحركة أو الكلام غير
الضروريين، ولقد أوضح هوا نواياه بالفعل. تتخيلين ناسون تتحدث
مع الرجل الرمادي، وتضحكين بخفوت، فهو يبدو أكثر حيوية وميلاً
إلى الكلام من أكثر بني نوعه. جيد، إنه أكل صخر مناسب لها.

تقولين: «ما عدت أعرف إلى أين أذهب». لقد كنت تنامين في خيمة
لرنا أخيراً، لكن هذا ليس ما تقصدينه. إن في داخلك كتلة من الخواء،
ثقب عميق. «ما عاد لدي شيء».

يقول هوا: «بل لديك كومونة وأقارب، وسيكون لديك بيت ما إن
تبلغين رينانيس. لديك حياة».

هل تملكين هذه الأشياء فعلاً؟ يقول قول الحجر: ليس للموتى أمان. تفكرين في تيريمو، حيث لم ترغبي في المكوث وانتظار الموت، فقتلت الكومونة. إنك أنت الموت، والموت هو أنت.

يقول هوّا: «أنا لا أستطيع أن أموت».

تقطبين حاجبيك، يخرجك هذا الكلام الذي يبدو عديم السياق من استغراقك في الكآبة، ثم تفهمين: إنه يقصد أنك لن تفقديه أبداً. لن يتفتت مثل ألابستر، ولن يفجعك أبداً ألم موت هوّا مثلما حدث مع كورندم أو إينون أو ألابستر أو أوتشي، أو جيغا. ولن تقدرى أن تؤذيه بأي شكل ذي بال.

تهممين في إدراك مرتبك: «ليس في حبك خطر».

«صحيح».

والغريب أن هذا يخفف من الثقل على صدرك. ليس كثيراً، لكن... يساعد إلى حد ما.

تسألينه: «كيف تفعل هذا؟». يتعسر عليك مجرد تخيل ألا يكون المرء قادراً على الموت، حتى عندما يريد ذلك، حتى عندما ينهار كل شيء يحبه ويهتم به. أن يكون مضطراً للمتابعة، مهما كان الوضع، ومهما كان متعباً.

يقول: «بالمضي قدماً».

«ماذا؟».

«بالمضي قدماً».

ثم يختفي في الأرض. تعلمين أنك لو احتجته فهو قريب منك. أما الآن، فهو محق، أنت لا تحتاجينه.

لا تستطيعين التفكير. أنت ظمئة وجائعة ومتعبة. الرائحة هنا سيئة. بقايا ذراعك تؤلمك. قلبك يؤلمك أكثر.

لكنك مع ذلك تأخذين خطوة نحو المخيم، ثم أخرى، ثم أخرى. قدما.

٢٤٩٠: الأتاركتيكا، بالقرب من الساحل الشرقي، في كومونة زراعية مجهولة على بعد عشرين ميلاً من مدينة جيكتي: حدث غير معروف في البداية أدى إلى تحول جميع أفراد الكومونة إلى زجاج (ما هذا الكلام؟ زجاج؟ ليس ثلجاً؟ ابحث عن مزيد من المصادر للتأكيد). ولاحقاً، تم العثور على الزوج الثاني للقائدة حياً في مدينة جيكتي، واتضح أنه روجا. بعد استجواب مكثف من المليشيا الكومونية، اعترف أن هذا من فعله، وادعى أن تلك كانت الطريقة الوحيدة لمنع بركان جيكتي من الثوران. لكن لم تُرصد أي إشارة على ثورة بركانية محتملة. أشارت التقارير أن يدي الرجل كانتا حجارة. منع الاستجواب من الاكتمال هجوم آكل الصخر، قتل أعضاء المليشيا وأخذ الروجا معه إلى الأرض واختفيا.

بيتر مبتكر ديارس - سجلات المشروع

ناسّون، تحت الأرض

ما انفك السلم الأبيض ينزل ويلتفّ حول نفسه وقتًا طويلاً. حوائط النفق ضيقة ومقبضة، لكن الهواء ليس راكدًا بشكل ما. إن مجرد التحرر من هطلان الرماد شيء مريح بما يكفي، لكن ناسّون تلاحظ عدم وجود غبار أيضًا. هذا غريب، أليس كذلك؟ كل هذا غريب.

تسأل ناسّون أثناء النزول: «كيف لا يوجد غبار؟». تتحدث بصوت مكتوم في البداية، ثم ترتخي... قليلًا. إنها في النهاية أطلال حضارة ميتة، ولقد سمعت الكثير من حكايات القوالين عن مدى الخطورة المحتملة لهذه الأماكن. «وكيف لا تزال الإضاءة تعمل؟ والباب الذي عبرنا منه؟».

«لا أملك أدنى فكرة يا صغيرة». شافا يسبقها في النزول، بحسب النظرية التي تفترض أن أي خطر سيواجهه الذي في المقدمة أولاً. لا تستطيع ناسّون رؤية وجهه، فتضطر إلى تخمين مزاجه من كتفيه العريضتين (تنزعج من حقيقة أنها تراقب باستمرار تقلبات مزاجه وعلامات اضطرابه، وهذا شيء آخر تعلمته من جيغا، ولا تقدر أن

تتخلص منه مع شافا، أو مع غيره). ترى أنه متعب، لكنه بخير فيما عدا ذلك. بل وربما راضي لأنها تمكننا من الوصول إلى هنا، وقلق مما قد يقابلانه، لكن في هذا القلق هما اثنان. «في أطلال الحضارات القديمة، أحيانًا لا تكون هناك إجابة على مثل هذه الأسئلة».

«هل... تتذكر أي شيء يا شافا».

هزة كتف، لكن ليست بلا مبالاة كاملة. «بعض الأشياء، ومضات، أسباب لا تفاصيل».

«لماذا إذن؟ لماذا يذهب الأوصياء خلال المواسم؟ لماذا لا يبقون حيث هم، ويساعدون الكومونات التي ينضمون إليها مثلما ساعدت أنت جيكتي؟».

درجات السلم أعرض من خطوة ناسون، حتى وهي تلتزم بالحافة الجانبية الملتفة الضيقة. تضطر من وقت إلى آخر أن تقف وتضع كلتا قدميها على درجة واحدة كي تستريح، ثم تهرع كي تلحقه. أما هو فيمضي بثبات إيقاع الطبول، من دونها. لكنهما يصلان وهي تلقي تلك الأسئلة، إلى بسطة بين الدرجات. حينها يتوقف أخيرًا، ويشير إلى أنها بات بوسعهما الجلوس والراحة. تزفر ناسون بارتياح، إنها لم تزل متعركة من السعي المحموم عبر الغابة العشبية، وإن كان عرقها بدأ يجف بعدما صارت حركتهما أبطأ. تستمتع بحلاوة أول جرعة ماء تشربها من قربتها، والأرضية تحتها مريحة وباردة، وإن كانت قاسية. تشعر فورًا بالنعاس، والوقت صار على أي حال ليلاً بالخارج، على السطح، حيث تلهو الحشرات المفترسة الآن وتمرح.

يبحث شافا في حقييته ثم يعطيها قطعة لحم مجفف. تنتهد، وتبدأ تمضغ بمشقة. يتسم من تذرهما، وربما لم يبدأ أخيرًا يجيب عن أسئلتها إلا كي يرضيها.

«إننا نغادر أثناء المواسم يا صغيرة لأن ليس لدينا ما نقدمه للكومونات. أنا مثلاً لا أستطيع أن أنجب، ما يجعلني مرشحاً أقل من مثالي للتبني. ومهما كان قدر ما يمكن أن أشارك به في نجاة الكومونة، فهذا استثمار على المدى القصير فقط»، ويهز كتفيه، «فنحن الأوصياء، من دون أوروچينيين تحت وصايتنا، نصبح... صعب التعايش معنا».

تدرك أن هذا يرجع للأشياء في رؤوسهم التي تجعلهم بحاجة إلى السحر طوال الوقت. والأوروچينيون ينتجون فائضاً من الفضة، أما الراكدون فلا. وماذا يحدث للراكد حينها يأخذ منه الوصي فضة؟ ربما لهذا يغادر الوصاة، كي لا يكتشف أحد ذلك.

تلح عليه: «كيف تعرف أنك لا تستطيع الإنجاب؟»، ربما هذا سؤال شخصي أكثر من اللازم، لكنه لم يمانع قط إلقاء مثله من الأسئلة، «هل حاولت من قبل؟».

يأخذ رشفة من قربته، وعندما ينزلها يبدو محتاراً. يقول: «ربما من الأفضل أن أقول إنني ينبغي ألا أحاول أن أنجب، ففي الأوصياء سمات الأوروچينية».

«أوه». إذن كانت أم شافا أوروچينية؟ أو أبوه؟ أو أحد أسلافه مثلاً؟ لكنه على أي حال لم تبدُ عليه الأوروچينية مثلما بدت على ناسون، وأمه -قررت اعتباطياً أنها أمه، بلا سبب معين- لم تكن بحاجة إلى

تدريبه، أو إلى أن تعلمه الكذب، أو كسر يده. تهمهم: «يا حظك». وكان يرفع القربة لفمه مجددًا حينما توقف فجأة. طفا شيء فجأة على سطح وجهه. لقد تعلمت كيف تقرأ هذه النظرة بالتحديد على وجهه، رغم ندرة ظهورها. أحيانًا تعني أنه نسي أشياء يتمنى لو تذكرها، لكنه الآن يتذكر أشياء يتمنى لو كان نسيها.

«لست محظوظًا جدًّا»، ويلمس مؤخرة عنقه. الشبكة العصبية المتوهجة المحفورة في داخله ما زالت نشيطة، وتؤلمه، تلاحقه، تحاول كسره، في مركزها شظية حجر الأساس الذي زرعه أحدهم فيه. ولأول مرة تتساءل ناسون كيف وُضع هذا الشيء فيه. وتفكر في الندبة الطويلة البشعة في ظهر عنقه، والتي تظن أنه يترك شعره طويلًا كي يغطيها. ترتجف عند التفكير في دلالات هذه الندبة.

«أنا لا...»، تحاول ناسون أن تجرّ أفكارها بعيدًا عن صورة شافا يصرخ وأحدهم يمزقه، «أنا لا أفهم الأوصياء، أعني النوع الآخر من الأوصياء، لا أفهم... إنهم بشعون». ولا تستطيع حتى أن تتخيل شافا مثلهم.

لا يرد لبعض الوقت، ويتابعان تناول طعامهما. ثم يقول بخفوت: «تاهت عن ذاكرتي التفاصيل يا ناسون، وتاهت الأسماء وأكثر الوجوه، لكن الشعور باقٍ. أذكر أنني أحببت الأوروبيين الذين كانوا تحت وصايتي، أو على الأقل كنت أعتقد أنني أحبهم. كنت أريدهم أن يكونوا آمنين، حتى لو كان هذا يعني القسوة عليهم بأفعال صغيرة تقيهم من مخاطر أعظم. كنت أشعر أن أي شيء أفضل من الإبادة».

تقطب ناسون. «ما هي الإبادة؟».

يبتسم مرة أخرى، لكنها ابتسامة حزينة. «لو أن كل أوروبيي تعرض للتعقب والقتل، ولو أن رقبة كل رضيع أوروبيي كُسرت، ولو أن كل من يحمل سماتها مثلي قتل أو عُقم، بل ولو أن حتى مجرد فكرة أن الأوروبيين بشر رُفِضَتْ، فهذه هي الإبادة. إن الإبادة قتل الناس، وصولاً إلى فكرة أنهم ناس».

«أوه»، تشعر ناسون بالغثيان من جديد، «لكن هذا...».

يخفض شافا رأسه، مؤكداً على ما لم تنطق به لكن هذا ما كان يحدث بالفعل. «هذه هي مهمة الأوصياء يا صغيرة، نحن نحول دون اختفاء الأوروبيين، لأن في واقع الأمر، لا نجاة للناس في هذا العالم من دونها. إن الأوروبيين ضروريون، لكن إن كنت ضرورياً، فلا خيار لك في هذا الأمر، لا حل لك من أن تكون أداة، والأدوات ليس لها أن تكون بشراً. الوصي يحتفظ بالأداة... قدر الإمكان. يحافظ على فائدتها، ويقتل الشخص فيها».

تحقق إليه ناسون. يتغير فهمها للعالم في داخلها مثل هزة مباغطة من الدرجة التاسعة. هكذا هي طريقة العالم إذن؟ لكنها ليست كذلك. فما يحدث للأوروبيين لا يحدث من تلقاء نفسه، بل هناك من يعتمد حدوثه، ربما هم الأوصياء، بعد سنوات طويلة من العمل على ذلك. ربما هم من وسوسوا بتلك الأفكار في آذان القادة والمحاربين من أزمئة ما قبل السانزا. بل ولعلمهم كانوا موجودين وقت الانشقاق نفسه، واندسوا وسط جماعات الناجين المشعثة المغبرة، وأخبروهم على من ينبغي إلقاء

اللوم، وكيف يجدون هؤلاء الملمومين، وماذا يفعلون بهم حال عثورهم عليهم.

إن الكل يحسب الأوروجينيين أقوياء مرعبين، وهم كذلك فعلاً. إن ناسون متيقنة أنها بإمكانها محو الأنتاركتيكا بالكامل إن أرادت، وإن كان ذلك سيتطلب منها الاستعانة بالياقوتية كي لا تموت وهي تفعله. لكن رغم كل قواها هذه، فهي طفلة صغيرة. تحتاج إلى الأكل والنوم مثل كل طفلة، وتحتاج إلى أن تكون بين الناس كي تظل تأكل وتنام. يحتاج الناس إلى ناس كي يعيشوا. لكن ماذا لو كانت بحاجة إلى القتال كي تعيش؟ قتال كل شخص في كل كومونة، وكل أغنية وكل حكاية وكل تاريخ، وقتال الأوصياء والمليشيات والقانون الإمبراطوري، بل وقول الحجر نفسه؟ ماذا لو كانت بحاجة إلى قتال أبيها، الذي لم يستطع التصالح مع أن ابنته روجا؟ وحتى قتال ياسها الخاص الذي ينتابها عندما تفكر في حجم مهمتها الهائلة التي لا تزيد عن محاولة العيش بسعادة؟

ماذا يمكن للأوروجينية أن تفعله أمام كل هذا؟ ربما فقط أن تبقئها تنفس. لكن التنفس لا يعني دوماً الحياة، وربما... ربما الإبادة الجماعية ليست بالضرورة قتل الأجساد فقط.

والآن، أمست متيقنة أكثر من أي وقت مضى أن فولاذي محقاً. ترفع عينها إلى شافا. «حتى يحترق العالم؟». هذا ما قاله لها عندما صرحت له بما تنوي فعله ببوابة المسلة.

ترمش عينا شافا، ثم يتسم ابتسامته العطوف المرعبة، ابتسامة الرجل الذي لطالما رأى الحب والقسوة وجهين لعملة واحدة. يقربها

منه، ويقبل جبهتها، فتعانقه بقوة، ممتنة كل الامتنان لأنها بات لديها أخيرًا والد يحبها كما ينبغي.

يهمهم مرة أخرى بوجه ملتصق بشعرها: «حتى يحترق العالم يا صغيرة، بالطبع».

في الصباح، يستأنفان النزول على الدرج المتعرج.

أول علامات التغيير تأتي في ظهور درابزين آخر على الجهة المقابلة من السلم. الدرابزين مصنوع من مادة غريبة، معدن لامع لا يشوبه أثر صدأ أو تشوه. والآن صار هناك درابزينان، ويتسع السلم بما يكفي كي يستطيع شخصان النزول معًا، ثم يبدأ السلم الملتف يستقيم؛ لا يزال ينزل بنفس الانحدار، لكنه يصبح أقل التفافًا بالتدريج، حتى يستقيم بالكامل أخيرًا، متجهًا إلى الظلام.

بعد نحو ساعة من النزول، يفتح النفق فجأة، ويختفي سقفه وحوائطه تمامًا. وها هما الآن ينزلان على سلسلة من الدرجات المضيئة المتسلسلة المعلقة في الهواء، من دون أن تركز على شيء على نحو غريب. لا ينبغي أن تكون مثل هذه الدرجات ممكنة الوجود، فلا شيء يدعمها، على ما يبدو، سوى الدرابزين وسوى دعم بعضهما بعضًا. لا تهتز الدرجات ولا يصدر عنها أي صرير عندما يخطوان عليها. أيًا كانت المادة المصنوعة منها الدرجات، فهي أقوى دون ريب بكثير من الحجر العادي. وينزلان إلى ما يبدو وكأنه كهف هائل. رؤية مدى اتساع المكان في هذا الظلام مستحيل. حتى مع أن بعض أشعة النور تتدلى أحيانًا من

حلقات نور أبيض بارد ترقط سقف الكهف على فترات غير منتظمة، فهذه الأشعة لا تضيء في الواقع شيئاً. أرضية الكهف ليست سوى فضاء شاسع يمتلئ بأكوام عشوائية من الرمال. بيد أن ناسون الآن، وهي داخل ما حسبه من قبل قاعة حم خاوية، تستطيع أن تسسبن الأشياء على نحو أوضح. وأدركت فجأة كم كانت مخطئة.

تقول لشافا بنبرة منبهرة: «هذه ليست قاعة حم، بل ولم تكن هذه مغارة في الأصل حينما بُنيت هذه المدينة». «ماذا؟».

تهزّ رأسها. «لم تكن مكاناً مغلقاً. لا بد أنها كانت... لا أدري... أيّا كان ما يتبقى بعدما يثور البركان». «حفرة بركانية؟».

تومئ بسرعة، مستثارة من الكشف الجديد. «لم يكن هناك ما يفصل بين هذا المكان والسماء. بنى الناس المدينة داخل الحفرة، ثم حدثت ثورة أخرى، في قلب المدينة بالضبط»، وأشارت فيما أمامهم، نحو الظلام. كان الدرج ينزل نحو ما تسسبن أنه مركز هذا الدمار القديم.

عدا أن هذا غير معقول. ثورة أخرى كانت كفيلة بأن تدمر المدينة تماماً وتملأ الحفرة القديمة. لكن كل اللحم المنبثقة صعدت فوق المدينة بطريقة أو بأخرى، وامتدت فوقها مثل قبة، وتصلبت حتى جعلتها مغارة. وتركت المدينة داخل الحفرة سليمة تقريباً.

يقول شافا عابساً: «هذا مستحيل. حتى أكثر اللحم لزوج لزوجاً لن تتصرف بهذه الطريقة، لكن...»، يتكدر تعبير وجهه، وها هو مرة أخرى

يحاول الخوض في ذكريات مبهمه وممزقة، أو لعلها ببساطة مطموسة تحت ثقل الزمن. تمسك ناسون يده بحركة تلقائية، كي تشجعه. ينظر إليها ويتسم من دون عمد، ثم يتابع العبوس. «لكن... أظن هذا في نطاق قدرة الأوروبيين. وإن كان سيتطلب أوروبيًا ذا قدرة نادرة الوجود، مع الاستعانة بمسلة غالبًا. ليس أقل من ذي عشرة خواتم».

تقطب ناسون في حيرة من ذلك. غير أن خلاصة قوله إن ثمة من قصد حدوث هذا، وهذا في الواقع يبدو منطقيًا. تنظر ناسون نحو سقف المغارة وتدرّك الآن أن ما حسبته هوابط غريبة هو في الواقع -تشق- بقايا مبانٍ لم تعد موجودة. نعم، هذه النقطة هناك كانت ذات يوم قمة برج، وهذا هناك قوس منحني، وهذا التكوين الهندسي الغريب من الأعمدة والأقواس يشبه الساق السفلية لنبات عش غراب. لكن بينما تزين هذه البقايا المتحجرة سقف المغارة، تتوقف الحمم المتصلبة فوق الأرض بمئات الأقدام. وتدرّك ناسون أن النفق الذي خرجا منه هو في الواقع أيضًا بقايا مبنى. تنظر خلفها، فترى أن النفق من الخارج يبدو مثل أصداف لسان البحر التي كان يستخدمها أبوها ذات يوم في عمله، لكنها أكثر صلابة، ومن نفس المادة الغريبة المصنوعة منها الشريحة على السطح. لا بد أن هذه كانت قمة المبنى. ولكن على بعد أقدام قليلة من حيث تنتهي القبة، ينتهي المبنى أيضًا، ليحلّ محله هذا الدرج الأبيض الغريب. لا بد أن هذا صُنع بعد الكارثة، ولكن كيف؟ ومن فعل هذا؟ ولماذا؟

تنظر ناسون عن كذب إلى أرضية الكهف، في محاولة لفهم ما تراه. الرمال التي تغطيها فاتحة اللون على الأغلب، وإن كانت ثمة بقع رمادية

قائمة وبنية متناثرة عليها. تظهر في بعض الأماكن قطع معدن ملتوية أو شظايا ضخمة مكسورة من شيء أكبر -ربما مبانٍ أخرى- مثل عظام تبرز من قبر نصف محفور.

عدا أن هذا أيضًا غير صحيح. تدرك ناسون أنه لا توجد هنا مواد تكفي لأن تكون بقايا مدينة. إنها لم ترَ من قبل بقايا مدن، ولا رأت كثيرًا من أطلال الحضارات الميتة، أو أي مدن في العموم، لكنها قرأت عنهم في الكتب وسمعت عنهم الحكايات. لذا هي متأكدة أن المدن ينبغي أن تزخر بالمباني الحجرية وبيوت الأحراز الخشبية، وربما بوابات معدنية وطرق معبدة بالحصى. أما هذه المدينة فليس فيها شيء، نسبيًا. معادن ورمال فقط.

تخفض ناسون يديها، التي كانت قد رفعتها من دون وعي وهي تستشعر عن بعد هنا وهناك. تنظر إلى أسفل بشكل لا إرادي، فتشعر بهول المسافة بين أرضية المغارة الرملية والدرجة التي تقف عليها. تراجع نحو شافا، فيضع يده على كتفها مطمئنًا.

يقول شافا: «هذه المدينة». تنظر إليه في دهشة، فتجده وكأنه يتذكر شيئًا ما. «ثمة كلمة في عقلي، لكنني لا أفهمها. هل هي اسمها؟ شيء له معنى في لغة أخرى؟»، يهز رأسه، «لكن لو أن هذه هي المدينة التي أحسبها، فقد سمعت الحكايات عن عظمتها. يقولون إنها ذات يوم كان يسكنها من البشر مليارات».

يبدو هذا مستحيلًا. «في مدينة واحدة؟ كم كان عدد سكان يومينس؟».

«حفنة ملايين». يتسسم لم رأى فمها متسعًا، ثم يتجههم قليلًا. «والآن لا يمكن أن يوجد هذا القدر من البشر في السكون كله. بضياع المدن الاستوائية ضاع أكثر البشر. لكن رغم ذلك، كان العالم أكبر بكثير».

هذا لا يمكن، إن الحفرة البركانية ليست شاسعة إلى هذا الحد. لكن مع ذلك... تسسبن ناسون بحذر ما تحت الرمال والأنقاض، وتبحث عن دلائل على المستحيل. تجد الرمال أعمق بكثير مما حسبت. لكنها تجد تحت السطح بكثير مسارات، خطوطًا مستقيمة مضغوطة. أهى طرق؟ وهناك أساسات أيضًا، وإن كانت في أشكال مستطيلة ودائرية، وأشكال أخرى غير مألوفة: منحنيات على شكل ساعة رملية وأشكال S سميكة، ومنخفضات تشبه الأوعية. ولا يوجد شكل مربع واحد. تحيرها تكوينات الأساسات الغريبة هذه، ثم تدرك بغتة أن لكل هذه الأشياء مذاقًا سسبينيًا قلويًا، متحجرًا، ما يعنى أنه كان أصلًا... تشهق.

تندفع قائلة: «هذا خشب». أيمن أن يكون أساس مبنى من الخشب؟ لا، بل شيئًا يشبه الخشب، لكنه يشبه أيضًا المواد البوليمرية التي كان أبوها يصنعها، ويشبه نوعًا المادة غير الحجرية المصنوعة منها الدرجات التي يقفان عليها. كل الطرق والأشياء التي تسسبنها لها الطابع نفسه. «بل غبار. كل ما بالأسفل يا شافا ليس رملًا، وإنما غبار. إنه نباتات، الكثير من النباتات، ماتت قبل زمن غابر حتى جفت تمامًا وتحولت إلى غبار، و...»، تنجذب نظرتها مرة أخرى إلى قبة الحمم فوقها. كيف كان الحال حينها؟ المغارة كلها مضاءة باللون الأحمر، والهواء ساخن إلى حد يستحيل تنفسه. لقد صمدت المباني لوقت أطول،

بما يكفي لكي تبدأ الحمم تبرد حولها. لكن لا شك أن كل شخص في هذه المدينة سُوي حيًّا خلال الساعات الأولى التي قضاها تحت فقاعة النار.

وهذا أيضًا في الغبار: أشخاص لا حصر لهم، حُرِّقوا وتفحموا وتحولوا إلى رماد.

يقول شافا: «شيء جدير بالاهتمام». يتكئ إلى الدرايزين، غير عابئ بالمسافة المهولة بينه وبين القاع وهو يتأمل المغارة حوله. تنقبض بطن ناسون من الخوف عليه. «مدينة من النباتات»، ثم تحتد نظرتة، «لكن لا شيء ينمو فيها الآن».

نعم، هذا أيضًا شيء لاحظته ناسون. لقد سافرت ناسون من قبل ورأت ما يكفي من الكهوف كي تعرف أن مكانًا كهذا حري به أن يزخر بالحياة؛ أشنات ووطاويط وحشرات بيضاء عمياء. تنقل إدراكها إلى مجال الفضة، وتبحث عن الخطوط الدقيقة التي ينبغي أن تكون منتشرة في ثنايا هذا الحطام العضوي. تجد الخطوط، خطوطًا كثيرة، لكن... هناك شيء غريب. تتدفق الخطوط ثم تلتحم وتتركز معًا، خيوط صغيرة تصبح قنوات أسمك، مثلما يتدفق السحر في الأوروبيين. إنها لم ترَ هذا يحدث في النباتات أو الحيوانات أو التربة من قبل. هذه القنوات المركزة تنضم بعضها إلى بعض وتستمر في طريقها إلى الأمام، في الاتجاه الذي يتوجه إليه السلم. تتعقبهم حتى بعد السلم، وتراهم يزدادون سمكًا وتوهجًا... ثم، في مكان ما في الأمام، تتوقف مرة واحدة.

تقول ناسون: «يوجد شيء خطأ هناك». يوخزها جلدتها، وتتوقف مرة واحدة عن السسبنة. لسبب ما لا تريد أن تسسبن ما يوجد هناك. «ناسون؟».

«هناك شيء يلتهم هذا المكان». تقول الكلمات ثم تتساءل لماذا قالتها. لكنها، بعدما قالتها، تشعر أنها مناسبة. «لهذا لا ينمو شيء هنا، ثمة ما يأخذ السحر كله، ومن دون السحر كل شيء يموت».

يفكر شافا في هذا للحظة تطول. تلاحظ ناسون أن يده على مقبض خنجره الزجاجي الأسود المعلق بفخذه. تكاد تضحك على هذا، فما يكمن أمامهم ليس شيئاً يمكن طعنه. لكنها لا تضحك لأن الضحك قسوة، ولأنها تشعر فجأة بذعر شديد، حتى أنها لو ضحكت، قد لا تتوقف عن الضحك.

يقترح شافا: «لسنا مضطرين للمتابعة». وكان في ذلك تذكير رقيق ومطمئن ومطلوب بشدة، بأنه لن يفقد احترامه لها لو هجرت مهمتها بدافع الخوف.

غير أنه يزعجها مع ذلك، فهي ذات كبرياء. «ل... لا، لتتابع»، تزدرد لعبها بمشقة، «أرجوك». «حسنًا إذن».

يتابعان التقدم. يبدو أن شخصاً ما أو شيئاً ما قد حفر قناة عبر الغبار، تحت وحول الدرج المستحيل. يتابعان النزول ويمران عبر أكوام الغبار. لكن بعد وهلة، ترى ناسون نفقاً آخر يلوح أمامهما، يستقر هذا النفق على أرضية الكهف -أخيراً- ومدخله كبير. حينما يبلغ السلم

أخيرًا نهايته ويتساوى مع الأرضية المسطحة، تلوح فوقهما أقواس متداخلة من رخام متعدد الألوان. يضيق النفق كلما تقدم إلى الأمام، وليس خلفهما إلا الظلام التام. أرضية المدخل مصقولة، ومبلطة بألوان زاهية من الأزرق والأسود والأحمر الداكن. ألوان غنية وجميلة، تريح العيون التي اعتادت الأبيض والرمادي، لكنها في نفس الوقت أيضًا غريبة على نحو مستحيل. فبشكل ما، لم يتراكم أو يتناثر غبار المدينة في المدخل.

يمكن أن يعبر العشرات هذا المدخل المقوس معًا، والمئات في دقيقة واحدة. لكن الآن يقف فيه شخص واحد، يراقبهم، تحت شريط من الرخام الوردي يتناقض بجلاء مع خطوطه الشاحبة عديمة اللون. إنه فولاذي.

لا يتحرك فولاذي بينما تتجه ناسون نحوه (وشافا أيضًا، ببطء وحذر). أما عين فولاذي فكانت مثبتة على شيء بجواره، ليس مألوفًا لناسون، ولكن أمها كانت ستتعرف عليه: قاعدة سداسية ترتفع من الأرض، تبدو مثل عمود كريستالة بُتر من منتصفه، سطحه العلوي مائل بزاوية خفيفة. يد فولاذي مرفوعة نحوه في إشارة لك، وكأنه يقول هذا من أجلك.

تركز ناسون على القاعدة. تمدّ يدها نحوها، ثم تسحبها بسرعة حينما يومض شيء حول حافتها قبل أن تلمس يدها السطح المائل. تطفو في الهواء فوق الكريستالة علامات متوهجة حمراء، رموز منحوتة في الفراغ. لا تفهم ناسون معنى هذا، لكن الألوان توترها. ترفع عينها

نحو فولاذي، الذي لم يتحرك من مكانه ويبدو كما لو أنه كان في نفس الوضع منذ بني هذا المكان. «ماذا تعني هذه الأشياء؟».

يقول صوت من داخل صدر فولاذي: «تعني أن المركبة التي أخبرتك عنها لا تعمل الآن. عليك أن تزودي النظام بالطاقة وتعيدي تشغيله كي تتمكني من استخدام المحطة».

«أعيد تشغيله؟». تحاول أن تفهم ماذا قد يعني هذا، ثم تقرر التركيز على الجزء الذي تفهمه. «كيف أزوده بالطاقة؟».

فجأة يصبح فولاذي في وضع مختلف، يواجه القوس الذي يؤدي إلى مدخل المحطة. «ادخلي وامنحي الجذر الطاقة، وأنا سأظل هنا وأدخل تسلسل البدء ما إن توجد طاقة كافية».

«ماذا؟ أنا لا...».

عيناه الرمادية تنتقل إليها: «عندما ترينها، ستعرفين ما يجب فعله».

تمضغ ناسون وجنتها من الداخل، ثم تعبر المدخل. كم أن الظلام هناك دامس.

تلمس يد شافا كتفها. «سأذهب معك بالطبع».

بالطبع. تبلع ناسون ريقها وتومئ، بامتنان. ثم تسير مع شافا نحو الظلام.

لا يدوم الظلام طويلاً، فمثلما حدث مع السلم، تتوهج ألواح نور صغيرة على جانبي النفق وهما يتقدمان. أضواء صفراء قائمة على نحو يقترح قدمها أو تأكلها أو... أو إنهاكها (تخطر هذه الكلمة على بال

ناسّون لسبب ما). يكفي النور لإضاءة حواف البلاط تحت أقدامهما. ثمة أبواب وفتحات على طول جدران النفق، ثم تجد ناسّون على حين غرة جسمًا غريبًا يرتفع حوالي عشرة أقدام. يبدو مثل... سرير عربية؟ لكن من دون عجلات ولا مقود، ومصنوع من نفس مادة السلام الملساء، ويسير على مسار من نوع ما مثبت في الجدار. من الواضح أنها صُنعت بغرض نقل الأشخاص؛ لعلها كانت الطريقة التي ينتقل بها من لا يستطيعون أو لا يرغبون في المشي. أما الآن فقد باتت ثابتة مظلمة، عالقة بالحائط حيث تركها آخر مستخدم إلى الأبد.

يلاحظان نورًا يميل إلى الزرقة في النفق أمامهما، لكنه لم يكن نذيرًا كافيًا لهما كي يستعدا لانعطاف المسار المباغت يسارًا، فيجدا نفسيهما فجأة في مغارة جديدة. مغارة أصغر من السابقة، وليست مليئة بالغبار، أو على الأقل لا يملأ الغبار أكثرها، وما تحتويه عوضًا عن الغبار، هو عمود هائل من الزجاج البركاني الأسود الأزرق الصلب.

عمود ضخّم، غير منتظم، ومستحيل. تحدّق ناسّون بفم فاغر إلى هذا الشيء الذي يملأ المغارة كلها تقريبًا، من الأرض حتى السقف ويتجاوزه. تدرك فورًا أن ذلك ولا بد هو الانفجار البركاني الهائل الذي تم تبريده وتجميده بسرعة. هذا بلا جدال هو مصدر القبة الحميمية التي تغطي المغارة المجاورة.

يقول شافا: «فهمت». حتى هو يغلب على صوته الرهبة. «انظري»، ويشير إلى الأسفل، فتجد ناسّون أخيرًا نقطة مرجعية تحدّد عبرها الأحجام والمسافات. تدرك مدى ضخامة هذا الشيء عندما بدأت ترى

ثلاث طبقات تحيط به على هيئة مضلعات ثمانية مشتركة المركز، تندرج نحو قاعدته. الطبقة الخارجية عبارة عن مباني، أو هكذا تحسبها. مباني متضررة بشدة، شبه متداعية، مجرد هياكل، ثم تسسبن على الفور سبب تماسك هذه الهياكل في حين اختفت باقي مباني هذه المغارة والأخرى تمامًا: لا بد أن الحرارة التي تأججت في المغارة قد غيرت شيئًا في بنية مادة المباني، فصارت صلبة باقية. أما الضرر فقد أحدثه ارتجاج قوي، فكل المباني منهارة من الناحية نفسها، الناحية التي تواجه العمود الضخم. وبالنظر من مبنى ثلاثي الطوابق يواجه العمود الزجاجي، تقدّر أن العمود ليس بعيدًا كما يبدو، وإنما هو فقط أكبر بكثير مما حسبته في البداية، في حجم... أوه.

«مسلة»، تقولها هامسة. وتستطيع أن تسسبن وتخمن ما حدث بوضوح، وكأنها كانت هناك.

قبل زمن بعيد، كانت هنا مسلة، تقف مستقرة في هذه المغارة، أحد طرفيها مستقر في الأرض، مثل نبات غريب من نوع ما. وفي لحظة ما، رفعت المسلة من مكانها، كي تطفو وتومض مثل بقية المسلات، فوق الامتداد الهائل للمدينة. ثم حدث شيء خاطئ ما، خاطئ إلى درجة مروعة. ووقعت. وحيثما نزلت -تخيل ناسون سماع دوى الاصطدام- لم تقع، بل احترقت السطح، وهبطت أعمق وأعمق، مدفوعة بكل طاقة الفضّة المركزة في قلبها. لا تستطيع ناسون تتبع مسارها أكثر من نحو ميل في الأرض، لكن ليس هناك ما يمنعها من الاعتقاد أنها تابعت النزول، إلى حيث... لا تستطيع أن تخمن.

وفي أعقابها، تفجرت من أعماق نقطة من الأرض نافورة من نار الأرض لتدفن هذه المدينة.

ما زال لا شيء حولها يبدو مثل وسيلة لتزويد المحطة بالطاقة. عدا أن ناسون تلاحظ أن إضاءة الكهف تأتي من أبراج تتوهج بنور أزرق قريبة من قاعدة العمود. وهذا ما يشكل الطبقة الأدنى والأعمق من المكان. ثمة ما يولد هذا النور.

يصل شافا بدوره إلى نفس الاستنتاج. يقول: «النفق ينتهي هنا»، ويشير نحو الأبراج الزرقاء عند قاعدة عمود الحمم الهائل. «لا يوجد مكان آخر يمكن الذهاب إليه غير قاعدة هذا الشيء المهول. هل أنت متأكدة أنك تريدين اتباع خطى أيًا كان من صنع هذا؟».

تعصّ ناسون على شفتها السفلية. إنها ليست متأكدة. هناك مكنم الخطأ الذي سببته من السلم، وإن كانت لم تحدد مصدره بعد. لكن رغم هذا... «فولاذي يريدني أن أرى ما يوجد هناك».

«هل أنت متأكدة أنك تريدين فعل ما يريده منك يا ناسون؟».

لا. إن فولاذي ليس جديرًا بالثقة. لكنها ألزمت نفسها بالفعل بدرب القضاء على العالم، بالتأكيد ما يريده فولاذي لا يمكن أن يكون أسوأ من هذا. لذا، عندما تومئ، يميل شافا رأسه لها موافقًا، ويقدم إليها يده كي يمشيا معًا نحو أعمدة الضوء.

يشبه عبور الطبقات المشي في المقابر، وتشعر ناسون بضرورة التزام الصمت لهذا السبب. تميز بين المباني ممرات متفحمة، وأحواض زجاجية ذاتية لا بد أنها كانت بيوت نباتات ذات يوم، وهياكل وأجسام غريبة لا

يسعها تمييز هدف استخدامها، هذا إن لم تكن نصف منصهرة. تقرر أن هذه الدعامة كانت لعقل الخيول، وهذا الإطار ربما كان ما استخدمه الدباغون لتجفيف الجلود. لكن محاولة استخدام المؤلف لتفسير الغرابة لا تنجح، لأن لا شيء عادي بخصوص هذه المدينة. لو كان من عاشوا هنا يركبون شيئاً، فهذا الشيء لم يكن أحصنة، ولو كانوا يصنعون الخزف أو الأدوات، فهم لم يصنعوها من الطين أو السبع، والحرفيون الذين صنعوا هذه الأشياء لم يكونوا مجرد كساري حجارة. إن هؤلاء القوم بنوا مسلة، ثم فقدوا التحكم فيها. لذا لا يمكن الجزم أبداً بالعجائب والفظائع التي كانت تجول في شوارعهم.

وسط توترها، تتوجه ناسون نحو الياقوتية الزرقاء، كي تطمئن نفسها أنها لا تزال قادرة على الوصول إليها عبر أطنان الحمم المتصلبة والمدينة المتحجرة المتحللة. وتجد أنها لا تزال طوع أمرها مثلما كانت وهي على السطح، فتطمئن. تشدّها المسلة برفق -أو بالرفق الذي في استطاعة المسلات- وللحظة تترك نفسها تهيم فيها وتتدفق مع نورها المائع. لا يربعها أنها تنجرف إليها. إن ناسون تثق بمسلتها الياقوتية، بقدر ما يستطيع المرء الثقة بجماهد. إنها الشيء الذي أخبرها عن كوربوينت، وهي الآن تستشعر منها رسالة أخرى، وسط تداخلات خطوطها المتألقة المتشابكة بإحكام... تقول فجأة على نحو يذهلها نفسها: «أمامنا».

شافا يتوقف وينظر إليها. «ماذا؟».

تهزّ ناسون رأسها، تحاول استرداد عقلها من البحر الأزرق. «ال... المكان الذي يجب تزويده بالطاقة. أمامنا مثلما قال فولاذي، بعد المسار».

«المسار؟». يلتفت شافا وينظر عبر الممشى المنحدر. في آخره أمامهما الطبقة الثانية؛ مساحة ملساء عديمة الملامح من تلك المادة البيضاء غير الحجرية، التي يبدو أن بناء المسلات قد استخدموها في كل أطلالهم القديمة الصامدة إلى الآن.

تحاول أن تفسر: «إن الياقوتية... تعرف هذا المكان». يصعب عليها التوضيح صعوبة شرح الأوروچينية لراكد. «لا أقصد هذا المكان بالتحديد، وإنما الأماكن المماثلة...». تتوجه إلى المسلة من جديد، تسألها المزيد بغير كلمات، ويغمرها وميض أزرق من الصور والأحاسيس، والمعتقدات. يتغير منظورها؛ إنها تقف في مركز الطبقات الثلاث، عدا أنها ليست في المغارة، وإنما تواجه الأفق الأزرق عبر غيوم بديعة تتداخل وتتسابق وتحتفي وتولد. تفيض الطبقات حولها بالحركة، لكنها حركة تتداخل بعضها في بعض، وما تميزه منها في لحظات السكون لا تفهمها. مركبات غريبة تشبه العربة التي رأتها في النفق تجري في جوانب المباني، على مسارات تتوهج بألوان مختلفة. المباني كلها تغطيها الخضرة، عناقيد خضراء متسلقة وأسقف عشبية، وزهور تلتف حول العتبات والحوائط. والناس، مئات الأشخاص، يدخلون ويخرجون ويصعدون وينزلون بحركات سريعة، لا تستطيع رؤية وجوههم، لكنها تلتقط لمحات من خصلات سوداء مثل شعر شافا، وأقراطاً بتصاميم فنية ملتفة مثل العناقيد، وأردية تنهافت حول الكواحل، وأصابع مزينة بطبقات ورنيش ملون.

وفي كل مكان، في كل زاوية، توجد الفضة، مادة المسلات، تحت الحرارة والحركة. تتشعب وتتدفق، ليس فقط في مسارات صغيرة وإنما

في أنهار، وعندما تنظر تحتها تجد أنها تقف في حوض من الفضة السائلة، مغمورة حتى قدميها...

ترنح ناسون قليلاً وهي تعود إلى وعيها هذه المرة، ويضع شافا يداً ثابتة على كتفها كي يثبتها. «ناسون؟».

تقول: «أنا بخير». ليست متيقنة من ذلك، لكنها قالته حتى لا تقلقه، ولأن هذا أسهل عليها من قول *أظن أنني كنت في المسلة لبعض الوقت*.

ينحني شافا أمامها وهو يمسك كتفيها. يكاد القلق في تعبيره، فقط يكاد يغطي تجاعيد الإنهاك، والتشتت، وغيرها من علامات المعاناة التي تراكم بداخله. إن ألمه يسوء أكثر هنا، تحت سطح الأرض. لم يصرح شافا بذلك، وناسون لا تعرف سر تعاظم ألمه، لكنها تميزه.

يقول: «لا تثقي بالمسلات يا صغيرة». لا يبدو هذا منه أمراً غريباً أو خاطئاً، كما ينبغي أن يكون. بعفوية تحتضن ناسون شافا، وتقبض عليه بقوة، وتحسس بيدها على مؤخرة عنقه. يقول بخفوت في أذنها: «لقد سمحنا في المرتكز بهذا لقلة فقط». ترمش عينا ناسون، وتتذكر أن نيدا، المسكينة المجنونة القاتلة، قالت شيئاً عن هذا من قبل. «سُمح لي بتذكر هذا لأنه مهم. القليلون الذين بلغوا منزلة التسعة والعشرة خواتم، كانوا قادرين على الشعور بالمسلات، والمسلات أيضاً كانت تشعر بهم. ستجذبك المسلات إليها بطريقة أو بأخرى. إنها تفتقد شيئاً ما، ليست كاملة، وما ينقصها تحتاج إلى أوروچيني ليوفره».

يضغط وجهه في شعرها. «لكن المسلات قتلهم يا ناسونتي». إنها قدرة، لم تغتسل كما ينبغي منذ خرجوا من جيكتي. غير أن كلماته تطغى على أفكارها التافهة مثل هذه. «إن المسلات... أنا أتذكر، أتذكر أنها سوف تغيرك إن استطاعت، سوف تحولك. وهذا ما يرغب فيه أكلو الصخر الصدئون هؤلاء».

تشعر بضغط ذراعيه حولها للحظة تتجلى فيها قوته القديمة، وهذا أجمل شعور في العالم. تدرك في هذه اللحظة أنه لن يتراجع أبدًا، لن يغيب أبدًا حينما تحتاج إليه، ولن يتدنّى أبدًا إلى مجرد إنسان ضعيف عادي. ولقوته هذه تحبه أكثر من الحياة.

تعهده: «حسنًا يا شافا، سأكون حذرة، لن أدعهم يفوزون».

تفكر بل لن تدعه هو، فولاذي، وتعلم أنه يفكر في هذا أيضًا. لن تدعه يفوز، على الأقل ليس من دون أن تحظى بما تريده أولاً.

وعلى هذا يعقدان العزم. وعندما تجذب ناسون نفسها، يومئ شافا ثم ينهض واقفًا. ويمضيان قدمًا.

تقع الطبقة الداخلية عند قاعدة العمود الأزرق القاتم، وتصبح الأبراج المضيئة أكبر مما بدت لهما من بعيد، ربما ضعفي طول شافا، وثلاثة أو أربعة أضعاف عرضه، وتصدر همهمة خافتة يسمعاها عندما يقتربان منها بما يكفي. تحيط هذه الأبراج ما كان ذات يوم مكان المسلة على الأرجح، مثل حاجز يحمي الطبقتين الخارجيتين، مثل سياج يفصل حياة المدينة الصاخبة عن... هذه.

وهذه، تحسبها ناسون في البداية غابة عناقيد شوكية. عناقيد ذات

أشواك تخرج من الأرض وتلفّ وتشابك وتتسلق السطح الداخلي للأبراج الزرقاء، وتملاً كامل المساحة بينها وبين العمود السبجي. ثم ترى أنها ليست بالغابة، فليس فيها أوراق، فقط أشواك، فقط هذه العناقيد الملتفة الشائكة المتشابكة الشبيهة بالحبال، تبدو خشبية لكن لها رائحة الفطر.

يقول شافا: «غريب، أخيراً شيء حي؟».

«لا أظنها حية». تبدو ميتة، لكنها مع ذلك تبرز عماً عداها بهيئة نباتية، ليست غباراً متحللاً على الأرض. لا تحب ناسّون هذا المكان، وسط هذه السيقان القبيحة في ظل العمود السبجي. أهذا هو غرض هذه الأبراج؟ حجب هذه الأشياء المريعة عن بقية المدينة؟ ثم يشير شافا إلى كرمة العناقيد الأقرب إليهما: «لعلها هذه نبتت هنا بعد... بعد البقية».

ترمش ناسّون، وقد لاحظت اختلاف هذه العناقيد عن غيرها، فبقية العناقيد تبدو ميتة تماماً، جافة وسوداء ومهشمة في بعض المواضع. أما هذه فتبدو ربما أنها حية، معقودة في بعض المواضع، وسطحها له هيئة خشب قديم خشن، لكنه سليم. تحتها تمتلئ الأرض بحطام، كتل رمادية وغبار، وقطع من قماش مهترئ جاف ممزق، بل وحتى قطعة حبل متآكل متعفن.

ثمة شيء قاومت ناسّون فعله منذ دخلت مغارة العمود السبجي، ثمة أشياء لا تريد أن تعرفها. لكنها الآن، تغلق عينيها وتتوجه إلى داخل العناقيد، تبحث عن الفضة.

يشقّ عليها هذا في البداية. خلايا هذا الشيء - يتضح أنه حي فعلاً، أقرب إلى فطر منه إلى نبات، لكن فيه أيضاً شيئاً اصطناعياً ميكانيكياً، يكمن في الوظيفة التي يفترض به القيام بها - مضغوطة معاً بإحكام على نحو تتوقع معه ألا تجد بينها أي فضاة، أكثر كثافة من مادة الأشياء داخل أجساد الناس. ترتيب البنية الداخلية لمادتها أقرب إلى مادة الكريستالات، بل إن الخلايا في الواقع مرصوفة في مصفوفات صغيرة مرتبة، وهو أمر لم تره من قبل في كائن حي قط.

والآن وقد رأيت ناسون تكوين مادة العناقيد، وجدت أن ليس فيها أي فضاة، بل ما وجدته بدلاً من ذلك... لا تعرف كيف تصفه. مساحات سلبية، حيث ينبغي أن تجري الفضاة لكنها غير موجودة؟ مساحات يمكن ملؤها بالفضاة. وفيما هي تستكشف هذه المساحات بفضول وانبهار، تبدأ تلاحظ كيف تستجيب هذه الأماكن لإدراكها وتحاول جذبها، أكثر وأكثر، حتى... تنتزع وعيها من هناك وهي تشهق. لقد قال فولاذي إنها ستعرف ما يجب فعله عندما تراها.

شافا، الذي كان جاثماً يتأمل قطعة الحبل، يلتفت نحوها ويتساءل بتجهم: «ماذا هناك؟».

تنظر إليه، لكنها لا تجد الكلمات المناسبة لشرح ما الذي ينبغي فعله. لكنها تعلم ماذا عليها أن تفعل. تتقدم خطوة نحو الكرمة الحية. يقول شافا: «ناسون»، صوته قلق ويحمل تحذيراً مبالغاً.

تقول: «عليّ أن أفعل هذا يا شافا». لقد أدركت الآن أن هذه الكرمة هي ما كان يلتهم فضاة المغارة الخارجية كلها. لماذا؟ إنها تعرف الإجابة،

تعرفها في أعماق التصاميم الأولية لجسدها. «ينبغي أن أزود النظام بالطاقة».

ثم، وقبل أن يتمكن شافا من منعها، تقبض يديها على الكرمة. لا تؤلمها. لكن هذا في الواقع الفخ بعينه. الشعور الذي ينتشر في جسدها لطيفاً، مسترخياً. لولا أنها تدرك الفضة، وتدرك الطريقة التي تسحب بها الكرمة كل ذرة من الفضة من مكانها بين خلاياها، كانت لتحسب أن الكرمة تفعل ما في صالحها، بينما هي في الواقع سوف تقتلها في غضون لحظات.

يبد أن ناسون لديها مصدر آخر للفضة غير جسدها. بتكاسل، عبر جسدها المسترخي، تتوجه إلى الياقوتية، وتستجيب الياقوتية في الحال، بسهولة.

مكبرات، هكذا وصف ألابستر المسلات، من قبل أن تولد ناسون. أما أنتِ فقد وصفتها بالبطاريات، حينما فسرتها من قبل إلى إيكا.

أما ناسون ففهمها للمسلات ببساطة أنها محركات. لقد رأت من قبل في تيريمو كيف تعمل المحركات، في المحركات البسيطة ذات المضخة والتوربينة التي تولد الطاقة المائية والأرضية، وأحياناً محركات أعقد قليلاً مثل التي في رافعات الجبوب. ما تفهمه عن كيفية عمل المحركات لا يكفي للء قمع الخياطة، لكن ثمة حقيقة واحدة واضحة حتى لطفل في العاشرة: كي تعمل المحركات، تحتاج إلى وقود.

هكذا تتدفق ناسون في الزرقة، وتتدفق طاقة الياقوتية عبرها. تبدو الكرمة بين يديها وكأنها تشهق من التدفق المباغت، غير أن هذا في خيالها

فقط، هي متيقنة من ذلك. ثم تبدأ تطنّ بين يديها، وترى كيف تمتلئ المساحات الخاوية بين مصفوفاتها ويتدفق فيها النور الفضي الوهاج. ثم ينقل شيء ما الضوء إلى مكان آخر...

ثم يتردد صوت طرقة قوية في المغارة، تتبعها أخرى لكن أقل شدة، ثم تتزايد إلى إيقاع منتظم، ثم إلى طنين خافت مستمر. تضيء المغارة فجأة مع تحول نور الأبراج إلى وهج أبيض أقوى، وكذا تفعل ألواح النور الأصفر المنهكة المنتشرة وسط بلاط النفق. تجفل ناسون حتى وهي في أعماق الياقوتية، وفي غمضة عين يشدها شافا بعيدًا عن الكرمة. يده ترتجف وهو يحتضنها، لكنه لا يقول شيئًا. يظهر ارتياحه واضحًا وهو يترك ناسون ترتخي في صدره. لقد أمست فجأة مستنزفة تمامًا حتى إن لولا قبضته القوية لوقعت.

وفي تلك الأثناء، يقترب شيء ما عبر المسار.

شيء شبحي، له لون أخضر متلألئ كخنفساء، وهيئة رشيقة انسيابية، وحركته شبه صامته وهو يظهر من مكان ما خلف العمود السبجي. لا شيء من هذا له معنى في عين ناسون؛ شكل هذا الشيء الخارجي يشبه نوعًا قطرة دموع، وإن كان أنحف، ومستدقًا، ونهايته معقوفة لأعلى مثل منقار غراب. حجم هذا الشيء كبير، مثل حجم بيت أو يزيد، ومع ذلك يطفو بخفة فوق الأرض ببضع بوصات، دون أن يرفعه شيء. لا تستطيع أن تخمن مادته، عدا أنه يبدو أن له... بشرة؟ نعم، ترى ناسون عن قرب أن سطح هذا الشيء له ملمس ذو تجاعيد دقيقة وسميكة، مثل جلد متقن الصنعة. وعلى مسافات غير منتظمة

ترى على هذا الجلد نتوءات غريبة، حجم كل منها مثل قبضة يد، ولا يبدو لوجودها غرض واضح.

يتذبذب الشيء ويومض، من الصلابة إلى الشفافية، مثل مسلة. يقول فولاذي، الذي صار فجأة أمامهما وإلى جوار هذا الشيء: «جيد جداً».

ناسون مستنزفة إلى حد يمنعها من أن تفرع، لكنها تتعافى. تضيق قبضة شافا على كتفها من ظهور فولاذي المباغت، ثم ترتخي. يتجاهل فولاذي كلياً منهما. إحدى يدي أكل الصخر مرفوعة نحو الشيء الطافي، مثل فنان فخور يستعرض أحدث إبداعاته. يقول: «لقد منحت النظام طاقة أكثر من الضروري، والفائض اتجه إلى الإضاءة كما ترين، وغيره من الأنظمة مثل نظام التحكم البيئي. أشياء بلا فائدة لكنها عديمة الضرر. ستنفد الطاقة مجدداً في غضون أشهر قليلة، ما دام ليس هناك ما يمنحها مزيداً من الطاقة».

يقول شافا بصوت شديد الخفوت والبرودة: «كاد هذا يقتلها». لا يتوقف فولاذي عن الابتسام. ينتاب ناسون شك أنه يقصد بهذا السخرية من ابتسامات الأوصياء المستمرة. «نعم، لو أنها لم تستخدم المسلة»، ليس في صوته أي أثر للاعتذار، «الموت هو مصير من يحاول شحن النظام، لكن الأوروجينيين القادرين على توجيه السحر من المسلات ينجون، وكذلك الأوصياء، الذين بوسعهم، عادةً، سحب الطاقة من مصادر خارجية».

السحر؟ تستغرب ناسون في حيرة عابرة.

لكن شافا يتوتر. تستغرب غضبه في البداية، ثم تفهم: الأوصياء العاديون، غير الملوئين، بوسعهم سحب الفضة من الأرض وبثها في الكرمة. والملوثون مثل أومبر ونيدا، يستطيعون غالبًا فعل نفس الشيء، شرط أن يكون هذا في خدمة مصالح الأب الأرض وحده. لكن شافا، رغم حجر الأساس فيه، لا يستطيع أن يسحب الفضة حسب مشيئته. لو كانت ناسون معرضة لخطر الموت، فذلك بسبب قصور قدرة شافا. أو هكذا يريد أن يوحي لها فولاذي. تحديق إليه ناسون بغير تصديق، ثم تلتفت إلى شافا مجددًا. لقد استعادت بالفعل بعض قوتها. تقول: «كنت أعرف أنني أستطيع فعلها». لا يزال شافا يحديق إلى فولاذي. تكور ناسون قبضتيها داخل قميصه، وتشده كي ينظر إليها. يرمش عينيه متفاجئًا، ويفعل. «كنت أعرف، وما كنت لأتركك تفعل هذا بالكرمة يا شافا. أنا كنت السبب في...».

تتلعثم وتسكت مرة أخرى، وقد ضاق حلقها بالدموع الوشيجة. جزء من هذا يرجع إلى شدة الأعصاب والإرهاق، لكن أكثره من شعور الذنب الذي يتراكم داخلها له شهور، ويعرب الآن فقط عن نفسه، لأن تعبها يحول دون كبتها له. هي كانت السبب في خسارة شافا لكل شيء؛ القمر الجديد، والأطفال تحت وصايته، ورفقة زميليه الوصيين، ومصدر القوة الموثوق في حجر أساسه، وحتى نومه الهانئ ليلاً. إنها سبب وجوده هنا في غبار مدينة ميتة، وهي سبب أنها على وشك وضع نفسها تحت رحمة آليات أقدم من السانزا، بل ولعلها أقدم من السكون برمتها، بغرض الذهاب إلى مكان مستحيل وفعل أمر مستحيل.

يرى شافا كل هذا فوراً، بفطنة راعي أطفال قديم. يتبدد التجهم فوراً من وجهه، ويهز رأسه وينحني كي يواجهها. يقول: «لا، لا شيء بسببك يا ناسونتي. مهما كلفني الأمر، ومهما سيكلفني، سأظل أذكر دائماً أنني... أنني...».

يتذبذب تعبير وجهه. يظهر للحظة خاطفة هذا الارتباك الضبابي الغائم الفظيع، الذي يهدد بمحو حتى هذه اللحظة التي يعمد فيها إلى إظهار قوتها لها. تلتقط ناسون أنفاسها، وتركز عليه في مجال الفضة، وتكشف عن أسنانها وهي ترى حجر الأساس في داخله حياً مجدداً، يهيج أعصابه بوحشية ويفرد شبكته داخل مخه، محاولاً حتى في هذه اللحظة إجباره على الخضوع.

تفكر بغضب مباغت: لا. تقبض على كتفيه وترجّه. يتطلب هذا جهد جسدها كله، فهو رجل ضخّم، لكنها تجعله فعلاً يرمش عينيه ويركز وسط الضباب. تقول: «أنت شافا، أنت شافا! و... وأنت صاحب الاختيار»، لأن هذا مهم، فهذا هو الشيء الذي لا يريد العالم من أمثالهم أن يفعلوه. «أنت لم تعد وصياً عليّ بعد الآن، إنما أنت...»، أخيراً تجرؤ على قولها جهراً، «أنت أبي. وهذا يعني أننا أسرة، وعلينا أن نتعاون معاً كما تفعل العائلات، أليس كذلك؟ يجب أن تتركني أحبك أحياناً».

ينظر شافا نحوها، ويتنهد، وينحني ويقبل جبينها. يظل في مكانه بعدما يقبلها، أنه لَصَقَ شعرها. تبذل ناسون جهداً خارقاً كي لا تنفجر في البكاء. وعندما يتحدث أخيراً، يخفت الضباب الفظيع، وكذلك

بعض تجاعيد الألم حول عينيه. «حسنًا يا ناسون. أحيانًا، يمكنك أن تحميني».

الآن، وقد حلّت هذه المسألة، تستنشق، وتمسح أنفها في كمها، ثم تلتفت وتواجه فولاذي. لم يتغير وضعه. تترك شافا وتتجه إليه، ثم تتوقف أمامه مباشرة. عيناه تتبعانها، ببطء كسول. «لا تفعل هذا مرة أخرى».

تكاد تتوقع منه أن يقول بصوت من يعرف أكثر من اللازم: *أفعل ماذا؟* لكنه يقول بدلًا من ذلك: «كان إحضاره معنا خطأ».

يغمر البرد ناسون، ثم تسخن. أهذا تهديد؟ أم تحذير؟ لا يعجبها هذا ولا ذاك. تشعر بفكها ينشدّ حتى تكاد تعضّ لسانها عندما تتكلم. «لا أهتم».

لا رد غير الصمت. أهو إذعان؟ موافقة؟ إحجام عن الجدل؟ لا تعلم. تريد أن تصرخ فيه: قل إنك لن تؤذي شافا مرة أخرى! حتى وهي تشعر أن الصياح على الكبار عيب. لكنها قضت السنوات الثلاث المنصرمة وهي تتعلم أن الكبار مجرد ناس، والناس أحيانًا يخطئون، وينبغي أن يصيح أحدهم عليهم لذلك.

لكن ناسون منهكة، فبدلًا من ذلك تعود إلى شافا، وتشدّ على يده بإحكام، وتحقق إلى فولاذي، تتحداه أن يقول شيئًا آخر. لكنه لا ينطق. جيد.

يتموج الشيء الأخضر الضخم بشكل ما، فيلتفتون جميعًا نحوه. ثمة شيء... ناسون ترتعش، بمزيج من الانبهار والاشمئزاز. ثمة

شيء ينمو من التتوءات الغربية على سطحه. يبلغ طول كل منها عدة أقدام، رفيعة، تشبه الريشة، تستدق عند أطرافها. وتصبح فجأة هناك عشرات من تلك الأشياء، تنثني وتحرك برفق وكأنها يحركها نسيم غير موجود. تفكر ناسون مرة واحدة: «أهداب»، وهي تتذكر صورة في كتاب أحياء قديم في المدرسة. منطقي، ما دام هؤلاء قوم يبنون المباني من النباتات، فلم لا يبنون العربات مثل الجراثيم؟

تومض بعض الريشات أكثر من غيرها، وتتجمع للحظة عند نقطة بعينها من جانب هذا الشيء، ثم تراجع كلها وتسطح على سطح هذا الشيء، فتكشف عن مدخل مستطيل. من المدخل ترى ناسون ضوءًا خافتًا وصفوف مقاعد تبدو مريحة على نحو مفاجئ. سيسافران إلى آخر العالم في رفاهية.

ترفع ناسون عينها إلى شافا، يومئ لها بفك مغلق بإحكام. تنظر إلى فولاذي، الذي لا يتحرك ولا يحاول أن ينضم إليهما.

ثم يصعدان على متن الكائن، فيغلق الريش خلفهما. وفيما هما يجلسان، تصدر العربة الهائلة صوتًا عميقًا رنانًا، ثم تبدأ تتحرك.

لا خير في مال، حين يبدأ الرماد ينهال.

اللوحة الثالث - «البنيان» - البيت العاشر

سيل أناجيسٽ: ٢

إنه لبيت بديع. مضغوط، لكنه مصمم بأناقة ويزخر بالمفروشات الجميلة. نعمن النظر في أقواس الأسقف ورفوف الكتب والسلام الحشبية. لا تنمو من الحوائط السليولوزية سوى نباتات قليلة، لذا فالهواء جاف وعطن قليلاً. له شعور كالمتحف. نلتصق بعضنا ببعض في الغرفة الكبيرة في مقدمة البيت، نخاف أن نتحرك، نخاف أن نلمس شيئاً.

يسأل أحدهنا كلنلي: «أتعيشين هنا؟».

تقول: «أحياناً». وجهها يخلو من التعبيرات، لكن ثمة شيء في صوتها يقلقني. «اتبعوني».

تقودنا عبر البيت، وهو مكان مريح إلى حد مذهل، كل سطح فيه ناعم وقابل للجلوس، حتى الأرضية. يلفت انتباهي أن لا شيء هنا أبيض؛ الحوائط خضراء وفي بعض الأماكن مطلية بلون خمري غامق ثقيل. وفي الغرفة المجاورة تغطي الأسرة أقمشة زرقاء وذهبية تتباين في ملمسها. لا شيء هنا صلب ولا شيء عار. لم يسبق لي التفكير أن الغرفة التي أعيش فيها زنزانة، لكنني الآن أفعل، لأول مرة.

فكرت اليوم في أشياء كثيرة جديدة، خاصة خلال رحلتنا إلى هذا المنزل. لقد قطعنا الطريق كله مشيًا، حتى أوجعتنا أقدامنا غير المعتادة على الاستخدام. ولم يتوقف الناس عن التحديق فينا طوال الطريق. تهامس بعضهم، ومدّ أحدهم يده ليتحسس شعري، ثم ضحك حينما جفلت منه. وفي لحظة ما اتبعنا أحدهم، مسن، ذو شعر رمادي قصير له نفس ملمس شعرنا، وأخذ يردد أقوالاً غاضبة. بعضها لم أسمع مثله من قبل (مثل «يا شر الخلق» و«يا مشقوق اللسان»)، وبعضها مألوف، لكنني لم أفهم (مثل «شدوذ»، «كان ينبغي محوكم»)، وهذا كان غريبًا، لأننا تم تصميمنا بعناية وعن قصد. اتهمنا الرجل بالكذب، مع أن أحدنا لم يتحدث إليه، وبأننا تظاهرنّا فقط بأننا ذهبنا (إلى مكان ما). وقال إن آباءه وأجداده قد علموه أن الوحوش المرعبة، مثلنا، هم العدو الحقيقي لجميع الناس الطيبين، وأنه ينوي أن يتأكد أننا لن نؤذي أي شخص آخر بعد الآن.

دنا منا بقبضتين كبيرتين مكورتين. وبينما تعثرنا بين بعضنا مشدوهين ومرتبكين، دون أن نستوعب حتى أننا في خطر، كشف بعض حراسنا الخفيين عن أنفسهم، وأخذوا الرجل نحو مدخل مبنى، حيث أمسكوا به وهو يصرخ ويصارع كي يقترب منا. لم تتوقف كلنلي عن المشي لحظة إبان كل ذلك، برأس مرفوعة، دون أن تنظر إلى الرجل. اتبعناها، فلم نعلم ماذا نفعل غير ذلك، وبعد لحظة تركنا الرجل خلفنا، كلماته تذوب في ضوضاء المدينة.

لاحقًا، سألت چيواه وهي ترتعش قليلًا كلنلي عن خطب الرجل الغاضب. ضحكت كلنلي وقالت: «إنه سيل أنا جيستي». سككت چيواه

مرتبكة، فأرسلنا إليها جميعاً نبضات سريعة مطمئنة، تخبرها أننا نشاركها نفس الحيرة، وهذه ليست مشكلتها وحدها.

نفهم أن هذا هو الطبيعي في سيل أناجيس، نفهم هذا ونحن نمشي عبرها، نفهمه من الناس الطبيعيين في الشوارع الطبيعية، ومن اللمسات الطبيعية التي تجعلنا نجفل أو نتصلب أو نتراجع بسرعة، ومن البيوت الطبيعية ذات الأثاث الطبيعي، ومن النظرات الطبيعية التي تتجنبنا أو تتجهم منا أو تحرق إلينا. تعلمنا المدينة بكل لمحة من طبيعتها مدى لا طبيعيتها. لم أكرث من قبل بأننا مصنعون، تمت هندستنا جينياً على يد كبار السحر البيولوجي، ونشأنا في كبسولات وسط المحاليل المغذية، وصُبننا في النهاية كاملي النمو، كيلا يحتاج أينا إلى رعاية. لقد كنت... فخوراً، حتى الآن، فخوراً بماهيتي. لقد كنت راضياً. لكني الآن أرى كيف ينظر إلينا أولئك الناس العاديون، فيؤلمني قلبي. ولا أفهم السبب. لعل كل هذا المشي أفسدني.

تقودنا كلنلي عبر منزلها الفخم. ثم نعبّر من مدخلٍ فنجد أنفسنا في حديقة شاسعة مترامية الأطراف خلف المنزل. أسفل بعض الدرجات وحول ممر ترابي، توجد أحواض زهور في كل مكان، عبقها يدعونا إلى الاقتراب. إن هذه ليست مثل أحواض الزهور المصممة بعناية والمهندسة جينياً في المجمع، ذات الألوان المرتبة اللامعة، بل هذه زهور برية، ولعلها أدنى، سيقانها عشوائية الطول وبتلاتها غير مثالية. ومع ذلك... أحببتها. بساط الأشنات الذي يغطي الممر يدعونا إلى تفحصه عن كثب، فتتناقش بنبضات سريعة ونحن ننحني عليه، لتتحرى سر

نعومته الممتعة التي نستشعرها بأقدامنا. يتدلى مقص معلق على وتد، فأقاوم الرغبة في قص بعض الوردات البنفسجية والاحتفاظ بها لنفسى، غير أن چيواه تفعل، وتقبض على بعض الزهور بين يديها بإحكام. لم يُسمح لنا من قبل قط بامتلاك أي شيء.

لا أستطيع التوقف عن مراقبة كلنلي خلسة وهي تراقب لعبنا. شدة اهتمامي بها تربكني وتخيفني قليلاً، ومع ذلك لا يبدو أنني قادر على مقاومة ذلك. لطالما عرفت أن الميسرين فشلوا في تجريدنا من المشاعر، لكنني... حسبت أننا أرقى من شدة الشعور هذه. وهذا جزء غروري. ها نحن الآن غارقون في الأحاسيس وردود الأفعال؛ چيواه منكشمة في ركنٍ مع المقصات، مستعدة للدفاع عن ورداتها حتى الموت، ودوشواه يلف في دوائر، يضحك بجنون، لا أدري على ماذا، ويمنواه تزنق أحد الحراس وتمطره بالأسئلة عما شهدناه أثناء رحلتنا، ويبدو على الحارس تعبير محاصر ويأمل في النجدة، وساليواه ورمواه منخرطان في نقاش محتدم، جاثيان بجوار بركة صغيرة، يحاولان تحديد إذا ما كانت الكائنات في المياه أسماكاً أم ضفادع. حديثهما مسموع، لا حديث أرضي على الإطلاق.

وأنا، أنا الأحمق، أراقب كلنلي. أريد أن أفهم ما الذي تريدنا أن نتعلمه، سواء من هذا الفن الذي رأيناه في المتحف، أو من التسكع الكسول في الحديقة بعد الظهيرة. لا يكشف وجهها ولا سسبيتها عن شيء، لكن هذا لا يزعجني. أنا لا أريد إلا النظر إلى وجهها وغمر نفسي في حضورها الأوروچيني القوي العميق. لا أفهم سر ذلك. قد يزعجها

هذا، لكنها حتى لو انزعجت فهي تتجاهلني. أريدها أن تنظر إليّ، أن أتكلّم معها. أريد أن أكون كلّني.

أقرر أن ما أشعر به هو الحب. وحتى لو لم يكن كذلك، فالفكرة نفسها جديدة بما يكفي لتأسرني، لهذا أقرر أن أتبع الشعور إلى حيث يقودني.

بعد فترة، تنهض كلّني وتبتعد عن حيث نتسكع في الحديقة. في مركز الحديقة مبنى صغير، مثل بيت صغير، لكنه من الطوب بدلاً من المادة الخضراء السيلولوزية التي تُشيد منها المباني، لكن نبتة متسلقة عنيدة تسلقت حائطه القريب. عندما تفتح كلّني باب هذا البيت، أنا الوحيد الذي يلاحظها، لكن ما إن تخطو إلى الداخل، حتى يتوقف الجميع عمّا يفعلونه وينهضون، يراقبون. تتوقف، مستمتعة - على ما أظن - بصمتنا المفاجئ وارتابكنا، ثم تتنهد، وتهزّ رأسها بحركة صامتة بمعنى: تعالوا. فنهرع خلفها.

نحشر أنفسنا بعناية خلف كلّني، فالمكان ضيق. أرضية هذا البيت الصغير خشبية ومفروشاتة قليلة، يكاد يكون عاريًا من الأثاث مثل زنازيننا في المجمع، لكن ثمة اختلافات مهمة؛ تجلس كلّني على أحد المقاعد فندرك أن هذا مكانها. أهو... زنزانتها؟ لا، فهناك تفاصيل خاصة في المكان، أشياء توفر انطباعات ملهمة حول شخصية كلّني وماضيها. كتب على رف في ركن تعني أن ثمة من علمها القراءة، وفرشاة على حافة حوض تشير إلى أنها تمشط شعرها بنفسها، بتعجل وفقاً لحالته المشعث. ربما يكون المنزل الكبير هو المكان الذي ينبغي أن

تكون فيه، وربما تنام هناك أحيانًا، غير أن بيت الحديقة الصغير هذا، هو بيتها.

تقول كلنلي برفق: «لقد نشأت مع الميسّر جالات»، وكنا قد جلسنا حولها على الأرض والفراش، نتوق إلى الإنصات إلى حكمتها، «كنت أنا التجربة وهو عنصر التحكم، مثلما أنا عنصر التحكم في تجربتكم. فهو عادي تمامًا، إلا من قطرة صغيرة من سلف غير مرغوب فيه».

أرمش بعيني البيضاء الثلجية، وأفكر في جالات، وأفهم فجأة أشياء عديدة. تبتسم حينما يفتح فمي في دائرة، لكنها ابتسامة لا تدوم. «والدا جالات، من حسبتها والديّ، لم يخبراني في البداية بحقيقتي. فذهبت إلى المدرسة ولعبت الألعاب، وفعلت كل شيء طبيعي تفعله أي بنت سيل أناجيستية وهي تكبر. لكنهما لم يعاملاني بنفس الطريقة. ولزمن طويل، حسبت أن هذا بسبب شيء فعلته»، تنجرف نظرتها، تثقلها مرارة قديمة، «وتساءلت: هل أنا بشعة إلى حد أن حتى والداي لا يستطيعان أن يجبانني؟».

ينحني رمواه كي يتحسس ألواح الأرضية الخشبية برفق. لا أفهم سبب فعله لأي شيء. ساليواه لم تزل في الخارج، فذوقها الرفيع لا يطيق ضيق بيت كلنلي الصغير، وذهبت خلف طائر سريع الحركة يقفز بين الزهور. لكنها تسمعنا، عبر باب البيت المفتوح. فنحن جميعًا نحتاج إلى سماع ما تقوله كلنلي، بصوتها، وبذبذباتها، وبثقل الجبال في نظرتها.

تسأل چيواه: «لماذا خدعاك؟».

«كانت التجربة تهدف إلى معرفة هل يمكن أن أكون إنسانة»، تبتسم
كلنلي لنفسها. تجلس منحنية إلى الأمام في مقعدها، مرفقاها على ركبتيها،
تنظر إلى يديها. «إلى معرفة هل يمكن، لو أنني كبرت على أيادي أناس
محترمين طبيعيين، أن أصبح محترمة، حتى لو لم أكن طبيعية. بذلك صار
كل إنجاز لي هو نجاح سيل أناجيستي، وكل فشل دليل على انحطاط
أصلي الجيني».

تبادل أنا وحيواه النظرات. تسألها بتعجب بالغ: «وما الذي قد
يجعلك غير محترمة؟».

تخرج كلنلي من ذهولها وتنظر إلينا للحظة، وفي ذلك الوقت، نشعر
بعمق الفجوة بيننا. إنها ترى نفسها واحدة منا، وهذا صحيح، لكنها
ترى نفسها شخصًا أيضًا. وهذان أمران لا يستويان.

تقول بخفوت، بتساؤل يردد صدى أفكارها: «يا شر الموت، أنتم
لا تعرفون شيئًا حقًا».

كان حراسنا قد اتخذوا مواقعهم على رأس الدَّرَج المؤدي إلى
الحديقة، خارج نطاق السمع. لنا في هذا المكان أقصى قدر من
الخصوصية حظينا بها اليوم. من المرجح أنه مُراقب بشكل ما، لكن لا
يبدو أن كلنلي تأبه بهذا، ولا نحن أيضًا. ترفع قدميها، وتلف ذراعيها
حول ركبتيها، تبدو هشة على نحو غريب، بالنسبة إلى شخص وجوده
الأرضي بعمق وكثافة جبل. أتوجه بيدي كي ألمس كاحلها، بجرأة
بالغة، فترمش، وتبتسم لي، وتغطي أصابعي بيدها. لن أفهم مشاعري
إلا بعد ذلك بقرون.

ويبدو أن هذا التواصل قد منحها بعض القوة. تذوي ابتسامتها وتقول: «سأخبركم إذن».

لا يزال رمواه يستكشف الأرضية. يتحسسها بأصابعه، ويرسل عبر جزئياتها: /يفترض بك فعلاً /إخبارنا؟ أشعر بالخرج، لأن هذا شيء كان ينبغي أن أفكر أنا فيه.

تهز رأسها وتبتسم. لا، لا ينبغي عليها ذلك.

لكنها تفعل، وتخبّرنا عبر الأرض، وبذلك نعلم أنها صادقة.

أتذكرين ما أخبرتك به، أن السكون آنذاك كانت ثلاث قارات لا واحدة؟ أسماؤهم، لو أن ذلك يهم: ميكار، قاهيرار، وسيلير. سيل أناجيست بدأت جزءاً من قاهيرار، ثم شملتها كلها، ثم ميكار كلها. كل ذلك أصبح سيل أناجيست.

أما سيلير، الواقعة في الجنوب، فكانت ذات يوم أرضاً يعيش فيه قوميات صغيرة عديدة لا شأن لهم، أحد هذه القوميات كان اسمهم نيسيس، كان نطق اسمهم بالطريقة الصحيحة عسيراً، فأطلق عليهم السيل أناجيسيون نيسيس. لم تكن للكلمتين نفس المعنى، لكن مع الزمن شاع الاسم الثاني.

استولى السيل أناجيسيون على أراضيهم، فقاوم النيسيسيون، ثم استجابوا مثلما يفعل كل كائن حي يتعرض للتهديد، بالتشتت، وذهب كل من تبقى منهم ليرمي جذوره في أي مكان، عساه أن ينجو إن استطاع. أصبح نسل النيسيسيون جزءاً من كل قارة، كل قوم، واندمجوا في البقية

وتبنوا العادات المحلية. على أنهم تمكنوا من الحفاظ على هويتهم، وتابعوا الحديث بلغتهم الأصلية حتى وقد أنقنوا السنة الآخرين. وحافظوا أيضًا على بعض عاداتهم القديمة، مثل شق ألسنتهم بالحمض، لأسباب لا يعرفها غيرهم. ومع أنهم فقدوا كثيرًا من هيتهم التي كانت مميزة بفضل عزلتهم السابقة، احتفظ كثيرون بما يكفي منها حتى اليوم، حتى إن عين بياض الثلج وشعر رماد البراكين لا يزال لهما وصمة معينة حتى يومنا هذا. لعلك تفهمين الآن.

لكن ما ميز النيس أكثر شيء كان سحرهم. إن السحر في كل مكان في العالم، الكل يراه، يشعر به، يتدفق معه. في سيل أناجست، يُزرع السحر في كل حديقة وكل صف أشجار وكل شجرة وكل كرمة، وعلى كل بيت أو مكان عمل أن ينتج منه نصيبًا تحصده العناقيد وتضخه كي يصبح مصدر طاقة للحضارة والعالم. إن القتل محرم في سيل أناجست، لأن الحياة مصدر طاقة ثمين.

لكن النيسيين لم يؤمنوا بذلك. كانوا يعتقدون أن السحر لا يجب أن يُمتلك، مثله في ذلك مثل الحياة نفسها، ولذلك كانوا يهدرونه في بناء محركات بلوتونية (وأشياء أخرى) لا تنتج شيئًا، يبنونها فقط لأنها... جميلة، أو لأنها مثيرة للتأمل، أو لمجرد متعة الإبداع. ومع ذلك كان هذا الـ«فن» يعمل بكفاءة وقوة أكثر من أي شيء استطاع السيل أناجستيون صنعه على الإطلاق.

كيف بدأ ما عقب ذلك؟ عليك أن تفهمي أن الخوف هو أصل مثل هذه الأمور. كان النيسيون مختلفين، هيئة وسلوكًا، كانوا مختلفين

في ماهيتهم... لكن كل القوميات تختلف فيما بينها. ليس الاختلاف وحده كافياً أبداً لتحفيز المشاكل. هيمنة السيل أناجيستيون على العالم كانت قد اكتملت قبل قرن كامل من يوم صُبننا، وكل المدن صارت سيل أناجيست، وكل اللغات سيل أناجيستية. لكن أحداً لم يكن مذعوراً أو مبالغاً في ذعره بقدر الغزاة. كانوا يستحضرون الأشباح بلا نهاية، ويخشون عودة ضحاياهم ذات يوم ليفعلوا بهم ما فعلوه بهم، حتى ولو كان ضحاياهم، في الواقع، لا يهتمون بهذه الصغائر وتجاوزوها. إن الغزاة يعيشون في رعب دائم من اليوم الذي سيظهر فيه أنهم ليسوا متفوقين، وإنما ببساطة محظوظون.

لذا، حينها اتضح أن السحر النيسي أكفأ من السيل أناجيستي، حتى مع أن النيسيون لم يستخدموه كسلاح...

هذا ما قالته لنا كلنلي... ربما بدأ الأمر بهمسات تقول إن عيون النيسيين البضاء ضعيفة البصر وقليلة الأدب، وإن أَلستهم المشقوقة يشقّ عليها قول الحقيقة، وسخریات من هذا القبيل، تنمر ثقافي، ثم ساءت الأمور. بات من الأسهل على الباحث أن يبني سمعته ومشواره العلمي حول فكرة أن السسبينا النيسية مختلفة جذرياً عن سسبينات البقية، أكثر حساسية ونشاطاً، وأقل تحكماً وحضارة، وهذا سر خصوصيتهم السحرية. وبهذا صاروا نوع بشر آخر غير البقية، ثم ليسوا بشراً بقدر البقية، وفي النهاية ليسوا بشراً على الإطلاق.

وما إن ذهب النيسيون، حتى أمسى واضحاً بالطبع أن كل ما نُسب إلى السسبينا النيسية غير صحيح. حظي الباحثون والسحرة

البيولوجيون السيل أناجيستيون بعديد من الأسرى كي يدرسوهم، لكنهم مهما حاولوا، لم يجدوا اختلافًا أو تنوعًا مختلفًا فيهم عن الناس العاديين. كان هذا غير محتمل، فإن كان النيسيون في النهاية مجرد بشر عاديين، فعلى أي أساس وضعت الميزانيات العسكرية، والتفسيرات الديماجوجية، وقامت مجالات علمية كاملة؟ بل حتى الحلم الكبير ذاته، الجيواركانية، كان أساسه أن نظرية السحر السيل أناجيستية، التي تنبذ الكفاءة النيسية باعتبارها صدفة فسيولوجية، هي نظرية معصومة من الخطأ.

لو كان النيسيون مجرد بشر، فالعالم الذي بُني على عدم إنسانيتهم سوف ينهار.

وهكذا... صنعونا.

نحن بقايا نيس المهندسة بعناية والمفرغة من الجوهر، بسسبينات أكثر تعقيدًا من سسبينات الناس العاديين. في البداية صنعوا كلنلي، لكنها لم تكن مختلفة بما يكفي. لا تنس أننا لا يكفي أن نكون مجرد أدوات، وإنما أساطير. لذلك كان تصميمنا اللاحق بملامح نيسية مبالغ؛ أوجه عريضة وأفواه صغيرة، وبشرة تفتقر إلى الألوان تقريبًا، وشعر لا يستجيب للأمشاط الصغيرة، وقصار القامة بشدة. وجردوا أنظمتنا النيروكيميائية وحياتنا كلها من خبرة اللغة والمعرفة. والآن فقط، بعدما شكلونا على هيئة مخاوفهم، أصبحوا راضين. يقولون لأنفسهم إنهم تمكنوا من أسر الجوهر النيسي الحقيقي فينا، وهنؤوا أنفسهم على أنهم جعلوا لأعدائهم القدامى أخيرًا فائدة.

لكننا لسنا نيسيين. لسنا حتى رموزًا عظيمة للتفوق المعرفي كما
حسبنا أنفسنا. لقد بُنيت سيل أناجيست على الأوهام، ونحن حصاد
الأكاذيب. وليست لديهم أدنى فكرة عن حقيقتنا.
لهذا، نحن من سيقدر مصيرنا ومستقبلنا.

حينما انتهى درس كلنلي، كان قد مرت عدة ساعات، ونحن نجلس
حول قدميها، مصعوقين، وقد تغيرنا ولا زلنا نتغير مما سمعناه.
يتأخر الوقت. تنهض. تقول: «سأذهب وأجلب بعض الطعام
والبطانيات. ستقضون الليلة هنا، وغداً سنذهب لزيارة الجزء الثالث
والأخير من مهمة دوزنتكم».

لم يسبق لنا النوم في أي مكان غير زنازيننا من قبل قط. كم أن هذا
مثير. ترسل جيواه نبضات مبتهجة صغيرة عبر البيئة المحيطة، بينما
يرسل رمواه موجة ثابتة من الرضا. أما دوشواه وبيمينواه فيصدر عنهما
من وقت إلى آخر خفقات متوترة. هل سنكون بخير ونحن نفعل الشيء
الذي كان يفعله البشر طوال الوقت على مر الزمان، أي النوم في مكان
جديد؟ يتكوران محتضنين التماساً للأمان، عدا أن هذا يزيد قلقهما لبعض
الوقت، فنحن لا يُسمح لنا بالتلامس. غير أنهما يمسدان بعضهما بعضاً،
ورويداً رويداً هذا يطمئنهما.

تبتسم كلنلي من خوفهما. تقول: «ستكونان بخير، وإن كنت أظن
أنكما ستدركان هذا وحدكما في الصباح». ثم تتجه إلى الباب كي تذهب.
أقف عند الباب، وأنظر عبر النافذة نحو القمر الذي بزغ فوراً. تلمسني

لأنني أعيق طريقها. لكنني لا أتحرك فوراً، فالنافذة في زنزانتي لا تواجه القمر، لهذا لا أراه كثيراً، وأريد أن أستمتع بجماله قدر الإمكان.

أسأل كلنلي وأنا لم أزل أتأمل القمر: «لماذا جئت بنا هنا؟ لماذا تخبرينا بهذه الأمور؟».

لا تجيب على الفور. أظنها تنظر إلى القمر أيضاً. ثم تقول عبر ترددات الأرض: لقد درست نيبس وثقافتها قدر ما استطعت. لم يتبق منها الكثير، وكان عليّ تمييز الحقيقة بين الأكاذيب. لكنهم كانت لديهم... ممارسة، مهنة من نوع ما، أناس وظيفتهم هي العمل على ذكر الحقيقة.

أتجهم حيرة. «وماذا في هذا؟ هل قررت متابعة تقاليد قوم ميتين؟»، قلتها بالكلمات، بعند.

تهزّ كتفيها. «ولم لا؟».

أهزّ رأسي. أنا متعب، ومثقل، وربما حانق قليلاً. قلب هذا اليوم إحساسي بنفسي رأساً على عقب. لقد عشت حياتي كلها أرى نفسي أداة، لا شخصاً، لكنني على الأقل رمز للقوة والعبقرية والفخر. أما الآن فقد علمت أنني لست رمزا إلا لجنون الاضطهاد والجشع والكراهية. هذا ليس بالأمر الذي يسهل تقبله.

أنفجر قائلاً: «دعك من النيسيين. لقد ماتوا، ولا طائل وراء محاولة تذكرهم».

أريدها أن تغضب، لكنها تهز كتفيها لا أكثر. «لك أن تقرر هذا... لكن بعد أن تعرف ما يكفيك لأخذ قرار واع».

«ومن قال إنني أريد أن أعرف شيئاً؟». أتكى على الباب الزجاجي،
أجده بارداً ولا يلسع أصابعي.

«ألم ترغب في أن تصبح قويا كي تمسك الأونيكسية؟».

تندّ عني ضحكة خافتة، وقد منعتني إرهابي من تذكر وجوب
التظاهر بعدم الشعور. عسى ألا يلاحظ هذا مراقبونا. أنتقل إلى كلام
الأرض، وأقول بمزيج حمضي مضغوط يغلي من الاحتقار والازدراء
وكسرة القلب: لم يعد هذا يفرق في شيء، فالجيوأركانية كذبة.

تبدد شفقتي على نفسي بضحكة رقيقة لا تقاوم، «آه منك أيها
المفكر، لم أتوقع منك الدراما».

«ما هي الدر...»، ثم أهز رأسي وألزم الصمت، وقد تعبت من
الجهل بالأمور. وأزداد عبوساً.

تتهند كلنلي وتلمس كتفي. أجفل، لست معتاداً على دفء لمسة
شخص آخر، لكنها تبقي يدها عليّ، وهذا يهدئني.

تقول: «فكر... هل يعمل المحرك البلوتوني أم لا؟ هل تعمل
سسيبتك أم لا؟ أنت لست ما صنعوك كي تكونه، لكن هل ذلك ينفي
ما أنت عليه؟».

«أنا... هذا سؤال بلا معنى»، أقول هذا من باب العند، لكنني أفهم
قصدها. أنا لست ما صنعوني كي أكونه، بل شيئاً آخر، شيئاً أقوى على
نحو لم يتوقعوه. لقد صنعوني، لكنهم لا يتحكمون فيّ، ليس بالكامل.
لهذا عندنا مشاعر مع أنهم حاولوا تجريدي منها. لهذا نتحدث عبر
الأرض... وربما لدينا هبات أخرى لا يعلم الميسرون عنها شيئاً.

تربت على كتفي، سعيدة بأنني يبدو عليّ التفكير فيما أخبرني به. تناديني بقعة في أرضية بيتها، سوف أنام بعمق هذه الليلة. غير أنني أقاوم تعبي وأتابع تركيزي عليها، لأنني أحتاج إليها أكثر ما أنا أحتاج إلى النوم... حتى الآن.

أسألها: «وهل تعدّين نفسك أحد هؤلاء... قائل الحقائق؟».

«قولة. آخر القوالين النييسيين، إن جاز لي اعتبار نفسي كذلك». تبهت ابتسامتها مرة واحدة، ولأول مرة أدرك هول التعب والمرارة وخطوط الشقاء التي تخفيهم ابتسامتها. «كان القوالون محاربين وحكّائين، ونبلاء. كانوا يقولون الحقيقة من خلال كتبهم وأغانيتهم ومحركاتهم الفنية، أما أنا... فلا أزيد عن الكلام. لكنني أشعر وكأنني أستحق ارتداء عباءتهم». ففي النهاية، ليس السكين وحده سلاح المحاربين.

كلام الأرض لا ينقل سوى الحقائق، حقائق تزيد أحياناً عما يريد المرء قوله. أشعر بشيء ما في مرارتها. صمود قاتم. لمحة خوف مثل قطرة من حمض مالح. تصميم على حماية... شيء ما. ذهب كل هذا، ذبذبة عابرة، قبل أن أستطيع تمييز المزيد منها.

تأخذ نفساً عميقاً وتبتسم مرة أخرى. قليلة هي ابتساماتها الحقيقية. تتابع: «كي تتمكن من الأونيكسية، عليك أن تستوعب النييسية. ما لا يدركه الميسرون أن الأونيكسية تستجيب بأفضل شكل ممكن لتردد شعوري معين. كل ما أقوله لك سوف يساعدك».

وأخيراً، تدفعني برفق عن طريقها كي تذهب. السؤال الذي ينبغي قوله الآن: «ماذا حدث لهم إذن؟ أعني النييسيون».

تتوقف، تضحك، ضحكة حقيقية لأول مرة. «ستعرف هذا غداً، فسوف نذهب لرؤيتهم».

أرتبك. «في مقابرهم؟».

تقول وهي ذاهبة: «الحياة مقدسة في سيل أناجيست»، تخرج من الباب وتتابع المشي من دون أن تتوقف أو تلتفت، «ألا تعلم هذا؟»، ثم تذهب.

أشعر وكأنني يجب أن أفهم هذه الإجابة وحدي... لكنني لا زلت بريئاً. وكلني طيبة، تتركني أحافظ على هذه البراءة بقية الليلة.

إلى: ألما مبتكرة ديبارس

من: بيتر مبتكر ديبارس

ألما، لا يجب أن توقف اللجنة تمويلي. هذه تواريخ الحوادث التي جمعتها، انظري فقط في آخر عشرة:

٢٧٢٩

٢٧١٤ - ٢٧١٩: الاختناق

٢٦٩٩

٢٦١٣

٢٥٨٣

٢٥٦٢

٢٥٣٠

٢٥٠١

٢٤٩٠

٢٤٧٠

٢٤٠٠

٢٣٢٢-٢٣٢٩: الحمض

ألا تهتم الجامعة السابعة بأن التصور الشائع عن تكرارية الأحداث المؤدية للمواسم خاطئ بالكامل؟ إن هذه الأشياء لا تحدث كل مئتي أو ثلاث مئة عام، بل هي أقرب إلى كل ثلاثين أو أربعين سنة. لولا الروجات لكنا جميعًا ميتين ألف مرة. إنني أحاول من خلال هذه التواريخ التي جمعتها وغيرها، أن أضع نموذجًا تنبئيًا بالمواسم الأشد من غيرها. ثمة دورة، ثمة إيقاع. ألا يجدر بنا أن نخمن مسبقًا متى سيحين الموسم الأطول والأسوأ القادم؟ كيف لنا أن نستعد للمستقبل من دون أن ندرك ما وقع في الماضي؟

الصحراء، وأنت

الصحاري من أسوأ الأماكن خلال المواسم. تخبر تونكي إيكّا أن أمر المياه سيكون بسيطاً، فقد أقام مبتكرو كاستريما عددًا من الأدوات التي يسمونها «مصائد الندى». ولن تسبب الشمس مشكلة أيضًا، بفضل غيوم الرماد التي لم يكن أحد ليحسب أبدًا أنها سيكون لها فضل. بل إن الطقس في الواقع سيكون باردًا، وإن كانت برودته ستقل في النهار. بل لعلك تشهدين سقوط بعض الثلج.

لكن الخطر الحقيقي في الصحاري وقت الموسم، أن تقريبًا كل الحيوانات والحشرات تدخل في سبات عميق، تحت الرمال، حيث لا يزال بعض الدفء. هنالك من يدعون أنهم وجدوا طرقًا مضمونة للكشف عن السحالي المختبئة وما إلى ذلك، لكن سرعان ما يتضح زيف هذه الادعاءات. أما الكومونات القليلة التي تحفّ أطراف الصحراء، فتداري على أسرارها بحمية. أما نباتات السطح فسرعان ما تذبل وتذوي، إن لم تأكلها قبل ذلك الكائنات التي تتجهز للسبات، فلا تترك على السطح شيئًا غير الرمال والرماد. نصيحة قول الحجر

بشأن دخول الصحراء خلال المواسم: لا تدخلها، إلا لو أردت أن تجوع.

تقضي الكومونة يومين على حافة صحراء ميرز، تستعد لخوضها، غير أن الحقيقة - كما تسربها إيكا لك وأنتما تتشاركان تدخين آخر لفافة ميلو لديك - أن لا توجد أي درجة جاهزية من شأنها جعل الرحلة أيسر. سيموت البعض لا محالة، لكنك لن تكوني منهم. إن حقيقة أن هوا يمكنه أن يأخذك في أي وقت إلى كوربوينت في ملح البصر لو واجهت أي خطر حقيقي، تشعرك بشعور عجيب. أهذا غش؟ ربما. لكن لا. أنت ستساعدن بقدر الإمكان، وبما أنك لن تموتي، فستشهيدين معاناة الكثيرين غيرك. هذا أقل ما يسعك فعله بعدما توليت قضية كاستريما؛ أن تشهدي، وأن تقايلي بضراوة للحول دون حصول الموت على ما يزيد عن نصيبه.

في الوقت نفسه، يعمل المكلفون بواجب الطهي نوبات مزدوجة في تحميلص الحشرات، وتجفيف الدرنات، وخبز آخر ما تبقى في أحراز الحبوب، وتعليق اللحم. أما الناجون من رفاق مشيش، فبعدما أكلوا ما يكفيهم لاستعادة بعض قواهم، تبينت مهارتهم الفائقة في نبش الفضلات، خاصة وأن بعضهم من أنحاء قريبة، ويتذكر أين يمكن أن تكون المزارع المهجورة، أو الحطام الناجم عن التصدع، وغيرها من الأماكن التي لم تُستنبش بالكامل. السرعة هي الفيصل، النجاة تعني الفوز في السباق بين اتساع ميرز وإمدادات كاستريما. لهذا، تشرف تونكي - التي لا تنفك تصبح أكثر فأكثر المتحدثة باسم المبتكرين، رغم استيائها

الشديد من ذلك - على عملية فك وإعادة بناء سريعة وحاسمة لعربات التخزين، بتصميم جديد أخف وأكثر مقاومة للصدمات، ويسهل جرّه أكثر على رمال الصحراء. في حين يعمل المقاومون والمستولدون على إعادة توزيع ما تبقى من مؤن، كيلا تصبح خسارة إحدى العربات، حال الاضطرار لتركها، خسارة فادحة.

وفي الليلة التي تسبق دخول الصحراء، وأنت تجلسين إلى جوار نيران طهي، لا زلت تتعثرين في إطعام نفسك بذراع واحدة، يجلس أحدهم بجانبك. تجفلين قليلاً وتتفضين، حتى أن قطعة خبز الذرة تقع من صحنك. اليد التي تدخل في نطاق بصرك كي تستعيدها، عريضة وبرُنزية، تزينها ندوب معارك سابقة، ويحيط بمعصمها شريط حرير أصفر أمسى متسخًا ممزقًا، لكنه لم يزل قابلاً للتمييز. إنها دانييل.

تقولين: «شكرًا»، وتأملين أنها لن تستغل الفرصة لبدء حديث.

تقول وهي تعيد إليك قطعة الخبز: «يقولون إنك كنت مرتكزية ذات يوم». لا أمل إذن.

لا يدهشك في الواقع أن أهل كاستريما يتناولونك في نيمتهم. تقررين ألا تكثرثي، وتغمسين قطعة الخبز في الحساء وتقضمينها. الطعام اليوم أفضل من المعتاد، غني بدقيق الذرة واللحم الطري المالح، اللحم الذي أمسى وفيرًا منذ الغابة الحجرية. إن الجميع يحتاجون إلى أكبر قدر من الدهون في أجسامهم، استعدادًا للصحراء. لكنك لا تفكرين في اللحم.

تقولين: «صحيح»، بنبرة تأملين أنها تبدو تحذيرية.

«كم خاتم؟».

تقطبين نفورًا، وتفكرين في شرح الخواتم «غير الرسمية» التي منحها لك ألابستر، وتفكرين في قدر تجاوزك حتى لهذين الخاتمين، وتفكرين في أن تتواضعي... ثم تستقرين على الدقة. «عشرة»، كانوا لينادونك في المرتكز الآن بناسون عشرية الخواتم، هذا لو اكرث كبار المرتكز بالاعتراف باسمك الحالي، ولو كان لا يزال للمرتكز وجود أصلاً.

تصفر دانييل بإعجاب. غريب أن تلتقي بشخص يعرف مثل هذه الأمور ويأبه بها. تتابع: «يقولون إنك تقدرين على فعل أشياء بالمسلات، وأنتك بهذا هزمتنا في كاستريما. لم أعلم أنك تقدرين على إثارة الحشرات بهذه الطريقة، أو على حبس هذا العدد من آكلي الصخر».

تتظاهرين بعدم الاكتراث وتركزين في خبز الذرة. إنه شديد الحلاوة. يحاول الطباخون استهلاك مخزون السكر كله، ليفسحوا مكانًا لأطعمة ذات قيم غذائية أعلى. لذيذ.

تتابع دانييل وهي تراقبك بطرف عينها: «سمعت في النواحي الاستوائية، أن الروچا عشري الخواتم يمكنه أن يكسر العالم».

طيب، لا. «الأوروچيني».

«ماذا؟».

«الأوروچيني». قد تبدو هذه تفاهة، فإيّاك تصر على جعل كلمة روچا اسم طائفة استخدام، والراكدون من حولك يرمون بها يمينًا ويسارًا وكأنها لا تعني شيئًا. لكن لا، لا تفاهة في الأمر، بل هي تعني

شيئًا. «أوروچيني وليس روچا، ليس لك أن تستخدمى هذه الكلمة، لم تستحقى هذا».

يسود الصمت لبضعة أنفاس، ثم تقول دانييل: «حسنًا»، دون أن يبدو في نبرتها لا اعتذار ولا مجاملة. إنها هي فقط تتقبل القاعدة الجديدة. وهي أيضًا لا تلمح مجددًا أنك من تسبب في التصدع. «لكن هذا لا يغير ما قصدته؛ أنت تقدرين على فعل ما لا يقدر عليه أكثر الأوروچينيين، صح؟».

«صح». تنفخين ندفة رماد عن قطعة البطاطس المشوية.

تضع دانييل يديها على ركبتيها وتميل إلى الأمام، وتقول: «إذن قولي لي إنك تعرفين كيف تنهين هذا الموسم، وأنت سوف تغادرين قريبًا إلى مكان ما كي تحاولي فعل هذا، وأنت سوف تحتاجين إلى من يذهب معك حينما تفعلين».

ماذا؟ تتجهمين وأنت تنظرين إلى طعامك. «أنتطوعين؟».

«ربما».

تحديقن إليها. «أنت لم تقبلي بين الأشداء إلا منذ قليل!».

تتمعن فيك دانييل للحظة أخرى، وجهها لا يزال عصيًا على الاستقراء. لا تدركين أنها مترددة، تحاول أن تقرر قول شيء من عدمه، إلا عندما تتنهد وتقوله أخيرًا: «أنا أصلًا قوالة. كنت دانييل قوالة رينانيس، أما دانييل شديدة كاستريما فلن يكون وقعها عليّ صحيح أبدًا». ولا بد أنك بدوت متشككة وأنت تحاولين تخيلها بشفاه سوداء، فقد أشاحت نظرها عنك، «لكن قائدنا قال إن رينانيس لا تحتاج إلى

قوالين، بل تحتاج إلى جنود، والكل يعرف أن القوالين يجيدون القتال، لذا...».

«ماذا؟».

تتنهد. «أقصد نحن القوالين الاستوائيين، خاصة من جاءوا من عائلات قوالين عريقة، فنحن نتدرب على القتال اليدوي وفنون الحرب وما إلى ذلك، كي نصبح مفيدين في المواسم، وفي الدفاع عن معارفنا أيضًا».

لم تكن لديك فكرة عن هذا. «الدفاع عن معارفكم؟».

تلتوي عضلة في فكها. «قد يحمي الجنود الكومونة موسمًا، لكن الحكائين هم من حووا السانزا من سبعة مواسم».

«آه، صحيح».

تبذل جهدًا ملحوظًا كيلا تهز رأسها استنكارًا لريفيتك الأوسطية. «وعلى كل حال، من الأفضل أن أكون قائدة جيش عن أن أكون مشغلة مدفع، بما إن هذه كانت كل الخيارات المطروحة أمامي. لكنني حاولت ألا أنسى من أنا أصلًا...»، ويرتسم عليها مرة واحدة الاضطراب، «أتعلمين؟ لم أعد أتذكر كلمات اللوح الثالث بدقة، ولا حكاية الإمبراطور موتشاتي. لم أقضِ إلا عامين بلا حكايات ومع ذلك بدأت تضيع مني. لم أحسب أبدًا أن هذا سيحدث بهذه السرعة».

أنت لا تعرفين ماذا تقولين. تبدو مكفهرة حتى تكادي تطمئنيها بقول شيء على غرار لا تقلقي، سيكون كل شيء على ما يرام ما دمت غير مضطرة إلى الانشغال بإبادة أقوام كاملة من الجنوب الأوسط. عدا

أنك تفكرين في أنك لن تستطيعي فعل هذا من دون تسلل التهكم إلى صوتك.

غير أن وجه دانييل يبدو عليه الإصرار وهي تنظر إليك بحدة.
«لكنني أستطيع تمييز الحكايات الجديدة وهي ما زالت طور التكوين».
«أنا... لا أفهم ما تقولين».

تهز كتفيها. «بطل القصة لا يعرف أنه بطل أبدًا».

بطل؟ تضحكين قليلًا، لكنها ضحكة مريرة. لا يسعك منع نفسك من التفكير في آليا، وتيريمو، وميوف، ورينانيس، وكاستريما. إن الأبطال لا يستدعون أسراب الحشرات الكابوسية لتلتهم أعداءهم. الأبطال ليسوا أمهات متوحشة لبناتهم.

تستأنف دانييل: «أنا لن أنسى أبدًا من أنا». تسند يداً إلى ركبتيها وتنحني إلى الأمام، بإصرار. في وقت ما خلال الأيام القليلة الماضية، تمكنت من وضع يدها على سكين، واستخدمته في حلقة جانبي فروة رأسها. يعطيها هذا نظرة نحيلة شرهة بطبيعتها. «ثمة احتمال أنني آخر قوالة استوائية باقية، وهذا يجعل الذهاب معك وكتابة ما يحدث واجبًا عليّ، وكذلك، لو نجوت، التأكد من نقله إلى العالم».

هذا سخف. تحدقين إليها. «أنت حتى لا تعرفين إلى أين نحن ذاهبون».

«حسبت أننا سنحتاج إلى حسم مسألة ذهابي من عدمه أولاً، لكن يمكننا أن نتجاوزها إلى التفاصيل لو تحبين».

تقولين بنبرة يغلب عليها الإحباط: «أنا لا أثق بك».

«ولا أنا أثق بك. لكننا لسنا مضطرين إلى أن نتحابَّ كي نعمل معًا». صحنها خاوٍ. تلتقطه، وتلوح به إلى أحد الأطفال المكلفين بالتنظيف كي يأتي ويأخذه. «وعلى أي حال ليس لديَّ أي سبب هذه المرة لأقتلك». وقولها هذا يجعل الأمر أسوأ، فهي تتذكر كيف أطلقت عليك وصية عارية الجذع، ولا تبدي اعتذارًا عن ذلك. نعم، فتلك كانت حربًا، ونعم، فأنت بعد ذلك قضيت بلا هوادة على جيشها، لكن... أمثالك لا يحتاجون إلى سبب للقتل».

«لا أظن أنك لديك أدنى فكرة عن «أمثالي»»، لا تبدو غاضبة أبدًا، قالتها بنبرة من يقرّ بواقع، «لكن لو تريدين مزيدًا من الأسباب فإليك واحدًا: رينانيس مقرفة. صحيح فيها طعام وماء ومأوى، وقائدتكم محقة في أخذكم إليها لو أن المدينة أمست خاوية فعلاً، هذا أفضل من أن تصبحوا أغيارًا، أو تبنوا كومونة بلا بيوت أحرار، لكنها مقرفة. أنا أفضل متابعة السفر عن العودة إليها».

تقولين بعبوس: «هراء، لا توجد كومونة بهذا السوء». يصدر عن دانييل زفرة ساخرة مريرة قصيرة. تشعرك بعدم الراحة. تقول أخيرًا: «فكري في الأمر لا أكثر»، وتنهض وتغادر.

«أنا أؤيد مجيء دانييل معنا». يقولها لِرنا لاحقًا في تلك الليلة، عندما تخبرينه عن تلك المحادثة. «إنها مقاتلة جيدة، وتعرف الطريق، وهي محقة: ليس لديها داعٍ لخيانتنا».

أنتِ نصف نائمة بعد ما وقع بينكما. إن لا ارتباطكما، وقد وقع أخيرًا،
نكهة مخيبة للتوقعات. شعورك تجاه لِرنا لن يكون عميقًا أو خاليًا من
الذنب أبدًا. لن يغادرك أبدًا إحساس أنك كبيرة عليه، لكن... هو من
طلب أن يرى أثر الجزء المبتور في صدرك، وأنت وافقت، وقد حسبت
أن هذا كفيل بالقضاء على اهتمامه بك. إنه جزء قاسٍ وخشن وله ملمس
رملي وسط بقية جذعك البني الناعم، مثل قشرة جرح، لكن باختلاف
اللون والملمس. كانت يده رقيقتين وهو يتفحص المكان، وأعلن أنه لا
يحتاج إلى مزيد من الضمادات. قلت له إنه لم يعد مؤلمًا، لكن لم تقولي إنك
في الواقع ما عدت تشعرين بأي شيء، وأنت تتبدلين، تزدادين قسوة،
بأكثر من طريقة، تصبحين السلاح الذي يحاول الجميع تحويلك إليه، لا
أكثر. لكنك لم تقولي له من الأفضل لك أن تجد من يبادلِكَ حبك بحب.
لكن حتى مع عدم قولك هذه الأشياء، نظر إليك بعد الفحص
وأجاب: «لا زلت جميلة»، وأنت على ما يبدو كنتِ تتوقين إلى سماع ذلك
أكثر مما حسبت.

لذلك تستوعبين كلماته ببطء، لأنه جعلك تسترخين، تطمئنين،
تشعرين أنك إنسانة مجددًا، وتستغرقين نحو عشر ثوانٍ قبل أن تندفعي
قائلة: «معنا؟».

ينظر إليك ولا يرد.

تقولين: «اللعنة»، وتثنين ذراعك فوق عينيك.

وفي اليوم التالي، تدخل كاستريما الصحراء.

والتالي كان أشدِّ المِحَنِّ.

إنَّ المواسم كلها مِحَنٌ، كما يقول قول الحجر: «والموت خامسهم، وسيدهم المخيف». لكن هذه المرة مختلفة، فالأمر شخصي. هذه المرة يحاول ألف شخص قطع صحراء مميتة حتى حينها لا تمطر السماء عليهم الحمض. هذه مسيرة قسرية على طريق عالٍ متزعزع، يزخر بثغرات تتسع لوقوع بيت كامل عبرها. لقد بُنيت الطرق العالية على نحو يتحمل الهزّات، لكن ثمة دومًا حد أقصى، والتصدع بلا أي شك قد تجاوز هذا الحد. تقرر إيّا المخاطرة، لأن الطريق العالي حتى وهو متضرر أسرع من خوض رمال الصحراء. يظل كل أوروبي في الكومونة متأهبًا، لأن أي شيء أسوأ من الهزّات الميكروية قد يؤدي إلى كارثة في هذا الارتفاع. ذات يوم، الروچا الصغيرة بينتي، وقد منعها إنهاكها من الإنصات إلى غرائزها ذات لحظة، تدوس على رقعة من الأسفلت المتشقق غير مستقرة. يمسكها أحد الصبية الروچات الآخرين فورًا في نفس اللحظة التي ينهار فيها جزء ضخم من بنية الطريق الفرعية فورًا. وغيرها من غير الحذرين، كانوا أقل حظًا.

أما الأمطار الحمضية فلا يمكن توقعها. لا يناقش قول الحجر تأثير المواسم في الطقس، لأن مثل هذه الأمور ليست قابلة للتكهن في أفضل أحوالها. لكن ما يحدث هنا ليس مفاجئًا تمامًا. في الشمال، ناحية الاستواء، يبصق الصدع الحرارة والجزيئات في الهواء، فتأتي الرياح الاستوائية المحملة بالرطوبة من البحر، وترتطم بجدار الطاقة المتصاعدة والغيوم المخضبة هذا، فتتقلب عاصفة. أذكرك من هطلان الثلج؟ لا تقلقي، إنما ما يهطل أمطار حمضية بائسة لا تنتهي.

(لكن هذا المطر ليس حمضيًا جدًّا مقارنة بغيره. ففي موسم انقلاب التربة مثلًا - وكان ذلك قبل السانزا بكثير، لا أظنك سمعت به - هطل مطر جرد الحيوانات من فرائها والبرتقال من قشره. إن هذا لا شيء أمام ذاك، حمض مخفف بالماء، يكاد يكون خَلًّا. لن تموت).

تفرض إيكا وتيرة سير قاسية على الطريق العالي. في اليوم الأول، لا يقيم الجميع المخيم إلا بعد حلول الظلام بكثير، ولا يأتي لِرنا إلى الخيمة إلا بعدما أتممت أنتِ إقامتها بصعوبة. كان منشغلًا بمعالجة نصف دسته ممن أصيبوا بالعرج إثر تعثر أو التواء الكاحل، واثنان مسنان يعانيان مشاكل في التنفس، والمرأة الحامل. ويخبرك أخيرًا وهو ينسل في الفراش القابل للطّي، قرب الفجر، أن المسنين والحامل بخير؛ أو نتراج صانعة الخنزف ستتابع الحياة رغم انحراف مزاجها، والحامل يمرضها أفراد بيتها ونصف مستولدي الكومونة. ما يقلقه في الواقع هو الإصابات. «ينبغي أن أخبر إيكا»، يقولها وأنت تدسين في فمه شريحة خبز رماد منقوعة بالمطر وقطعة نقانق حامضة، ثم تغطينه وتجعلينه يستلقي، يمضغ دون أن يلاحظ تقريبًا، «لن يمكننا المتابعة بهذه الوتيرة، سنبدأ نخسر الناس لو أننا لم...».

تقولين له: «هي تعرف». قلّتها بأهدأ نبرة ممكنة، لكنها مع ذلك تحرسه. يحدّق إليك حتى تستلقي إلى جانبه، بصعوبة، بذراعك الوحيدة، لكن بنجاح. في النهاية يغلب إنهاكه اضطرابه، وينام.

تمشين مع إيكا ذات يوم. هي من تقود الوتيرة كما ينبغي على أي قائدة كومونة جيدة، فلا تضغط على أحد أكثر من نفسها. وفي وقفة

الاستراحة الوحيدة في منتصف النهار، تخلع حذاءها، وترين قدمها دامية من التقرحات. ترمينها بنظرة بليغة، فتتهدد، «لم أجد قط وقتاً لطلب حذاء أفضل، فهذا واسع جداً. لطالما حسبت أنني لا يزال لدي وقت».

تشرعين في قول: «لو تعفنت قدماك ف...»، لكنها تقلب عينيها وتشير نحو كومة الإمدادات مرة أخرى في منتصف المعسكر.

ترمقنيها في حيرة، تكادين تابعين تأنيبها، ثم تتوقفين. تفكرين. تنظرين نحو الإمدادات مجدداً؛ لو أن كل عربة تحمل صندوقاً من خبز الرماد المملح، وصندوقاً من النقانق، ولو أن هذه البراميل تحتوي على خضراوات مخللة، وهذه حبوب وبقوليات...

إنها كومة صغيرة جداً، ضئيلة جداً، بالنسبة إلى ألف شخص لا يزال أمامهم أسابيع كي يقطعوا ميرز.

تخرسين بشأن الحذاء. غير أنها تأخذ جورباً إضافياً من أحدهم. هذا يساعد.

يذهلك أنك بحال جيدة نوعاً حتى الآن. فصحتك ليست على ما يرام؛ لقد توقفت دورتك الشهرية، وعلى الأرجح هذا لا يعود لانقطاع الطمث. وعندما تخلعين ملابسك كي تغتسلي في الحوض -وهو أمر عبثي وسط المطر المستمر، لكن العادة تنتصر- تلاحظين بروز ضلوعك بشدة تحت جلدك المترهل. وهذا ليس فقط بسبب المشي، بعضه يرجع إلى أنك تنسين باستمرار الأكل. تشعرين بالتعب آخر كل يوم، لكنه تعب بعيد منفصل. وحينها يلمسك لِرنا -ليس بداعي العاطفة، فليس

بك طاقة لذلك، وإنما احتضان من أجل الدفء، لتوفير السرعات الحرارية، وللطمأنة التي يحتاجها- تشعرين بلطف اللمسة، لكن على نفس النحو البعيد المنفصل. تشعرين وكأنك طافية فوق نفسك. ترينه يتنهد، وتسمعين شخصاً آخر يتشاءب. وكأن هذا يحدث لشخص غيرك. تذكرين أن هذا أيضاً حدث لألأبستر، هذا الانفصال عن الجسد، تجاوز الجسد. تعقدين النية على الالتزام بالأكل في كل فرصة قادمة.

بعد ثلاثة أسابيع في الصحراء، وكما هو متوقع، ينحرف الطريق العالي غرباً. من الآن فصاعداً، على كاستريما أن تنزل إلى الأرض وترضى بمواجهة تضاريس الصحراء مباشرة. إن ذلك أسهل في بعض الأمور، فالصحراء مثلاً لن تتفتت تحت أقدامكم، في المقابل، المشي على الرمل أصعب من الأسفلت. يضطر الجميع إلى الإبطاء. يثبت مشيش استحقاقه لوجوده بينكم من خلال سحب ما يقدر عليه من الرطوبة في طبقة الرمال والرماد السطحية، وتثليجها على عمق بضع بوصات تحتها، كي يقسي سطح الأرض نوعاً تحت أقدام الجميع. عدا أن فعل هذا باستمرار ينهكه، فيدخر جهده لأسوأ الأماكن. يحاول أن يعلم تيميل القيام بنفس الخدعة، لكن تيميل بري عادي، لا يتمكن من الدقة المطلوبة (كنت ذات يوم أقدر على فعلها. تمنعين نفسك من التفكير في هذا).

الكشافة الذين ذهبوا لإيجاد أفضل مسار يعودون بنفس النتيجة: رمل-رماد-طين صدئ في كل مكان. لا يوجد طريق أفضل.

تركتم خلفكم ثلاثة أشخاص على الطريق العالي، وقد عجزوا عن متابعة المشي إثر التواءات أو كسور. أنت لا تعرفينهم. نظرياً،

سيلحقون بكم ما إن يتعافوا، لكنك لا ترين لتعافيهم سبيلاً من دون طعام أو مأوى. وهنا، على الأرض، الوضع أسوأ: نصف دسنة كواحل مكسورة، وساق مكسورة، وظهر ملتوٍ لأحد الأشداء الذين يجرون العربات، وكل هذا في أول يوم. بعد فترة، يتوقف لِرنا عن الذهاب إلا إلى من يطلبون المساعدة، والأكثر لا يطلبون. ليس هناك ما يستطيع فعله لهم، والكل يعرف هذا.

ذات يوم بارد، تقعد أونتراج صانعة الخزف في مكانها وتقول إنها ما عادت راغبة في المتابعة. وإيّاك تجادلها، وهو شيء لم تتوقعه منها. لقد نقلت أونتراج بالفعل مهاراتها في الخزف إلى عضوي كومونة أصغر سناً، وصارت زائدة على الحاجة، لا سيما وأنها تجاوزت سن إنجاب الأطفال بكثير. ينبغي أن يكون هذا قراراً سهلاً على قائدة الكومونة، بحسب قواعد السانزا القديمة وعقائد قول الحجر. غير أن في النهاية، أونتراج نفسها تصيح على إيّاك أن تخرس وتذهب.

تسمعين إيّاك لاحقاً، بعدما اختفت أونتراج من نطاق الرؤية خلفكم: «لم أعد أستطيع فعل هذا». تمضي قدماً، خطأها ثابتة، تطوي الأرض طياً كعادتها، لكن رأسها محني، وخصلات شعرها الرماد براكينني المبتل تداري وجهها. «لا أستطيع. لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا، لا ينبغي أن يكون... يجب أن يكون الكاستريمي أهم من مجرد فائدته الصدئة، بحق الأرض، لقد كانت تعلمني في المدرسة، وكانت تحكي الحكايات... لا أستطيع...».

هياركا قيادية كاستريها، التي تعلمت منذ أمد بعيد قتل القليل كي

يعيش الكثير، تلمس كتفها وتقول: «ستفعلين في النهاية ما ينبغي عليك فعله».

لا تنبس إيكًا ببنت شفة على مدى الأميال القليلة التالية، لكن لعل هذا لأنها ليس لديها ما تقوله.

الخضراوات هي أول ما ينفد، ثم اللحم. تحاول إيكًا تقنين خبز الرماد لأطول وقت ممكن، لكن الحقيقة الواضحة أن أحدًا لا يستطيع السفر بهذه الوتيرة بلا وقود. عليها أن تمنح الجميع يوميًا ولو رفاقة. هذا ليس كافيًا، لكنه أفضل من لا شيء، حتى لا يعود هناك شيء. تتابعون المسير رغم كل شيء.

في غياب كل ما عداه، يستقوي الناس بالأمل. تخبر دانييل الجميع حول نار المخيم ذات ليلة، أن على الناحية الأخرى من الصحراء ثمة طريق إمبراطوري آخر يمكنكم اتخاذه. يسهل السفر عليه نحو رينانيس مباشرة. وهذه المنطقة أيضًا دلتا أحد الأنهار، ذات تربة طيبة، كانت ذات يوم سلة غذاء المنطقة الاستوائية كلها. هذا غير عديد من المزارع التي أمست مهجورة خارج الكومونات. لقد عثر جيش دانييل على الكثير هناك أثناء سيرهم جنوبًا. أي إنكم لو استطعتم تجاوز الصحراء، فثمة طعام.

لو استطعتم تجاوز الصحراء.

تعرفين نهاية هذه القصة، أليس كذلك؟ وإلا فكيف لك أن تكوني هنا تنصتين إلى تلك الحكاية لو كنت لا تعرفينها؟ لكن أحيانًا لا يتعلق الأمر بالنهاية وحدها، وإنما أكثر ما يهم هو كيفية.

هكذا ستكون النهاية: من بين ألف ومئة نفس دخلت هذه الصحراء، سيصل منهم ما يربو على ثمان مئة وخمسين بقليل إلى الطريق الإمبراطوري.

وفي الأيام القليلة التالية، تتفكك الكومونة فعليًا. تصبح زمرة يائسين، غير قادرين على انتظار بحث طائفة الصيادين الممنهج عن الطعام، يترنحون وهم يحفرون في التربة الحامضة بحثًا عن الدرنات نصف المتعفنة، أو اليرقات المريرة، أو الجذور شبه الخشبية التي لا تكاد تُمضغ. التضاريس عشوائية في هذه الأنحاء، عارية من الشجر، نصف صحراوية ونصف خصبة، وهجرها الرينانيسيون منذ أمد بعيد. قبل أن تخسر إيكًا من قومها الكثير، تأمر بإقامة معسكر في مزرعة قديمة، تحتوي على عدة حظائر نجت نسبيًا من الموسم، حتى الآن. لم يصمد من الحوائط الكثير، لكن ما أرادته إيكًا فعلًا هو السقوف، خاصة وأن المطر لم يزل يهطل على حافة الصحراء، وإن كان صار خفيفًا متقطعًا. من اللطيف أخيرًا التمتع بنوم جاف.

تمنح إيكًا مهلة ثلاثة أيام. خلالها يعود الناس فرادى أو أزواجًا، لجلب الطعام ومشاركته مع من منعهم الضعف عن النبش والبحث. الصيادون الذين كلفوا أنفسهم عناء الرجوع، يجلبون من أحد فروع النهر القريب نسبيًا الأسماك. وأحدهم يجد الشيء الذي يتقذك، الشيء الذي يحبك بعد كل هذا الموت: مخزون أحد المزارعين الخاص من دقيق الذرة، محفوظ ومختوم في أوانٍ فخارية كانت مخفية بإحكام تحت ألواح أرضية بيت مُتداعٍ. ليس لديكم ما تخلطونه معه، لا لبن ولا بيض ولا

لحم مجفف، فقط الماء الحامض، لكن قول الحجر ينصّ على أن كل ما يغذي طعامًا. تولى الكومونة على عصيدة دقيق الذرة هذه الليلة. إحدى الأواني مشروخ ويعجّ بخنافس الطحين، لكن أحدًا لا يهتم، فهذا مزيد من البروتين.

والكثير ممن ذهبوا لا يعودون. فهذا موسم، كل شيء يتغير. وبنهاية الأيام الثلاثة، تعلن إيكّا أن كل من لا يزال في المعسكر هو كاستريما، وكل من لم يعد فيعتبر منبوذًا بلا كومونة. ذلك أسهل من تخمين من مات، وماذا قتله. يجمع المتبقين منكم المخيم، وتتجهون شمالًا.

أكان ذلك أسرع من اللازم؟ ربما لا ينبغي اختزال المآسي بهذه الحدة. أردت فقط أن أكون رحيماً، لا قاسياً. اضطرارك إلى خوض ذلك كان قسوة... لكن لعل في المسافات والانفصال شفاء... أحياناً.

كان بإمكانني أخذك من الصحراء. لم يكن عليك أن تقاسي مرارتها كما فعلت. لكن مع ذلك... صار هؤلاء الناس جزءاً منك، قومك. أصدقاءك. رفاقك. كنت بحاجة إلى رؤيتهم حتى النهاية. في المعاناة شفاء، على الأقل حتى الآن.

حتى لا تحسبيني حجراً متجرّداً من الإنسانية، فلتعلمي أنني فعلت ما بوسعي. بعض الكائنات التي كانت في سبات تحت رمال الصحراء، كانت مفترسة، تفرس البشر، وبعضها استيقظ إثر مروركم، لكنني أبعدتهم. وأحد محاور العربات الخشبية كان شبه متحلل من المطر،

وبدأ ينثني، ومع أنكم لم تلاحظوا ذلك، فأنا قد حولت الخشب كي يدوم، أو حجّرته لو أنك تفضلين التفكير في الأمر بهذه الطريقة. أنا من حرك البساط المتهالك في المزرعة المهجورة، كي يجد الصياد دقيق الذرة. وأونتراج، التي لم تخبر إيكّا بالألم المتزايد في جنبها وفي صدرها، ولا بقصر نفسها، ولم تتابع الحياة طويلاً بعدما غادرت الكومونة. أنا عدت من أجلها ليلة موتها، وخففت عنها ألمها (أتذكرين الأغنية التي كانت أنتيموني تغنيها لألابستر؟ سأغنيها لأجلك لو...). لم تكن وحيدة في النهاية.

هل يخفف أي من هذا عنك؟ أتمنى. أنا لم أزل إنساناً، قلت لك هذا. رأيك فيّ يهمني.

كاستريما نجت. هذا أيضاً بهم. وأنت نجوت، حتى الآن على الأقل.

وأخيراً، بعد وقت وجيز، تبلغون الحافة الجنوبية لأراضي رينانيس.

الشرف في الأمان، في النجاة من الخطر. القانون الوحيد هو الضرورة.

اللوح الثالث - «البيان» - البيت الرابع

ناسّون، عبر النيران

الكثير من هذا حدث في الأرض، لذا تتسنى لي معرفته، ومشاركته معك. أما المعاناة فلها، وحدها. أنا آسف.

حوائط المركبة اللؤلئية تزينها تصاميم عنقودية متشابكة جميلة، مشغولة بما يبدو أنه ذهب. لا تعلم ناسّون إن كان هذا المعدن للزينة فقط أو له غرض آخر. مقاعد المركبة صلبة ملساء، فاتحة الألوان، مصنوعة بهيئة تشبه قواقع بلح البحر، الذي تناولته ناسّون ذات مرة في القمر الجديد، وذات وسائل وثيرة إلى حد مدهش. تجد ناسّون أن المقاعد مثبتة بالأرض، لكنها مع ذلك قابلة للدوران من ناحية إلى أخرى، أو الاضطجاع إلى الوراء. لا يسعها استيعاب كيف صُنعت هذه المقاعد.

وصعقت ناسّون عندما تكلم صوت من الهواء بعدما استقرا في مكانيهما. صوت نسائي مهذب، منفصل، ومع ذلك مطمئن بشكل ما، ولغته... غير مفهومة، وليست مألوفة حتى ولو من بعيد. عدا أن طريقة نطق المقاطع والحروف لا تختلف عن السانزية، وثمة شيء ما في إيقاع الجمل وترتيبها، يلائم توقعات أذن ناسّون. تشك أن أول الكلام ترحيبًا.

وتفكر أن لعل الكلمة التي لا ينفك يكررها الصوت، مع مقطع له طابع الأمر، قد تكون كلمة مخففة، مثل رجاء، أما بقية الكلام فأجنيبي تمامًا.

لا يتحدث الصوت إلا قليلًا، ثم يصمت تمامًا. تنظر ناسون إلى شافا فيفاجئها تجهمه، وضيق عينيه فيما يبدو أنه تركيز، وإن كان بعض تجهمه توتر عظام فكه، وشيء من الشحوب الإضافي حول شفتيه. فضته تؤلمه أكثر، لا بد أن الألم أسوأ هذه المرة. ومع ذلك، يرفع عينه إليها فيما يشبه التعجب. يقول: «أنا أذكر هذه اللغة».

«تفهم هذه الكلمات الغريبة؟ ماذا كانت تقول؟».

«اسم هذا الشيء...»، يقطب جبينه، «... فهيمال. وقال الصوت إنه سيغادر هذه المدينة ويبدأ انتقاله إلى كوربوينت خلال دقيقتين، وسيصل بعد ست ساعات. وقال شيئًا عن مركبات أخرى وطرق أخرى، ورحلات عائدة من... محطات مختلفة؟ لا أذكر معنى ذلك. ثم تمنى لنا رحلة سعيدة». ويبتسم ابتسامة هزيلة.

«أوه»، تركل الهواء من مكانها بسعادة. ست ساعات فقط للسفر إلى الناحية الأخرى من العالم؟ لكنها لا تندعش، ربما لأن هذا من صنع بُناة المسلات.

ولما بدا أن ليس هنالك ما تفعله غير الاسترخاء، تُنزل مخلاتها عن ظهرها، وتدعها تتدلى من ظهر المقعد. هذا يجعلها تلاحظ شيئًا يشبه الأشنات ينمو فوق الأرضية، وإن كان لا يبدو أنه موجودٌ على نحو طبيعي أو بالصدفة، فالنمو ينتشر في أنماط جميلة منتظمة. تمدّ قدمها نحو الأرض، فتجدها طرية ناعمة مثل بساط.

اضطراب شافا يزداد، يذرع أطراف المركبة... الفهيمال... ويلمس
العناقيد الذهبية مرة تلو الأخرى. خطوته بطيئة، منهجية، لكن حتى
هذا غير معتاد منه. لذا ينتقل إليها توتره. يتمتم: «سبق لي أن كنت هنا».
«ماذا؟». لقد سمعته، لكنها مرتبكة.

«في هذه الفهيمال، وربما في نفس المقعد. لقد كنت هنا، أشعر
بذلك. وهذه اللغة... لا أذكر أنني سمعتها من قبل، لكن مع ذلك...»،
يكشف عن أسنانه فجأة، يطعن بأصابعه الهواء. «ثمة ألفة... لكن بلا
سياق، ولا معنى! ثمة خطب ما في هذه الرحلة، خطب كبير، وأنا لا
أذكر ما هو».

لقد كان شافا متضرراً منذ عرفته ناسون أول مرة، لكن هذه أول مرة
يبدو لها معطوباً. يتحدث أسرع، كلماته تتخبط في بعضها، وثمة غرابة في
الطريقة التي تتقافز بها نظراته من مكان إلى آخر في قلب الفهيمال، غرابة
جعلت ناسون تستريب في أنه يرى أشياء غير موجودة.

تحاول أن تداري قلقها، وتتجه إلى المقعد القوقعي المجاور لها
وتربت على وسادته. «إن هذه وثيرة بما يكفي للنوم يا شافا».

تلميحها مباشر أكثر مما ينبغي، لكنه يلتفت إليها مع ذلك، وللحظة
يرتخي تعبير التوتر الموهوس على وجهه. «دائماً ما تكثرئين لأمرى يا
صغيرة»، ثم يزول عنه الاضطراب كما تمت، ويذهب كي يجلس.

وفيما هو يفعل، تجفل ناسون عندما يتحدث صوت المرأة مرة
أخرى، ويلقي سؤالاً. يقطب شافا ثم يترجم، ببطء: «إنها... أقصد
الفهيمال، فهذا صوتها، إنها تتحدث إلينا، كلامها ليس مجرد إعلان».

ناسون تتململ، وقد أمست أقل راحة الآن في هذا الشيء. «تحدث؟
أهي حية؟».

«لا أعلم إن كان التمييز بين الكائنات الحية والجمادات الميتة شيئاً
اكثر به بناءة هذا المكان، لكن...»، يتردد، ثم يرفع صوته ويوجه إلى
الخواء كلمات غريبة. يجيبه الصوت مجدداً، مكرراً شيئاً سمعته ناسون
من قبل. «إنها لا تعلم بالضبط أين تبدأ الكلمات وتنتهي، لكن المقاطع
هي نفسها. إنها تقول إننا نقرب من... نقطة عبور. وتسالنا إن كنا نود
أن... نجرب؟»، يهز رأسه، بانزعاج، «أن نرى شيئاً ما. يشقّ عليّ إيجاد
الكلمات بلساننا أكثر من فهم ما يقال».

تختلج ناسون بعصبية. ترفع قدميها على مقعدها، تخشى خشية غير
منطقية من أن تؤلم هذا الكائن/ الشيء من داخله. تسأل من دون أن
تعلم يقيناً ما تسأله: «هل الرؤية تؤدي؟». تقصد تؤدي الفهم، لكنها
لا تستطيع منع نفسها من التفكير أيضاً: هل ستؤذينا؟

يتحدث الصوت مجدداً قبل أن يتاح لشافا وقت لترجمة سؤال
ناسون. يقول الصوت: «لا».

تقفز ناسون في مكانها بصدمة بالغة، وتختلج أوروچينيتها على نحو
كان سيجلب عليها صيحة من إيسون. تقول مندفعة: «هل قلت لا؟»،
تنظر حولها في أرجاء الفهم، لعل هذه كانت صدفة.

يقول صوت الفهم: «فوائض المخزون البيوسحري يسمح
بمعالجة...» ثم يتردد الصوت إلى اللغة القديمة، لكن ناسون متأكدة
أنها لم تتخيل سماع هذه الكلمات غريبة النبوة باللسان السانزي. الصوت

مريح، يبدو وكأنه قادم من قلب الجدران نفسها. لكن ناسون تنزعج من عدم وجود ما تنظر إليه وهي تسمع، ليس هناك وجه تربط الصوت به. كيف يتحدث هذا الشيء من دون فم؟ من دون حلق؟ تتخيل الأهداب خارج العربة، تفرك بعضها بعضًا على نحو ما مثل أرجل الحشرات، فيقشعر جلدها.

يستمر الصوت: «ترجمة...»، ثم شيء ما، ثم «انجراف لغوي»، يبدو ذلك سانسزياً، لكنها لا تفهم معناه. يتابع الصوت ترديد كلمات أخرى مبهمة.

تنظر ناسون إلى شافا، الذي يعبس بدوره قلقًا. تهمس إليه: «كيف أرد على ما سألته الفهيمال من قبل؟ كيف أخبرها أنني أريد أن أرى ما تتحدث عنه؟».

استجابةً لقولها، حتى مع أن ناسون لم تقصد أن توجه حديثها إلى الفهيمال مباشرة، تظهر في الحائط عديم التفاصيل فجأة بقع سوداء، وكأنها نبت على سطحه فجأة عفن قبيح. ثم تتسع هذه البقع وتمتدج، حتى لا يعود في الحائط شيء سوى السواد، وكأنها ينظران من نافذة إلى قلب المدينة، عدا أن لا شيء خارج الفهيمال يمكن رؤيته سوى الظلمة.

ثم ينبج ضوءٌ من الحافة السفلية لهذه النافذة، إذ تراها ناسون نافذة فعلاً لا مجازاً، فقد أمست مقدمة الفهيمال كلها مرة واحدة شفافة. الضوء، الذي كان ألواحاً مستطيلة مثل تلك التي اصطفّت على الدرجات الهابطة من السطح، يتوهج ويتقدم في الظلام أمامهم، ومن وهجه ترى

ناسون الجدران تنقوس حولهم. إنهم في نفق آخر، وهذا لا يتسع بالكاد إلا للفهيال، وينعطف وسط جدران صخرية داكنة تفاجئها خشونتها، نظرًا إلى ولع بناء المسلات على ما يبدو بالأسطح الملساء. تتحرك الفهيال عبر النفق بثبات، لكن ليس بسرعة. هل تدفعها أهدابها؟ أم بطرق أخرى لا تستوعبها ناسون؟ تجدد نفسها في حالة فضول مخلوط بشيء من الملل، إن كان ذلك ممكنًا. يبدو لها من المستحيل على شيء يتحرك بهذا البطء، أن يأخذها إلى الناحية الأخرى من العالم في ست ساعات. ولو أن كل تلك الساعات ستكون مثل هذه، فوق قضبان بيضاء ناعمة عبر نفق صخري أسود، دون ما يشغلها سوى اضطراب شافا وصوت بلا جسد، فستمضي الساعات الست كأيام ستة.

ثم يستقيم النفق المنحني مرة واحدة، وترى أمامها لأول مرة حفرة. هذه الحفرة ليست ضخمة. ومع ذلك، فيها ما يبعث غريزًا وفوريًا على الانبهار. تستقر الحفرة في مركز كهف مقبب، تحيط بها مزيد من ألواح الضوء المستطيلة المثبتة بالأرضية، وبينما تقترب الفهيال أكثر، تتحول الأضواء من الأبيض إلى الأحمر، على نحو يجعل ناسون تفكر في أن هذه إشارة تحذيرية أخرى. أما قاع الحفرة فظلمة متاثبة. تسسبها ناسون غريزًا، في محاولة لاستيعاب أبعادها، لكنها تعجز عن ذلك. صحيح أن الحفرة دائرة تامة الاستدارة محيطها لا يتجاوز العشرين قدمًا، لكن عمقها... تعبس ناسون وتعتدل على مقعدها، وتركز. تداعب الياقوتية عقلها، تدعوها إلى استخدام قوتها، لكنها تقاومها، فهناك أشياء كثيرة في هذا المكان تستجيب للفضة، للسحر، بطرق لا

تفهمها. وهي في الأصل على أي حال أوروبية، أي أن سسبنة عمق حفرة ينبغي أن يسهل عليها... لكن هذه الحفرة تمتد إلى أعماق تتجاوز نطاق قدرتها بكثير.

وتنزل قضبان الفهيال من فوق حافة الحفرة إلى قلبها مباشرة. وهذا ما ينبغي أن يحدث، أليس كذلك؟ فالهدف هو بلوغ كوربوينت. مع ذلك لا تستطيع ناسون كبح موجة القلق القوية حتى تكاد تتحول إلى هلع. تقول: «شافا!»، فتمتد يده فوراً إلى يدها. تقبض عليه بإحكام، دون خوف من أن تؤذيه. قوة شافا، التي لم يستخدمها إلا كي يحميها، ولم تكن أبداً مصدر تهديد لها، والآن هي مصدر طمأنينة ناسون في أمس الحاجة إليه.

يقول شافا: «لقد فعلت هذا من قبل»، لكن صوته غير واثق، «ونجوت منه».

تفكر: لكنك لا تذكر كيف نجوت. وتشعر برعبٍ عصي على الوصف.

(ما شعرت به هو: التوجس خيفة).

تصل الفهيال إلى حافة الحفرة، وتبدأ تتدلى منها. تشهق ناسون وتقبض على مسندي المقعد... لكن الغريب، أنها لا ينتابها الدوار. لا تتسارع الفهيال، بل تتوقف حركتها للحظة، وفي الواقع تلاحظ ناسون في لمحة عابرة الأهداب الصغيرة تتوهج عند حواف النافذة، وهي تعمل بشكل ما على تعديل مسار الفهيال إلى الأسفل بدلاً من الأمام. وشيء آخر يتبدّل مع هذا التبدّل، كيلا يقع ناسون وشافا من مقعديهما مع

هبوط الفهيمال، ووجدت ناسون ظهرها ومؤخرتها مستقرين بإحكام على المقعد مثلما كانا من قبل، مع أن هذا ينبغي أن يكون مستحيلًا.

وما كان حتى هذه اللحظة مهمة خافطة من داخل الفهيمال، خافطة إلى حد يكاد يكون خارج حدود الإدراك، بدأ الآن يعلو بغتة. بدأت ميكانيزمات غير مرئية ترتج أسرع في أنماط متزايدة. بينما تستكمل الفهيمال نزولها، يغشى المشهد الظلمة مجددًا، عدا أن ناسون تدرك هذه المرة أنها ظلمة الهاوية. لم يعد أمامهم شيء، بل صار أمامهم أسفلهم. يقول الصوت من داخل الفهيمال: «انطلاق».

تشهق ناسون وتقبض أكثر على يد شافا، بينما تنضغط في مقعدها بفعل القصور الذاتي مع الحركة الشديدة. عدا أن هذا القصور الذاتي أقل بكثير مما ينبغي أن تشعر به مع كل هذه السرعة، فجميع حواسها تخبرها أنها ينطلقان إلى الأمام بسرعة هائلة، أسرع حتى من أسرع الخيول الراكضة بكثير.

إلى الظلام.

الظلمة في البداية مطلقة، لكن تكسر ها حلقات النور التي تمرّ تباعًا في لمح البصر، خلال اندفاعهم عبر النفق. تستمر السرعة تتزايد، حتى تصبح تلك الحلقات ومضات. تستغرق ناسون من هذه الومضات ثلاثًا قبل أن تتمكن من تمييز ما تراه وتسسببه؛ إنها نوافذ، حلقات النور هذه نوافذ مثبتة في جدران النفق. ثمة فضاء حي بالأسفل هنا، أو هكذا الحال على الأقل في الأميال القليلة الأولى. تمر حلقة أخرى، ثم تتوقف الحلقات، ولا يكسر ظلام النفق شيئًا لبعض الوقت.

تسبب ناسون التبدل الوشيك، قبل أن يضيء النفق مرة واحدة نور أحمر داكن، يتخلل حوائط النفق الصخرية. آه، صحيح، لقد نزلت الفهيال إلى عمق تبدأ الصخور فيه تنصهر وتوهج باللون الأحمر. يطلي هذا الضوء الجديد دواخل الفهيال بلون دام، يجعل الزخارف الذهبية على الحوائط تبدو كما لو أنها تحترق. المشهد في الأمام يبدو ملتبسًا في البداية، مزيج من الأحمر والرمادي والبنّي والأسود، لكن ناسون تفهم غريزيًا ما تراه؛ لقد أصبحوا في طبقة الوشاح. ويبدأ أذعراها أخيرًا يتراجع مفسحًا المجال للانبهار.

تقول بخفوت: «إننا في الأسثينوسفير»^(١). يحدق إليها شافا. لكن تسمية الأشياء يخفف من خوفها. للأساء قوة. تعض على شفتها، ثم تترك أخيرًا يد شافا كي تنهض، وتتجه نحو المشهد في الأمام. تكتشف عن قرب أن ما تراه ليس إلا وهمًا من نوع ما، جواهر ملونة دقيقة تطفو على جسم الفهيال الداخلي، وكأنها تتورد، تشكل فسيفساء من الصور المتحركة. كيف يعمل هذا؟ لا يسعها فهمه.

ترفع يدها كي تلمس الصور، بانبهار. لا يصدر عن جسم الفهيال الداخلي أي حرارة، مع أنها تعرف أنهم في مكان تحت الأرض ساخن حتى أن الإنسان فيه يحترق ويتلاشى في لحظة. عندما تلمس صورة المشهد الأمامي، تتموج الصورة قليلًا حول إصبعها، مثل تموجات الماء. وعندما تغمر يدها كلها في تداخلات اللونين البنّي والأحمر، لا تقدر

(١) The asthenosphere الأسثينوسفير: نطاق الانسياب أو غلاف الانسياب أو الغلاف اللدن، أسماء متعددة للطبقة التي تقع على عمق بين ٨٠ كم و ٢٠٠ كم من الأرض، وهي جزء من طبقة الوشاح The mantle. [المترجم]

على منع نفسها من الابتسام. فعلى بعد أقدام قليلة، على الجانب الآخر من جسم الفهيمال، يوجد الأرض المحترق بذاته. إنها تلمس الأرض المحترق، لكن مع فاصل رقيق بينهما. تضع يدها الأخرى، تضغط وجنتها الرقيقة على جسم الفهيمال الأملس. إنها، في هذه الآلة الباقية من حضارة ميتة، قد أمست جزءاً من الأرض، ولعلها بذلك بلغت مبلغاً أبعد من أي أوروبيني سبقها. إن الأرض لها، وهي للأرض، هي فيه، وهو فيها.

حينما تلتفت ناسون عرضاً لترى شافا، تلفاه مبتسماً، رغم خطوط الألم حول عينيه، وهذه ابتسامة مختلفة عن ابتسامته العادية. تسأله: «ماذا؟».

يقول: «لطالما كانت القيادة اليومينية تؤمن أن الأوروبيين قد حكموا العالم ذات يوم، وأن من واجبه منعكم من الوصول إلى هذا القدر من القوة مجدداً، لأنكم ستكونون أكثر الحكام توحشاً، وستفعلون بالناس العاديين ما فعل بكم لو حظيتم بالفرصة. أنا لا أظنهم كانوا محقين في كثير من الأمور، ومع ذلك...»، يشير إليها وهي تقف وسط نيران الأرض المتأججة، «انظري إلى حالك يا صغيرة. لو أنك وحش مثلما تخيلوا... فأنت وحش عظيم».

كم هي تجبه.

وحبها يجعلها تتخلى عن وهم القوة، وتعود كي تجلس إلى جواره. لكنها عندما تدركه، ترى كم هو يريزح تحت وطأة الإجهاد. «رأسك توجعك كثيراً».

تبتهت ابتسامته. «وجع محتمل».

تضع يديها على كتفيه باضطراب. عشرات الليالي التي خففت فيها عنه الألم يفترض أنها يسرت عليها هذا، غير أنها حينما ترسل دفقة الفضة فيه، لا تسكن الخيوط البيضاء الملتهبة بين خلاياه، بل إنها في الواقع تتوهج أكثر، وبحدة، حتى إن شافا يتيبس ويشد نفسه عنها، ينهض، ويبدأ يذرع المكان جيئة وذهابا مجددًا، وقد نحت على وجهه ابتسامة أقرب إلى تكشيرة. لكن ناسون تعلم أن هذه الابتسامة الإندروفينية لا تفعل شيئًا.

لماذا توهجت خيوط الألم أكثر؟ تحاول ناسون أن تفهم من خلال فحص نفسها. فضتها لم تتغير، لم تزل تندفق فيها في نفس المسارات الواضحة المعتادة. فتلفت وتنظر إلى فضة شافا، وحينها تلاحظ، متأخرًا، شيئًا مذهلًا.

إن الفهيال مكونة من الفضة، لا فقط مجرد خيوط دقيقة منها. إنها محاطة بالفضة، تتخللها الفضة. تدرك ناسون موجات فضة، تتموج في أشرطة حولها وحول شافا، تبدأ من مقدمة الفهيال وتحيط بهم بالكامل. تفهم مرة واحدة أن هذا الغلاف السحري هو ما يقيهم من الحرارة والضغط، ويعدل الجاذبية داخل الفهيال حتى تجذبهم نحو أرضيتها، وليس نحو مركز الأرض. جسم الفهيال ليس أكثر من هيكل، بنيته تساعد بطريقة ما في تسهيل تدفق الفضة وتكون شبكاتها. والزخارف الذهبية تساعد على استقرار الطاقة المضطربة في مقدمة المركبة، أو هكذا تخمن ناسون، فهي لا تفهم كيف تعمل كل هذه الآليات السحرية معًا.

إنه نظام شديد التعقيد. ذلك مثل ركوب مسلة، مثل ركوب الريح. لم تكن تتخيل أن بوسع الفضة أن تكون بهذه الروعة.

غير أن هناك ما يتجاوز معجزة جدران الفهيال، هناك شيء خارج الفهيال.

في البداية لا تستوعب ناسون ما تدركه حواسها. مزيد من الأضواء؟ لا، إنها تنظر إليها على نحو خاطئ.

إنها فضة، مثل الفضة المتدفقة داخلها. خيط وحيد من الفضة، لكنه خيط هائل، يتلوى في دوامة من الصخور الساخنة وفقاعات الماء الحارق المضغوطة. إنه خيط واحد من الفضة، لكنه أطول من النفق الذي كانوا يقطعونه حتى الآن، لا تعثر له على بداية له أو نهاية، وأعرض من محيط الفهيال بكثير. فيما عدا ذلك، فهو رائق ومركز مثله مثل خيوط الفضة داخل ناسون نفسها. نفس الشيء لكن... شاسع.

وحينها تفهم ناسون، تستوعب مرة واحدة، استيعابًا ساحقًا، حتى إن عينيها تنفتحان مرة واحدة، وتتعثر إلى الوراء من صدمة الإدراك، فتخطئ مقعدا آخر وتكاد تقع، لولا أنها تتشبث فيه. يصدر عن شافا صوت واهن محبط، ويلتفت مستجيبيًا لاضطرابها... لكن الفضة في جسده تتوهج إلى حد يجعله ينحني، ويقبض على رأسه ويئن. أمسى ألمه أشد من أن يدعه يمارس واجبه كوصي، أو أن يتصرف بناءً على اهتمامه بها، أصبحت الفضة في داخله بنفس سطوع خيط الفضة المتلوي الهائل في الخارج بين الحمم.

السحر، هذا هو الاسم الذي أطلقه فولاذي على الفضة، على هذا الشيء الكامن تحت الأوروچينية، مادة حياة كل كائن حي، أو كان حيًا.

والفضة موجودة في أعماق الأرض، تتخلل جباله مثلما تتخلل جزئياته، بالضبط كما تتخلل خلايا الكائنات الحية. أي أن الكوكب حي، أمست ناسون تعلم ذلك الآن بيقين غريزي. صحيحة إذن كل الحكايات التي تتحدث عن حياة الأب الأرض.

لكن طبقة الوشاح هي جزء من جسد الأب الأرض، لماذا تتوهج فضته إذن أكثر؟
لا، أوه، لا.

تهمس ناسون: «شافا». يتأوه، ينحني على ركبة واحدة، يلهث وهو يقبض على رأسه. تريد أن تذهب إليه، أن تطمئننه، أن تساعدته، لكنها تقف في مكانها، يتسارع تنفسها مع تصاعد هلعها الناجم عما أدركت مرة واحدة أنه قادم. تريد أن تنكره. «شافا، أرجوك، ذلك الشيء في رأسك، قطعة الحديد، الشيء الذي تسميه حجر الأساس...»، صوتها مرتجف، لا تتمكن من التقاط أنفاسها. يكاد الذعر يغلق حلقها. لا، لا. إنها لم تفهم من قبل، أما الآن فتفهم، ولا علم لها عن كيفية إيقاف هذا. «شافا، من أين جاء حجر الأساس هذا؟».

يتحدث صوت الفهيمال مرة أخرى بصوت مُرحب، ثم يتابع ببهجة لا تناسب الموقف إلى حد الوقاحة: «... أعجوبة، حصريا في...»، شيء ما، «... الطريق، هذه الفهيمال...»، شيء ما، «... نور من القلب، من أجل راحتك».

شافا لا يرد، لكن ناسون تسببن الإجابة على سؤالها. تشعر بصدى خافت للفضة المتدفقة في جسدها، لكنها فضتها هي، ناتجة من

جسدها هي. أما فضة شافا، فضة كل الأوصياء، يولدها حجر الأساس المستقر في سسبيناتهم. لقد درست هذا الحجر من قبل قدر ما سنحت لها الفرصة، أثناء نوم شافا وتغذيتها له بالفضة. إنه من الحديد، لكنه ليس مثل أي حديد سسبنته من قبل. كثيف على نحو غريب، مفعم بالطاقة على نحو غريب، عدا أن بعض تلك الطاقة يعود إلى السحر الذي يغذيه الحجر به من ... مصدر ما. إن الحجر حيّ، على نحو غريب.

وحينما يختفي الجانب الأيمن من الفهيمال، كي يسمح للركاب برؤية المشهد الذي قلما يسنح لأحد رؤيته؛ قلب الأرض النابض، ترى ناسون أمامها شمس فضية تحت أرضية متوهجة، ساطعة إلى حد يرغمها على تضيق عينيها، ثقيلة إلى حد أن سسبينتها توجعها جراء محاولة إدراكها، قوية بالسحر إلى حد يجعل رابط ناسون بالياقوتية يبدو لها ضعيفاً زائلاً. إن ذلك هو جوهر الأرض، مصدر أحجار الأساس. أمامها عالم قائم بذاته، يتلعب حائط العرض، ويكبر ويتضخم بينما يندفعون إلى الأمام بسرعة متزايدة.

تفكر ناسون بخفوت، خلف هلعها المهيمن، أن هذا لا يبدو لها صخرياً. قد يكون ظنها التالي بتأثير من المعادن المنصهرة والسحر المحيط بالفهيمال، لكن هذا الشيء العظيم أمامها يبدو وكأنه يتوهج حينما تحاول أن تركز فيه. وبينما يقتربون أكثر، تميز ناسون شذوذات صغيرة ترقط سطح الجسم الكروي المتوهج، تبدو شديدة الضآلة مقارنة به، ولا يتغير هذا الانطباع حتى حينما تدرك أنها مسلات، بضع عشرات منها، مغروسة في قلب العالم مثل إبر في وسادة. لكنها لا شيء أمام كل هذا.

وناسون أيضًا لا شيء أمامه.

قال لها فولاذي إن جلب شافا معها خطأ.

ينكسر هلعها. تهرع إلى شافا حينما يقع ويتشنج بعنف. لا يصرخ، حتى وقد انفتح فمه وجحظت عيناه الثلجيتان، وحينما تجاهد كي تمدده على ظهره، تجد أن أطرافه كلها مشدودة العضلات حد التيبس. يطوح ذراعًا فتصيب عظمة ترقوتها وتطيح بها إلى الخلف، تغمرها نبضة ألم مريعة، لكن ناسون لا تلقي لها بالًا وتهرع عائدة إليه. تقبض على ذراعه بكلتا ذراعيها، وتحاول أن تتشبث بها، لأن يده تتخذ وضع المخالب وأظافره تريد تمزيق فروة رأسه ووجهه... تصرخ: «شافا، لا!». لكن ما من مجيب. ثم تظلم الفهيال.

لم تزل تتحرك، لكن أبطأ. تمرّ الفهيال عبر مادة قلب العالم نصف الصلبة... لأن قوم بناء المسلات بالطبع تفتنهم قدرتهم على اختراق قلب الكوكب باستمرار، على سبيل التسلية. لا تزال تشعر بوهج الشمس الفضية تمور حولها. أما خلفها، يُظلم الحائط/النافذة مرة واحدة ظلامًا بصبغة حمراء صدئة. ثمة شيء خارج الفهيال، يحاول اختراق غلافها السحري.

بيطء، وفي حجرها شافا يتلوى بعذاب صامت، تلتفت ناسون وتواجه قلب الأرض.

وهنا، من أعرق نقطة فيه، يلاحظ الأرض الشرير وجودها. حينما يتحدث الأرض، لا يتحدث بالكلام. هذا شيء أنت تعرفينه بالفعل، لكن ناسون لم تتعلمه إلا في تلك اللحظة. تسسبن معنى حديثه،

تسمع ذبذباته بعظام أذنيها، ترتجف منه بشرتها، يجتذب الدموع من عينيها. كما لو أنها تغرق في الطاقة والمشاعر والأحاسيس. هذا يؤلمها. لا تنسي: الأرض يريد أن يقتلها.

لكن تذكرني أيضًا: ناسون تريد له نفس المصير.

لهذا يقول، عبر هزة دقيقة ستثير في النهاية تسونامي في مكان ما في نصف الكرة الجنوبي: أهلاً بالعدوة الصغيرة.

(تعلمين أن هذا بالتقريب، هذا أقصى ما يستطيع عقلها الصغير احتماله).

وبينما يختنق شافا ويتشنج، تحتضن ناسون جسده المعبذب وتحقق إلى الحائط المظلم الصدي. لم تعد خائفة، صقلها الغضب. إنها ابنة أمها دون ريب.

«أطلق سراحه»، وتزجر، «الآن».

إن قلب العالم معدن، مصهور ومضغوط، ومع ذلك فيه صلابة مرنة. يبدأ السطح المظلم يتموج ويتغير أمام عين ناسون. ويظهر شيء ما للحظة، لا تستطيع تفسيره. نمط مألوف، وجه؟ بل مجرد اقتراح بوجود وجه، عيان وفم، وظل يمثل أنفًا، ثم، للحظة فقط، تصبح العينان واضحتي التفاصيل، وترسم الشفتان بوضوح، وتظهر شامة تحت العينين، اللتين تفتحان.

ليس وجهًا تعرفه، بل مجرد وجه... حيث لا يجب أن يكون هناك وجوه. وبينما تحقق ناسون إلى هذا، يحل محل غضبها رهبة تتسلل ببطء، وترى وجهًا آخر، ثم آخر... وجوه كثيرة تتجلى في آن واحد حتى تملأ

المشهد. يزيح كل وجه الآخر وهو يرتفع من الأسفل. عشرات الوجوه، بل مئات. هذا مترهل منك، وهذا منتفخ وكأنه من البكاء، وهذا فاغر الفاه يصرخ في صمت، مثل شافا. بعضها ينظر إليها بتوسل، ينبس بأشياء لا تستطيع فهمها حتى لو استطاعت سماعها.

غير أنها كلها تتموج معاً، بتهكم حضور أعظم. إنه لي. لا تُقال بالصوت، فحديث الأرض ليس كلاماً. ومع ذلك...

ترّم ناسون شفيتها معاً وتتوجه نحو فضة شافا، وتقصّ بلا رحمة أكبر عدد تقدر عليه من الأهداب المتصلة بجسده، من حول حجر أساسه. لا تنجح في هذا مثلما تنجح تقنياتها الجراحية الفضية عادة، فخيوط الفضة في شافا تعيد توصيل نفسها لحظياً تقريباً، وتنبض بقوة أكبر مما كانت. شافا يرتجف كل مرة. إنها تؤذيه، إنها تزيد سوءاً.

لكن لا خيار آخر. تلف خيوطها حول حجر أساسه، لتقوم بالعملية الجراحية التي لم يسمح لها بإجرائها قبل عدة أشهر. حتى لو كان هذا سيقصر من حياته، فسيقلل على الأقل معاناته ما بقي منها.

لكن موجة تهكم أخرى ترجّ الفهيمال، وتهبّ ومضة فضة عبر شافا تزيح عنه خيوطها الواهنة بيسر. فشلت العملية. يظل حجر الأساس مستقرّاً بين فصوص سسبينته، مثل كائن طفيلي.

تهزّ ناسون رأسها، وتحيل البصر حولها بحثاً عن أي شيء قد يساعدها. يشتت انتباهها للحظة غليان الوجوه وتقلبها على الظلام الصدى. من هؤلاء الناس؟ ولماذا يتقلبون هنا، في قلب الأرض؟

يعود الأرض بقول: الدين يجب أن يُسدّ. عبر موجات الحرارة

والضغط الساحق. تكشف ناسون عن أسنانها، يثقل عليها احتقاره البالغ لها. ما سُرق، ما أُقترض، ينبغي أن يُعوّض.

ولا يسع ناسون إلا أن تفهم هذا أيضًا، هنا، في كنف الأرض، ومعناه يتردد في عظامها. الفضة، السحر، مصدرها الحياة. سعى بناء المسلات إلى تسخير السحر، ونجحوا في ذلك، وليتهم ما فعلوا. استخدموا السحر لصنع أعاجيب لا يمكن تخيلها، ثم بعد ذلك، أرادوا المزيد، مزيدًا من السحر، أكثر مما يمكن أن توفره حيواتهم كلها لو اجتمعت، أو حتى الحياة المتراكمة في عصور طويلة من الحياة والموت فوق سطح الأرض. وعندما أدركوا كم السحر الفائض تحت السطح، الناضج والجاهز للحصاد...

ربما لم يخطر ببالهم أن كل هذا القدر من السحر، كل هذا القدر من الحياة، قد يكون مؤثرًا لل... للوعي. فالأرض في النهاية لا يتحدث بالكلمات. وتذكر ناسون، التي رأت من العالم ما لا ينبغي أن يراه طفل بريء، تدرك أن لعل بناء شبكة المسلات العظيمة، لم يعتادوا احترام أنواع الحياة المختلفة عنهم. وهم في ذلك لا يختلفون كثيرًا عن سادة المرتكز، وعن الغزاة، وعن أبيها. لهذا حينها رأوا كائنًا حيًا، لم يروا سوى مادة صالحة للاستغلال. وحيث ينبغي أن يطلبوا بأدب، أو يتحاشوا بالكامل، اغتصبوا.

بعض الجرائم لا يمكن مقابلتها بعدل كافٍ، ولا حل سوى التعويض. لذا، مقابل كل ذرة حياة استنزفت من تحت سطح الأرض، استنزف الأرض مليونًا من بقايا البشر إلى قلبه. في النهاية، تتحلل

الجثث في التربة، والتربة فوق الصفائح التكتونية، والصفائح لا مناص لها من الخضوع لنيران ما تحت قشرة الأرض، التي تتدفق بلا انقطاع عبر الوشاح... وهناك، التهم الأرض كل شيء، كل ما كانوا عليه. ببرود، وبغضب لم يزل يتردد ويصعد من الأعماق حتى يشقّ السطح، فيسبب الموسم تلو الموسم. يبرر الأرض: هذا أقل شيء. فالأرض لم يدشن دورة العدوان، لم يسرق القمر، لم يخترق جلد أحدهم ويتزع فتاتًا من لحمه الحي ويصنع منه الأدوات والجوائز، ولم يستعبد البشر في كابوس لا ينتهي. لم يبدأ الأرض هذه الحرب، لكنه عمّا قريب، بحق الصدا، سيأخذ حقه.

ألا تفهم ناسون هذا؟ تشتدّ قبضتها حول قميص شافا، وترتجف بينما تتأجج كراهيتها. ألا تتعاطف معه؟

فقد أخذ هذا العالم منها كثيرًا. كان لها ذات يوم أخًا، كان لها أبًا، وأمًا تفهمها أيضًا لكنها تمنى لو لم تفعل، وبيتًا وأحلامًا. لقد سلب أهل السكون منها منذ أمد بعيد طفولتها، وأملها في مستقبل حقيقي، ولهذا هي غاضبة إلى حد أنها لا تستطيع أن تفكر في أي شيء غير هذا يجب أن ينتهي وسأنبهه بنفسه.

... أليست بهذا تردد صدى غضب الأرض الشرير بنفسها؟
بلى.

بلى وحق الأب الأرض الشرير.

أمسى شافا ساكنًا في حضنها. ثمة بلبل تحت قدميها، لقد بال على نفسه. لا تزال عيناه مفتوحتين، وتنفسه ضحلًا. لا تزال عضلاته

المشدودة ترتجف من حين إلى حين. لا أحد منيع من الانكسار تحت وطأة عذاب لا ينقطع. بالغياب وحده يحتمل العقل ما لا يُحتمَل. تبلغ ناسون من العمر عشر سنوات، لكنها على شفير المئة، بعدما رأت من شرور العالم ما يكفي لمعرفة ذلك. شافا ذهب، ولعله لن يعود بعدها أبدًا.

تواصل الفهيمال طريقها بسرعة.

ويبدأ المشهد يسطع مرة أخرى بينما تخرج من قلب الأرض. تستأنف أنوار المركبة الداخلية السطوع. ترتخي أصابع ناسون حول ملابس شافا. تنظر من جديد نحو كتلة قلب الأرض المتقلبة، حتى يعتم الحائط الجانبي من جديد. يتلأأ المشهد على الحائط الأمامي قليلًا، ثم يبدأ يختفي بدوره أيضًا. لقد ولجوا نفقًا جديدًا، أوسع من الأول، ذا حوائط سوداء صلبة، تحول على نحو ما دون حرارة قلب الأرض والوشاح الخارجي. تشعر ناسون الآن أن الفهيمال بدأت تتوجه إلى أعلى، بعيدًا عن القلب، عائدة إلى السطح، لكنه هذه المرة سطح الناحية الأخرى من الكوكب.

تهمس ناسون، إلى نفسها، بما إن عقل شافا قد ذهب، «هذا يجب أن ينتهي، وسوف أنهيه بنفسه»، تغلق عينيها، فتتلاصق رموشها، رطبة بالدموع، «هذا وعد».

ولا تعلم من الذي تعده بذلك، وهذا في الواقع لا يهم.

وبعد قليل، تصل الفهيمال إلى كوربوينت.

سيل أناجيست: ١

في الصباح، أخذوا كلنلي.

لم يكن ذلك في الحسبان، في حسابنا على الأقل. ولم يكن هذا أيضًا بسببنا، أدركنا ذلك بسرعة إلى حد ما. أول من وصل كان الميسر جالات، ثم رأيت عددًا من الميسرين ذوي الرتب العالية أيضًا في البيت، حول الحديقة. لا يبدو جالات مستاءً وهو ينادي كلنلي كي تخرج، ثم يتحدث معها بخفوت وحدة. نستيقظ جميعًا، يغمرنا إحساس بذنب غير منطقي، فنحن لم نذنب، فقط قضينا الليل ممددين على ألواح الأرضية القاسية، نصت إلى أصوات تنفس بعضنا الغريبة. أراقب كلنلي خائفًا عليها، أود أن أحميها، لكنه شعور ناقص، فأنا لا أعرف نوع الخطر الواقعة فيه. تقف وهي تتحدث مع جالات، منتصبه الظهر مرفوعة الرأس، وكأنها واحدة منهم. أسسبن توترها، مثل خط صدع على وشك الانهيار.

إنهم خارج بيت الحديقة الصغير، على بعد خمسة عشر قدم منا، لكنني أسمع صوت جالات يعلو للحظة: «تنامون في سقيفة؟ إلى متى تنوين الاستمرار في الحماقة؟».

تقول كلنلي، بهدوء: «أهناك مشكلة؟».

جالات هو أعلى المُيسّرِين رتبة، وأقساهم أيضًا. لا أظنه يتعمد ذلك، وإنما أظنه لا يفهم أن القسوة معنا تُعتبر قسوة. نحن آلات دوزنة، ويجب أن تتم دوزنتنا نحن أنفسنا على أكمل وجه لصالح المشروع. هذه العملية أحيانًا تؤذي، أو تكاد تسبب الخروج عن الخدمة إلى التوالف... من دون قصد.

كنا نتساءل إن كانت جالات يحسّ. هو كذلك، أرى هذا عندما يتراجع الآن عن كلنلي، يبدو عليه الألم، وكأن كلمات كلنلي ضربته. يقول: «لقد كنت طيبًا معك». صوته مرتجف. مكتبة سرّ من قرأ

«وأنا ممتنة لذلك»، لم تغير كلنلي نبرة صوتها أدنى قدر، ولم تختلج عضلة في وجهها. إنها تبدو، لأول مرة، مثل واحدة منا. ومثلما نفعل نحن، تخوض معه محادثة لا علاقة لها بالكلمات التي تخرج من وجهيهما. لا شيء في البيئة المحيطة يقول ما خفي، لكن مع ذلك...

يحدق إليها جالات. ثم يختفي الوجدع والسخط من تعبيره، ويحلّ محلّهما التعب. يلتفت عنها وينفجر: «أريدك أن تعودتي إلى المعمل اليوم، حدثت تقلبات في الشبكة الفرعية مرة أخرى».

أخيرًا يتحرك وجه كلنلي، يتجه حاجباها إلى الأسفل. «قيل لي إن معي ثلاثة أيام».

«الحيو أركانية لها الأولوية على خططك الترفيهية يا كلنلي»، يرمي نظرة نحو البيت الصغير، حيث أنا والبقية، ويضبطني أراقبهم. لا أشيح بصري بعيدًا، ربما لأنني منبهر بسخطه إلى حد يمنعني من التفكير.

يبدو محرّجًا للحظة، ثم منزعًا. يقول لها بنبرة نفاذ الصبر المعتادة منه: «صحيح أن المساحات السحروحيوية محدودة النطاق خارج المجمع، لكنهم يقولون إنها التقطت تدفقات رائقة على نحو لافت في شبكة المدوزنين. يبدو أن ما فعلته معهم لم يكن مضيعة تامة للوقت، لذا سأأخذهم أنا، إلى حيثما كنت تنوين أخذهم اليوم. هكذا سيكون بوسعك الرجوع إلى المجمع».

تنظر إلينا، إلّي، أنا مفكرها.

تقول له وهي تنظر نحوي: «إنهم بحاجة إلى رؤية شذرة المحرك المحلية، يفترض أنها رحلة سهلة».

«الجمشتية؟»، يحدق جالات إليها، «إنهم يعيشون في ظلها، ويرونها باستمرار، كيف لذلك أن يساعد؟».

«لم يروا مقبسها. ينبغي عليهم أن يفهموا بالكامل عملية نموها، أكثر من مجرد فهم نظري»، وتلتفت مرة واحدة عني، وعنه، وتبدأ تمشي نحو البيت الكبير. «فلتجعلهم يرون الجمشتية فقط، ثم عد بهم إلى المجمع، ولا تقلق عليهم بعدها».

أفهم تماما لماذا تحدثت كلني بهذه النبرة المتجاهلة، ولماذا لم تكلف نفسها عناء توديعنا قبل ذهابها. هذا نفس ما نفعله حينما نضطر إلى مراقبة أو سسبنة عقاب أحد أفراد شبكتنا، أن نتظاهر بعدم الاكتراث (كانت أغنيك بلا نعمة يا تتلواه، لكنها لم تكن صامته. من أين تغني؟)، فهذا يقلل من عقاب الجميع، ويحول دون أن يركز الميسرون الآخرون في خضم غضبهم في واحد آخر. لكن فهم هذا شيء، والشعور الناجم

عن ذهابها بلا مبالاة، شيء مختلف تماما. بعد ذلك يتعكر مزاج الميسر جالات. يأمرنا بإحضار أشياءنا كي نذهب. ليس لدينا أشياء نحضرها، لكن بعضنا يحتاج إلى إفراغ فضلاته قبل الذهاب، وجميعنا نحتاج إلى طعام ومياه. يسمح جالات لمن يحتاج باستخدام مرحاض كلنلي الصغير، أو كومة أوراق الشجر في الخلف (ولست منهم. إن فعل القرفصة للإخراج شديد الغرابة، لكنه أيضًا تجربة شديدة الثراء)، ثم يأمرنا بتجاهل الجوع والعطش والذهاب معه، فنفعل. يسرع جالات في خطواته، حتى مع علمه بقصر سيقاننا عن ساقه، ولا تزال أقدامنا تؤلمنا من اليوم السابق. نرتاح عندما نرى الفهيمال التي استدعاها، هكذا يتسنى لنا الجلوس والراحة بينما تأخذنا إلى وسط المدينة.

يركب بقية الميسرين معنا ومع جالات. يتكلمون معه ويتجاهلوننا تمامًا، ويحييهم باقتضاب، ردود من كلمة واحدة. محور حديثهم الرئيسي هو كلنلي، يسألونه هل كانت عنيدة دومًا هكذا؟ وهل يظن أن في تصميمها الجيني خللاً غير متوقع؟ ولماذا يسمح أصلاً لها بإبداء الرأي في المشروع وهي في الواقع، من الناحية العملية، مجرد نموذج أولي قديم؟

ينفجر بعد ثالث تلك الأسئلة: «لأنها كانت محقة في كل اقتراحاتها حتى الآن. ولهذا السبب بعينه صنعنا المدوزنين، لأن بدونهم، سيتطلب المحرك البلوتوني سبعين سنة أخرى قبل أن نقدر حتى على محاولة تجربته. حينها تقدر مجسات استشعار الآلة على أن تخبرك بالمشكلة بالتحديد، وبالطريقة التي من خلالها تزيد كفاءة النظام، فمن الغباء عدم الإنصات».

ويبدو أن ذلك يتكفل بتهديتهم، فيتركونه في حاله ويستأنفون الحديث فيما بينهم من دونه. أنا أجلس بالقرب من الميسر جالات، ومن مكاني ألاحظ كيف أن ازدراء بقية الميسرين يزيده في الواقع توترًا، ويجعل غضبه يشع من بشرته، مثلما تشع الصخرة بقايا حرارة شمس النهار، حتى بعد غروب الشمس بكثير. لطالما كانت هناك تفاعلات غريبة في علاقة الميسرين ببعضهم، ولطالما احترنا في تفسيرها على أفضل وجه، من دون أن نفهمها حقًا. أما الآن، بفضل شرح كلنلي، أذكر أن لجالات أصولًا غير محبذة. إننا صنعنا على هذا النحو، أمّا هو فقد وُلد ببساطة ببشرة شاحبة وعينين ثلجيتين. في سيل أناجيسست أعراق أخرى لها بشرة شاحبة، لكن العينين بالذات تقترحان، أن في لحظة ما من تاريخ عائلته - لحظة بعيدة، وإلا ما كان يسمح له بتلقي التعليم أو الرعاية الصحية أو وظيفته الحالية المرموقة - أنجب أحدهم أبناءً من شخص نيسي. أو ربما لا، فتلك السمات يمكن أن تكون طفرات لونية عارضة، غير أن أحدًا لا يفكر بهذه الطريقة على ما يبدو.

لهذا السبب، رغم أن جالات يعمل بجِد ويقضي وقتًا في المجمع أكثر من البقية، ورغم أنه القائد، يعامله بقية الميسرين وكأنه أقل مما هو عليه. لولا أنه يسقط هذا الشعور علينا في تعامله معنا، لكنت قد أشفقت عليه، أما الآن فأنا أخشاه. لطالما كنت أخشاه. لكن من أجل كلنلي، قررت أن أكون شجاعًا.

أسأل: «ما الذي يغضبك منها؟». صوتي خافت، ويصعب سماعه وسط طنين دورة التمثيل الغذائي للفهيال. لا يلاحظ تعليقي سوى قلة

من بقية المُيسّرِين، ولا يَأْبَهُ به أَحدهم. لقد أَحسنت اختيار توقيت طرح السؤال.

جالات يرتبك، ثم يحدق إليّ وكأنه لم يرني من قبل قط. «ماذا؟». «أقصد كلنلي». وألتفت حتى تقابل عيني عينه، رغم أننا تعلمنا بالتجربة أن المُيسّرِين لا يحبون هذا، يحسبون النظر إلى العين تحدياً. لكنهم أيضاً يستهينون بنا حينما لا ننظر إلى عيونهم، وأنا لا أريده أن يستهين بي الآن. أريده أن يشعر بهذه المحادثة، حتى لو كانت سسبيته الضعيفة البدائية غير قادرة على إخباره بأن غريقي واستيائي قد رفعا درجة حرارة المياه الجوفية بالمدينة درجتين.

يحدق إليّ، وأرد تحديقه بمتابعة النظر إليه بلا تعبير. أشعر بالتوتر في الشبكة. فالآخرون، الذين لاحظوا بالطبع ما تجاهله المُيسّرون، صاروا فجأة يخشونني... لكنني أكاد أنشغل عن قلقهم باكتشافي المفاجئ للتبدل الحاصل فينا. إن جالات محق، إننا نتغير بالفعل، نصبح أكثر تعقيداً، وتأثيرنا في البيئة المحيطة يزداد قوة، بسبب ما أطلعنا عليه كلنلي. هل هذا تطور؟ لست متأكداً بعد. أما الآن فنحن مضطربون بعدما كنا شبه متحدين من قبل. رمواه وچيواه غاضبان من مبادرتي بهذه المخاطرة من دون استشارة الجميع أولاً، وهذا ال... التهور، هو علامة تبديلي. وبيمنواه وساليواه غاضبان غضباً غير عقلائي من كلنلي، بسبب تأثيرها الغريب فيّ. أما دوشواه فقد ضاق ذرعاً بنا جميعاً ويريد أن يعود إلى البيت. تحت غضب چيواه يكمن خوفها عليّ، لكنها أيضاً تشفق عليّ، لأنها تحسب أنها تفهم أن طيشي علامة على أمر آخر. أنا كنت

قد قررت أنني واقع في الحب، لكن هذا الحب بقعة ساخنة مؤلمة تفور تحت السطح، سطحي، في مكان كان ذات يوم مستقرًا، وأنا لا أحب هذا. لقد كنت ذات يوم أظن أنني أفضل أداة صنعتها حضارة عظيمة على الإطلاق. أما الآن فقد علمت أنني خطأ ارتكبته الأيدي المضطربة لزمرة لصوص يعانون جنون الاضطهاد، مذعورين من تفاهتهم. لم أعد أعرف بماذا أشعر، سوى التهور.

لكن لا أحد منهم غاضب من جالات، لأنه خطر إلى حد يجعل من مجرد الحديث معه مخاطرة. وفي ذلك خطب كبير.

أخيرًا يقول جالات: «ما الذي يجعلك تظن أنني غاضب من كليني؟». يفتح فمي كي أشير إلى توتر جسده وصوته والنظرة على وجهه، لكنه يصدر صوتًا مضطربًا. «لا عليك، أعلم كيف تعالجون المعلومات»، يتنهد، «وأظن أنك محق».

أنا طبعًا محق، لكنني أعلم أيضًا أن ليس من الذكاء تذكيره بما لا يريد أن يعرفه. أقول: «أنت تريدها أن تعيش في منزلك». لم أكن متأكدًا من أن هذا كان منزل جالات حتى محادثة هذا الصباح. كان ينبغي أن أحزر ذلك، فقد كان يعبق برائحته. لكن لا أحد فينا يجيد استخدام أي حاسة غير السسونا.

ينفجر: «إنه منزلها أيضًا، فقد نشأت فيه، مثلي».

لقد أخبرتنا كليني بهذا، بأنها نشأت برفقة جالات، تحسب نفسها طبيعية، حتى أخبرها أحدهم في النهاية أن والديها لا يحبانها. «لقد كانت جزءًا من المشروع».

يومئ إيماءة مشدودة، عضلات وجهه تتلوى بالمرارة. «وأنا أيضًا، فوجود طفل بشري ضروري للتحكم بالتجربة، وأنا عندي... سمات مميزة صالحة للمقارنة. لقد كنت أحسبها أختي حتى بلغنا نحن الاثنين سن الخامسة عشرة. ثم أخبرونا».

يا لها من مدة طويلة. لكن مع ذلك، لا بد أن كلني قد شكت في أنها مختلفة. إن وهج الفضة السحري يتدفق حولنا، عبرنا، مثل المياه. يستطيع الجميع أن يسسبنه، لكن المدوزنين بالذات يعيشون من خلاله. لا يمكن أن تكون حسبت نفسها طبيعية.

أما جالات في المقابل، فتفاجأ تمامًا. لعل عالمه انقلب حينها رأسًا على عقب، مثلما انقلب عالمي. ربما تاه، ولا يزال تائهاً، مثلما أنا تائه، ويجاهد كي يوفق بين مشاعره وبين الواقع. أشعر فجأة بالتعاطف معه.

«أنا لم أسئ معاملتها من قبل قط». يصبح صوته خافتًا، ولا أعود متأكدًا إن كان يتحدث إليّ بالتحديد. يطوي ذراعيه ويطوي قدميه، مغلقًا نفسه على نفسه، وتسرح نظرتة عبر نافذة الفهيمال، لا ترى شيئًا بالتحديد. «لم أعاملها قط مثل...»، ثم يرمش فجأة، ويرميني بنظرة قاسية. أكاد أومئ كي أريه أنني أفهم، لكن غريزتي تحذرنى من فعل ذلك. فيرتخي، لا أعلم لهذا سببًا.

يقول رمواه عبر الأرض، معربًا عن تدمره من سذاجتي: إنه لا يريدك أن تسمعه يقول «مثلكم»، ولا يريدك أن تعلم ماذا قد يعني قوله هذا، إن فعل. بذلك هو يطمئن نفسه أنه ليس مثل الذين جعلوا حياته

أصعب. هذه كذبة، لكنه يحتاج دعمنا لها. لم يكن ينبغي عليها أن تخبرنا أننا نيسيون.

أرد بنبضة متدمرة. نحن لسنا نيسيون. وأكثر غضبي يرجع إلى أنني احتجت إلى توضيحه ذلك لي. أمسى الآن سلوك جالات مفهوماً بعدما أوضحه رمواه.

تجيب چيواه من خلال هزة ميكروية نحن كذلك بالنسبة إليهم، ثم تقتل صدى الهزة في مهدها، فلا نسبن بعدها إلا الصمت البارد. نتوقف عن الجدال، لأنها محقة.

يتابع جالات، غافلاً عن أزمة الهوية التي نمر بها: «لقد منحتها أكبر قدر ممكن من الحرية. الكل يعلم حقيقتها، لكنني مع ذلك منحتها نفس الامتيازات التي تتمتع بها أي امرأة عادية. بالطبع هناك قيود، حدود، لكن هذا معقول. لا يمكنني أن أبدو متساهلاً، إذا...»، ينجرف حديثه إلى أفكاره. تلتوي عضلات فكه في إحباط. «إنها تتصرف كما لو أنها لا تفهم ذلك، وكأنني أنا المشكلة، وليس العالم. أنا أحاول أن أساعدها!»، ثم يزفر زفرة حسرة ثقيلة.

لكننا سمعنا ما يكفي. لاحقاً، عندما نتأمل كل ما صار، سأخبر الآخرين: إنها تريد أن تكون إنسانة.

سيقول دوشواه: إنها تريد المستحيل. جالات يحسب أنه من الأفضل أن يملكها لنفسه، بدلاً من أن يسمح لسيل أناجيست أن تملكها بدلاً منه. ولكي تكون إنسانة، عليها ألا تعود... قابلة لأن يملكها أحد.

فتضيف چيواه: بحزن وحينها سيكون على سيل أناجيست ألا
تكون سيل أناجيست.

صحيح، وفي هذا سيكون رفاقي المدوزنون محقين. لكن هذا لا
يعني أن رغبة كلنلي في الحرية خطأ، أو أن التعسر البالغ لحدوث أمر ما،
يعني استحالته.

تتوقف الفهيمال في جزء من المدينة يبدو مألوفاً إلى حد غريب. لقد
رأيت هذه المنطقة مرة واحدة من قبل فقط، لكنني مع ذلك أتعرف على
أنماط الشوارع، وتدفق العناقيد على أحد الحوائط الخضراء. النور الذي
تشعه الجمشتية، بينما تميل الشمس نحو مغربها، يثير فيّ مزيجاً من الشوق
والارتياح، شعوراً سأعرف ذات يوم أن اسمه الحنين إلى الوطن.

يتركنا بقية الميسرين ويعودون إلى المجمع. يشير جالات إلينا. إنه
غاضب، ويريد أن ينتهي من أمرنا. فنتبعه، ونتأخر قليلاً عنه لقصر
أرجلنا ووجع عضلاتنا، حتى يلاحظ أخيراً أننا وحراسنا قد تأخرنا
عنه عشرة أقدام، فيقف حتى نلحقه، لكن بفك مشدود، وبأصابع تدق
بنمط متسارع على ذراعيه المعقودتين.

يقول: «أسرعوا، أريد أن نبدأ تجارب الإطلاق الليلة».

نعلم أن الاعتراض ليس من الذكاء، لكن التشنيت يفيد غالباً.
تقول چيواه: «ما الذي نسرع كي نراه؟».

يهزّ جالات رأسه بنفاد صبر، لكنه يجيب. يبطئ مشيه كي يتحدث
معنا، كما خططت چيواه، ما يسمح لنا أيضاً بالمشي أبطأ. نلتقط أنفاسنا
بشوق. «المقبس الذي استُتبت فيه الشذرة. لقد أخبرناكم من قبل

بالأساسيات. كل شذرة في الوقت الحالي تقوم بدور محطة الطاقة لمدينة سيل أناجيسيتية... تمتص السحر، وتحفزه، وتعيد بعضه إلى المدينة وتخزن الفائض. ذلك طبعاً إلى أن يقوم المحرك».

ثم يتوقف بغتة، وقد تشتت بها حولنا. لقد وصلنا إلى المنطقة المحظورة حول قاعدة الشذرة؛ حديقة من ثلاثة أدوار فيها بعض المباني الإدارية ومحطة فهيال، قيل لنا إنها على خط يذهب في رحلات أسبوعية إلى كوربوينت. كل شيء هنا عملي جداً، ومضجر نوعاً. كل شيء سوى... الشذرة الجمشتية.

تناطح السماء فوقنا، تتجاوز أقصى ما تراه عيوننا. حتى مع تعجل جالات، نتوقف جميعاً ونتأملها في روع. إننا نعيش في ظلها الملون، ولقد صُنعتنا خصوصاً كي نلبي احتياجاتها ونتحكم في مخرجاتها. إننا هي، وهي نحن. لكن مع ذلك، نادراً ما تتسنى لنا رؤيتها مباشرة. نوافذ زنازيننا تتجه بعيداً عنها (من أجل الروابط والتناغم وخطوط الرؤية وكفاءة الموجات، لا يريد الميسرون المخاطرة بأي تنشيط غير مقصود). إنها لشيء مهيب، في كل من حالتها المادية والسحرية. والآن تتوهج في حالتها السحرية، وقد أمست بنيتها الكريستالية مشحونة بالكامل تقريباً، بالطاقة السحرية المخزنة، التي سوف تُستخدم عملاً قريب لتدشين الجيوأركانبة، عندما ننقل أنظمة طاقة العالم كله من حالة التوليد والتخزين المحدودة بقدرة الشذرات، إلى التدفق اللانهائي من الأرض، وذلك حينما تصبح كوربوينت جاهزة بالكامل لتنظيم هذا التدفق، وحينها يحقق العالم أخيراً حلم أعظم القادة والمفكرين السيل أناجيسيتين...

... لكن، حينها لن تعود هنالك حاجة إليَّ وإلى الآخرين. إننا نسمع كثيرًا عمَّا سيحدث للعالم ما إن يتحرر من الفاقة والحاجة، سيعيش الناس إلى الأبد، وسيسافرون إلى عوالم أخرى، إلى النجوم وما بعدها. يطمئنا الميسرون بقول إننا لن نُقتل، بل سيُحتفى بنا، باعتبارنا أوج القدرة السحرية، وسنكون تمثيلًا حيًّا لما يمكن أن تحقِّقه البشرية. أليس ذلك الاحتفاء أمرًا يستحق التطلع إليه؟ ألا يفترض بنا أن نشعر بالفخر؟

غير أنني لأول مرة أفكر في الحياة التي قد أرغب فيها لنفسي، لو سُمح لي بالاختيار. أفكر في المنزل الذي يعيش فيه جالات: ضخمة، جميلة، باردة. وأفكر في منزل كلنلي في الحديقة، ذلك الصغير الذي تحيط به أشياء سحرية صغيرة متعددة. أفكر في الحياة مع كلنلي، في الجلوس تحت قدميها كل ليلة، والتحدث معها قدر ما أريد، بكل لغة أعرفها، بلا خوف. أفكر فيها تبتسم بلا مرارة، وتمنحني هذه الفكرة متعة لا تصدق. ثم يغمرني الخجل، وكأني لا حق لي في تخيل هذه الأمور.

جالات يتمتم وهو يرمق الشذرة: «مضيعة للوقت». أجفل، لكنه لا يلاحظ. «حسنًا، ها هي الجمشتية، لا أعلم لماذا أرادتكم كلنلي أن تروها، لكنكم ها قد فعلتم».

نبدي انبهارنا كما أمرنا. تسأل چيواه: «هل يمكننا أن... نقرب أكثر؟». يتذمر عدد منا عبر الأرض، أقدامنا تؤلنا ويطوننا جائعة. لكنها ترد بإحباط: «إننا هنا، فلنستغل ذلك».

يتنهد جالات موافقًا، ويبدأ يتحرك إلى الأمام، ينزل طريقًا منحدرًا

نحو قاعدة الجمشتية، حيث هي مستقرة في مقبستها بإحكام منذ عملية الحقن التوليدي الأولية. سبقت لي رؤية قمة الشذرة الجمشتية، ضائعة بين الغيوم وأحياناً تُوَطرها دائرة نور القمر الأبيض، لكن هذا الجزء منها جديد عليّ. أرى عند قاعدتها أبراج المحولات الضوئية، التي أعلم مما علمونا إياه أنها تسحب السحر من فرن التوليد في قلب الجمشتية، وهذا السحر - وهو قدر هامشي من الكميات المهولة التي يقدر المحرك البلوتوني على إنتاجها - يُوزع عبر قنوات لا حصر لها إلى البيوت والمباني والمكينات ومحطات تغذية الفهيمال. وهذا نفس ما يحدث في كل مدينة سيل أناجيسية، في جميع أنحاء العالم، من خلال مئتين وست وخمسين شذرة في المجمل.

يلفت انتباهي فجأة شعور غريب، أغرب شيء سسبنته على الإطلاق. شيء ينتشر... شيء قريب يولد قوة من... أهز رأسي وأتوقف عن المشي. أسأل قبل أن أفكر إن كان من الحكمة أن أتحدث مرة أخرى مع جالات وهو في هذا المزاج: «ما هذا؟».

يتوقف، يحدق إليّ، ثم يتفهم على ما يبدو الارتباك على وجهي، «أوه، يبدو أننا أمسينا على مقربة بما يكفي للشعور بها. هذا فقط التشوش الناجم عن شرايين الاستنزاف».

يسأل رمواه، بما إنني كسرت الجليد: «وما هي شرايين الاستنزاف؟». هذا يؤدي إلى جعل جالات يحدق إليه بانزعاج متزايد، فتتوتر جميعاً. «يا شر الموت»، يتنهد جالات في النهاية، «حسنًا، الرؤية أسهل من الشرح، تعالوا».

يسرع مجدداً، وهذه المرة لا يتجراً أينما على التذمر، حتى ونحن نعاني الجفاف وتدني مستوى السكر في الدم وندفع أرجلنا المتورمة دفعاً. نصل بعدما اتبعنا جالات إلى الطبقة الأدنى، ونقطع مسار الفهيمال، ونمر بين برجين ضخمين من أبراج المحولات.

ثم... يحطمنا ما نراه.

وراء الأبراج، يشرح لنا الميسر جالات بنفاد صبر لا يحاول إخفاءه، أن ذلك هو نظام بدء وتشغيل الشذرة. ينخرط في شرح تقني مفصل نستوعبه لكننا لا نسمعه في الواقع. وشبكتنا، النظام شبه الدائم من الروابط التي نتواصل نحن الستة عبره، ونطمئن من خلاله بعضنا على صحة بعض، ونحذر ونطمئن ونغني بعضنا لبعض، تسكن تماماً، من شدة هذه الصدمة، من هذا الرعب.

خلاصة شرح جالات هو التالي: عند استنبات الشذرات لأول مرة قبل عقود، لم تقدر على بدء توليد السحر من تلقاء نفسها. مثل تلك الهياكل الكريستالية غير الحية ولا العضوية خاملة أمام السحر، لذا، من أجل تحفيز الدورة التوليدية للشذرات، كان يجب استخدام سحر خام كمحفز. كل محرك يحتاج إلى مُشغل. وهنا يأتي دور شرايين الاستنزاف، التي تبدو مثل العناقيد، سميكة ومعقودة، ومتلوية ومتكورة حول قاعدة المسلة لتشكل قاعدتها الحية، وفيما بين هذه العناقيد...

قالت لي كلني عندما سألتها أين النييسيون الآن، إننا سوف نراهم. ندرك فوراً أنهم لا يزالون أحياء، حتى وهم ممددون بلا حراك بين العناقيد السميكة (ممددين فوق العناقيد، متشابكين وسطهم، ملتحفين

بهم، مخوزقين بالعناقيد التي نبتت عبر أجسادهم واخترقتها)، فمن المستحيل ألا نسسبن خيوط الفضة الدقيقة المتدفقة بين خلايا يد هذا، أو المترقصة في شعيرات ذاك في الخلف. نرى بعضهم لا يزال يتنفس، وإن كان بحركة شديدة البطء. يرتدي كثيرون ملابس من خرق ممزقة، جافة ومتعفنة بفعل السنوات، وبعضهم عراة. شعورهم وأظافرهم لم تنم، وأجسادهم لا تنتج الفضلات حسب ما نرى، وأشعر غريزيًا أنهم غير قادرين على الشعور بالألم، وهذا على الأقل رحمة. وذلك لأن شرايين الاستنزاف تأخذ سحر الحياة كله منهم، باستثناء القطرات المطلوبة لبقائهم على قيد الحياة. وبقاؤهم أحياء ضروري لاستمرار الإنتاج.

هؤلاء هم التوالف. حينما صُيِّبنا لأول مرة، ونحن لا نزال نتعلم كيف نستخدم اللغة التي بُرِّجت في أدمغتنا خلال مرحلة النمو، أخبرتنا واحدة من المُيسِّرين مرة قصة عن المكان الذي سيرسلوننا إليه إن أصبحنا غير قادرين على العمل لسبب ما. كان ذلك عندما كنا لا نزال أربعة عشر. قالت لنا إننا ستقاعد في مكان، حيث يظل بإمكاننا أن نخدم المشروع على نحو غير مباشر. قالت: «إنه مكان هادئ». أتذكر هذا جيدًا. ابتسمت وهي تقول ذلك. «سترون بأنفسكم».

إن ضحايا التوالف هنا منذ أعوام، عشرات الأعوام. نرى منهم المئات، وئمة الآلاف خارج نطاق الرؤية، لو أن شرايين الاستنزاف تمتد لتغطي فعليًا قاعدة الجمشتية كلها. وربما الملايين، حينما تضرب الرقم في مئتين وست وخمسين شذرة. لا نرى تتلواه ولا الآخرين، لكننا نعلم أنهم أيضًا، في مكان ما، لا يزالون أحياء، وغير أحياء في نفس الوقت.

ينتهي حالات من الشرح، ونحن ننظر إليه في صمت. «بعد التهيئة الأولية للنظام إذن، ما إن تستقر دورة التوليد، لن تعود هنالك حاجة إلى إعادة التهيئة إلا قليلاً»، يتنهد، ضجرًا من صوته نفسه. نحدق إليه جميعًا صامتين. «شرايين الاستنزاف تخزن السحر تحسبًا لأي احتياج محتمل. وفي يوم الإطلاق، ينبغي أن يكون في كل مستودع شرايين حوالي سبعة وثلاثين لاموتير، وهو ثلاثة أضعاف ال...».

يتوقف، يتنهد، يقرص أرنبه أنفه. «لا جدوى من ذلك، إنها تلهو بكم، يا حمقى»، وكأنه لا يرى ما نراه، وكأن هذه الأرواح المخزنة، المجزأة، لا تعني له شيئًا. «كفى، حان وقت العودة بكم إلى المجمع». ونعود.

وأخيرًا، نبدأ في التخطيط.

فرقهم

باعدهم

اجعلهم طعامًا للأكليين

اقمعهم

أسكتهم

ادهس هؤلاء الملاعين

كمم الأفواه، وأعصِبِ العيون

لا تتوقف ولو ييكون

لن يسمع أحد

لن يرى أحد

وبهذا نحن المنتصرون.

أغنية أطفال من زمن ما قبل السانزية،
شائعة في أرباع يومينس وهالتوتلي ونيانون
وإيوييتش. توجد منها نسخ متنوعة، لكن
يبدو أن هذا النص الأصلي.

أنت، على مشارف البيت

حينما تبرزين أنت وبقية الكاستريميين من بين الرماد الهاطل،
 بحسب حراس محطة التوصيل أنهم في استطاعتهم القتال. تفترضين
 أنكم تبدون للناظرين من الخارج مثل عصابة أغيار أكبر من المعتاد، نظرًا
 إلى أجسادكم الهزيلة كالهياكل العظمية وملابسكم التي أكلها الحمض
 والرماد الذي يغشاكم. لا يتسنَّ لإيكا الوقت كي تجعل دانييل تحاول أن
 تقنعهم بالتحلي بالهدوء، قبل أن يشرعوا في رميكم بالأسهم. تصويهم
 سيئ، وهذا لحسن حظكم، لكن قانون الاحتمالات في صالحهم، وهذا
 من سوءه. يسقط ثلاثة كاستريميين بأسهمهم. قبل أن تفطني إلى أن إيكا
 لا تعرف كيف تصنع درعًا من نطاق استهلاك، ثم تذكرين أنك أيضًا
 لا تقدرين على ذلك، من دون عواقب. فتصيحين في مشيش، ويفعلها
 بدقة مذهلة. فتفتت السهام القادمة إلى شظايا خشبية ثلجية، على نحو
 لا يختلف عمَّا فعلته أنتِ في آخر أيامك بتيريمو.

لكنه ليس بنفس مهارتك حينها. يظل حوله بعض من بقايا
 نطاق الاستهلاك، فيمدده ويعيد تشكيله وينصبه في الأمام، ليشكل

حائلاً بين كاستريا وبين بوابة المحطة العملاقة من الصخر السكوري. ولحسن الحظ لم يكن أمامه أحد (بعدما صاحت على الجميع أن يتعدوا عن طريقه). ثم، بضربة أخيرة من طاقة الحركة المُعاد توجيهها، يهشم البوابة، ويثُلج حاملي الأقواس المستعرضة، قبل أن يتخلى أخيراً عن نطاق الاستهلاك. وبينما يندفع أشداء كاستريا إلى الداخل ليتولوا زمام الأمور، تذهبين إلى مشيش فتجدينه ممدداً على أرض العربة السرير، يلهث.

تقولين: «مهمل»، وأنت تقبضين على إحدى يديه وتشدينها نحوك، لأنك غير قادرة على تدفئتها بين يديك. تشعرين ببرود جلده من تحت أربع طبقات ملابس. «كان عليك أن تركز النطاق على بعد عشرة أقدام على الأقل».

يهمهم بغضب، تنغلق عيناه ببطء. لقد استنزفت طاقته بالكامل، وذلك غالباً لأن الأوروجينية ونقص الطعام لا يتفقان. «لم اضطر إلى فعل أي شيء أعقد من تثليج الناس منذ ستين»، ثم يرمقك ساخطاً، «وأرى أنك لم تكلفي نفسك عناء المحاولة حتى».

تبسمين بإنهاك، «لأنك كفيل بها»، ثم تكشفين قطعة ثلج من أرض العربة، كي تجدي لنفسك مكاناً للجلوس ريثما ينتهي القتال.

وحينما ينتهي، ترتبين على مشيش الذي راح في النوم، وتذهبين للبحث عن إيكا. تجدونها بمجرد عبورك للبوابة، مع إزني وشديدين آخرين، يتأمل ثلاثتهم حظيرة صغيرة بعجب. ثمة عنزة تحديق في الجميع بلا مبالاة وتمضغ التبغ. إنك لم تري عنزة منذ غادرت تيريمو.

لكن الأهم فالمهم. تقولين لإيكّا وإزني: «أخبرهم ألا يقتلوا الطبيب، أو الأطباء، سيجدونهم على الأرجح متحصنين بالداخل مع الموصلين. لِرنا لن يعرف كيف يرعى الموصلين، فهذا يتطلب مهارات خاصة»، تتوقفين للحظة، «هذا لو أنك ما زلت ملتزمة بالخطة».

إيكّا تومى وترمق إزني، فتَهزّ رأسها بدورها وتنظر إلى المرأة الأخرى، فتتأمل تلك إلى شاب صغير، وهذا يهرع نحو مبنى المحطة. تسأل إزني: «هل هناك احتمال أن يقتل الطبيب الموصل؟ بدافع الرحمة مثلاً؟».

تقاومين ردك الغريزي بقول الرحمة للبشر فقط. هذه الطريقة في التفكير ينبغي أن تموت، حتى لو ما زلت تفكرين على هذا النحو المريع. «احتمال ضئيل. أخبرهم عبر الباب أنك لا نية لك في قتل المستسلمين، لو أن هذا سيساعد». وترسل إزني شخصاً آخر ليفعل.

تقول إيكّا: «بالطبع أنا ما زلت ملتزمة بالخطة». تفرك وجهها، فتترك أصابعها أثراً على طبقة الرماد. تحت الرماد مزيد من الرماد، أعمق وأكثر تغلغلاً. ما عدت تذكرين لونها الطبيعي، ولم يعد بوسعك التمييز إن كانت تضع مساحيق زينة. «أعني... إن أكثرنا يستطيع التعامل مع الهزّات الميكروية على نحو محكم، حتى الأطفال، لكن...»، تنظر نحو السماء، «أما هذا ف...»، تتبعين نظرتها، لكنك تعرفين بالفعل ماذا هناك. لقد كنت تحاولين تجنب رؤيته، والكل كذلك.

إنه الصدع.

على هذا الجانب من صحراء ميرز، لا وجود للسماء. في الجنوب، كان لدى الرماد الذي يضحّهُ الصدع وقت كافٍ كي يصعد إلى الغلاف

الجوي ويتشتت قليلاً، فيكون السُّحب المتموجة التي هيمنت على السماء التي اعتدتها على مدى آخر عامين. أما هنا، فالحال يختلف. تحاولين أن تنظري إلى فوق، لكن قبل أن يبلغ ناظرُك السماء، يشدّ عينك شيء ما يشبه جداراً يغلي بالسواد والاحمرار، يغطي الأفق الشمالي بأكمله. يسمى هذا الشيء في عالم البراكين: عمود رماد بركاني. لكن الصدع ليس حدثاً وحيداً معزولاً، إنما هو ألف بركان متصلون رأساً بذيل، خط واحد متصل من نار الأرض، يصل ساحل السكون الشرقي بالغربي. كانت تونكي تحاول إقناع الجميع بالمصطلح الدقيق لهذا الشيء: بيروكو مولونيمبوس. لكنك سمعت بالفعل الناس وقد بدءوا يصطلحون على تسميته ببساطة: الجدار. وتظنين أن ربما إن نجا بعضهم بعد جيل أو اثنين، سيكون هذا هو الاسم الذي سيطلقونه على ذلك الموسم، موسم الجدار مثلاً.

يمكنك أن تسمعيه، خافتاً لكنه كلي الحضور؛ هدير أرضي، مهمة منخفضة لا تنقطع تضغط على أذنك الوسطى. إن الصدع ليس مجرد زلزال، وإنما هو انفصال صفيحتين تكتونيتين ديناميكي ما زال يحدث، على طول خط الصدع الجديد. والهزات الناتجة عن بدء التصدع فقط لن تتوقف لأعوام قادمة. إن سسبيتك تدقّ باستمرار لها أيام، تحذرك كي تستعدي أو كي تهربي، وتختلج بالتوق إلى فعل شيء ما حيال الخطر الزلزالي. لكنك تدركين خطر ذلك. عدا أن المشكلة تكمن في أن كل أوروچيني في كاستريا يسسبن نفس ما تسسبنينه، ويشعر بنفس التوق المختلج لفعل شيء. وإن لم يكن من يفعل شيئاً أوروچيني مرتكزي من حاملي أعلى الخواتم، وقادر على الربط بغيره من ذوي الخواتم العالية،

من أجل تفعيل شبكة من الأدوات الباقية من حضارة قديمة، فإن هذا الفعل سيقتل الجميع.

وبهذا تصالحت إيكا مع الحقيقة التي فهمتها أنت منذ استيقظت بذراع حجرية: كاستريما سوف تحتاج إلى الموصل في المحطة، من أجل أن تنجو في رينانيس. وستحتاج إلى العناية به، وحينما يموت هذا الموصل، سوف تحتاج كاستريما إلى البحث عمن يحل محله. لكن أحدا لم يتحدث بعد عن هذا الجزء الأخير. الأهم فالهم.

بعد وهلة، تنهد إيكا وتنظر نحو مدخل المبنى المفتوح. «يبدو أن القتال انتهى».

تقولين: «يبدو ذلك». يهيمن الصمت. تتوتر عضلة في فكها. تضيفين: «سأذهب معك».

تنظر إليك. «لا داعي». سبق لك إخبارها بأول مرة رأيت فيها موصلاً، ولمست الرعب الذي لا يزال نضراً في صوتك.

لكن لا. لقد أراك ألابستر الطريق، وأنت لم تعودى تهربي من المسؤولية التي ألقاها عليك. ستلفين رأس الموصل، كي ترى إيكا الندوب خلف رأسه، وستشرحين لها عملية التشغيل. وسيتوجب عليك أن تريها كيف تقلل الأسلاك من قرح الفراش. لأنها إذا كانت سوف تتخذ هذا القرار، فعليها أن تعلم بالضبط الثمن الذي عليها، وعلى كومونتها، دفعه.

ستفعلين هذا، سترينها تلك الأشياء، وتجبرين نفسك على مواجهتها مرة أخرى، لأن هذه هي حقيقة الأوروچينين الكاملة. إن أهل

السكون يخشون نوعك لسبب وجيه، لكنهم أيضًا ينبغي أن يوقروكم لسبب وجيه. ولقد اختاروا من هذين الأمرين أحدهما فقط. وإيّا، من بين الجميع، تحتاج إلى أن تسمع كل شيء.

يضيق فكها، لكنها تومئ. تراقبكما إزني بفضول، لكنها تهز كتفيها وتلتفت عنكما، بينما تتجهان أنت وإيّا إلى مبنى المحطة، معًا.

تحتوي المحطة على غرفة مخزن مكدسة تمامًا، ما يجعلك تخمنين أنها مخازن إضافية للكمونة نفسها. إنها حتى أكثر مما يسع الكاستريميين الأغيار الجائعين أكله، وبها أشياء تعظم احتياج الجميع له حتى اليأس، مثل الفواكه الحمراء والصفراء المجففة، والخضراوات المعلبة. تمنع إيّا القوم من تحويل اللحظة إلى مأدبة عفوية، فأنتم بحاجة إلى جعل هذا المخزون يدوم حتى... الأرض وحده يعلم حتى ماذا. لكن هذا لا يمنع الجميع من الدخول في مزاج احتفالي، فيما ينامون الليل لأول مرة منذ شهور بمعدات ممتلئة.

تضع إيّا الحراس عند مدخل غرفة الموصل. تقول: «لا أحد غيرنا يحتاج إلى رؤية هذا الجنون»، وبذلك تفترضين أنها تقصد ألا يستلهم الراكدون في الكمونة أي أفكار مما يحدث بالداخل. وتضع الحراس أيضًا على المخزن. وتضع ثلاثة أضعاف عدد الحراس على العترة. وتكلف فتاة مبتكرة من كومونة زراعية بإيجاد طريقة لحلب هذا الكائن، وتتمكن الفتاة من ذلك. المرأة الحامل، التي خسرت أحد أفراد بيتها في الصحراء، تحصل على أول رشقات الحليب. لعل هذا لا معنى له، إن

الجوع والحمل لا يتماشيان، وهي تقول إن الجنين لم يتحرك بداخلها منذ أيام. ربما يكون من الأفضل لها أن تحسره الآن، لو أنها ستحسره، فهنا يستطيع لِرنا أن يجد المضادات الحيوية وأدوات التعقيم، بهذا لعله ينقذ حياة الأم على الأقل. ومع ذلك، تشاهدونها تأخذ إناء الحليب الصغير عندما يُقدم لها، وتشربه، حتى وهي تعقد حاجبيها من طعمه. فكها يتوتر. تتمتم: «ثمة أمل».

وتضع إيكًا أيضًا مراقبين عند غرفة الاستحمام. وهؤلاء ليسوا حرسًا بالضبط، لكنهم ضروريون. إذ إن كثيرًا من الكاستريميين من كومونات أوسطية نائية، ولا علم لهم بكيفية عمل أنظمة السباكة الداخلية. هذا غير أن كثيرًا من الناس ظلوا واقفين تحت دش الماء الساخن لساعة أو يزيد، سيكون، بينما تزيل المياه بقايا الرماد ورمال الصحراء والحمض عن جلودهم الجافة. الآن، بعد عشر دقائق، يقوم المراقبون بحث المستحمين برفق على الخروج والجلوس على المصاطب القريبة في جانب الغرفة، حيث يمكنهم متابعة البكاء بينما ينال الآخرون دورهم.

تأخذين حمامًا، ولا تشعرين بشيء سوى النظافة. وحينما تختارين زاوية في قاعة طعام المحطة -بعد إفراغها من الأثاث، كي يتسنى لبضع مئات الأشخاص النوم لليلة من دون هطلان رماد- تجلسين على فراشك القابل للطّي، مستندة إلى الحائط السكوري، وتسمحين لأفكارك بالانجراف. إنه لمن المستحيل عدم ملاحظة الجبل الذي يتلأأ في الحجر خلف ظهرك. لا تنادينه، لأن بقية أهل كاستريما يهابون هواً. إنه أكل الصخر الوحيد الذي لا يزال موجودًا، وهم يتذكرون أن آكلي

الصخر ليسوا بالضبط قوماً محايدين غير مؤذنين. غير أنك تتوجهين
فتربتين على الحائط بيدك الوحيدة. يهتز الجبل قليلاً، وتشعرين بشيء،
مثل نكزة، نحو ظهرك. رسالتك وصلت، وهاك الرد. تذهلك الحميمة
المفاجئة الناجمة عن مثل هذا التواصل الخصوصي.

وفيم ترقيين عشرات المشاهد الصغيرة التي تكشف عن نفسها
أمامك، تفكرين أنك بحاجة إلى الشعور مرة أخرى؛ امرأتان تتشاجران
على أيهما أحق بآخر قطعة فاكهة مجففة في حصتها المشتركة، وخلفهما
مباشرة رجلان، يتهامسان برفق، بينما يمرر أحدهما إسفنجة صغيرة
ناعمة، من النوع الذي يجب الاستوائيون استخدامه للمسح بعد قضاء
الحاجة. إن الكل يجب الاستمتاع بالرفاهيات الصغيرة، عندما يوفرها
الحظ. وتيميل، الرجل الذي يعلم صغار الأوروچينيين الآن، يغطّ في
فراشه القابل للطي، ومدفون وسط تلاميذه، حتى إن أحدهم نصب
عشه وتكور فوق بطنه، وقدم بيتتي ذات الجورب تستقر على مؤخرة
عنقه. وعبر القاعة تقف تونكي مع هياركا، أو بالأحرى هياركا هي
من تمسك بيدها وتحاول إقناعها بمشاركتها في رقصة بطيئة، فيما تقف
تونكي جامدة وتقلب عينيها ولا تبتسم.

لست متأكدة أين إيكا الآن. لعلها تقضي الليلة في أحد الأكشاك أو
الخيام بالخارج، فهذا أشبه بما تعرفينه عنها. تتمنين لو أنها تقضي الوقت
بصحبة حبيب ما. تحتاج إيكا إلى ذلك الآن. وبينما تفكرين في ذلك،
يظهر لِرنا فجأة ويأتي ويجلس إلى جوارك.

يقول برفق: «كان عليّ الاعتناء بشيئا». وشيئا، كما تعلمين، إحدى

الأشداء الثلاثة الذين أصابتهم الأسهم الرينانيسية، وهي، للمفارقة، رينانيسية سابقة أصلاً، تم تجنيدها في الجيش مثل دانييل. «سينجو الآخران على الأرجح، لكن السهم اخترق أمعاء شيئا. سيكون موتها بطيئاً ومؤلماً. لكن هنا لحسن الحظ كثير من مسكنات الآلام». يتنهد، ويفرك عينيه. «أرأيت ذلك الـ... الشيء... في كرسي الأسلاك؟».

تومئين، بتردد، ثم تمدين يدك لتلقى يده. أنت اكتشفت من قبل، بارتياح، أنه ليس بالشخص العاطفي، لكنه يحتاج إلى مثل هذه الإيحاءات الصغيرة أحياناً. تذكّره بأنه ليس وحيداً، ليس قضية يائسة بعد. ولهذا الغاية تقولين: «لو أنني نجحت في إغلاق الصدع، ربما لن تعود بحاجة إلى إبقاء الموصلين أحياء». أنت لست متأكدة أن هذه حقيقة، لكنك تأملين أنها كذلك.

يأخذ بيدك برفق. تدركين بعجب أنه لم يبادر قط بالتواصل، وإنما ينتظر عرضك، ثم يستقبل مبادرتك بنفس قدر الاهتمام الذي تبدينه. إنه يحترم حدودك، حدودك الحادة الهشة. لم تعرفي من قبل أنه ثاقب النظر إلى هذا الحد، لكن مع ذلك كان عليك أن تخمّني، فهو من عرف أنك أوروبية بجملة مجرد مراقبتك، قبل سنوات. وتفكرين أن إينون كان أيضاً سيحبه.

ثم ينظر لِرنا إليك، وكأنها سمع أفكارك، وتضطرب نظره. يقول: «كنت أفكر ألا أخبرك بشيء، أو بالأحرى ألا أشير إلى شيء ربما اخترت أن تتجاهليه». «يا له من مفتوح».

يبتسم قليلاً، ثم يتنهد وينظر إلى يديكما المتشابكتين، ثم تراجع ابتسامته. اللحظة تحتد، ويتصاعد القلق في داخلك، لأن هذا ليس من طبعه. في النهاية يتنهد. «متى كان حيضك الأخير؟».

«كيف تـ...»، ثم تتوقفين عن الكلام.

اللعة.

اللعة.

وفي خضم صمتك، يتنهد لِرنا ويسند رأسه إلى الحائط.

تحاولين أن تجدي لنفسك المبررات. التضور جوعاً، المجهود الجسدي الهائل. إنك في الرابعة والأربعين من العمر، تقريباً، لا تذكرين ما هو الشهر الحالي. إن فرصة حدوث ذلك أو هن من فرصة نجاة كاستريما من الصحراء. لكن... لقد كان حيضك قوياً ومنتظماً طول حياتك، ولم يتوقف من قبل إلا في ثلاث مناسبات، ثلاث مناسبات كبرى. لهذا كانوا في المرتكز يريدون استيلادك، فأنت أوروبية نصف جيدة، ولديك أفخاذ أوسطية مناسبة.

إن لِرنا محق، لقد كنت تعرفين على مستوى ما. ثم قررت ألا تلاحظي، لأن...

لِرنا صامت بجوارك له بعض الوقت، يراقب أهل الكومونة يسترخون، ويده مستقرة في يدك. يقول أخيراً بخفوت: «هل أنا محق في فهم أن عليك القيام بشؤونك في كوربوينت، خلال وقت معين؟».

أمست نبرته رسمية جداً. تنهدين، تغلقين عينيك. «نعم».

«قريباً؟». لقد أخبرك هوّا أن الحضيض -حينما يكون القمر أدنى ما يمكن- سيحين خلال أيام. بعد ذلك سيتجاوز الأرض ويكتسب سرعة، وينطلق عائداً إلى النجوم البعيدة، أو إلى حيثما كان كل هذا الوقت. لو لم تمسكي به الآن، فلن تفعلي أبداً.

تقولين بإنهاك بالغ، «نعم»، تتألمين، «قريباً جداً».

إنه شيء لم تناقشيه معه، وربما كان حريا بك ذلك من أجل علاقتكما. إنه شيء لم تناقشيه أبداً، لأن ليس ثمة ما يُناقش. يقول لِرنا: «أدى استخدامك للمسلات ذات مرة إلى فقدان ذراعك».

ترمقين جدعتك بدون داعٍ. «نعم»، وتعلمين ما الذي يذهب إليه بهذه المحادثة، وتقررين اختصار الطريق عليه. «أنت من سألني ماذا سأفعل لهذا الموسم».

يتنهد. «كنت غاضباً».

«لكن لم تكن مخطئاً».

ترتجف يده في يدك. «ماذا لو طلبت منك ألا تفعلي ذلك؟».

لا تضحكي، لأنك إن فعلت فستكون ضحكة مريرة، وهو لا يستحق ذلك. بدلاً من ذلك تنهدين، وتنزاحين كي تستلقي، وتدفعينه كي يفعل نفس الشيء. إنه أقصر منك قليلاً، ما يجعل وجهك في شعره الرمادي. لكنه نال رفاهية الاستحمام أيضاً، لذا لا تمنعي ذلك. رائحته جيدة، صحية.

تقولين ووجهك في فروة رأسه: «أنت لن تطلب مني هذا».

«لكن ماذا لو فعلت؟». يقولها بتعب، بلا حرارة. إنه لا يعنيها.

تقبلين مؤخرة رقبتك. «سأقول حسنًا، ثم سنصبح ثلاثة، وسنظل معًا حتى نموت برئات ممتلئة بالرماد».

يأخذ بيدك مرة أخرى. لستِ المبادرة هذه المرة، لكن هذا لا يضايقك. يقول: «عديني».

لا ينتظر إجابتك، ويروح في النوم.

بعد أربعة أيام، تبلغون رينانيس. الخبر الجيد هو أنكم ما عدتم تعانيون هطول الرماد. أمسى الصدع قريبًا، والجدار مشغول برفع الجزيئات الخفيفة إلى أعلى. لن تقلقي بشأن الرماد مرة أخرى. معاناتكم الآن مصدرها هبات دورية مثقلة بمواد ملتهبة تسمى اللويبات؛ شظايا بركانية صغيرة أثقل من أن تُستنشق بسهولة، لكنها مع ذلك لا تزال تحترق وهي تهبط. تقول دانييل إن الرينانيسيين يسمونها مطر الشرر، وأنها غالبًا غير ضارة، بيد أن من الأفضل وضع قِرب ماء احتياطية في أماكن إستراتيجية من القافلة، حال اشتعل أي شيء من الشرر وبدأ حريقًا.

بيد أن الأكثر رهبة من مطر الشرر، هو البرق المتراقص فوق أفق المدينة، من الناحية الأقرب للجدار. يتحمس المبتكرون لذلك، تقول تونكي إن للبرق المستمر استخدامات عديدة (ولو كان مقترح ذلك غير تونكي، لرمقته مندهشة). غير أنه لا يلمس الأرض، يضرب فقط المباني العالية، التي زودها سكان المدينة السابقين كلها بقضبان صواعق. إن البرق غير ضار، عليك فقط الاعتياد عليه.

لا تلي رينانيس حجم توقعاتك. إنها مدينة ضخمة بلا شك: التصميم الاستوائي يهيمن على المكان، لا تزال المولدات المائية والأرضية تعمل، ومياه الآبار المفلترة تجري بسلاسة، والحوائط السبجية العالية منتصبة، منقوش عليها صور مخيفة لما يحدث لأعداء المدينة. لكن مبانيها ليست مذهلة أو مبهرة مثل مباني يومينس، فقد كانت يومينس أعظم المدن الاستوائية، أما رينانيس فبالكاد تستحق اللقب. «لا يسكنها إلا نصف مليون»، تذكّرين وصف أحدهم لها بذلك متهكمًا، قبل عمر مضى. غير أنك قبل عمرين مضيا، ولدت في قرية شمال أوسطية متواضعة، وبالنسبة إلى ما بقي فيك من دامايا، رينانيس تظل مشهدا مذهلا.

والآن، يحتل أقل من ألف منكم مدينة كانت تأوي من قبل مئات الآلاف. تأمر إيكّا الجميع بالاستيلاء على مجمع مباني صغير بالقرب من إحدى حدائق المدينة (وهم ستة عشر). كان السكان السابقون قد علّموا المباني بالألوان وفقًا لنظام يرمز إلى مدى سلامتها البنيوية، بما أن المدينة لم تنجّ من التصدع بالكامل من دون أضرار. علامة × الخضراء على المباني تعني أنها آمنة، وعلامة × الصفراء تعني تضررًا قد يؤدي إلى انهيار، خاصة إن ضربت المدينة هزة قوية. والعلامات الحمراء تعني ضررًا جليًا وخطرًا، لكنكم مع ذلك تجدون دلائل أنها كانت مسكونة أيضًا، ربما سكنها من كانوا يفضلون أي نوع من المأوى بدلًا من النبد في الرماد. لكن يتوفر أكثر من المطلوب من المباني ذات العلامات الخضراء، هكذا يتسنى لأهل كل بيت اختيار شقة مفروشة وسليمة، وبها مياه وطاقة يعملان بشكل جيد.

تمرح أسراب من الدجاج البري في المدينة، إلى جانب مزيد من الماعز، التي كانت على ما يبدو تتكاثر. لكن مزروعات الحقول والحدائق كلها ماتت، بعد الشهور التي مضت منذ قتلت الرينانيسيين وحتى وصولكم، بلاري ولا رعاية. رغم ذلك، تعجّ المخازن بالهندباء، وغيرها من النباتات القاسية القوية التي لا تحتاج إلى نور كثير، وقابلة للأكل، ما يتضمن محاصيل استوائية أصلية كالقلقاس. في الوقت ذاته، تزخر بيوت أحراز المدينة بالطعام: خبز رماد، أجبان، نقائق حارة غنية بالدهون، حبوب وفاكهة، أعشاب وأوراق محفوظة في الزيت، وأكثر من ذلك. بعض هذه المواد حديثة نسبيًا، جلبها الجيش الغازي، وكلها أكثر من كافية لتوفير الطعام لأهل كاستريا حتى لو أقاموا وليمة كل ليلة لعشر سنوات قادمة. كل هذا رائع، لكن لا يخلو الأمر من دواعٍ للقلق.

أولها أن نظام معالجة الماء الرينانيسي أعقد مما يتوقع أي شخص. إنه يعمل الآن تلقائيًا ولهذا لم يعطل، لكن أحدًا لا يعلم كيف يعالج ألياته إن حدث ذلك. تكلف إيكّا مجموعة مبتكرين بمهمة فهمه، أو العمل على إنشاء بديل حال تعطل هذا. تونكي بطبيعة الحال منزعة، «درست ستة أعوام في السابعة، كي أعمل في تنظيف مياه المجاري من الخراء؟»، لكنها رغم تدميرها، تعمل على ذلك.

والثاني، أن كاستريا لا تستطيع ببساطة حراسة جدران المدينة. إن المدينة شاسعة، وأهل كاستريا قلة. أنتم الآن في أمان، لأن أحدًا لا يتجه شمالًا ما دام بوسعه العكس. لكن لو جاء أحدهم غازيًا، فلا يوجد ما يحول بين كومونتكم وبينه إلا أسوار المدينة.

ليس لتلك المشكلة حلول. حتى الأوروبيون لهم سقف لما يمكنهم فعله في أمور الدفاع، خاصة هنا، في ظل الصدع، حيث الأوروبينية خطر. جيش دانييل تشكل من الفائض من أهل رينانيس، والآن أمسى طعامًا للغلايات في الجنوب الشرقي. هذا جيد على أي حال، فأنتم ما كنتم تريدونهم هنا، فيعاملونكم على أنكم غزاة، مثلما أنتم بالفعل. تأمر إيكا المستولدين بمضاعفة مستوى الإنتاج إلى أعلى حد ممكن، لكنهم حتى لو جندوا كل عضو في صحة جيدة في الكومونة كي يساعدهم، فلن يكفي هذا لتأمين عدد كافٍ من الناس للكومونة لعدة أجيال. كل ما يمكن فعله الآن، هو حراسة الجزء الذي تحتله كاستريما من المدينة بأفضل شكل ممكن.

وتسمعين إيكا تقول: «ولو جاء جيش آخر، فسندعوهم إلى الدخول، ونخصص لكل منهم مكانًا. هذا كفيل بحل المشكلة». أما ثالث دواعي القلق، وأكبرهم، نفسيًا إن لم يكن لوجيستيًا: كاستريما مضطرة لأن تعيش وسط جثث ضحاياهم.

التمائل في كل مكان: تقف في مطابخ الشقق تغسل الأطباق، تتمدد على أسرة البيوت التي انشрخت أو انكسرت تحت أوزانهم الحجرية، تصعد درجات الحواجز كي تتولى نوبات الحراسة من التماثيل القائمة عليها الآن، وتجلس في المطابخ العامة ترشف شايًا جف منذ زمن. كلها تماثيل بديعة بطريقة ما. ذات شعر كوارتزي مدخن وبشرة ناعمة من اليشب وملابس من التورمالين أو الفيروز. على وجوههم تعابير مبتسمة أو نظرات استهزاء أو ثأؤب ملول... لأن الموجة الصادمة التي

أرسلتها بوابة المسلة وحولتهم إلى تماثيل كانت سريعة، رحيمة. لم تُثح لهم وقتاً للرعب.

في اليوم الأول، يتفادى الكل النظر إلى التماثيل. يحاولون ألا يجلسوا حيث يمكن أن يروها، وألا يفعلوا شيئاً... من شأنه أن يكون قلة احترام لهم. غير أن كاستريما نجت من حرب بادر إليها هؤلاء القوم، ومن حياة لاجئين نجمت عن هذه الحرب. وسيكون من قلة الاحترام لموتى كاستريما أن يدعوا شعور الذنب يطغى على هذه الحقيقة. هكذا بعد يوم أو يومين، بدأ الناس ببساطة يتقبلون التماثيل. فلا يمكنهم فعل شيء آخر غير ذلك.

لكن ثمة شيئاً في ذلك يزعجك.

تجدين نفسك تتجولين ذات ليلة. تتعثرين في مبنى ذي علامة × صفراء ليس بعيداً عن المجمع. مبنى جميل، ذو واجهة مزينة بنقوش نباتية وعناقيد، يلمع بعضها برقائق ذهبية متقشرة. تعكس الرقائق الضوء وتتألأأ وكأنها تتحرك، وزوايا الانعكاسات تتغير فتوهم الناظر أن المبنى مغطى بواجهة نباتية حية تسعى. إنه مبنى أقدم من أكثر مباني رينانيس. تحبينه، وإن كنت لا تعرفين لهذا سبباً. تصعدين إلى السطح، ولا تجدين في طريقك سوى الشقق العادية تشغلها التماثيل. باب السطح مفتوح، لعل أحدهم كان هنا وقت حدوث التصدع. تتأكدين من وجود قضيب ممتص للصواعق قبل أن تطأ قدمك المكان بالطبع، فهذا أحد مباني المدينة العالية، وإن كان ليس أكثر من ستة أو سبعة طوابق. (تقول سيانيت بتهكم: فقط! فتجيب دامايا بتعجب: فقط؟ فتنهرين كليهما).

بالإضافة إلى مانع الصواعق يوجد أيضًا خزان مياه. هكذا، ما دمت لن تستندي إلى أي سطح معدني أو تتوقفي بالقرب من قضيب الصواعق، فأنت على الأرجح لن تموتي. على الأرجح.

وهنا، يقف هوّا مواجهًا جدار الصدع الدخاني كما لو أنه بني هنا، يرنو إلى الشمال وكأنه يفعل ذلك منذ كانت النقوش النباتية جديدة، ويتنظر.

تقولين وأنت تقفين إلى جواره: «عدد التماثيل أقل مما ينبغي أن يكون».

لا تقدرين على منع نفسك من تتبع نظراته. لا يمكنك من هنا رؤية الصدع نفسه، هناك غابة مطيرة ميتة وبعض التلال الصغيرة تحول بين المدينة والوحش. لكن الجدار سيء بما يكفي.

ربما تكون مواجهة رعب وجودي قليل أسهل من مواجهته بكم أكبر، لكنك تذكرين جيدًا أنك استخدمت بوابة المسلة على هؤلاء الناس، وتلاعبت بالسحر بين خلاياهم، وحولت جزيئاتها متناهية الصغر من الكربون إلى السيليكات. لقد حكمت لك دانييل عن اكتظاظ رينانيس البالغ بالسكان، حد أنهم أرسلوا منهم جيشًا غازيًا كي تبقى. أما الآن، فالمدينة ليست مكتظة بالتماثيل. ثمة دلائل على أن كان هنا أكثر، هناك مثلًا تماثيل مستغرقة في محادثة عميقة مع شركاء يبدو أنهم غير موجودين، وتمثالان جالسان إلى مائدة يُفترض أنها مُعدة لسته، وتمثال مضطجع في أريكة بذراعين مفتوحين على نحو يوحي بأنه كان معه شريك، وما إلى ذلك.

يقول هؤا: «قومي لا يدعون فرصة للغذاء تفوتهم».

نعم. هذا ما كنت تخشين أن يقوله.

«وهل كانوا جائعين إلى هذا الحد؟ كانت المدينة ممتلئة بالناس، لكن أكثرهم الآن مفقود».

«نحن أيضًا يا ناسون نخزن الموارد الفائضة إلى حين حاجة».

تفركين وجهك بيدك الباقية، وتحاولين بفشل ذريع عدم تخيل مخزن أكلي صخر عملاق، يعجّ بالتمائيل الملونة الزاهية. «يا شر الأرض. لماذا إذن تتعب نفسك معي؟ فأنا لست طعامًا سهلًا مثل هؤلاء».

«إن الأقل شأنًا من بني قومي يحتاجون إلى تقوية أنفسهم. أما أنا فلا». هناك تغير طفيف بنبرة هؤا. لقد صرت تعرفينه بعد كل هذا الوقت، وكانت هذه نبرة ازدراء. إنه ذو كبرياء (حتى هو سيعترف بذلك). «إنهم صنعة رديئة، واهنون، ليسوا أفضل من الوحوش. لقد كنا نشعر بالوحدة في أول الأيام، ولم نفهم جيدًا ما الذي نفعله. هؤلاء الجائعون نتيجة لذلك التخبط».

ترددتين، لأنك لا تريدين معرفة الإجابة... لكنك ما عدت جبانة منذ سنوات. هكذا تشدين من عزم نفسك وتلتفتين إليه، وتقولين: «أنت الآن إذن تصنع واحدًا جديدًا، أليس كذلك؟ من... مني؟ لو أن هذا لا يتعلق بالأكل، فهو إذن... تكاثر؟». تكاثر مريع، ذلك الذي يعتمد على موت كائن حي. بالتحجر. لكن ثمة شيء في ذلك يفوق مجرد تحويل الناس إلى حجر. تفكرين في الكيركوزا في استراحة الطريق، وجيجبا، والمرأة التي قتلتها في كاستريما. تفكرين كيف ضربتها، كيف

سحقتها بالسحر، جراء أنها جعلتك تعيشين موت أوتشي من جديد، أمر لا يرقى إلى جريمة تستحق العقاب. لكن تحول ألابستر ليس مثل ما فعلته بتلك المرأة. أمست المرأة مجموعة من الأحجار الكريمة الزاهية، أما هو فكتلة قبيحة من الحجر البني... ومع ذلك كان هذا الحجر البني مصقولاً ومنحوتاً بعناية، بينما كانت المرأة فوضى عشوائية خلف هيئة جميلة.

يلتزم هو الصمت إجابةً على سؤالك، ما يعد إجابةً في نفسه. وعندها أخيراً تتذكرين. أنتيموني، في اللحظة التي تلت إغلاقك لبوابة المسلة، وقبل أن تدخل في الغيوبة السحرية الطويلة. كان هناك بجوارها آكل صخر آخر، أبيض بياضاً غريباً، مألوفاً ألفةً مربكة. أوه، يا شر الأرض. أنت لا تريدين أن تعرفي. لكن... «أنتيموني استخدمت...»، كتل الحجر البني الصغيرة هذه، «استخدمت ألابستر كمادة خام، من أجل... يا للصدأ، من أجل أن تصنع آكل الصخر هذا. وجعلته يبدو مثله». وتكرهين أنتيموني من جديد.

«إنه من اختار شكله لنفسه، كلنا كذلك».

تصفع هذه العبارة غضبك وتوقفه عن التفاقم. تنقلص معدتك، لسبب يختلف هذه المرة عن الاشمئزاز. «أهذا إذن...»، عليك أن تأخذي نفساً عميقاً. «أهذا إذن هو؟ ألابستر؟ وقد أصبح...»، لكنك لا تقدرين على جعل نفسك تقولينها.

في لمحة عين يصبح هوّ يواجهك، على وجهه محيا تعاطف، لكنه بطريقة ما تحذير أيضاً. يقول: «لا تشكل الشبكات البنيوية دوماً على

أفضل وجه يا إيسون»، نبرته طيبة، «حتى عندما تتشكل، يحدث دومًا... ضياع للبيانات».

ليس لديك أدنى فكرة عما يعنيه ذلك، ومع ذلك ترتجفين. لماذا؟ تعرفين لماذا. يعلو صوتك. «هوّا، لو أن ذلك ألابستر، لو أنني أستطيع أن أتحدث معه...».

«لا».

«لم لا بحق الصدا؟».

«لأن هذا ينبغي أن يكون باختياره هو أولاً». صوته أمسى أقسى، توبيخي. تجفلين. «والأهم، لأننا في البداية نكون واهنين، مثل كل الكائنات الجديدة. نستغرق قرونا حتى نستقر، حتى نصبح نحن، كي... كي نبرد. حتى أقل ضغط عليه، مثل أن تطالبيه بأن يحول نفسه كي يلبي احتياجاتك لا احتياجاته هو، يمكن أن يضرّ الشكل النهائي لشخصيته».

تراجعين خطوة، وهذا يفاجئك لأنك لم تدركي أنك كنت قريبة من وجهه إلى هذا الحد. ثم تهدلين قليلاً. إن ألابستر حي، لكنه ليس كذلك. هل ألابستر آكل الصخر سيكون مثل ألابستر ذي اللحم والدم الذي عرفته؟ هل هذا يهم الآن أصلاً، بعدما تحول بالكامل؟ تتممين: «إذن فقد فقدته مرة أخرى».

لا يبدو على هوّا أنه يتحرك في البداية، لكنك تشعرين بهبة ريح خفيفة إلى جوارك، ثم تمسك يد صلبة فجأة يدك الرخوة. يقول هوّا بأكثر صوت لين يتمكن منه صوته الأجوف: «سيعيش إلى الأبد، بقدر ما يبقى الأرض، وسيعيش معه شيء من جوهره الأصلي. إنها أنت فلا

تزالين معرضة لخطر الضياع الكامل»، يتوقف لحظة، «لكنك إن قررت ألا تتابعي ما بدأناه، فسأتفهم».

ترفعين عينك إليه. تشعرين أنك تفهمينه، ربما لثاني أو ثالث مرة. إنه يعلم أنك حامل، وربما عرف قبل أن تعرفي أنت نفسك. غير أنك لا يمكنك تخمين ماذا قد يعني هذا له. ويعلم أيضًا ما يكمن وراء تفكيرك في ألا بستر، ولذلك يقول... إنك لست وحدك، إنك لست بلا شيء تخسرينه، فلديك هوا، وإيكا، وتونكي، وربما هياركا... أصدقاء، يعلمون جيدا أنك روچا بكل ما تنطوي عليه روچيتك من وحشية، ويتقبلونك رغمها. ولديك لِرنا، لِرنا المتطلب بصمت، الذي لا ييأس ولا يكل، ولا يتسامح مع أعذارك، ولا يدعي أن الحب يخلو من الألم، لِرنا الذي بات والد طفل جديد لك سيكون على الأرجح جميلاً. كذلك كان جميع أطفالك، وأقوياء. تغلقين عينيك مقاومةً للندم.

غير أن هذا يجلب أصوات المدينة إلى أذنيك، فتجفلين حينما تحمل إليك الريح ضحكة متردة، عالية حتى إنها تبلغ سمعك من المستوى الأرضي، لعل مصدرها إحدى النيران الجماعية. فتذكرين أن لديك كاستريا أيضا، لو أنك تريدنها. هذه الكومونة السخيفة المكونة من أشخاص غريبين مستمرين معًا على نحوينا في التوقعات، الكومونة التي حاربت لأجلها، والتي، رغم تدميرها، حاربت لأجلك أيضًا. فيرسم هذا على شفئك ابتسامة.

تقولين: «لا، سأفعل ما ينبغي فعله».

يتفرس في ملاحك: «هل أنت متأكدة؟».

بالطبع. لم يتغير شيء. إن العالم مكسور، وأنت بوسعك إصلاحه، وهذا ما كلفك به الأباستر ولرنا. وكاستريما هي سبب جديد لفعل ذلك لا العكس. وأنّ لك أيضًا أن تتركّي الجبن، وتذهبي للبحث عن ناسون. حتى لو كرهتك، حتى لو أنك تركتها لتواجه العالم المرعب وحدها. حتى لو كنتِ أسوأ أم في العالم... فقد فعلت ما بوسعك.

ولعل هذا يعني أيضًا أنك تفضلين أحد أبنائك - ذلك الذي لديه فرصة نجاة أفضل - على آخر. لكن هذا لا يختلف عمّا كانت الأمهات يفعلنه منذ فجر التاريخ؛ التضحية بالحاضر، أملًا في مستقبل أفضل... حسنًا، ليكن هذا أيضًا من مهام الأم، وأنت في النهاية ذات عشرة خواتم صدئة. ستفعلينها.

تسألين: «ماذا ننتظر إذن؟».

يرد هوّا: «لا ننتظر سواك».

«حسنًا، كم لدينا من الوقت؟».

«سيحين الحضيض بعد يومين، وأستطيع أن آخذك إلى كوربوينت في يوم واحد».

«حسنًا»، تأخذين نفسًا عميقًا، «أحتاج إلى توديع البعض».

بمتهى اللامبالاة يقول هوّا: «أستطيع أن آخذ معنا آخرين».

أوه.

وهذا ما تريدين، أليس كذلك؟ ألا تكوني وحيدة في النهاية؟ أن يكون لِرنا بوجوده الداعم الهادئ في ظهرك؟ لكن تونكي ستكون

غاضبة لو لم تحظَ بفرصة في كوربوينت، لو تركتها خلفك. وإن أخذت تونكي فستغضب هياركا لأنك أخذت تونكي بدونها. ودانيل تريد أن توثق أحداث تحول العالم، لأسباب القوالين الاستوائيين المبهمة. أما إيكا ف...

«لا». تتجهمين وتتهدين. «ها أنا أصبح أنانية مرة أخرى. إن كاستريا تحتاج إلى إيكا، لقد عانت كاستريا بما يكفي».

يكتفي بالنظر إليك. كيف له بحق الصدا أن يوصل هذا الكم من المشاعر بوجه حجري؟ حتى لو كان هذا الشعور شكًا جافًا تجاه هراء تخليك عن نفسك. تضحكين، ضحكة واحدة، فتخرج صدئة. لم تضحكي منذ وقت طويل.

يقول هوّا، ببطء: «أعتقد أنك لو كنت تحبين أحدهم، فلا يحق لك أن تختاري كيف يبادللك هذا الحب».

كم تنطوي هذه العبارة على طبقات.

طيب، حسنا، لا بأس، هذا ليس شأنك وحدك، ولم يكن كذلك قط. كل الأمور تتغير في الموسم، وثمة جزء منك قد تعب، أخيرًا، من سردية المرأة الوحيدة المنتقمة هذه. لعل ناسون ليست الوحيدة التي تحتاجين إلى بيت من أجلها. وربما حتى أنت لا ينبغي أن تحاولي تغيير العالم وحدك.

تقولين: «لنذهب ونسألهم إذن، ثم بعدها نذهب ونأتي بابنتي الصغيرة».

من: ألما مبتكرة ديارس

إلى: ييتر مبتكر ديارس

طلبوا مني أن أبلغك بأن تمويلك قد تم قطعه، وعليك أن تعود إلى الجامعة الرابعة بأقل الوسائل المتاحة تكلفة.

وبما أنني أعرفك يا صديقي القديم، دعني أقول لك التالي؛ أنت تؤمن بالمنطق، وتحسب أن حتى زملائنا المرموقين يمكن أن يقاوموا الأحكام المسبقة أو السياسة، حينما تواجههم بحقائق صلبة. لهذا بالذات لن يسمح لك أبدًا بالاقتراب من لجنة التمويل والتخصيص، مهما بلغ عدد الشهادات التي اكتسبتها.

إن تمويلنا يأتي من السانزا القديمة رأسًا. من عائلات عريقة إلى حد أن في حوزتهم كتبًا أقدم من جميع جامعاتنا، ولن يسمحوا لنا بلمسها أبدًا. كيف تظن هذه العائلات استمرت حتى أصبحت قديمة إلى هذا الحد يا ييتر؟ وكيف استمرت السانزا كل هذا الوقت؟ بالتأكيد ليس بفضل قول الحجر.

لا يمكنك أن تذهب إلى أناس مثل هؤلاء وتطلب منهم تمويل مشروع بحثي يجعل من الروجات أبطالًا! لا يمكن. سيفقدون وعيهم، ثم حينما يستفيقون، سيقتلونك. سيبيدونك، مثلما سيفعلون لأي شيء قد يهدد مصادر رزقهم وإرثهم. نعم، أنا أعلم أن هذا ليس ما تظن نفسك فاعله، لكنه كذلك.

ولو أن هذا لم يكف لإقناعك، فإليك حقيقة واضحة عساها أن تكون منطقية بما يكفي لك: بدأ الأوصياء يلقون الأسئلة. لا أعلم

لماذا. لا أحد يعلم ما هو دافع تلك الوحوش. لكن لذلك كان صوتي مع صوت أغلبية اللجنة، حتى لو كان معنى هذا أنك ستكرهني من الآن فصاعدًا. أنا أريدك حيًّا يا صديقي القديم، لا ميتًا في حارة بخنجر زجاجي يبرز من قلبك. أنا آسفة.

تمنياتى برحلة عودة أمنة.

ناسّون، ليست وحيدة

الصمت يسود كوربوينت.

تلاحظ ناسّون هذا حينما تصل الفهيمال، التي نقلتها عبر الكوكب، إلى محطتها على الجانب الآخر من العالم. تقع هذه المحطة داخل أحد الأبراج الغربية المائلة التي تحيط بالحفرة الهائلة في قلب كوربوينت. تصيح ناسّون طلبًا للمساعدة، وتصرخ بحثًا عن أي شخص، وتبكي، بينما يفتح باب الفهيمال، وتجّر جسد شافا فاقد الاستجابة، عبر الممرات الصامتة، ثم الشوارع الصامتة. شافا ضخم وثقيل، وذلك رغم كل محاولاتها لاستخدام السحر من أجل المساعدة في سحب جثته... المحاولات الفاشلة؛ فالسحر ليس من أجل الأشغال البدنية من هذا النوع، هذا غير أنها الآن لا تقدر على التركيز. تنجح في قطع مربع سكني واحد أو نحو ذلك، ثم تنهار بدورها، من الإنهاك.

ذات يوم صدئ ما، في سنة صدئة ما.

وجدت هذه الصفحات، خاوية. إنها ليست مصنوعة من الورق، بل من مادة أسمك، لا تتشني بسهولة. هذا جيد، وإلا أُمست غبارًا عبر الزمان. هكذا ستحفظ كلماتي إلى الأبد! ها! هذا أكثر بالتأكيد مما سيدوم عقلي.

لا أعرف ماذا ينبغي أن أكتب. إينون كان سيضحك ويطلب مني أن أكتب عنه. حسنًا. كنت بمزاج ليس سيئًا اليوم، ثم تذكرته، فأمسى سيئًا. لعلني صرت عجوزًا جدًّا؟ هذا ما كانت ساين سوف تقوله. لكن هذا فقط من غضبها من أنني ما زلت قادرًا على جعلها حبي.

لقد نسيت رائحة إينون. كل شيء هنا له رائحة البحر، لكنه ليس مثل بحر ميوف. هل المياه مختلفة؟ كانت رائحة إينون كرائحة مياه هناك. كلما هبت ريح أفقد منها جزءًا أكبر. كوربوينت. كم أكره هذا المكان.

كوربوينت ليست أطلاقًا. أي إنها ليست متهاكة، وإنما هي فقط غير مأهولة.

تبدو وسط المحيط المفتوح اللامتناهي، شذوذًا من المباني. ليست شاهقة مقارنة بالراحلة قريبًا يومينس، والراحلة قديمًا سيل أناجيس. غير أن كوربوينت فريدة بثقافتها الماضية والحاضرة. بُنيت مبانيها قوية صامدة، من معادن لا تصدأ وبوليمرات غريبة ومواد أخرى، تتحمل الأعاصير والرياح المألحة التي تسود تلك الناحية من العالم. النباتات القليلة التي نبتت هنا، في الحدائق التي زُرعت قبل زمن بعيد، لم تعد مثل

النباتات المشذبة المهندسة الجميلة، التي كان يفضلها بناء كوربوينت. وأشجار كوربوينت -الهجينة الوحشية من ذرية الحدائق الأصلية- أمست ضخمة متشابكة، تتداخل في أشكال فنية بفعل الريح، بعدما تحررت من قديم الأزل من أحواضها وحواياتها المنظمة، واخترقت جذورها الأرصفة المصنوعة من الألياف المضغوطة. وعلى عكس الطراز السيل أناجيستي المعماري، مباني كوربوينت تتضمن كثيرًا من الزوايا الحادة، لتقليل مقاومة المباني للريح.

لكن للمدينة وجوه تتجاوز الظاهر للعين.

تستقر كوربوينت على قمة بركان درعي تحت أرضي. وأول بضعة أميال من الحفرة التي تحترق مركزه، مبطنة في الواقع بمجمع مساكن للعاملين بها، ومعامل ومصانع. هذه المرافق تحت الأرضية، كان يفترض أن تكون في البداية للسحرة الجيولوجيين ومهندسي الجينات، لكنها أمست الآن تخدم غرضًا مختلفًا بالكامل... لأن الوجه الآخر من كوربوينت هو واراننت، حيث يُصنع الأوصياء وحيث يسكنون خلال المواسم.

المزيد عن هذا لاحقًا.

أما على سطح كوربوينت، فالوقت عصرًا، والسماء مشرقة قليلة السحب، زرقتها مذهلة (فالمواسم التي تضرب السكون، نادرًا ما تؤثر تأثيرًا ذا بال في الطقس في هذه الناحية من العالم، أو قد يتأخر تأثيرها شهرًا أو سنوات). وكما يليق بهذه السماء المشرقة، يوجد أناس كثيرون في الشوارع حول ناسون التي تعاني وتبكي. بيد أنهم لا يمدون يد العون، بل

لا يتحركون على الإطلاق تقريبًا، فهؤلاء أكلو صخر، ذوو شفاه من رخام وردي وأعين براقه من المايكا، وضافائر من الذهب أو الكوارتز الراق. يقفون على عتبات مبانٍ لم تعرف قدمًا بشرية لها آلاف السنين، ويجلسون على حواف نوافذ حجرية أو معدنية، بدأت تتآكل تحت ضغط الوزن غير الطبيعي المرتكز عليها لعقود. تجلس إحداهن بركبتين مرفوعتين وذراعين مرتكزتين عليهما، وتستند إلى شجرة نمت جذورها حولها، وغطت الطحالب الجزء العلوي من ذراعيها وشعرها. وتراقب ناسون بعينين هما كل ما يتحرك فيها، ويبدو في عينيها شيء لعله بريق اهتمام.

بصمت وسكون، يراقبون جميعًا هذه الطفلة البشرية التي تصدر ضجة وتتحرك بسرعة، وتبكي، وسط هذه الرياح المثقلة بالملح، حتى يقعدها التعب، فتقعد في مكانها منكمشة، أصابعها تقبض على قمماش قميص شافا.

يوم آخر، من نفس العام؟

لن أكتب عن إينون ولا كورو، ليكون هذا ممنوعًا من الآن فصاعدًا. أما ساين، فما زلت أشعر بها. لا أسسبن، وإنما أشعر. ثمة مسلة هنا، لعلها إسبينية. حينما أتسل أتصل بها، أشعر وكأنني أستطيع الإحساس بكل ما تتصل المسلة به، مثل الجمشتية التي تتبع ساين. أتساءل إن كانت تدرك ذلك.

تقول أنتيموني إن ساين نجحت في بلوغ البر، والآن هي تائهة تائهة. ألهذا أشعر أنني تائه أيضًا؟ ربما. إنها كل ما بقي لي، لكنها قتل... اللعنة.

إن هذا المكان سخيف. أنتيموني كانت محقة في أنه السبيل لتفعيل بوابة المسلة من دون مفتاح التحكم. (الأونيكية. لكن قوتها خارقة، لا أستطيع المخاطرة بها، فقد تحفز المحاذاة بسرعة بالغة، وعندها من ذا الذي سيعدل المسار الثاني؟). لكن الصدين الذين بنوا هذا المكان وضعوا كل شيء في الحفرة الغبية. أخبرتني أنتيموني عن ذلك. قالوا مشروع عظيم، اللعنة على مشروعاتهم. بل إن رؤية الحفرة فقط أمر مريع، إن المدينة الصدئة كلها مسرح جريمة. لقد تجولت فيها ووجدت أنابيب ضخمة تجري من الحفرة إلى قاع المحيط وحتى السكون ذاتها، ضحكة ضحكة جدًّا، جاهزة لضحك شيء ما منها إلى القارة. تقول أنتيموني إن هذا الشيء هو السحر. هل كانوا فعلاً بحاجة إلى كل هذا السحر؟ أكثر مما في البوابة؟

اليوم طلبت من أنتيموني أن تأخذني إلى الحفرة ورفضت. ماذا يوجد فيها إذن؟ ها؟ ما الذي في الحفرة؟

قبل الغروب بقليل، يظهر آكل صخر آخر. يبرز أكثر من غيره وسط هذا التنوع اللوني الجميل لقومه، بلونه الرمادي وصدره العاري، إنه فولاذي. يقف إلى جوار ناسون بضع دقائق، يتوقع ربما أن ترفع نظرها إليه وتلاحظه، لكنها لا تفعل. فيقول: «رياح المحيط تزداد برودة ليلاً».

لا ترد. تنقبض يدها ثم ترتخي على ملابس شافا، ليس بتشنج، وإنما هي فقط متعبة. لقد كانت تقبض عليه منذ كانا في مركز الأرض.

بعد وهلة أطول، فيما تقترب الشمس من الأفق، يقول فولاذي:
«ثمة شقق قابلة للمعيشة بعد مربعين من هنا. وفيها طعام مخزن، يفترض
أنه لا يزال صالحًا».

تقول ناسون: «أين؟». صوتها مبحوح، تحتاج إلى الماء. ثمة ماء في
قربتهما، لكنها لم تفتحها.

تتغير وقفة فولاذي، يشير بإصبعه، وترفع ناسون رأسها كي تتبع
إشارته فترى شارعًا، مستقيمًا استقامة غير طبيعية. تحكم قبضتها على
ملابس شافا وتبدأ تجرّه مرة أخرى.

من الذي في الحفرة؟ ما الذي في الحفرة؟ إلى أين تصل الحفرة؟ كم
صرت مهووسًا بالحفرة!

جائنتني أكلو الصخر بأكل اليوم، لأنني لا أكل بما يكفي. طلبية
خصوصية طازجة من التاحية الأخرى من العالم. سأجفف الحبوب،
وسأزرعها. أتمنى أن أذكر أن أجمع الطماطم التي رميتها على أنتيموني.

لغة الكتب هنا تشبه السانزية نوعًا. نفس الحروف؟ ربما هذه هي
اللغة الأم؟ أكاد أتعرف على بعض الكلمات. بعضها إتروبية قديمة،
بعضها هلاديكية، وقليل من لسان الريحجو القديم. ليتك كنت هنا يا
شيناشر، كنت ستصرخ عندما تراني أسند قدمي على كتب أقدم من
الزمان. كم كان يسهل استفزازه. أفقده.

أفقد الجميع، حتى المرتكزين الصديين (!) أفقد قدوم الأصوات
من الأفواه. كانت سيانيت ستجعلني أكل، أيتها الصخور المتكلمة.

سيانيت كانت تكثرث لشأني أنا، وليس مجرد قدرتي على إصلاح عالم لا
أكثرث له ألبته. كان ينبغي أن تكون سيانيت معي هنا، أنا مستعد لدفع
أي ثمن مقابل أن تكون معي.

لا، بل عليها أن تنساني وتنسى إيتـ ميوف، وتجد أحق مملاً ما يريد
أن يكون معها. عليها أن تحظى بحياة ممتلئة. فهي تستحقها.

حينما تصل ناسون إلى المبنى يكون الليل قد حلّ. يتحرك فولاذي،
ويظهر أمام مبنى غريب الشكل غير متناسق، يشبه الإسفين. طرفه
العالي يواجه الريح. سطح المبنى المنحدر، الذي لا يواجه الريح، يزرع
بنباتات عشوائية متشابكة. ثمة كثير من التربة على هذا السطح، أكثر مما
يمكن أن يتراكم بفعل الريح على مدى قرون. يبدو مزروعاً عن قصد،
لكنه أمسى الآن فوضى برية. وسط هذه الفوضى، ترى ناسون أن ثمة
من اقتطع في وقت قريب حديقة. هذه الحديقة أيضاً أمست برية الآن،
فهناك نبتة جديدة خرجت من ثمرة واقعة وانقسمت، وهناك عناقيد
وفروع غير معتنى بها، لكن قلة الأعشاب الضارة بين الصفوف التي لم
تزل منتظمة، تقترح أن هذه الحديقة لم تُهمل إلا من عام أو اثنين. وهذا
الموسم يكاد يبلغ عمره العامين.

بعد قليل، يتحرك المبنى من تلقاء نفسه، ينزلق جزء من سطحه
جانباً حينما تقترب ناسون، وينغلق على نفسه أيضاً ما إن تصبح هي
وشافا في الداخل. يصبح فولاذي في الداخل أيضاً، ويشير إلى الدرج.
تجبر شافا حتى قاع الدرج، ثم تقع إلى جواره، ترتجف، غير قادرة على

التفكير أو الذهاب أبعد من هذا. وبينما تتوسد صدره، تفكر أن قلبه لم يزل قويًا. وعندما تغلق عينيها، تكاد تتخيل أنه من يحتضنها، لا العكس. تمنحها هذه الفكرة راحة ضئيلة، تكفيها للنوم بلا أحلام.

الناحية الأخرى من الحفرة

الناحية الأخرى من العالم

أل

ي

س

له

ذ

ل

له؟



في الصباح، تصعد ناسون بشافا الدرج. لحسن الحظ كانت الشقة في الطابق الثاني فقط، وكان باب الدرج لحسن الحظ ينفتح عليها مباشرة. كل ما في الداخل كان غريبًا في عينيها، ولكن غرضه مألوف. هذه مثلًا أريكة، لكن ظهرها في أحد طرفيها لا خلفها. وهذا مقعد، لكنه مُدمج بشكل ما مع مائدة مائلة كبيرة. ربما هي للرسم. والفراش، في الغرفة الملحقة، هو أغرب شيء إطلاقًا: حاشية عريضة واسعة زاهية

الألوان على شكل نصف دائرة، بلا ملاءات ولا وسائد. وحينها تتمدد عليه ناسون بحرص، تجد أنه يتسطح ويستجيب لجسدها على نحو مريح راحة مذهلة. بل وتجده دافئاً أيضاً، يسخن نفسه بنفسه تحتها حتى تذهب عنها أوجاع النوم على الدرج البارد. بدافع من هذا الذهول، تفحص الفراش، فتذهل حينما تجد مفعماً بالسحر، بل ويغطيها هي نفسها بالسحر. ترحف خيوط الفضة فوق جسدها، بعضها تتفحص مواطن الألم والإنهاك فيها، ثم تصلح كدماتها وسحجاتها، وبعضها تضرب جزيئات السرير ببعضها حتى يدفعها الاحتكاك، وبعضها تبحث في بشرتها عن القشور الجافة وجزيئات الغبار، وتزيلها. يشبه ذلك ما تفعله ناسون حينما تستخدم الفضة لعلاج الأشياء أو قطعها، لكنه مؤتمت بشكل ما. لا تستطيع أن تتخيل من ذا الذي قد يصنع فراشاً يقدر أن يستخدم السحر. لا تستطيع أن تتخيل لذلك سبباً. ولا تستوعب كيف يمكن لأي شخص أن يقنع كل هذه الفضة بأن تفعل أشياء لطيفة كهذه. لكن هذا ما يحدث. لا عجب إذن أن بناء المسلات احتاجوا إلى كل هذه الفضة، ما داموا كانوا يستخدمونها بدلاً من الأغذية أو الاستحمام، أو ترك أجسادهم تشفى ببساطة مع الوقت.

تكتشف أن شافا قد لوث ملابسها. تجد غضاضة في اضطرارها إلى خلع ملابسها عنه، وتنظيفه باستخدام قطع قماش مطاطية وجدتها في الحمام. لكن تركه غارقاً في قذارته سيجعل الأمل أسوأ. تنفتح عيناه مجدداً، ولكنه لا يتحرك فيما تفعل هي ما تفعله. إن عينيه تنفتحان خلال النهار وتغلقان ليلاً، لكن ناسون مع ذلك تتحدث إليه، تتوسل إليه كي يستيقظ، كي يساعدها، تخبره أنها تحتاج إليه. لكنه لا يستجيب.

تضعه في الفراش، وتضع قطعة قماش تحت جسده. وتقطر الماء من قربتهما إلى فمه، وحينما تفرغ القربة، تحاول بحذر أن تملأها من مضخة الماء الغريبة في المطبخ. ليس بهذه المضخة رافعة ولا مقبض، لكنها حينما تضع القربة تحت الصنبور، يتدفق الماء. تستخدم أولاً بعض المسحوق الذي في مخلاتها، لتصنع قذح أمان، كي تختبر مدى تلوثها. يذوب المسحوق، ويظل المشروب أبيض. هكذا تشرب من الماء وتجلب منه إلى شافا. يشرب بسهولة، ما يرجح أنه كان ظمآن جداً. تقدم إليه بعض الزبيب، بعد أن تغمره في الماء، فيمضغ ويبلع، لكن من دون حماس بالغ. إنها لم تعتنِ به على أكمل وجه.

تقرر أنها سوف تفعل ما هو أفضل، وتخرج إلى الحديقة كي تقطف لها وله بعض الثمار.

أخبرتني سيانيت بتاريخ اليوم. ست سنوات. أمرت ست سنوات؟ لا عجب أنها غاضبة. قالت لي أن أذهب وأرمي نفسي في حفرة، بعدما مر كل هذا الوقت. لا تريد أن تراني مجدداً. يا لقلبها القاسي. قلت لها إنني آسف، وأن هذا كله كان خطئي.

خطئي أنا. قمري أنا. لقد استخدمت المفتاح الاحتياطي اليوم (خطوط الرؤية، خطوط القوة. ثلاثة في ثلاثة في ثلاثة! ترتيب تكعيبي، مثل بنية كريستالية متقنة). يفتح المفتاح البوابة. لكن من الخطر جلب كل هذه المسلات إلى يومينس، الأوصياء هناك كثر، سرعان ما سيلحقون بي. من الأفضل أن أصنع من الأوروبيين مفتاحاً احتياطياً. لكن من الذي أستطيع أن استخدمه؟ من لديه ما يكفي من القوة؟ ساين؟ ليست

قوية بما يكفي، تكاد تكون، لكن ليس الآن. إينون؟ لا، كورو قوي،
لكنني لا أستطيع أن أجده. وهو لا يزال طفلاً على أي حال، وهذا لا
يصح. الأطفال. أطفال كثير. الموصولون؟ الموصولون!

لا، لا يصح، لقد عانوا طويلاً بما يكفي. سأستخدم كبار المرتكز
بدلاً منهم.

أو استخدم الموصولين.

لماذا لا أفعلها هنا؟ هذا سيسد الحفرة. افعلها هناك. دمر يومينس،
دمر المرتكز، دمر أكبر قدر من الأوصياء.

توقفي عن إزعاجي يا امرأة، اذهبي إلى إينون كي يرضيك واتركيني
في حالي. دائماً ما تصبحين في مزاج سيء حينما يمرّ وقت دون أن يرضيك
أحد. سأرمي نفسي في الحفرة غداً.

يصبح الأمر روتيناً.

تعني ناسون بشافا في الصباح، وتخرج في المساء كي تستكشف
المدينة وتبحث عما يحتاجه. لم تعد ثمة حاجة إلى غسل شافا أو تنظيفه
مجدداً، يعتني الفراش بذلك أيضاً. هكذا تقضي وقتها معه تتحدث،
تسأله أن يستيقظ، وأنها لا تعلم ماذا تفعل.

ويختفي فولاذي مجدداً. وهي لا تكثر.

بيد أن غيره من آكلي الصخر يظهرون دورياً، أو هكذا تشعر بتأثير
وجودهم. مثلاً تنام على الأريكة، ثم تستيقظ ذات صباح فتجد بطانية

تغطيها. ليست أكثر من بطانية رمادية بسيطة، لكنها دافئة، وهي ممتنة لها. وحينها تبدأ في انتقاء الدهون من التفانق التي في مخلاتها، كي تصنع الشموع، فمخزونها من الشموع يكاد ينفد، تجد آكل صخر واقفًا على الدرج، وأصابعه ملتوية مثل من يشير إلى شيء. تتبع إشارته، حتى تصل إلى لوحة مغطاة برموز غريبة. تشير أصابع آكل الصخر إلى رمز منهم بعينه. تلمسه ناسون، فيضيء بالفضة، ويتوهج بلون ذهبي، ويرسل خيوط السحر المتلوية حول بشرتها. يقول آكل الصخر شيئًا بلغة لا تفهمها ناسون، ثم يختفي. لكنها حينما تعود إلى الشقة، تجدها أدفأ، ويضيئها ضوء ناعم قادم من السقف. وتجد أن لمس مربعات بعينها على الحوائط يُطفئ الأنوار.

وذات مساء، تدخل الشقة فتجد آكل صخر قابعًا بجوار كومة أشياء، تبدو كما لو أنها من بيت أحراز كومونة ما: أكياس خيش مليئة بالخضراوات الجذرية والفطر والفواكه المجففة، وقرص جبن أبيض حاد، وأكياس جلدية تحوي قطع لحم مجفف، وأشولة أرز وفاصولياء، وأعز شيء: برميل ملح صغير. ويختفي آكل الصخر حينما تقترب منه ناسون، فلا تلحق أن تشكره. يتعين عليها أن تزيل الرماد الذي يغطي كل شيء قبل أن تخزنه.

تدرك ناسون أن الشقة، مثل الحديقة، لا بد أنها كانت مسكونة حتى وقت غير بعيد، فثمة بقايا حياة شخص آخر في كل مكان: سراويل واسعة جدًا عليها في الأدراج، وملابس داخلية رجالية بجوارها (وذات يوم، تُستبدل بهذه أخرى نسائية تناسبها. أهذا أيضًا من فعل آكلي الصخر؟ أم هو سحر الشقة على مستوى أعقد مما حسبت؟). إحدى الغرف مكدسة

بالكتب، أكثرها كتب كوربوينتية أصلية، تعرف ذلك لأنها بدأت تتعرف على الطابع الكوربوينتي النظيف، غير الطبيعي نوعاً. عدا أن بعض الكتب هيئتها عادية، بأغلفة جلدية متشققة، وصفحات تفوح بالمواد الكيميائية، والحبر المكتوب باليد. بعض هذه بلغة لا تقدر أن تقرأها، لعلها ساحلية. غير أن أحدها، مع أنه مصنوع من مواد كوربوينتية، فقد امتلأت صفحاته، التي كانت خاوية، بكتابة يدوية سانزية. تفتح ناسون هذا الكتاب وتجلس، وتشرع تقرأ.

نزلت

الحفرة

لا تدفني

أرجوك يا ساين

أنا أحبك، وأنا آسف

احمي ظهري، وسأحمي ظهرك. فلا يوجد من هو أقوى منك. ليتك هنا.

أرجوك لا

كوربوينت حية، لكن جامدة.

تبدأ ناسون تفقد الإحساس بالوقت. يتحدث إليها أكلو الصخر أحياناً، لكن أكثرهم لا يعرفون لغتها، وهي لا تسمع من لغتهم ما

يكفيها كي تبدأ تفهمها. أحيانًا تراقبهم، ويدهشها في مرة اكتشاف أنهم يمارسون أمورًا. فيما هي تراقب ذات مرة آكلة صخر خضراء من المالاكيت، تقف وسط أشجار مائلة بفعل الريح، تدرك بعد وقت أن المرأة تقبض على غصن من إحدى الجهات، كي ترغمه على النمو بشكل معين. ويتضح أن في الواقع، كل الأشجار التي تبدو مائلة بفعل الريح على نحو فني درامي، لها الهيئة نفسها. لا بد أن ذلك استغرق منهم أعوامًا.

وبالقرب من حافة المدينة، عند تلك الدرجات الغربية التي تبرز من الحافة إلى المياه (ليست أرصفة بحرية في الواقع، وإنما مجرد قطع معدنية مستقيمة بلا معنى)، يقف آكل صخر آخر كل يوم بذراع مرفوعة. وتزامن وجود ناسون صدفة في لحظة اختفى فيها آكل الصخر فجأة، ثم دوى صوت ارتطام بالمياه، ثم ها هو واقف بذراعه المرفوعة، ويده تقبض على ذيل سمكة تتلوى، ضخمة، طولها يوازي طول، ويلتصع جسده الرخامي بالبلل. لم تكن ناسون مشغولة بأمر معين، فجلست تراقب. بعد وهلة، يخرج من المياه كائن ثديي بحري (سبق لناسون أن قرأت عن مثله، كائنات تبدو كالأسماك لكنها تتنفس الهواء)، ويتزحلق حتى الحافة. له هيئة أسطوانية، وبشرة رمادية، وأسنان حادة على طول فمه، لكنها صغيرة. حينما يقفز خارج الماء، ترى ناسون أنه عجوز، وتحبس من حركات رأسه المتخبطة أنه أعمى، بل وهناك ضرر بالغ على مقدمة رأسه. يتمسح الكائن في آكل الصخر، ثم يبدأ يقضم من السمكة في يده، ويلتهم منها قطعًا، حتى يطلق آكل الصخر سراح الذيل. وحينما

يفرغ الكائن البحري من الأكل، يُصدر صوتًا معقدًا عالي النبرة، مثل... زقزقة؟ ضحكة؟ ثم ينزلق عائداً إلى الماء، ويعوم مبتعداً.

يلتف أكل الصخر في لمح البصر، ويواجه ناسون. تنهض ناسون بفضول، وتتجه إليه كي تتحدث معه. لكن قبل أن يكتمل نهوضها، يختفي.

وهذا ما تفهمه في النهاية: ثمة حياة هنا بين هؤلاء القوم. لكنها ليست كالحياة التي تعرفها، أو الحياة التي كانت لتختارها، لو كان لها الاختيار، لكنها حياة رغم كل شيء. تجد في ذلك بعض العزاء، خاصة وأن شافا لم يعد موجوداً ليخبرها أنها بخير وأمان. وتجد في الصمت أيضاً وقتاً للأسى. قبل هذا لم تفهم قط كم هي بحاجة إليه.

عقدت العزم.

هذا خطأ. كل شيء خطأ. إن بعض الأمور متضررة إلى حد يتعذر إصلاحه. لا يمكنك سوى إتمام القضاء عليها، وإزاحة ركامها، والبدء من جديد. أنتيموني موافقة، وبعض آكلي الصخر الآخرين أيضاً. لكن بعضهم رافضون.

وأولئك عليهم الصدا. لقد دمروا حياتي ليجعلوا مني سلاحهم، وهذا ما سأفعله. ذاك اختياري، ذاك قولي. سنفعلها في يومينس. نُقش القول على الحجر.

سألت اليوم عن ساين. لا أعلم لماذا أكرث حتى الآن. تتقصي أنتيموني أخبارها من وقت إلى آخر (من أجلي؟). قالت إن ساين تعيش

في كومونة تافهة في الجنوب الأوسط، نسيت اسمها، وتمثل دور معلمة المدرسة. تمثل أنها راكدة سعيدة. متزوجة ولديها طفلان. يا عيني! لست متأكدًا من طبيعة ابتها، لكن الولد في الواقع متصل بالزمردية الزرقاء. مذهل. لا عجب من أنهم في المرتكز أرادوا أن يستولدوها مني. وقد أنجبنا بالفعل، رغما عن كل شيء، طفلًا جميلًا. آه يا بني.

لن أدعهم يجدون ابنك يا ساين، لن أدعهم يأخذونه منك، ويجرقون ضحى، ويضعونه في كرسي أسلاك. لن أدعهم يجدون ابتك أيضًا، سواء كانت واحدة منا، أو كانت مشروع وصية. لن يعود هناك مرتكز بعدما أنتهي. أعلم أن ما سيلي ذلك لن يكون جيدًا، لكنه سيكون كارثيًا على الجميع، أغنياء وفقراء، مرتكزين وأغيارًا، سانزيين وقطبيين. كانت كل المواسم علينا هي الموسم الأخير. الآن حانت نهاية العالم التي لن تنتهي. كان بوسعهم أن يختاروا نوعًا آخر من المساواة، كان بوسعنا أن نكون جميعًا آمنين مرتاحين معًا، وننجو معًا. لكنهم لم يريدونا. الآن لن يعود الأمان في تناول أحد. ربما هذا ما يتطلبه الأمر كي يفهموا أخيرًا، أن الحال يجب أن يتغير.

حينها فقط سأوقف الأمر وأعيد القمر إلى مكانه (إن تعديل المسار الأول لن يحولني إلى حجر، إلا لو كنت قللت من تقديري لا، لن يحدث). وهذا في النهاية كل ما أجيد فعله بحق الصدا.

بعد ذلك... سيعود الأمر إليك يا ساين. أصلحي العالم. أعلم أنني قلت لك من قبل إن هذا غير ممكن، وأن لا سبيل إلى إصلاح العالم، لكنني كنت مخطئًا. وسوف أكسره الآن لأنني كنت مخطئًا. ابدئي من جديد، فقد

كنت محقة. غيريه. اجعليه أفضل من أجل من بقي من أبنائك. اصنعي
عالمًا كان كورندم ليحيا فيه سعيدًا، عالمًا للناس من أمثالنا، أنا وأنت
وإينون، وابننا الجميل. كان يمكن أن نظل معًا.

تقول أنتيموني إنني لعلّي أرى ذاك العالم. سوف نرى. الصدا على
ذلك. أنا أماطل. إنها تنتظر. سنعود إلى يومينس اليوم.
من أجلك يا إينون، من أجلك يا كورو، من أجلك يا ساين.

في الليل، ترى ناسون القمر.
كان ذلك مخيفًا في البداية، في أول ليلة رنت فيها إلى الخارج،
ولاحظت بياضًا شاحبًا يغشى شوارع وأشجار المدينة، ثم رفعت عينيها
ورأت جسمًا كرويًا ضخماً أبيض في السماء. إنه هائل بالنسبة إليها،
أكبر من الشمس، وأضخم بكثير من النجوم، يتبعه خيط خافت من
الوهج، لا تعرف أنه ناجم عن تسامي بخار الثلج، الذي تراكم على
سطح القمر خلال ترحاله. ما أذهلها حقًا كان بياضه. إنها لا تعرف عن
القمر سوى ما قاله لها شافا. قال إنه ساتالايث، جسم تابع، ابن الأب
الأرض الضائع، شيء يعكس نور الشمس. ومن هذا توقعت أنه أصفر.
يزعجها أن تكتشف كم هي مخطئة.

ويزعجها أكثر أن ثمة ثقبًا في هذا الشيء، في مركزه تقريبًا، ظلمة
متشعبة، مثل بؤبؤ عين. إنه أصغر من أن تميزه بوضوح حتى الآن، لكنها
تعتقد أنها لو حددت إليه طويلاً، فسترى عبره النجوم على الناحية
الأخرى من القمر.

عدا أن هذا، بشكل ما، معقول. فما حدث قبل دهور وأدى إلى ضياع القمر، كان بلا جدال كارثيًا على عدة أصعدة. ولو كان قد أدى إلى موسم الانشقاق على الأرض، فمن البديهي أن يحمل القمر ندوبًا تدل عليه. تفرك ناسون راحة يدها بإبهامها، حيث كسرت أمها عظامها ذات حياة مضت.

ورغم ذلك، حينما تقف ناسون على حديقة السطح، وتحقق إلى القمر طويلًا، تبدأ تراه جميلًا. إنه مثل عين بيضاء بياض الثلج، وهي لديها ما يكفيها من أسباب كي تضايقها رؤية هذه العيون. ومثل الفضة، حينما تتأجج وتتلوى داخل شيء يشبه قوقعة الحلزون. يجعلها هذا تفكر في شافا، وفي إنه يراقبها بطريقته الخاصة، وهذا يجعل شعورها بالوحدة أقل.

ومع الوقت، تكتشف أنها تستطيع استخدام المسلات كي تتحسس القمر. إن الياقوتية الزرقاء على الناحية الأخرى من العالم، لكن ثمة أخريات تحوم فوق المحيط هنا، وتستجيب لنداءاتها، ولقد كانت ناسون تناديهم وتروضهم واحدة تلو الأخرى. تساعد المسلات ناسون بالشعور (لا بالسبب) أن القمر سيبلغ أقرب نقطة له. ولو أنها تركته يتعد، سيذهب، ويبدأ يتلاشى تدريجيًا حتى يختفي من السماء. أما لو فتحت البوابة، وقبضت عليه، فستغير كل شيء. ستغير من قسوة الوضع القائم، ومن راحة الغفلة. يبدو لها أنها حسمت قرارها... إلا من أمر واحد.

ذات ليلة، وبينما تحقق إلى الكرة البيضاء الهائلة، قالت جهراً: «أنت

تعمدت ألا تخبرني بما سيصيب شافا، أليس كذلك؟ قصدت هذا كي تتخلص منه».

يتململ قليلاً الجبل الذي كان مستقرًا بالقرب منها، ويتموضع خلفها. «حاولت أن أحذرك».

تلتفت كي تواجهه. وحينما يرى تعبير وجهها، يضحك ضحكة خافتة، مثل من يتهكم من نفسه. لكن تتوقف ضحكته حينما تقول: «لو مات، فسأكرك أكثر مما أكره هذا العالم».

بدأت تدرك أن هذه حرب استنزاف، وهي الخاسرة. في الأسابيع (أم الشهور؟) المنصرمة منذ وصلا إلى كوربوينت، تدهور شافا تدهورًا ملحوظًا؛ اكتسبت بشرته شحوبًا كريهاً، وأمسى شعره هشاً منطفتاً. لا ينبغي أن يرقد الناس بلا حراك لأسابيع في هذه الحال. لقد اضطرت صباح اليوم إلى قص شعره. إن الفراش الذي ينظفه من الوسخ تعلق به، لكن شعره صار دهنيًا، يتشابك باستمرار، بل إن بعضه علق حول ذراعه أمس، حينما صارعت كي تقلبه على معدته، ما أعاق جريان الدم في ذراعه على نحو لم تلحظه حينها (فهى تغطيه بالملاءات، مع أنه لا يحتاج إلى غطاء مع دفء السرير. لأنها يضايقها عريه وهوانه). وفي هذا الصباح، حينما لاحظت أخيرًا المشكلة، بدت لها الذراع شاحبة شبه رمادية. فكت العقدة، وجعلت تدلكها لتحفيز جريان الدم، لكن لونها لم يتغير كثيرًا. إنها لا تعلم ماذا ستفعل إن تضررت الذراع حقًا. بل ولعلها تخسره بالكامل بهذه الطريقة، ببطء لكن بثبات. كل يوم يموت منه جزء آخر، لأنها كانت على مشارف التاسعة حينما بدأ الموسم، والآن

هي على مشارف الحادية عشرة وهي تعتني بشخص عاجز، وذلك أمر لم يعلموها إياه في المدرسة.

يجيبها فولاذي بصوته عديم النبرة: «لو عاش، فلن تمر عليه لحظة بعد ذلك من دون ألم». يتوقف، تثبت عينه الرمادية على وجهها، فيتردد صدى كلماته داخلها، فيتضارب مع إنكارها، ومع خوفها المتنامي من أنه محق.

تنهض ناسون على قدميها. «أحت... أحتاج إلى معرفة كيف أعالجه». «ليس في وسعك».

تكور قبضتيها. ولأول مرة منذ وقت تشعر وكأنه قرون، تتوجه إلى طبقات الأرض تحتها، أي إلى البركان الدرعي تحت كوربوينت... لكنها حينما «تقبض» عليه أوروچينيًا، يفاجئها أنها تجده مثبتًا بشكل ما. هذا يربكها للحظة، بينما تبدل منظورها من الأوروچينية إلى الفضية... فتجد أعمدة صلبة راسخة من الفضة، مغروسة في أساسات البركان، تثبت في مكانه. لا يزال البركان نشيطًا، لكن هذه الأعمدة لن تدعه يثور أبدًا. سيظل مستقرًا رغم الثقب في منتصفه الذي يخترق الأرض حتى قلبه.

تتجاوز هذا الاكتشاف باعتباره غير مهم الآن، وتجهز أخيرًا بما كان يدور في رأسها، منذ سكنت مدينة آكلي الصخر هذه. «لو... لو أنني حولته إلى أكل صخر، فسيعيش، ولن يشعر بألم، أليس كذلك؟». فولاذي لا يرد. وفي الصمت الذي يلي ذلك، تعض ناسون شفتها. «يتعين عليك إذن أن تخبرني كيف... كيف أجعله مثلك. أراهن أنني سأستطيع فعلها باستخدام البوابة. أستطيع فعل أي شيء بها، إلا...».

إلا... صغائر الأمور. تشعر ناسّون، وتسسبن، أن مثلها يمكن أن تجعلها البوابة كلية القدرة للحظات، لن تستطيع أن تستخدمها لتحويل شخص واحد. لو أنها حولت شافا إلى آكل صخر، فسيتحول كل إنسان على سطح الأرض بنفس الطريقة. كل كومونة، كل جماعة أغيار، كل عابر سبيل جائع، عشرات الآلاف من المدن التي لا تزال قائمة ستتحول، بدلاً من فرد وحيد. سيصبح العالم كله مثل كوربوينت. لكن هل هذه مشكلة فعلاً؟ لو صار الجميع آكلي صخر، لن يعود هنالك أوروچينيون وراكدون، لن يموت مزيد من الأطفال، فلن يعود هنالك آباء ليقتلوهم. ومهما جاءت المواسم وتعاقت، فلن يهم هذا بعد الآن. ولن يموت أحد من الجوع. أليس من الرحمة أن يصبح العالم كله هادئاً مثل كوربوينت؟

وجه فولاذي، الذي كان متجهاً نحو القمر فيما كانت عيناه تراقبانه، يتحرك الآن ببطء كي يواجهها. إن رؤيته يتحرك بهذا البطء أمر مربك دوّمًا. «أتعلمين ما هو شعور من يعيش أبداً؟».

ترمش ناسّون، بتردد. لقد كانت تتوقع مقاومة. «نعم؟».

ضوء القمر حوّل هيئة فولاذي إلى ظلال متباينة، مزيج من الأبيض والأسود سواد الخبر، أمام عتمة الحديقة. يقول بصوت يكاد يكون مستمتعاً: «سألتك هل تعلمين ما هو شعور من يعيش أبداً؟ مثلي، ومثل شافا. هل لديك أي فكرة عن كم عمره؟ هل تكثرين لهذا؟».

«أنا...»، وتكاد تقول إنها تعرف، ثم تتعثر الكلمات في حلقها. لا، لم تفكر في ذلك. «أنا... لا...».

يتابع فولاذي: «أظن أن الأوصياء يعيشون عادة بين ثلاثة وأربعة آلاف سنة. هل يمكنك تخيل مدى طول هذه المدة؟ تخيلي مثلاً حياتك منذ بدأ الموسم، أي العامين الماضيين. وتخيلي معهم عامًا آخر، هذا في وسعك، أليس كذلك؟ إن كل يوم هنا في كوربوينت مثل عام من أعوامكم، أو هكذا يقول بني جنسكم. والآن، ضعي الأعوام الثلاثة معًا، واضربيهم في ألف». يقول هذا الجزء الأخير بحدة، وينطقه بوضوح يجعلها تجفل رغماً عنها.

ورغماً عنها أيضاً... تفكر. تشعر أنها عجوز منهكة، تنوء بحمل عمر أكبر بكثير من الحادية عشرة. حدث الكثير منذ عادت إلى البيت ذات يوم ووجدت شقيقها الصغير ميتًا. إنها الآن شخص مختلف تمامًا، لا يكاد يمت بصلة إلى ناسون. أحيانًا ما تشعر بالعجب من أن ناسون ما زال اسمها. إلى أي مدى ستتغير أكثر بعد ثلاث سنوات؟ وعشرة؟ وعشرين؟

يتوقف فولاذي حتى يرى على وجهها تبدلاً يشي بأنها تنصت، ثم يتابع: «غير أنني لذي ما يدعوني إلى الاعتقاد أن شافا أكبر بكثير جدًا من أغلب الأوصياء. إنه ليس من الجيل الأول، فأولئك ماتوا منذ أمد بعيد، لم يستطيعوا التحمل. لكنه مع ذلك من أقدمهم. يمكنك تمييز ذلك من اللغة. لا ينسى المرء لسانه، حتى وإن نسي الاسم الذي وُلد به».

تذكر ناسون كيف فهم شافا لغة الفهيمال التي قطعت بهما الأرض. يشقّ عليها مجرد التفكير في أن شافا وُلد حينما كانت تلك اللغة لا تزال

مستخدمة، هذا يجعل عمره... لا يسعها حتى أن تتخيل. إن السانزا القديمة يفترض أن عمرها سبعة مواسم، أو ثمانية لو أحصينا الموسم الحالي. أي حوالي ثلاثة آلاف سنة. أما دورة انحسار القمر وعودته فأقدم من ذلك بكثير، ومع ذلك شافا يذكرها. إذن... نعم، إنه كبير جدًا. تتجههم.

يتابع فولاذي: «إنه لأمر نادر أن تجدي من بينهم من يقدر على البقاء كل هذا الوقت»، نبرته عادية، وكأنه يتحدث عن جارها القديم في جيكتي، «يؤذيهم حجر الأساس في أدمغتهم بشدة، فيتعبون، ويصبحون أقل حذرًا، فيبدأ الأرض يلوثهم، ويطغى على إرادتهم. وفي الأغلب حينما يحدث ذلك لا يدومون طويلًا. إما أن يستهلكهم الأرض وإما يستهلكهم رفاقهم الأوصياء، حتى يُستنفد الغرض منهم، فيقتلهم ذلك الجانب أو ذاك. إن بقاء شافا كل ذلك الوقت برهان على قوته، أو لعله برهان على شيء آخر. إن ما يقتل البقية هو فقدان ما يحتاجه عامة الناس كي يعيشوا سعداء. تخيلي الحال بهذا الوضع يا ناسون، تخيلي مشاهدة كل من تعرفينه أو تهتمين به يموت، ورؤية بيتك يموت، والاضطرار إلى البحث عن بيت جديد مرارًا وتكرارًا. تخيلي أنك لا تجربين على التقرب من أي شخص، ولا عقد أي صداقات، لأنك ستعيشين وهم يموتون. هل أنت وحيدة يا صغيرتي ناسون؟».

تنسى غضبها. تعترف قبل أن تفكر في ألا تفعل: «نعم».

«تخيلي إذن البقاء وحيدة إلى الأبد». تجد ابتسامة خفيفة مرتسمة على شفثيه، ولقد كانت هناك لها بعض الوقت. «تخيلي أن تعيشي هنا في

كوربوينت إلى الأبد، من دون من تتحدثين معه غيري... هذا حينما أهتم بالحديث. كيف تظنين شعورك حينها يا ناسون؟».

تقول بخفوت: «بشع».

«بالضبط. إليك نظريتي: أنا أظن أن شافا نجا كل هذا الوقت لأنه كان يحب رعاياه، مثلك ومثل غيرك ممن هونوا عليه وحدته. لقد كان يحبك فعلاً، لا تشكي في ذلك أبداً». تزدرد ناسون لعابها بغصة في حلقها. «لكنه كان أيضاً يحتاج إليك، فأنت كنت سبب سعادته، سبب شعوره بأنه إنسان، في حين أن الزمن كان كفيلاً بتحويله بعد كل هذا الوقت إلى غير ذلك».

ثم يتحرك فولاذي مرة أخرى. تدرك ناسون أخيراً أن ثبات إيقاع حركته، هي سر غرابته عن حركة البشر. يتحرك البشر بسرعة في الحركات الكبيرة، ويبطء في الحركات الدقيقة، أما فولاذي فيفعل كل شيء بنفس الإيقاع. مراقبته يتحرك مثل مراقبة تمثال يذوب. لكنه يقف أخيراً بذراعين ممدودتين، وكأنه يقول /انظروا إليّ/.

يقول: «أنا عمري أربعون ألف سنة، أكثر أو أقل بألف عام مثلاً».

تحقق إليه ناسون، كلامه غريب مثلما كان كلام الفهيمال، يكاد يكون غير مفهوم... لكن ليس بالكامل.

ما هو شعور الحياة كل هذا الزمن؟

يقول فولاذي: «أنت ستموتين حينما تفتحين البوابة»، يمنح ناسون بعض الوقت لاستيعاب ذلك، ثم يتابع: «وإن لم تموتي حينها، فبعدها ببعض الوقت، بعد عقود، أو بعد دقائق. سيان. ومهما فعلت شافا

فسيخسر ك. سيخسر الشيء الوحيد الذي أبقاه إنسانًا خلال الوقت الذي حاول فيه الأرض أن يسلبه إرادته. ولن يجد شخصًا جديدًا ليحبه أيضًا، ليس هنا. ولن يسعه العودة إلى السكون مجددًا، إلا لو صار مستعدًا لمخاطرة قطع طريق أعماق الأرض مجددًا. سواء تعافى وحده، أو حولته إلى أحد بني جنسي، لن يجد خيارًا غير متابعة الحياة وحيدًا، يتوق بلا نهاية إلى ما لن يحظى به مجددًا، يخفض ذراعيه ببطء إلى جانبيه، «وليس عندك أدنى فكرة عمًا يعنيه هذا».

وفجأة، من دون تحذير أو علامة على الحركة، يصبح أمام ناسون مباشرة، في طرفة عين، منحنيًا كي يواجهها وجهًا لوجه، وشيكًا، حتى تشعر بهبة الهواء الذي أزاحه وجوده المباغت، وتشم فيها رائحة التربة، بل وتستطيع حتى أن تبصر حدقتي عينيه، وسط تدرجات الرمادي. يصرخ: «أما أنا، فأعرف».

تتعثر ناسون إلى الوراء، وتصرخ بدورها. لكن فولاذي، في طرفة عين أخرى، يعود إلى وضعه السابق، منتصبًا، ذراعه إلى جانبيه، وابتسامة على شفتيه.

«لذا، فكري بحذر»، قالها بنبرة عادية، وكأن شيئًا ما حدث، «فكري بما يتجاوز أنانية الأطفال، يا صغيرتي ناسون. واسألي نفسك: حتى لو استطعت أن تنقذي ذلك الوغد المتسلط السادي، الذي تعدينه الآن في مقام أهلك بالتبني، لماذا تفعلين ذلك؟ حتى أسوأ أعدائي لا يستحق هذا المصير، لا أحد يستحقه».

لا تزال ناسون ترتجف، لكنها تغمغم بشجاعة: «ربما... ربما يود شافا أن يعيش».

«ربما، لكن هل يجب أن يعيش؟ هل يجب أن يعيش أي شخص إلى الأبد؟ هذا هو السؤال».

تشعر بالحمل الغائب الهائل للسنوات التي لا تُحصى، وتستحي ضمناً من كونها طفلة. لكنها، في قلبها، طفلة طيبة، ويستحيل عليها أن تسمع قصة فولاذي، من دون أن تشعر بشيء غير غضبها العادي تجاهه. تشيح ببصرها وهي ترتجف. «أنا... آسفة».

«وأنا أيضاً». وللحظة، لا شيء سوى الصمت. في هذا الصمت، تستجمع ناسون نفسها ببطء، وحينما تستطيع أن تركز عليه مجدداً، تكون ابتسامته قد تلاشت.

يقول: «لن أستطيع أن أوقفك ما إن تفتحي البوابة. صحيح أنني تلاعبت بك، لكن الخيار في النهاية خيارك. لكن خذي في اعتبارك أنني سأظل حياً حتى يموت الأرض يا ناسون. لقد كان عقابه لنا أن يجعلنا جزءاً منه، مصيرنا مقيد بمصيره. الأرض لا ينسى من طعنوه في ظهره... ولا من وضعوا السكين في أيادينا».

تومض عينا ناسون عند نون الجماعة في «أيادينا»، لكن الفكرة تضع في خضم يأسها من أن لا سبيل إلى إصلاح شافا. لقد كان في جزء ما منها، أملاً غير عقلائي بأن فولاذي، بما أنه شخص بالغ، لديه كل الإجابات، بما في ذلك علاج لشافا من نوع ما. أما الآن فأمست تعلم أن أملها كان حماقة، طفولياً. إنها طفلة في النهاية. والآن، البالغ الوحيد

الذي كان من الممكن أن تعتمد عليه، سوف يموت عارياً متألماً عاجزاً،
من دون حتى أن تقدر أن تودعه.

هذا أكثر مما يسعها تحمله. تنهار جالسة، تضم إحدى ذراعيها حول
ركبتيها، والأخرى فوق رأسها، كي لا يراها فولاذي تبكي، حتى لو
كان يعلم بالضبط ماذا تفعل.

يضحك ضحكة خافتة، لكن المفاجأة أنها لم تكن قاسية.

يقول: «لن تحققي شيئاً بإبقاء أي منا أحياء، سوى القسوة. ضعي
حدّاً لمعاناتنا يا ناسون، نحن الوحوش المكسورة، الأرض، وشافا، وأنا،
وأنت... كلنا».

ثم يختفي، تاركاً إياها وحدها، تحت بياض القمر الهائل.

مكتبة

t.me/soramnqraa

سيل أناجيسٽ: هفر

لحظة في الحاضر، قبل أن نعود إلى حديث الماضي.

وسط الظلال الدخانية الساخنة، والضغط الذي لا يحتمل، في مكان بلا اسم، أفتح عيني. لست وحدي.

تنشق أخرى من بني جنسي من بين الصخور. وجهها حاد الزوايا وبارد القسمات، أرستقراطية راقية مثلما يجدر بأي تمثال. لقد احتفظت بشحوب لونها الأصلي، لكنها تخلت عن الباقي. ألاحظ ذلك الآن، بعد عشرات آلاف السنين. أصابتني كل هذه الذكريات بالحنين.

وهذه الذكرى هي ما جعلتني أقول: «چيواه».

تتململ قليلاً، تتحول قسماتها إلى أقرب ما يكون إلى... الألفة؟ الدهشة؟ لقد كنا ذات يوم شقيقتين، صديقتين، ثم خصمين، وعدوين، وغريبين، وأسطورتين. وأخيراً، أمسينا حلفين بحذر. وجدت نفسي أتفكر في بعض مما كنا عليه ذات يوم، لكن ليس كل شيء. لقد نسيت الكثير، مثلها تماماً.

تقول: «أهذا كان اسمي؟».

«بلى».

«هممم. وأنت كنت...؟».

«هواه».

«آه، صحيح».

«أفضلين أنتيموني؟».

تململ خافت آخر، ما يوازي هزة كتف. «لا أفضل شيئاً».

أفكر ولا أنا، لكن هذه كذبة. أنا ما كنت لأخبرك أن اسمي الجديد هواء، لو لم يكن في هذا تحية إلى ما أذكره عن اسمي القديم.

أقول: «إنها عازمة على التغيير».

ترد چيواه، أو أنتيموني، أو أيًا ما تكون ماهيتها الآن: «لاحظت ذلك»، تتوقف للحظة، «هل ندمت على ما فعلت؟».

سؤال أحق. كلنا نادمون على هذا اليوم، بطرق ولأسباب مختلفة. لكنني أقول: «لا».

أتوقع منها التعليق، لكن أظن أن ما عاد هناك ما يُقال. تصدر عنها أصوات خافتة وهي تعود إلى الصخر، وتستقر. إنها تعتزم البقاء هنا معي، وأنا لذلك ممتن. إن بعض الأمور تصبح أفضل حينما لا نواجهها وحدنا.

هناك أمور لم يخبرك بها ألابستر عن نفسه.

أعرف هذا لأنني درستة، فهو جزء منك برغم كل شيء. ومع ذلك، لا يحتاج كل أستاذ إلى إخبار تلميذه بكل تعثر مرّبه في رحلته إلى العظمة.

ما الهدف من ذلك؟ لا يصل أي منا إلى هذه النقطة بين ليلة وضحاها. ثمة مراحل لعملية خيانة المجتمع للمرء. الأولى حينما يتزعزع رسوخ إذعانه، حينما يكتشف اختلافه، أو يدرك النفاق، أو يصيبه سوء المعاملة على نحو غير مبرر أو مفهوم. تتبعها مرحلة الارتباك، ثم نفص ما حسبه الحقيقة عن نفسه، ومن ثم غمر النفس بالحقيقة الجديدة. وحينها لا بد من اتخاذ قرار.

البعض يتقبل قدره. يتلع كبرياءه، ويتناسى الحقيقة، ويتشبث بالزيف باعتباره الحقيقة الوحيدة، ويقرر أنه لا يستحق الكثير. فلو أن المجتمع كله قد كرس نفسه لقمعه، فهو يستحق ذلك بالتأكيد، أليس كذلك؟ وحتى لو كان لا يستحق، فالمقاومة مؤلمة، مستحيلة. على الأقل بذلك يصل إلى السلام، بشكل ما... ولو كان مؤقتًا.

والمقابل هو المطالبة بالمستحيل. فيهمس، ويبكي، ويصرخ: هذا ليس عدلًا. ما فعل به ليس عدلًا، فهو ليس أدنى، ولا يستحق ذلك. وبذلك ما ينبغي تغييره هو المجتمع. يمكن أن يصل إلى السلام بهذه الطريقة أيضًا، لكن ليس من دون صراع.

ولا يبلغ أحد هذه المرحلة من دون بداية متعثرة أو اثنتين.

حينما كان ألابستر شابًا، كان يحب بسهولة. وحتى وقتها كان حانقًا. حتى الصغار يلاحظون حينما يتعرضون للظلم. غير أنه اختار الإذعان، على الأقل وقتها.

والتقى رجلًا، باحثًا، خلال مهمة كلفهما بها المرتكز. ولو لم يكن الرجل مشغولًا بالتنقيب فيما تبين لاحقًا أنه مخزن ألواح قول قديم، ربما

ما كانت هذه القصة تستحق أن تُحكى. ربما كانا سيفترقان بعد بعض الوقت، بشيء من الحسرة مثلاً، والأرجح بلا ضغائن.

لكن ما حدث أن الباحث عرض ما وجدته على ألابستر. سبق أن أخبرك ألابستر أن قول الحجر كان يتضمن أكثر من ثلاثة ألواح قديماً، وأن الألواح الثلاثة الحالية أعادت السانزا كتابتهم. بل في الواقع أعادت السانزا كتابتهم بعدها مرة أخرى، وكانت الألواح قد كُتبت من قبل عدة مرات. اللوح الثالث الأصلي ذكر سيل أناجيست، وذكر كيف ضاع القمر. لكن هذه الحقائق أُعتبرت غير مقبولة مراراً على آلاف السنين. لم يرغب الناس في مواجهة حقيقة أن حال العالم الآن، ليس إلا نتيجة محاولة قوم متعطرسين أنانيين، لإخضاع الكوكب لأمرهم. ولم يكن هناك من هو مستعد لتقبل أن حل هذه الفوضى برمتها، هو ببساطة السماح للأوروبيين بالحياة والازدهار، وفعل ما وُلدوا كي يفعلوه.

كانت المعرفة الناجمة عن مخزن الألواح أكثر من قدرة ألابستر على الاحتمال، فهرب. ضاق بمعرفة أن كل هذا حدث من قبل، أنه سليل قوم مضطهدين، وأن أسلاف هؤلاء أيضاً كانوا مضطهدين، وأن العالم الذي يعرفه لا يمكن أن يستمر من دون إجبار البعض على العبودية. حينها، لم يرَ سبيلاً لوقف العجلة، وأن لا سبيل لطلب المستحيل من المجتمع. فانكسر، وهرب.

وجدته وصيته بالطبع، على بعد ثلاثة أرباع من حيث كان ينبغي أن يكون، هائماً على وجهه بلا وجهة. لكن بدلاً من أن تكسر يده - فهم لديهم أساليب أخرى لعقاب ذوي الخواتم العالية، مثل ألابستر - أخذته

وصيته ليشيت إلى حانة، وابتاعت له شرابًا. سكب دموعه في النبيذ، واعترف أنه ما عاد يقدر على تقبل العالم على حاله. لقد حاول الإذعان، حاول تقبل الكذب، لكن هذا لم يكن عدلاً.

هدأته ليشيت، وأعادته إلى المرتكز، وتركوه سنة كي يتعافى، كي يتقبل مجددًا القواعد والأدوار المصنوعة لأجله. كان راضيًا خلال هذا العام، أعتقد ذلك، وأتيموني تعتقد ذلك، وهي أعلم به مني. استقر هناك، واستولد ثلاثة أطفال، بل وتطوع كي يكون مدربًا للصغار ذوي القدرات العالية. لكنه لم تتسن له الفرصة لذلك فعليًا، لأن الأوصياء كانوا قد قرروا أن هروب ألابستر السابق لا ينبغي أن يمر بلا عقاب. وحينما قابل واهتم بذي عشرة خواتم آخر اسمه هسيونايت...

أخبرتكم أنهم لديهم أساليب أخرى لعقاب ذوي الخواتم العالية. أنا أيضًا فررت، ذات مرة، بشكل ما.

إنه اليوم التالي لعودتي من مهمة الدوزنة بصحبة كلنلي، وقد صرت مختلفًا. أرنو من النافذة الخيطية نحو الحديقة ذات الأضواء البنفسجية، فلا أجد فيها أي جمال. تذبذب أزهار النجوم البيضاء يجعلني أعرف أنها صنعة مهندس جيني، ربطها بشبكة طاقة المدينة كي يغذيها السحر. وإلا فكيف لها بهذا الوميض؟ أرى عناقيد تجري بأناقة على المباني المحيطة، فأعلم أن ثمة بيوماجستي ما يحسب كم اللاموتيرات السحرية التي يمكن حصدها من هذا الجمال. إن الحياة مقدسة في سيل أناجيست... مقدسة، ومربحة، ومفيدة.

هكذا وأنا في هذا المزاج القاتم، تدخل واحدة من صغار المُيسّرين.
اسمها ستاهنين، وكنت أحبها، فهي صغيرة إلى حد أنها لم تكتسب بعد
أسوأ عادات المُيسّرين الأقدم. أما الآن، بينما ألتفت لأراها بالعين التي
فتحتها كلنلي، ألاحظ فيها أمورًا جديدة. في قسماتها حدة، وفمها صغير.
صحيح أن هذه السمات ليست بوضوح بياض عيني المُيسّر جالات
الثلجي، لكن يبدو أن لدينا ها هنا سيل أناجيستية أخرى لم يفهم
أسلافها بالكامل الهدف من الإبادة الجماعية.

تسأل وهي تنظر في دفتر ملاحظاتها إبان دخولها: «كيف حالك
اليوم يا هواه؟ هل أنت مستعد لفحص طبي؟».

أقول: «أشعر برغبة في المشي، هيا نذهب إلى الحديقة».

تنظر إليّ ستاهنين بارتباك وترمش، «هواه، أنت تعلم أن هذا غير
ممكن».

لاحظت أنهم متساهلون في إجراءات تأميننا. ثمة مجسات لمراقبة
وظائفنا الحيوية، وكاميرات لمراقبة تحركاتنا، وميكروفونات لتسجيل
أصواتنا، بل ومجسات لمراقبة استهلاكنا للسحر... لكن لا شيء من هذا
يقدر على قياس عُشر ما نفعله حقًا. كنت لأشعر بالمهانة من ذلك، لولا
أنني فهمت حاجتهم الماسة إلى الظن بأننا أدنى، والكائنات الأدنى لا
تحتاج إلى مراقبة، أليس كذلك؟ إن صنعة السحرة السيل أناجيستيين
لا يمكن أبدًا أن يتجاوزوا قدرات صانعيهم. هذا مستحيل! سخف!
لا تكن أحق.

حسنًا، أنا أشعر بالمهانة بالفعل، وما عدت أطيق فوقية ستاهنين المهذبة.

هكذا أبحث عن خطوط السحر التي تغذي الكاميرات، وأربطها بخطوط السحر التي تغذي بلورات التخزين الخاصة بها، بذلك أجعل الكاميرات لا تعرض سوى اللقطات التي صورتها قبل ساعات، والتي تتكون من مقاطع أنظر فيها عبر النافذة بتأمل لا أكثر. وأكرر ذلك مع معدات الصوت، وأحرص على مسح الحديث المتبادل بيني وبين ستاهنين. أفعل ذلك كله بأدنى قدر من إرادتي، فقد صُممت من أجل التأثير في آلات بحجم ناطحات السحاب، والكاميرات بالنسبة إليّ لا شيء. إن هذا يتطلب سحرًا أقل مما أستخدمه من أجل التوجه إلى الآخرين لقول مزحة.

غير أن الآخرين سسبنوا ما أفعله. يمينوا تشعر بمزاجي المتقلب وتحذر البقية على الفور، لأنني كنت عادةً الشخص اللطيف. فقد كنت، حتى وقت قريب، أوّمن بالجيوأركانية. الساخط من قبل كان رمواه، لكن رمواه الآن صامت كالجليد، يحاول استيعاب ما تعلمناه. وحيواه أيضًا ساكنة، يأسًا، تحاول فهم كيف يمكن المطالبة بالمستحيل. ودوشواه يعانق نفسه أملًا في الطمأنينة، وساليواه تنام كثيرًا. تحذير يمينوا تتلقاه آذان منهكة محبطة غارقة في أنفسها، ولا يلقي غير التجاهل.

وفي تلك الأثناء، تبدأ ابتسامة ستاهنين تذوي، حينما تبدأ تدرك أنني جاد. وقفتها تململ، وتضع يديها على فخذها. «هواه، هذا ليس مضحكًا، لقد حصلت على فرصة للخروج من قبل و...».

وكنت قد فكرت في أكثر طريقة فعالة لإسكاتها. «هل يعلم الميسّر جالات أنك تستلطفينه؟».

تتجمد ستهنين في مكانها. عيناها تجحضان، عيناها البنيتان، لكنها تحب أعين بياض الثلج. رأيت من قبل كيف تنظر إلى جالات، بيد أنني لم أكثر هذا من قبل. ولا أكثر الآن. لكنني أتخيل أن الإعجاب بالأعين النيسية يُعد انحرافًا في سيل أناجيسيت، ولا جالات ولا ستهنين يستطيعان تحمل عواقب أن يُتَهما بمثل هذا الانحراف. سيطرر جالات ستهنين لأقل همسة بذلك... حتى لو همسة مني.

أقرب منها، فتراجع قليلًا، وتعبس من مبادرتي. فنحن، الأدوات المصنوعة، لا نبادر. سلوكي هذا يعد تناقضًا ينبغي أن تبلغ عنه، لكن هذا ليس ما يقلقها. أقول لها برفق بالغ: «لم يسمعني أحد أقول ذلك، ولا يستطيع أحد رؤية ما يحدث في الغرفة الآن. اهديني».

ترتجف شفتها السفلية، قليلًا، قبل أن تتحدث. أشعر بالذنب، قليلًا، لتسببي في توترها. تقول: «لن تتمكن من الابتعاد. لديكم... لديكم نقص فيتامينات، أنت وزملاؤك، ومن دون الغذاء المخصص، الذي نقدمه لكم، ستموتون في غضون أيام».

لم يخطر لي قبل الآن أن ستهنين تحسب أنني أنوي الهروب.

لم يخطر لي قبل الآن الهروب.

ما ذكرته الميسرة فورًا ليس عقبة مستحيل تجاوزها. يسهل عليَّ سرقة الطعام وأخذه معي، لكنني سأموت ما إن ينفد. إن حياتي قصيرة في جميع الأحوال. غير أن ما يقلقني حقًا هو عدم وجود مكان أذهب إليه. العالم كله سيل أناجيسيت.

أكرر: «الحديقة». تلك ستكون مغامرتي الكبرى، هروبي العظيم.

أفكر في الضحك، لكن عادتي في إخفاء المشاعر تحول دون ذلك. بصراحة أنا لا أريد أن أذهب إلى أي مكان، إنما أنا أريد أن أحس ببعض السيطرة على حياتي، ولو للحظات. «كل ما أريده هو رؤية الحديقة لخمس دقائق، لا أكثر».

تنقل ستاهنين حمل وزنها من قدم إلى أخرى، يبدو بؤسها جليًا. «قد أفقد وظيفتي جراء ذلك، خاصة لو رأي أحد كبار الميسّرين. بل قد يسجنونني».

أقترح: «ربما إن سجنوك يعطونك نافذة لطيفة ترى الحديقة». فتجفل.

وحينها، بعدما لا أترك لها خيارًا آخر، تقودني خارج زنزانتني، ونزولًا على الدرج، إلى الخارج.

أكتشف أن حديقة زهور النجوم البنفسجية تبدو غريبة من هذه الزاوية، ناهيك عن أن رائحتها عن هذا القرب شيء مختلف بالمرة. لها رائحة حلوة على نحو غريب، تكاد تكون سكرية، مع ذلك تفوح من تحتها لمسة تخمر خفيفة، من حيث ذبلت بعض الأزهار الأقدم أو انكسرت. ستاهنين تكثر النظر حولها، بقلق، فيما أمشي أنا على مهل، وأتمنى أنها لم تكن بجواري. لكن الحقيقة أنني لا يُسمح لي أن أتجول في أنحاء المجمع وحدي، أما معها، فإن رآنا حراس أو خدم أو مُيسّرون آخرون، سيحسبون ستاهنين أخذتني في مهمة رسمية، ولن يثيروا الأسئلة... فقط لو أنها التزمت الهدوء.

لكنني أتوقف مرة واحدة، خلف شجرة عنكبوتية صغيرة. وتتوقف

ستاهنين أيضًا، وتقطب حاجبيها في حيرة واضحة من سر وقوفي، ثم ترى بدورها ما رأيته، وتتجمد في مكانها.

تخرج كلنلي أمامنا من المجمع، وتقف بين شجيرتين صغيرتين، تحت قوس من الورد. ويتبعها الميسر جالات. تقف مطوية الذراعين، وهو خلفها، يصيح بأشياء من ورائها. لسنا قرييين بما يكفي لسماعهما، لكن نبرة الغضب في حديثه لا شك فيها. أما جسداهما، فيحكيان قصة واضحة وضوح طبقات الأرض المنبسطة.

تغمغم ستاهنين: «أوه، لا، لا، لا، علينا أن ن...».

أهمس: «هدوء». قصدت أن أقول: «اهدئي»، لكنها تصمت على أي حال، وقد وصلتها فكرتي.

ونظل في مكاننا، نراقب جالات وكلنلي يتشاجران. لا أستطيع سماعها بالمرة، ويخطر لي أنها لا يمكن لها أن ترفع صوتها عليه أصلاً، فهذا ليس أمناً. لكن حينما يشدها من ذراعها ويديرها كي تواجهه، تضع كلنلي يدها على بطنها تلقائياً. حركة اليد على البطن هذه تحدث بسرعة بالغة. يتركها جالات من فوره، متفاجئاً على ما يبدو برد فعلها على حركته العنيفة، وهي تعيد يدها بنعومة إلى جانبها. لا أظنه لاحظ ذلك. يتابعان الجدال، وهذه المرة يبسط جالات ذراعيه وكأنها يعرض شيئاً. ثمّة توسل في حركته، غير أنني ألاحظ التيبس في ظهره. إنه يتوسل، لكنه يظن أنه لا يجدر به أن يفعل ذلك. وأفهم أنه حينما يفشل توسله، سيلجأ إلى أساليب أخرى. أغلق عيني، وأتألم وأنا أفهم أخيراً، أخيراً. إن كلنلي واحدة منا، بكل شكل ممكن، هكذا كانت وهكذا ستظل.

بتؤدة، تستجيب. تحني رأسها، متظاهرةً بالرضوخ المتردد، وتقول شيئاً، لكن بغير صديق. يردد الأرض صدى غضبها وخوفها ونفورها. لكن مع ذلك يرتخي ظهر جالات قليلاً، ويتسم، ويلوح بذراعيه أوسع. يعود إليها، ويأخذها بذراعيها، ويتحدث إليها برفق. أتعجب من قدرتها على تحييد غضبه بهذه الكفاءة. وكأنه لا يرى كيف تحيد عنه عيناها وهو يتحدث، ولا كيف لا تجاريه حينما يشدها إليه. تبتسم كلنلي ردّاً على شيء يقوله، لكن حتى من مسافة خمسين قدماً، أرى أن هذا تمثيل. ألا يرى ذلك؟ لكنني بدأت أفهم أيضاً أن الناس يصدقون ما يريدون أن يصدقوه، وليس ما يرونه ويلمسونه ويسببنونه في الواقع.

وهكذا، بعدما هدأ غضبه، يلتفت ويغادر، من طريق آخر لحسن الحظ، غير الذي أختبئ فيه مع ستاهنين. تغيرت هيئته بالكامل، أمسى في مزاج أفضل واضح. يفترض بي أن أكون ممتناً لذلك، أليس كذلك؟ فهو رئيس المشروع، وحينما يكون سعيداً، نصبح جميعاً آمنين أكثر.

تراقبه كلنلي حتى يذهب، ثم تدير رأسها وتنظر نحوي مباشرة. تطلق ستاهنين تأوهاً مكتوماً بجواري، لكنها حمقاء. كلنلي طبعاً لن تبلغ عنا، فسلوكها لم يكن أبداً مثل سلوك جالات.

ثم تغادر كلنلي أيضاً الحديقة، خلف جالات.

كان ذلك درساً، أكثر درس كنت أحتاج إليه على ما أظن. أقول لستاهنين أن تعيدني إلى زنراتني، فتنهد بارتياح. أفك حينما أعود قيود السحر التي وضعتها على معدات المراقبة، وأترك ستاهنين تذهب،

بعدما أذكرها برفق ألا تهوّر. وأتمدد على أريكتي، كي أفكر فيما تعلمته.
وتتوهج في داخلي جمرة تحرق كل ما حولها.

وبعد عدة ليالٍ من عودتنا من مهمة الدوزنة مع كلنلي، تشعل
الجمرة النيران فينا كلنا.

تلك أول مرة نجتمع منذ الرحلة. يتشابك وجودنا معًا، في طبقة
من الفحم البارد، وهو ما يناسب حال رمواه، الذي يرسل هسيسا يشبه
احتكاك الرمل في الشقوق. ذلك صوت/ إحساس/ سسبنة شرايين
الاستنزاف، التوالف. وهو أيضًا صدى الخواء الاستاتيكي في شبكتنا،
الذي خلفه تتلوّاه، وإنتيواه، وأرواه، وغيرهم ممن كانوا معنا ذات يوم.
ويقول هذا هو المصير الذي ينتظرنا ما إن نمنحهم الجيوأركانية.
تردّ جيواه صحيح.

يهسّ مجددًا. لم أسسبته من قبل غاضبًا على هذا النحو قط. كان
خلال الأيام المنصرمة منذ عودتنا، يراكم كل يوم غضبًا على غضب.
لكن هذا كان حالنا جميعًا، والآن وقت المطالبة بالمستحيل. يقول بحسم
علينا ألا نعطيهم شيئًا، وأشعر حينها بعزيمته تحتد، تتوحش. علينا أن
نسترد ما سلبوه منا.

تردد نبضات خافتة تحمل انطباعات وأفعالًا عبر شبكتنا، أخيرًا
تصبح هناك خطة، طريقة لتحقيق المستحيل، ما دمنا لا نستطيع المطالبة
به. تدفق مناسب للطاقة في لحظة مناسبة، بعدما تنطلق الشذرات كلها
لكن قبل أن تفرغ طاقة المحرك. كل هذا السحر، حصيلة عقود من

التخزين، حصيلة حضارة كاملة، حصيلة ملايين من الحيات، كل هذا سيفيض عائداً إلى أنظمة سيل أناجيسيت. أول ما سيحترق سيكون التوالف، وصحبتهم البائسة، وليستريح الراحلون في سلام. بعدها سينفجر السحر فينا، نحن المكون الأضعف في هذه الآلة العظيمة. وحينها سنموت، لكن الموت أفضل مما هو مُحْطَط لُنا، لذا نحن به راضون. بعدما نموت، سيتدفق سحر المحرك البلوتوني بلا قيد في كل موصلات المدينة، فيدمر الشبكة تدميراً لا يمكن إصلاحه. كل محطة طاقة سيل أناجيسيتية ستتهار، ستموت الفهيملات، إلا لو كانت لديها مولدات احتياطية، الأضواء ستنطفئ، المحركات ستوقف، وكل رفاهيات السحر الحديث اللانهائية، ستنمحي من الأثاث والأجهزة وأدوات الزينة. جهود أجيال في التحضير للجيوأركانية ستضيع بلا رجعة. وشظايا المحرك الكريستالية كلها ستصبح أحجاراً ضخمة، معطوبة محروقة بلا قيمة.

لسنا مضطرين إلى أن نكون قاسين مثلهم. سنوجه الشظايا كي تسقط بعيداً عن المناطق الأكثر اكتظاظاً بالسكان. نحن الوحوش التي خلقوها وأكثر، لكننا سوف نكون الوحوش التي نريد أن نكونها ساعة الموت.

هل اتفقنا إذن؟

نعم، رمواه بغضب.

نعم، چيواه بأسى.

نعم، يمينواه باستسلام.

نعم، ساليواه بعزم.

نعم، دوشواه بإنهاك.

وأنا، بثقل كالرصاص، أقول نعم.

وبذلك، اتفقنا.

لكن في داخلي، وحدي، قلت لا، ووجه كلنلي في عين عقلي. لكن أحيانًا، حينما يقسو العالم، ينبغي أن يكون الحب أقسى.

يوم الإطلاق.

جلبوا لنا طعامًا مغذيًا؛ بروتينات وفاكهة طازجة حلوة، وشرابًا قليل لنا إنه من الملذات الرائجة، اسمه: أمّن، يتلون بألوان جميلة حينما تُضاف إليه مكملات الفيتامينات. مشروب مميز ليوم مميز. طعمه طباشيري، لا أحبه. ثم يحين وقت الانتقال إلى الموقع صفر.

إليك شرح مختصر بسيط عن كيفية عمل المحرك البلوتوني:

في البداية، نوقظ الشظايا، التي كانت مستقرة في مقابسها لعقود، تنقل طاقة الحياة عبر المحطات السيل أناجيستية، وتخزن بعضها من أجل استخدام لاحق، بما فيها ما التهمته قسرًا من التوالف. عدا أن الشظايا الآن بلغت سعتها المثالية القصوى من التخزين والإنتاج، وأصبح كل منها محركًا أركانيًا قائمًا بذاته. حينما نستدعيها، ستخلق كل منها من مقبسها. وسنضمهم نحن معًا في شبكة مستقرة، وبعدما ترتد الشبكة من عاكسٍ يُكبر قوة السحر ويركزها أكثر، سنصبّ كل هذه الطاقة في

الأونيكسية. والأونيكسية ستوجه السحر نحو مركز الأرض، فتحفز بدء فيض سحري، تعيد الأونيكسية توجيهه إلى القنوات السيل أناجيسية النهمة. بذلك يصبح الأرض ذاته محركًا بلوتونيًا هائلًا، والدينامو في قلب الأرض سيضخّ سحرًا أكثر مما يُحقن فيه، ومن هنا سيصبح النظام مستمرًا بذاته. وستتغذى سيل أناجيسيت من حياة الكوكب نفسه، إلى الأبد.

(كلمة «جهل» لا تصلح لوصف هؤلاء. صحيح أن أحدًا لم يعرف أن الأرض يمكن أن يكون حيًا في تلك الأيام، لكن كان ينبغي أن نحذر ذلك. إن السحر من الحياة، ولو أن الأرض يطفح بالسحر الذي يريدون حصده... فكان ينبغي أن نحذر).

ما فعلناه حتى الآن لم يكن سوى تجارب. ما كان ينبغي أبدًا أن ننشط المحرك البلوتوني بالكامل على الأرض، فثمة كثير من الأمور المعقدة، مثل انحراف الزوايا، وسرعة ومقاومات الإشارة، والانحناء النصف كروي. غريبة هي هذه الهيئة الكروية للكواكب. إن هدفنا هو الأرض في النهاية، ولهذا لوبقينا على الأرض، فتأثيرنا لن يصيب سوى القمر.

لذلك، لم يكن الموقع صفر على الأرض.

وهكذا، في الصباح الباكر، أخذونا إلى نوع فريد من الفهيملات، مُهندَس جينيًّا بلا شك من سلالة جندب أو شيء مماثل. لهذه المركبة أجنحة ماسية، لكن لها أيضًا أرجل من ألياف الكربون، وتنضح بالطاقة المخزنة فيها. وبينما يقودنا الميسرون نحوها، أرى غيرها من الفهيملات تستعد. سوف يأتي معنا الكثيرون لشهود ختام هذا المشروع العظيم

أخيرًا. أجلس حيث أخبروني، ونربط الأحزمة جميعا، لأن اندفاع الفهيمال، يمكن أن يتجاوز أحيانًا القصور الذاتي السحري... هممم. يكفي أن أقول إن الإطلاق سوف يكون حدثًا ضخماً. صحيح أنه لا شيء مقارنة بالغوص في أعماق شظية حية ملتهبة، لكن أظن البشر يحسبون هذه الأشياء عظيمة مبهرة. نجلس نحن الستة ساكنين، يثقلنا حمل هدفنا المشترك، بينما يثرثر كل من حولنا، وتقفز الفهيمال نحو القمر. وعلى سطح القمر، يستقر حجر القمر، وهي شذرة كابوشونية متلاثلة هائلة، مغروسة في تربة القمر الرمادية. إنها أضخم الشذرات، يوازي حجمها وحدها حجم أي محطة سيل أناجيستية برمتها، والقمر كله مقبسها. وعند حافتها ينتصب مجمع مبانٍ، كل مبنى منهم محمي بإحكام من الظلام المحيط عديم الهواء. لا يختلف المجمع كثيرًا عن ذلك الذي غادرناه من فورنا، باستثناء أنه على القمر. وذلك هو الموقع صفر، حيث سيُصنع التاريخ.

يقودوننا إلى الداخل، حيث يصطف في الممرات طاقم عمل الموقع صفر الدائمين، ويحدقون إلينا بإعجاب فخور، مثلما يُعجب المرء بأدوات جيدة الصنع. يقودوننا إلى المهود، مثل تلك التي كنا نستخدمها كل يوم للتدريب، عدا أنهم هذ المرة، أخذوا كل منا إلى غرفة منفصلة من المجمع. بجوار كل غرفة مقصورة مراقبة للمُيسّرِين، وتصل بين الغرفة والمقصورة نافذة كريستالية واضحة. اعتدت من قبل على العمل تحت المراقبة، لكنني لم أؤخذ إلى غرف المراقبة نفسها من قبل، مثلما يحدث اليوم لأول مرة.

وها أنا أقف، قصير القامة جلي التوتر بسيط الملبس، بين الطوال الأثرياء فاخري الأزياء، ويقدمني جالات بوصفي: «هواه، أفضل المدوزنين عندنا»، وهو تصريح ينمّ إما عن جهل المُيسّرين التام بكيفية عملنا، وإما بتوتر جالات الذي يجعله يحاول قول أي شيء، أو ربما كلاهما. يضحك دوشواه في هزّات ميكروية متتابعة -إن طبقات القمر خفيفة وترايبية وميتة، لكنها لا تختلف كثيرًا عن طبقات الأرض- بينما أقف محلي وأردد تحياتي مجاملة، مثلما يُتوقع مني. ولعل هذا ما يعنيه جالات، أنا المدوزن الأفضل في ادعاء الاهتمام بهراء المُيسّرين.

لكن خلال التعارف وتبادل الأحاديث الصغيرة، وخلال تركيزي في قول الكلام المناسب في الوقت المناسب، يلفت انتباهي شيء؛ حينما ألفت ذات مرة ألاحظ عمودًا بالقرب من آخر الغرفة، يصدر طنينًا خافتًا، وتذبذب داخله طاقات بلوتونية، تخلق حقلاً ساكنًا يحافظ على استقرار شيء ما فيه. وفوق سطحه الكريستالي المقطوع، يحوم...

تلاحظ امرأة في الغرفة نظرتي وتتبعها. إنها أطول قامة وملابسها أكثر تميزًا من الجميع. تقول لجات: «هل أخبرتموهم عن الثقب الاختباري؟».

يجفل جالات وينظر نحوي، ثم نحو العمود. يقول: «لا». لا يخاطبها باسمها ولا يمنحها لقبًا، لكن نبرته شديدة الاحترام. «لم نخبرهم سوى بالضروري».

«أرى أن السياق ضروري، حتى مع أمثالكم». ينزعج جالات من اعتباره منا، لكنه لا يرد بأي شكل. تبدو المرأة مستمتعة. تنحني كي تنظر

إلى وجهي، رغم أنني لست أقصر منها كثيرًا. «أتود أن تعرف ماهية هذا الشيء أيها المدوزن الصغير؟».

أكرها فورًا. أقول: «نعم من فضلك».

تأخذ بيدي قبل أن يمنعها جالات. لا يزعجني ذلك. بشرة يدها جافة. تأخذني إلى العمود، كي تتسنى لي رؤية ما يحوم فوقه جيدًا. في البداية أحسب ما أراه ليس أكثر من كتلة حديد كروية، تحوم فوق سطح العمود ببضع بوصات، ويضيئها من تحتها وهج العمود الأبيض. إنها ليست سوى قطعة حديد، سطحها منقوش بخطوط متشابكة ومتداخلة. هل هي شظية نيزك؟ لا. ثم ألاحظ أن الكرة تتحرك، تدور ببطء حول محورها الشمالي-الجنوبي المائل قليلًا. أنظر نحو الرموز التحذيرية على حواف العمود، فأرى مؤشرات تحذيرية من ارتفاع الضغط والحرارة، وتنبهًا بعدم اختراق الحقل الساكن. وتقول الرموز إن هذا الحقل يعيد خلق البيئة الأصلية للشيء بداخله.

لا أحد يصنع ذلك من أجل مجرد قطعة حديد. أرمش عيني، وأبدل من إدراكي إلى الوضع السسوني والسحري، وأراجع حينما يباغتني الوهج الأبيض. إن هذه القطعة الحديدية تطفح بالسحر؛ سحر مركز متأرجح، تتداخل خيوطه وتتعدد وتشابك في داخلها، وبعضها يمتد إلى خارجها ويذهب... بعيدًا. لا أقدر على تتبع الخيوط المبتعدة، أرى فقط أنها تتجه نحو السماء، لسبب ما. وأدق في الخيوط المرتجفة، فأتجهم.

أقول: «إنه غاضب». ومألوف. أين رأيت مثل هذا السحر من

قبل؟

تحقق المرأة إلى وجهي، ويزجر جالات بضيق، «هواه...».

«لا»، تقولها المرأة وهي ترفع يدها كي تسكته. تركز عليّ مرة أخرى، بنظرة حادة وفضولية. «ماذا قلت أيها المدوزن الصغير؟».

أواجهها. من الواضح أنها مهمة. ربما ينبغي أن أخاف منها، لكنني لست خائفاً. أقول: «قلت إن هذا الشيء غاضب، حانق بشدة، لا يريد أن يكون هنا. هل جلبتموه من مكان آخر؟».

لاحظ بعض ممن في الغرفة الحديث المتبادل. ليسوا جميعاً مُسَرِّين، لكنهم ينظرون نحو المرأة بتوتر وارتباك واضحين. أسمع جالات يكتُم أنفاسه.

تجيني أخيراً: «صحيح. لقد حفرنا ثقباً اختبارياً في إحدى المخططات القطبية. وأنزلنا فيه المجسات، فعادت إلينا بعينة من النواة، من قلب الأرض ذاته»، تبتسم بفخر، «إن وفرة السحر في نواة الأرض، هو ما يجعل الجيوأركانية ممكنة. هذا الاختبار هو ما جعلنا نبني كوربوينت، ونصنع الشظايا، ونصنعكم».

أنظر نحو الكرة الحديدية مرة أخرى، وأندesh من وقوفها بالقرب منها. إنه غاضب، أفكر في هذا مرة أخرى، من دون أن أعرف من أين تأتيني هذه الكلمات. وسيفعل ما يتحتم عليه فعله.

من؟ وسيفعل ماذا؟

أهز رأسي باستياء غير مفهوم، وألثفت نحو جالات. «ألا يجدر بنا أن نبدأ؟».

تضحك المرأة بابتهاج. يرمقني جالات بغضب، لكنه يرتخي قليلاً

حينما يلاحظ ابتهاج المرأة. لكنه مع ذلك يقول: «نعم يا هواه، يجدر بنا أن نبدأ، لو لم يكن عندك مانع...».

(وينحاطب المرأة بلقب واسم، سأنسى كليهما بمرور الوقت. بعد أربعين ألف سنة، لن أتذكر سوى ضحكة المرأة، وكيف أنها كانت لا ترى فارقاً بيننا وبين جالات، وكيف كانت تقف بلا اكتراث قريبة من الكرة الحديدية التي تشع شراً صافياً... وسحراً كافياً لتدمير كل مبنى في الموقع صفر.

وسأتذكر، كيف تجاهلت أنا أيضاً كل تحذير ممكن لما سوف يحدث). يأخذني جالات إلى غرفة المهد، حيث يطلبون مني أن أتسلق كرسي الأسلاك الخاص بي. يقيدون أطرافي، وهو أمر لم أفهمه قط، فأنا حينما أتصل بالجمشتية، لا أكاد أشعر بجسدي، ناهيك عن قدرتي على الحركة. مشروب الأمان جعل شفتي ترتعشان، يبدو أنهم أضافوا إليه محفزاً ما. لم أكن بحاجة إلى ذلك.

أتوجه نحو رفاقي، فأجدهم عاقدين العزم، راسخين كالجرانيت. تظهر على الحائط أمامي صور، تعرض كرة الأرض الزرقاء، وتعرض رفاقي الخمسة الآخرين في مهودهم، ولقطة لكوربينت حيث تحوم فوقها الأونيكسية. ينظر بقية المدوزنين نحوي من صورهم على الحائط. يأتي جالات ويتظاهرون بفحص نقاط اتصالي بالمقعد السلكي، التي يفترض بها أن ترسل قياساتي إلى القسم البيوماجيسي. «أنت من سيتصل بالأونيكسية اليوم يا هواه».

أشعر بـهيواء تنتفض متفاجئة من مبنى آخر في الموقع صفر. إننا

متناغمون معًا بالكامل اليوم. أقول: «ألا يفترض أن كلنلي هي من يمسك بالأونيكية؟».

«ليس بعد الآن». يظل رأس جالات محنيًا وهو يتحدث، ويتفحص قيودي بلا داع، وأتذكر كيف أنه شدّ كلنلي نحوه بنفس الطريقة في الحديقة. أها، أنا الآن أفهم، لقد كان يخشى طوال الوقت أن يخسرها... أن نأخذها نحن منه. يخشى أن تصبح مجرد أداة أخرى في عين رؤسائه. هل ستركونها له بعد تحقيق الجيوأركانية؟ أم هو يخشى أنها أيضًا سوف تُرمى مع التوالف؟ لا بد أنه يخشى ذلك. وإلا ما الذي يجعله يقوم بتغيير حاسم في تشكيلتنا، في أهم يوم في تاريخ البشرية؟

يقول، وكأنه يؤكد تخميني: «يقول البيوماجيستيون إنك تُبدي الآن توافقًا يفوق ما تحتاجه للحفاظ على الاتصال بالأونيكية للوقت المطلوب».

يراقبني أملًا ألا أعترض. فأدرك فجأة أنني أستطيع الاعتراض. من خلال المراقبة اللصيقة لكل قرار يتخذه جالات اليوم، سيلاحظ العديد من الأشخاص المهمين اعتراضي، لو أنني أصرت على أن التشكيلة الجديدة فكرة سيئة. أستطيع، بمجرد رفع صوتي، أن آخذ كلنلي من جالات. أستطيع أن أدمره، كما دمر تيلواه.

لكن هذه فكرة حمقاء عديمة الجدوى، فكيف لي أن أمارس سلطتي عليه، من دون أن أؤذيها؟ فأنا سوف أؤذيها بما يكفي حينما نعيد توجيه المحرك البلوتوني نحو نفسه. أفترض أنها ستنجو من الانفجار السحري المبدئي، حتى لو كانت متصلة بأي من الأجهزة التي سيضر بها التدفق،

فقدرتها كفيفة بدفعه عنها. ثم، بعد الواقعة، ستصبح مثل بقية الناجين، متساوية في المعاناة، لن يعرف أحد حقيقتها، أو بحقيقة طفلها، حتى لو انتهى حاله مثلها. مثلنا. إننا سوف نحررها، كي تسعى نحو النجاة مثل البقية. هذا أفضل من وهم الأمان في قفص ذهبي. هل هو كذلك؟

أفضل مما يمكنك أن تمنحها أنت. أفكر في هذا وأنا أنظر إلى جالات. أقول: «حسنًا». يرتخي قليلًا.

يغادر جالات حجرتي إلى مقصورة المراقبة، مع بقية المُسَيرين. أصبح وحدي، لكنني لست وحيدًا، معي الآخرون. تأتي إشارة البدء، ويبدو أن الزمان نفسه يحبس أنفاسه.

نجن جاهزون.

أولاً: الشبكة.

تناغمنا شديد إلى حد يجعل من السهل، بل من الممتع، التحكم في تدفقات الفضة لدينا، وإلغاء أي ممانعة. يتولى رمواه زمام القيادة، لكنه لا يكاد يحتاج إلى توجيه أي منا لرفع تردده أو خفضه أو تثبيته، فكلنا مصطفون، كلنا نريد ذلك.

وفوقنا، لكن أيضًا في يسير منالنا، يصدر الأرض طنينًا وكأنه حي ينبض. سبق لنا في بداية تدريبنا، أن ذهبنا إلى كوربوينت ورجعنا، وسافرنا عبر الوشاح، ورأينا تدفق السحر الهائل المتمخض من القلب الحديدي-النيكلي للكوكب. إن استغلال ذلك المنبع اللانهائي سيكون أعظم مآثر البشر على الإطلاق. وذلك، حتى وقت قريب، كان ليجعلني فخورًا، أما الآن، فتغمرني أنا والآخرين موجات متتالية من الجذل

المرير. إنهم لم يحسبوا قط أننا بشر مثلهم، لكننا اليوم، سنثبت بأفعالنا أننا أكثر من مجرد أدوات. وحتى لو لم نكن بشرًا، فنحن أناس. ولن يقدرُوا أبدًا على إنكار ذلك مجددًا.

كفانا ثرثرة تافهة.

أولًا: الشبكة. ثم ينبغي حشد شذرات المحرك. نتوجه نحو الجمشتية، لأنها أقرب شذرات الكوكب إلينا. ومع أننا نبعد عنها مسافة عالم كامل، ندرك أنها تصدر طنينًا ثابتًا منخفض النغمة، بينما تتوهج مصفوفة التخزين فيها وتفيض بالطاقة ونحن نغوص فيها، نغوص صعودًا، وسط التدفق الغزير. كانت قد أكملت امتصاص آخر قطرات سحر التوالف حول قاعدتها، وأمست نظامًا مغلقًا على نفسه، والآن، تبدو كما لو أنها حية. وحينما نحفزها كي تنتقل من السكون إلى النشاط الفعال، تبدأ تنبض، ثم تتوهج بأنماط تحاكي الحياة، مثل نبضات الموصلات العصبية أو تقلصات الأمعاء. هل أمست حية؟ أتساءل عن هذا لأول مرة، تساؤلًا أثارته دروس كلنلي. إنها جسم مادي، لكنها تتواجد على التوازي مع حالة سحرية لها نفس هيئتها، سحر مسلوب من أجساد قوم، كانوا ذات يوم يضحكون ويغضبون ويغنون. هل لا يزال يوجد أي أثر لإراداتهم القديمة في الجمشتية؟

ولو أن هذا صحيح، فهل كان النيسيون سيؤيدون ما نفعله؟ نحن أبناءهم الممسوخون منهم؟

ما عدت أقدر على إضاعة وقت أكثر في مثل هذه الأفكار. لقد انعقد العزم.

هكذا نبدأ في تحفيز تسلسل الإطلاق على أوسع نطاق في الشبكة. نسسبن بلا سسبيننا. نشعر بالتغيير. ندرك هذا حتى عظامنا... لأننا أجزاء من المحرك، مكونات في أعظم معجزة عرفتھا البشرية. وعلى الأرض، في قلب كل محطة سيل أناجيسية، تنطلق صافرات الإنذار وتتوهج الأبراج المحيطة بالشذرات بالأحمر، حتى تمكن رؤيتها من مسافات. وتبدأ الشذرات، واحدة تلو أخرى، تحقق وتتألاً، وتنفصل عن مقابسها. يتسارع تنفسي وأنا أتناغم مع كل منها، وأشعر بتقشر الصخور الخشنة من الكريستالات الناعمة، وبالقصور الذاتي بينما نعلو ونبدأ ننبض، نتذبذب، بين حالتي السحر والمادة، ثم نرتقي...

(عند التماع هذه اللحظات الجلييلة في عدسة الذاكرة، ثمة زلة صغيرة، عابرة ولا تكاد تُلاحظ. بعض الشذرات تؤلمنا، ألماً واهناً جداً، وذلك حينما تنفصل عن مقابسها. نشعر باحتكاك معادن ما كان ينبغي أن توجد، وخدوش إبر في الجلود الكريستالية، ورائحة صداد. ذلك ألم عابر يُنسى بسهولة، مثلما هو ألم أي وخزة إبرة. لن نتذكره إلا لاحقاً، ونبكيه). ... نرتقي، ونطنّ، وندور. أتنفس بعمق وأنا أراقب المقابس وما يحيط بها من تضاريس المدينة تختفي من نطاق الرؤية أسفلنا. تنتقل سيل أناجيسية إلى أنظمة الطاقة الاحتياطية، التي ينبغي أن تكفيها حتى تقوم الجيوأركانية. لكن هذه أمور تافهة لا تهم. أطفو، أطيرو، وأقع إلى أعلى في ضوء متدفق يتأرجح بين البنفسجي والنيلى والأرجواني والذهبي، أتمدق مع الإسبينلية والتوبازية والعقيقية والياقوتية الزرقاء... وغيرها... يا لكل هذا النور! نور يحيا بكل تلك القوة المتنامية.

(نور يحيا، أفكر في هذا مجدداً، وترسل هذه الفكرة رجفة عبر الشبكة، لأن حيواه كانت تفكر فيها أيضاً، ودوشواه. ورمواه، الذي يقودنا في مهمة كسر الحياة مثل خط صدع، يقول: سنموت لو لم تركزوا!! فأتجاهل هذه الفكرة مؤقتاً).

و... آه، نعم... على الشاشة، وفي مركز وعينا الجمعي، مثل عين تحرق من محجرتها: الأونيكسية. في مكانها، حيث أودعتها كلنلي آخر مرة، فوق كوربوينت.

أتوجه إليها، وأنا أقول لنفسي إنني لست متوتراً.

ليست الأونيكسية مثل بقية الشذرات. حتى حجر القمر يتواضع عند المقارنة بها، فهو في النهاية ليس أكثر من مرآة. إن الأونيكسية قوية، مرعبة، ظلمة حالكة لا يُسبر لها غور. وبينما بقية الشذرات تحتاج إلى تحفيز ومخاطبة، تنتزع الأونيكسية وعي انتزاعاً ما إن أقرب منها. حينما حاولت الاتصال بها من قبل، لفظتني، مثلما لفظت بقيتنا. حتى أفضل خبراء السحر السيل أناجيستيون لم يفهموا لذلك سبباً. أما الآن، فما إن عرضت نفسي على الأونيكسية حتى استولت عليّ. أفهم السبب مرة واحدة. إن الأونيكسية حية. الأمر الذي لا يتجاوز التساؤل في حالة بقية الشذرات، إجابته هنا لا مرأى فيها. إنها تسسبني. تتعلمني. تلمسني بحضورها الذي غدا فجأة لا يُنكر.

وفي اللحظة التي أدرك فيها هذا، أحظى بوقت كافٍ أتساءل فيه بذعر: كيف يراني ذلك الحضور الهائل؟ أنا، سليلهم المثير للشفقة البائس، المصنوع من مزيج من جيناتهم وكراهية قاتليهم...

... وأستوعب أخيرًا سرًّا لم يفهمه أحد، حتى خبراء السحر النيسيون القدامى قبلوه فقط دون أن يفهموه. فالسحر في النهاية ليس علمًا، وسيظل فيه جوانب لا يمكن فهمها. لكنني الآن أعرف أنك لو وضعت ما يكفي من السحر في شيء غير حي، يحيا. غذى مصفوفة تخزين بقدر كافٍ من الحيات، ستحتفظ المصفوفة بإرادتهم الجماعية على نحو ما. سيظل ما تبقى منهم... أرواحهم لو تفضل هذه التسمية، ستظل تتذكر الأهوال والفظائع التي شهدتها.

هكذا تنصاع الأونيكية لأمرى، لأنها الآن، أخيرًا، تشعر أنني أيضًا عرفت الألم. فقد انفتحت عيني ورأت ما نتعرض له من استغلال وامتهان. إنني بالطبع خائف، وحانق، وموجوع، لكن الأونيكية لا تأبه بهذه المشاعر المعتملة بداخلي، وإنما تبحث عن شيء آخر، شيء أكبر، وتجده أخيرًا يضطرم في جرة خلف قلبي: العزم. لقد كرست نفسي لتصحيح كل هذا الخطأ في العالم.

وذلك ما تريده الأونيكية. العدل. ولأنني أريد ذلك أيضًا... أفتح عيني جسدي، وأبلغ الميسرين: «لقد فعلت كابوشونة التحكم». يقول جالات: «علم»، وينظر نحو الشاشة التي تعرض مؤشراتنا البيوماجيستية العصبية. ينفجر التصفيق بين المراقبين، ويخالجنى احتقار مباغت لهم. لقد أخبرتهم أدواتهم العقيمة وسسبيناتهم المتواضعة، ما هو واضح لنا وضوح الشمس: قام المحرك البلوتوني واشتغل.

الآن، وبعدها انطلقت الشذرات كلها، وأخذت تحوم وتطنّ وتتذبذب فوق مئتي وست وخمسين مدينة ونقطة طاقة زلزالية، نبدأ في

مرحلة التسارع. تقوم أولاً الشذرات المحفزة ذات الألوان الباهتة، تليها شذرات المولدات غامقة اللون. وتؤكد الأونيكسية على هذا التسلسل المبدئي بصوت واحد ثقيل، يثير تموجات ضخمة فوق المحيط الذي يغطي نصف العالم.

يقشع جسدي، ويدق قلبي بثقل، وفي مكان آخر، في وجود آخر، أكور قبضتي. لقد فعلناها، من خلال ستة أجساد متفرقة تفرقاً بلا قيمة، ومثني وست وخمسين ذراعاً وقدمًا، وقلب أسود نابض واحد. ينفتح فمي (تفتح أفواهنا) فيما تعدل الأونيكسية من نفسها على أكمل وجه، كي تبدأ تستنزف سحر الأرض المضطرم دائماً وأبداً، في قلبه المكشوف بالأعماق. حانت اللحظة التي صُنعت لأجلها.

ما يفترض بنا أن نقول: الآن، ليكن الاتصال، ولنقيد التدفق السحري الخام للكوكب، في دورة أبدية لخدمة البشر.

لأن هذا ما صنعنا السيل أناجيستيون لأجله، صنعونا كي نؤكد فلسفتهم. الحياة مقدسة في سيل أناجيست، مقدسة لأن المدينة تحرق الحياة وقوداً لمجدها. لم يكن النيسيون أول من طحتهم أسنانها، وإنما آخر حلقة في سلسلة سحق العديدين. لكن في مجتمع بُني على الاستغلال، ليس هناك خطر أعظم من ألا يعود هناك من يجمعونهم. والآن، إن لم يحدث شيء، سيتحتم على سيل أناجيست أن تجد سيلاً جديداً لتفتيت شعبها إلى مجموعات فرعية، وخلق الصراعات بينهم. لا تنتج النباتات والكائنات المعدلة وراثياً سحراً كافياً. ينبغي أن يعاني أحدهم كي يستمتع البقية بالرفاهية.

واختار المنطق السيل أناجيستي الأرض. من الأفضل أن نستعبد
جسمًا ساكنًا ميتًا، لن يشعر بالألم ولن يعترض. وهكذا وُلدت
الجيوأركانية. عدا أن هذا المنطق يظل معيوبًا، لأن سيل أناجيست في
جوهرها غير مستدامة، فهي كائن طفيلي، يزداد نهمه للسحر مع كل
نقطة يلتهمها. والمعين الأرضي ليس بلا نهاية، وبعد خمسين ألف سنة
سينضب مثل غيره، ويموت كل شيء.

إن ما نفعله بلا جدوى، والجيوأركانية كذبة. ولو أننا ساعدنا سيل
أناجيست على متابعة هذا الطريق، فهذا كأننا نقول لهم: ما فعلتم بنا كان
عدلاً وطبيعياً ولا مناص منه.
لا.

هكذا نقول: الآن، ليكن الاتصال، بين الشذرات والأونيكسية،
وبين الأونيكسية... وسيل أناجيست. نفصل حجر القمر بالكامل
عن الدورة، والآن، كل الطاقة المخزنة في الشذرات ستندلع في المدينة،
وحينها يموت المحرك البلوتوني، ستموت سيل أناجيست أيضًا.
يبدأ هذا وينتهي قبل أن تلاحظ مستشعرات الميسرين أي مشكلة.
وبينما أنا ورفاقي مترابطون، تسكن أغنيتنا، ونصمت بينما نستقر وننتظر
التغذية العكسية كي تعود فتضربنا. وأجد نفسي راضيًا. جيد أنني لن
أموت وحيدًا.

لكن.

لكن...

تذكري، لم نكن وحدنا من اختاروا المقاومة في ذلك اليوم.

لن أدرك هذا إلا لاحقاً، حينما أزور أطلال سيل أناجيست وأفحص المقابس الخاوية، وأرى الإبر الحديدية المنبثقة من الحوائط. إن هذا عدو، عدو لن أفهمه إلا بعدما أتواضع، وأعيد تشكيل نفسي تحت أقدامه... لكنني سوف أفسره الآن، كي يتسنى لك أن تتعلمي من معاناتي.

أخبرتكَ قبل وقت ليس ببعيد عن حرب، بين الأرض والحياة فوق سطحه. إليك بعض التفاصيل عن سيكولوجية العدو: الأرض لا يرى فرقاً بين أي منا، لا فرق بين أوروچيني وراكد، وسيل أناجيستي ونيسي، ومستقبل وماضي، بالنسبة إليه، البشرية هي البشرية. وحتى لو كان الآخرون هم المسؤولين عن صناعي وتكويني، وحتى لو كانت الجيوأركانية حلم سيل أناجيستي من قبل حتى أن يولد المُيسرون، وحتى لو كنت أطيع الأوامر لا أكثر، وحتى لو كانت نيتنا نحن الستة هي المقاومة، فالأرض لا يكثرث بأي من ذلك. كلنا مذبنون في نظره، كلنا مشاركون في جريمة محاولة استعباده.

والآن، بعدما صرنا في عين الأرض جميعاً مذبنين، حكم علينا بالعقوبة. وهنا، على الأقل، كان مستعداً على ما يبدو ليأخذ في اعتباره النوايا الطيبة وحسن السلوك.

هذا ما أذكره، وما استنتجته لاحقاً، وما أعتقد. لكن تذكري، لا تنسي، أن هذه كانت بداية الحرب لا أكثر.

نلاحظ الخلل في البداية وكأنه شبح في الآلة.

وجود مغاير بجوارنا، بداخلنا، قوي ومقتحم وهائل. ينتزع
الأونيكسية من قبضتي انتزاعاً قبل أن أفهم ما يحدث، ويُسكت جميع
إشاراتنا التي تقول ماذا؟ وثمة خطب ما وكيف حدث ذلك؟ يسكتنا
بموجة صادمة من حديث الأرض، تصعقنا مثلما سيصعقكم الصدع
ذات يوم.

أهلاً، أيها الأعداء الصغار.

في غرفة الملاحظة، تدق أجراس الإنذار أخيراً. نُصعق في مقاعدنا
السلكية، نصرخ من دون كلمات، وتجيئنا أشياء تفوق مدى إدراكنا. يبدأ
البيوماجستيون يلاحظون وجود مشكلة، حينها ينقطع الاتصال فجأة
عن تسعة في المئة من المحرك البلوتوني، أي سبع وعشرين شذرة. لا
أرى المُيسّر جالات يشهق ويتبادل النظرات المذعورة مع رفاقه وضيوفه
المرموقين، وإنما أؤمن هذا من معرفتي به. أتخيل أنه في لحظة ما، يتجه
إلى لوحات التحكم كي يوقف الإطلاق. ولا أرى أيضاً الكرة الحديدية
خلفه، تنبض وتتورم، وتنفجر، فتدمر الحقل الساكن الذي كان يحتويها،
وتحترق كل من في الغرفة بإبر حديدية حادة ملتهبة. لكنني أسمع
الصراخ الذي يلي ذلك، بينما تجري الإبر الحديدية الملهبة في عروقهم
وتحرق كل ما في طريقها، وبعد ذلك يسود الصمت المهيب. غير أنني
كنت أعاني نصيبي من المشاكل آنئذٍ.

رمواه، أسرعنا بديهية، يصفعنا جميعاً كي نستفيق من الصدمة بقوله
إن شيئاً آخر يتحكم في المحرك. لا وقت للتساؤل من أو لماذا. تدرك
جيوه إجابة سؤال كيف، وترد بإشارة محمومة أن الشذرات السبعة

وعشرين المنقطعة عن الشبكة، لا تزال نشيطة. بل هم في الواقع قد شكلوا معًا شبكة فرعية، مفتاحًا احتياطيًا. هكذا تمكن ذلك الوجود الغريب من الاستيلاء على التحكم في الأونيكسية. والآن جميع الشذرات، التي تتضمن وتولّد كامل قدرات المحرك البلوتوني، تحت تحكم دخيل عدواني.

أنا بطبعي كائن ذو كبرياء، وهذا لا يحتمل. لقد مُنحت الأونيكسية، لذا، أقبض عليها مجددًا، وأعقد الارتباطات التي تشكل في مجملها المحرك، وبذلك أفصلها عن ذاك التحكم الزائف بالكامل. ساليواه تضرب موجة السحر الصادمة التي سببها ذلك الاقتحام العنيف، خشية أن ترتد عبر المحرك وتثير رنينًا قدي... بصراحة لا علم لنا بما قد يسببه، لكن سيكون سيئًا بالتأكيد. أحاول التماسك عبر الصدمات الارتدادية، تنكشف أسناني المنضغطة بعضها في العالم الحقيقي، بينما إخوتي يصرخون أو يجزّون مثلي أو يلهثون، وسط الهزّات الناجمة عن الاضطراب الأولي. كل شيء مرتبك. في عالم اللحم والعظم، كانت أنوار غرفنا قد انطفأت، لم يعد من ضوء إلا وهج ألواح علامات الطوارئ على حواف الغرفة. تلحّ صافرات الإنذار وما من مجيب، وأسمع من أماكن أخرى في الموقع صفر المعدات ترتج وتنفلق، تحت وطأة الحمل الزائد الذي فرضناه على النظام. الميسرون، الصارخون من غرف الملاحظة، لا يمكنهم أن يساعدونا، ولم يكن بوسعهم ذلك أبدًا. لا أعلم ما الذي يحدث في الواقع. أعلم فقط أن هذه معركة، والفوضى كانت دومًا سمة المعارك، ومن الآن فصاعدًا لن تعود الأمور واضحة...

الحضور الغريب الذي هاجمنا، يشدّ بقوة المحرك البلوتوني، يحاول انتزاع التحكم مني مرة أخرى. أصرخ فيه بغضب عارم/ اذهب من هنا، دعنا وشأننا.

يجب بفحیح من الأعماق أنتم من بدأ هذا، ويحاول انتزاع التحكم مجدداً. لكنه حينما يفشل، يزجر إحباطاً، ثم يربط نفسه من جديد بالشذرات السبعة وعشرين التي انفصلت عن الشبكة على نحو غامض. يستشعر دوشواه بالنية العدوانية للكيان الدخيل، فيحاول أن يقبض على بعض تلك الشذرات، لكنها تنسل من بين يديه وكأنها مدهونة زيتاً. وهذا المجاز يكاد يكون حقيقة، فلقد لوث شيء ما هذه الشذرات، فأمتست معيوبة وعصية على الإمساك. قد نتمكن من القبض عليها تباعاً لو ركزنا مجهودنا معاً، لكن لا وقت. وهكذا تظل الشذرات السبعة وعشرين في يد العدو.

حالة شلل. لا نزال نقبض على الأونيكسية، لا نزال نقبض على مئتي وتسع وعشرين شذرة، جاهزين لإطلاق النبضة الارتدادية التي ستدمر سيل أناجيس، وتدمرنا. لكننا أجلنا ذلك، لأننا لا نستطيع ترك الأمور بهذا الحال. من أين جاء هذا الكيان الغاضب هائل القوة؟ ما الذي سيفعله بالشذرات التي يمسكها؟ تمر لحظات طويلة في صمت مشحون. لا أعلم ما الذي يحسبه الآخرون، لكنني أبدأ أظن أنه لن تحدث هجمات جديدة. لطالما كنت أحرق.

ومن هذا الصمت، يأتي تحدّ ساخر خبيث من عدونا، ينقله لنا عبر مزيج من السحر والحديد والحجر.

يقول الأب الأرض ليحترق العالم لأجلي.

حتى بعد عصور قضيتها في تحري الإجابات، لا زلت مضطراً إلى تخمين بعضاً مما حدث بعد ذلك.

ما عدت أستطيع سرد ما حدث، لأن كل شيء وقع لحظياً تقريباً آنذاك، وعلى نحو مربك وكاسح. إن تبدل الأرض تدريجي بطيء عادةً، إلى أن يقرر غير ذلك. وحينما يقرر أن يقاوم، يفعل ذلك بحسم تام.

إليك السياق: ذلك الثقب الاختباري الذي دشن بدء مشروع الجيوأركانبة، نبه الأب الأرض إلى سعي البشر إلى التحكم فيه. وعلى مدار العقود التالية، درس الأرض عدوه، وبدأ يفهم نواياه. والمعدن كان أدواته وحليفه، لذا نص القول بعدم الثقة بالمعادن أبداً. أرسل الأرض قطعاً من نفسه إلى السطح، من أجل فحص الشذرات في مقابسها، ففي تلك الشذرات، على الأقل، كانت توجد حياة مخزنة في الكريستال، حياة في كيان من مواد غير عضوية يقدر أن يفهمها، فلم يكن يستطيع استيعاب الحياة في اللحم بعد. سيقدر على ذلك لاحقاً، حينما يتعلم كيف يتحكم في الحياة البشرية الفردانية، لكن ذلك سيتطلب منه استخدام حجر الأساس كوسيط. أما في غير تلك الحالة، فنحن كائنات صغيرة تافهة عصية على قبضته، كالحشرات عديمة الأهمية، باستثناء نزوعنا المؤسف أحياناً إلى جعل أنفسنا مهمين أهمية خطيرة. أما المسلات فكانت أيسر على فهمه واستخدامه، يسهل قلبها علينا، مثل سلاح في يد طائشة.

فليحترق العالم.

أتذكرين ألياً؟ تخيلي تلك الكارثة إذن مضاعفة مئتين وخمس وستين مرة. تخيلي السكون مثقوبة عند كل محطة سبل أناجيسية، وقد أمست كلها مناطق نشيطة زلزالياً، والمحيط أيضاً وقد امتلأ بالبقع الساخنة، وجيوب الغاز والنفط فيه وقد انشقت، وجميع الطبقات التكتونية وقد أمست غير مستقرة. لا يوجد كلمة تصف كارثة مثل هذه، من شأنها أن تذيب سطح الكوكب بالكامل، وتبخير المحيطات، والقضاء على حياة كل شيء فوق الوشاح. هذا كفيل بالقضاء على العالم بالنسبة إلينا، وبالنسبة إلى كل كائن قد يتطور في المستقبل إلى حد يؤذي الأرض. أما الأرض نفسه، فسيظل على ما يرام. إن أردنا، بوسعنا إيقاف ذلك.

لا أزعـم أننا لم نشعر بالإغراء، حينما وُضعنا أمام الاختيار بين السماح بتدمير الحضارة، والقضاء على الحياة كلها على الكوكب. لا يختلطن عليك الأمر، كان مصير سبل أناجيسـت محسوماً في جميع الحالات. الفارق بين ما أـرادـه الأرض وما أردناه نحن، كان مسألة حجم لا أكثر. كيف سينتهي العالم إذن؟ نحن المدوزنين لم نهتم حينها كثيراً بالمسألة، فسوف نموت في جميع الأحوال. ليس من الحكمة أبداً إلقاء مثل هذه الأسئلة، على قوم ليس لديهم ما يخسرونه.

إلا أنا، فقد كان لديّ ما أخسره. في تلك اللحظات التي دامت كالأبد، فكرت في كلنلي، وفي طفلها.

وبذلك كانت لإرادتي الأولية في الشبكة. وإن كان لا يزال لديك أي شك، فسأقولها الآن بصراحة: أنا من اختار كيف انتهى العالم.

أنا من تولى التحكم في المحرك البلوتوني. لم نقدر على إيقاف الاحتراق، لكن تمكنا من زرع تأخير في تسلسل حدوثه، وبدلنا مسار أسوأ طاقاته. أمست الطاقة بعد تدخل الأرض فائقة الثقل، وما عاد من الممكن قلبها على سبيل أناجيسست كما خططنا من قبل، فذلك سيحقق خطة الأرض. لو أنني أردت للبشرية النجاة، فينبغي تصريف هذا القدر من الطاقة في مكان آخر، مكان ليس على الكوكب... وكان القمر موجودًا، وعليه حجر القمر، جاهزًا منتظرًا.

كنت متعجلًا، ولا مجال للتردد. لا يمكن أن نترك حجر القمر يعكس الطاقة كما يُفترض به أن يفعل، فذلك سيزيد طاقة الإحراق على سطح الأرض. بدلًا من ذلك، قبضت على الآخرين بصيحة غاضبة وأجبرتهم على مساعدتي - وكانوا راغبين في ذلك، لكن ببطء - ودمرنا كابوشونة تحكم حجر القمر.

وضربت الطاقة في اللحظة التالية شذرة القمر المتضررة، فعجزت عن عكسها، وبدأت الطاقة تنخر جسم القمر ذاته. وحتى مع ذلك، كانت قوة الاصطدام صاعقة، أكثر من كافية لرمي القمر من مساره.

كان ينبغي أن يؤدي رد الفعل الناجم عن إساءة استخدام المحرك إلى موتنا، لكن الأرض لم يزل هناك، شبحًا في الآلة. وبينما كنا نلفظ أنفاسنا الأخيرة، والموقع صفر بأكمله ينهار حولنا، تولى الأرض زمام التحكم مرة أخرى.

سبق أن ذكرت أنه عدنا مسؤولين عن محاولة تهديد حياته، وكان ذلك صحيحًا، لكنه بشكل ما، ربما عبر سنوات الدراسة الطويلة، فهم

أننا كنا أدوات في أيدي آخرين، ولسنا فاعلين لنا إراداتنا الحرة. تذكرني أيضًا أن الأرض لا يفهمنا بالكامل، فهو ينظر إلى البشر فيرى كائنات هشة عابرة، ذوات حائرة منفصلة في المادة والوعي عن الكوكب الذي تعتمد عليه، لا تفهم الأذى الذي تسببه، وذلك ربما لأنهم كائنات هشة عابرة منفصلة عنه. وهكذا اختار لنا ما بدا له عقابًا عميق المعنى: جعلنا جزءًا منه. من مقعدي السلكي صرخت، بينما يضربنا الأرض بموجة خيمائية إثر أخرى، غيرت لحمي إلى سحر حي خام، صلب، يبدو كالحجر.

لم يختَر لنا العقاب الأسوأ، الذي اختاره لأكثر من أساءوا إليه، أي استخدم شظايا حجر الأساس المعدنية، للتحكم الكامل في تلك الحشرات البشرية القذرة. لكن هذا لم ينجح كما أراد. إن الإرادة البشرية أعصى على التوقع من الجسد.

لن أصف لك الصدمة والاضطراب، اللذين اجتاحاني في تلك الساعات الأولى بعد التحول. ولن أقدر أبدًا أن أجيب عن سؤال كيف عدت من القمر إلى الأرض. لا أذكر إلا الكوابيس، وسقوط واحتراق بلا نهاية، ولعل ذلك ليس أكثر من هذيان. لن أطلب منك حتى أن تتخيلي شعوري، حينما وجدت نفسي فجأة وحيدًا، بلا نعمة، بعدما قضيت حياتي أغني لأمثالي. كان هذا عدلًا، وتقبلته. أعترف بجريمتي، وسعيت إلى التكفير عنها. لكن...

ما حدث، حدث.

لقد نجحنا، في آخر لحظتنا قبل التحول، في إلغاء أمر الأرض بإحراق متي وتسع وعشرين شذرة. بعض تلك الشذرات تفتت تحت

وطأة الضغط، وبعضها سوف يموت على مدى ألوف السنين التالية، إذ ستتعلل مصفوفتها بفعل قوى أركانية غير مفهومة. أما أكثرها فسيظل في وضع الاستعداد، هائمًا لألوف السنين فوق عالم لم يعد يحتاج إلى قواها، إلا، أحيانًا، حينما يرسل أحد الكائنات الهشة بالأسفل إشارات مرتبكة مشوشة تطلب الوصول.

بيد أننا لم نقدر على إيقاف شذرات الأرض السبعة وعشرين، قدرنا فقط على إيلاج أمر تأخير في بنيتها الكريستالية: مئة سنة. لم تخطئ الحكايات سوى في التوقيت. بعد مئة سنة من ضياع ابن الأرض من أبيه، اخترقت سبع وعشرون شذرة ملتهبة قلب الكوكب، مخلقة جروحًا نارية على سطحه. لم تكن تلك النار المطهرة التي أرادها الأرض، لكنها كانت أول وأسوأ موسم خامس... ذلك الذي تسمونه موسم الانشقاق. استطاعت البشرية النجاة، لأن مئة عام لا تعني شيئًا للأرض، أو حتى في امتداد تاريخ البشر الطويل. لكن من نجوا من انهيار سيل أناجيس، حظيوا بوقت كافٍ للاستعداد.

واختفت من السماء أطلال القمر، النازف من جرح قلبه، في غضون أيام.

...

ولم أرَ كلنلي ولا طفلها بعد ذلك. اعتراني خزي بالغ من تحولي إلى وحش، وحال بيني وبين البحث عنهم. لكنها عاشت. ومن حين إلى آخر، أسمع صوتها الحجري، وأصوات أبنائها العديدين. ولم يكونوا وحيدين تمامًا، فقد استطاع الناجون من سيل أناجيس صبّ قليل

من المدوزنين الجدد، واستخدموهم في إقامة الملاجئ، ووضع الخطط الاحتياطية وأنظمة التنبيه والحماية. لكن هؤلاء المدوزنين سيموتون مع الوقت، بعدما تنتفي الحاجة إليهم، أو حينما يلومهم البقية على إثارة غضب الأرض. لن يبقى إلا أبناء كلنلي، الذين لم يبرزوا، الذين أخفوا قواهم عن العالم. ولم يبقَ من النيسيين إلا إرث كلنلي، على هيئة القوالين، الذين تنقلوا من مستعمرة إلى أخرى، كي يحذروا الباقين من المحرقة القادمة، ويعلموهم كيف يتعافون، وكيف يتكيفون، وكيف يتذكرون: وهذا نجح، ونجوتهم. كان هذا أيضًا بفضللي، أليس كذلك؟ فعلت ما بوسعي، وساعدت حيثما قدرت. والآن، يا حبيبتي، أمامنا فرصة ثانية.

حان وقت إنهاء العالم مرة أخرى.

٢٠٥١: تحول خط صدع ضخّم على طول الصفيحتين الصغرى والكبرى. اجتاحت موجة صدمة عظيمة نصف الشمال الأوسط والقطب، لكنها توقفت عند الحافة الخارجية لشبكة التوصيل الاستوائية. أسعار الطعام زادت بشدة في العالم التالي، لكن لم تحدث مجاعة.

يتر مبتكر ديارس - سجلات المشروع

ناسّون وإيسّون، في جانب العالم المظلم

وكان عند الغروب أن قررت ناسّون تغيير العالم.

كانت قد قضت اليوم متكورة إلى جوار شافا، تتوسد ملابسه التي ما زالت متسخة بالرماد، تتنفس رائحته وتتمنى أشياء مستحيلة. في النهاية تنهض، وتطعمه بحذر بالغ آخر ما بقي من مرق الخضراوات الذي طبخته، وتسقيه ماءً كثيرًا. فحتى بعد أن جذبت القمر إلى مسار الاصطدام، لا يزال أمام الأرض حفنة أيام قبل التهشم الكامل. ولا تريد لشافا أن يشتد عناؤه في هذه المدة، خاصة وأنها لن تكون موجودة كي تعتني به.

(إنها، في قلبها، طفلة طيبة. لا تغضبي منها، فهي لا تقرر إلا من خلال منظار تجارها المحدودة، وليس ذنبها أن أكثر هذه الخبرات كارثية. بل يجدر بك أن تتعجبي من كيف لها أن تحب بهذه السهولة، بهذا العمق. إن الحب لقادر على تغيير العالم! ولقد تعلمت أن تحب بهذا النحو من مكان ما).

وبينما تمسح المرق المسكوب من شفثيه بقطعة قماش، تتوجه إلى

أعلى، وتبدأ تفعل شبكتها. تستطيع هنا في كوربوينت أن تفعلها من دون الأونيكسية، لكن بدء التشغيل يستغرق وقتًا.

تقول لشافا بوقار: «نُقش القول على الحجر»، فتفتتح عيناه للحظة، ويرمش، ربما استجابةً لصوتها. لكنها تعلم أن هذا بلا معنى.

لقد قرأت تلك الكلمات من ذلك الكتاب الغريب بخط اليد، ذلك الذي عرفت منه كيف تستخدم شبكة مسلات صغيرة كمفتاح احتياطي، لتقويض سلطة الأونيكسية على الشبكة. وعلى الأرجح، كان الذي كتبه مجنون، والبرهان على ذلك حقيقة أنه على ما يبدو أحب أم ناسون قبل زمن بعيد. هذا غريب، وخطأ، عدا أنه بشكل ما ليس مفاجئًا. رغم ضخامة هذا العالم، فقد بدأت ناسون تستوعب أنه أيضًا صغير. لا تنفك نفس الحكايات تتكرر، ولا تني نفس الخواتيم تنهيها، ونفس الأخطاء لا تتوقف أبدًا عن الحدوث.

«إن بعض الأمور متضررة إلى حد يتعذر إصلاحه يا شافا». ويخطر لها فجأة جيغا. والوجع الناجم عن ذلك يسكتها للحظة. «أنا لا... لا أستطيع أن أجعل الأمور أفضل، لكنني أستطيع على الأقل أن أقضي على الأشياء السيئة». وبهذا القول، تنهض كي تذهب.

ولا تلاحظ وجه شافا يلتفت، مثل قمر ترحف عليه الظلال، كي يراها تذهب.

وكان عند الفجر أن قررت أنتِ تغيير العالم.

أنت ما زلت نائمة في الفراش القابل للطّي، الذي جلبه لِرنا لك

على سطح المبنى ذو علامة X الصفراء. وقد قضيت الليلة معه، تحت برج المياه، تنصتان إلى هدير الصدع المتواصل، وهزيم الرعد الناجم عن التماعات البرق العابرة. كانت لديكما فرصة أخيرة للحب، لكنك لم تفكري في هذا وهو لم يقترحه، لذا... على أي حال هذا ورطك في المشاكل من قبل. كان عليك ألا تعولي بالكامل على كبر السن وقلة التغذية فقط لمنع الحمل.

يراقبك وأنت تنهضين وتمطين أطرافك. إن تلك النظرة التي يملؤها الإعجاب في عينه، ليست بالشيء الذي لك أن تفهميه أبدًا، أو تتقبلينه بارتياح. إنه يجعلك تشعرين أنك شخص أفضل مما أنت عليه، وهذا يجعلك تندمين أكثر، وبلا نهاية، أنك غير قادرة على البقاء هنا وإنجاب طفله. إن طيبة لِرنا البالغة غير المشروطة، شيء ينبغي الحفاظ عليه في هذا العالم بشكل ما. للأسف.

إنك لم تستحقي هذا الإعجاب منه، لكنك تعترمين ذلك.

تنزلين الدرج، ثم تتوقفين. أمس، أخبرت تونكي وهياركا وإيكا أيضًا أن الوقت قد حان، وأنت ستغادرين بعد الإفطار في الصباح. وتعمدت ترك سؤاها عن إن كان بوسعهم مصاحبتك مفتوحًا بلا إجابة. إن التطوع بالمجيء لأمر مختلف تمامًا عن أن تطلبي منهم المجيء. من أنت لتضغطي عليهم كي يخوضوا مثل هذا النوع من المخاطر؟ إنهم فيما يكفي من الخطر، مثل بقية البشرية، بالفعل.

ولم توقعي أبدًا أن تجديهم في بهو المبنى ذي علامة X الصفراء، وأنت تنزلين الدرج، منهمكين في لفّ الأسيرة القابلة للطي، والثاؤب، وقلبي

النفاق، والتذمر من أن أحدهم شرب الشاي الصديء كله. وهواً أيضاً هناك، متمركز في موقع مناسب كي يراك تنزلين. على شفثيه الحجريتين ابتسامة متهكمة، لكنها لا تفاجئك. دانييل ومشيش موجودان أيضاً، الأولى تمارس نوعاً من التمارين القتالية في الركن، بينما يقطع الآخر ثمرة بطاطس كي يرميها في المقلاة... ونعم، لقد أقام نار تخييم في بهو المبنى، لأن هذه عادة الأغيار أحياناً. بعض النوافذ مكسورة، يهرب منها الدخان. وهياركا وتونكي تثيران دهشتك أيضاً، فهما لا تزالان نائمتين.

لكن ما لم تتوقعيه فعلاً، هو دخول إيكا، بمحيا يُبدي جراتها القديمة، وعينين مكتحلتين كما اعتادت سابقاً على أكمل وجه. تحيل إيكا بصرها في البهو، فتشملك مع البقية، وتضع يديها حول خصرها. «هل فاجأتكم أيها الصدئون في وقت غير مناسب؟».

تندفعين: «لا يمكنك». يشق عليك الكلام، في حلقك غصة. إيكا بالذات... ترمقنيها. يا شر الأرض، إنها ترتدي سترتها الفرو مرة أخرى، أنتِ حسبتِ أنها تركتها في كاستريما السفلية. «لا يمكنك أن تأتي... إن الكومونة...».

تقلب إيكا عينيها المزيبتين زينةً درامية. «حسنًا. أولاً، تَبَّ لك. لكنك محقة، أنا لست ذاهبة معك، وإنما جئت كي أودعك، أنت وأياً كان من سيصحبك. كان عليّ أن أمر بقتلكم، بما أنكم فعلياً ترمون أنفسكم في تهلكة الرماد، لكن لعلّي أتغاضى عن هذه التفاصيل التقنية مؤقتاً».

تندفع تونكي: «ماذا؟ ألن نستطيع أن نرجع؟». كانت قد جلست

أخيراً، وإن كانت لم تزل مائلة قليلاً، وشعرها متشابك فوضوي. أما هياركا فتتلفظ باللعنات وهي تستيقظ، وتناول تونكي طبق بطاطس من الكومة التي أتم مشيش طبخها.

ترمقها إيكّا. «إنك مسافرة إلى أحد مواقع بناء المسلات القديمة، لا أظني سأراك مجدداً أبداً. لكن لم لا، لك أن تعودني، هذا إن تمكنت هياركا من إرجاعك إلى صوابك. أنا بحاجة إليها على الأقل».

يتشاءب مشيش بصوت عالٍ حد لفت الانتباه. إنه عارٍ، ما يتيح لك رؤية أنه صار أفضل حالاً... لم يزل يشبه الهيكل العظمي، لكن هذا حال كل من في الكومونة هذه الأيام. قلّ سعاله، ونما شعره، وإن كان لم يزل في مرحلة الفرشاة الزجاجية المضحكة، لم يصل بعد إلى مرحلة الشعر الرماد براكيني الكثيف بما يكفي للتمايل بليوننة. تلاحظين لأول مرة محل البتر في ساقه عارياً، فتدركين أن هذه الندوب أكثر انتظاماً من أن يكون سببها منشار غزاة أغيار. إنها قصته، وهو وحده من يقرر أن يلقيها. تقولين له: «لا تكن غيباً».

ييدي انزعاجاً محدوداً. «لست غيباً، لكن هذا بوسعي».

تنفجر إيكّا: «لا بحق الصدا، قلت لك إننا بحاجة إلى روجا مرتكزي هنا».

يتنهد. «حسناً، لكن لا يوجد ما يمنعني من وداعكم على الأقل. هلا توقفتن عن الأسئلة وتناولتم الطعام؟». ويتوجه إلى ملابسه ويشرع في ارتدائها. تتجهين على مضض نحو النار وتبدئين تأكلي. لا أثر لغثيان الصباح بعد، وهذا من حسن الحظ.

تراقبين الجميع وأنت تأكلين، فيغلبك التأثر، وبعض الإحباط. إن قدومهما لتوديعك على هذا النحو لأمر مؤثر، وأنت ممتنة، لا تقدرين حتى على التظاهر بغير ذلك. متى سبق لك مغادرة مكان على هذا النحو... علناً، من دون قتال، في مناخ من السعادة؟ لهذا شعور... لا يسعك وصفه. شعور جيد؟ نعم، لكنك لا تعرفين ماذا تفعلين به.

تتمنين لو يظل أكثرهم هنا، وإلا سيضطر هوّا إلى جرّ قافلة صدئة عبر الأرض.

لكن حينما ترمقين دانييل، ترمشين في دهشة. لقد قصّت شعرها مجدداً، يبدو أنها لا تحبه أن يطول، وحلقت فوديهما، و... صبغت شفتيها بالأسود. الأرض وحده يعلم من أين جاءت بصبغة شفاه، أو لعلها صنعتها بنفسها من الفحم والدهون. فجأة يتعسر عليك رؤية قائدة الأشداء كما كانت. كما لم تكن. تتغير الأمور بشكل ما، حينما تفهمين أنك ذاهبة كي تواجهي مصيراً تريد قوالة استوائية تسجيله للأجيال القادمة. هذا لا يجعلها قافلة، وإنما مغامرة صدئة.

تستثير هذه الفكرة منك ضحكة شاخرة، فيتوقف الجميع عمّا يفعلونه كي يحدقوا إليك. تقولين: «لا شيء»، وتلوحين بيدك وتضعين الطبق الخاوي جانباً. «طيب... اللعنة. ليأتي إذن كل من يودون المجيء».

يجلب أحدهم حقيبة لِرنا، فيرفعها بهدوء وهو يراقبك. تسبّ تونكي وتبدأ تجمع أشياءها، بينما تساعد هياركا بصبر. تستخدم دانييل خرقة لمسح العرق عن وجهها.

تذهبين إلى هوا، الذي رسم على وجهه تعبيرًا مستمتعًا، تقفين إلى جواره وتتنهدين من هذه الفوضى. «هل تستطيع جلب كل هؤلاء؟».

«نعم، شرط أن يكونوا متصلين بشخص يلمسني».

«أنا آسفة، لم أتوقع كل هذا».

«لم تتوقعي فعلًا؟».

تنظرين إليه، لكن تونكي -التي لا تزال تمضغ شيئًا، وتضع حقيبتها على كتف ذراعها السليمة- تمسك بيده المرفوعة، وتتوقف للحظة، لتحقق إليها بانبهار. تذرع إيكا البهو وهي تراقب الجميع، بذراعين مطويتين، وتبدي اضطرابًا ملحوظًا. «كيف ينبغي أن يحدث هذا إذن؟ تصلين إلى هناك، تمسكين القمر، وتعيدينه إلى مكانه، ثم ماذا؟ هل سنرى أي علامة على حدوث تغيير؟».

تقولين: «الصدع سيبرد. هذا لن يغير الكثير على المدى القصير، فلا يزال الجو مفعمًا بالرماد. سيأخذ الموسم مجراه حتى نهايته، وسيظل شيئًا مهمًا حدث. بل ربما يزيده القمر سوءًا». إنك تسسبينه يشد العالم بالفعل، نعم، أنت متأكدة أنه سيزيد الأمور سوءًا. لكن إيكا تومئ، فهي أيضًا تسسبن هذا.

لكن ثمة أمرًا سيظل معلقًا، لم يسعك فهمه بنفسك. «لكن لو أنني استطعت استرداد القمر...»، وتهزّين كتفك بيأس وتنظرين إلى هوا.

يقول بصوته الأجوف: «هذا سيفتح بابًا للتفاوض». يتوقف الجميع ويحدقون إليه. ومن ردود أفعالهم يمكنك تمييز من اعتاد منهم أكلي الصخر ومن لم يعتدهم. «وربما هدنة».

إيكا تتجههم. «ربما؟ أبعد ما نخوض كل هذا، أنتِ ما زلت غير متأكد أنه سينهي المواسم؟ يا شر الأرض».

تعترفين: «لا. لكنه سينهي على الأقل هذا الموسم»، وهذا على الأقل أنتِ متأكدة منه، وهذا وحده يكفي.

إيكا تسكن، لكنها تظل تغمغم لنفسها من وقت إلى آخر، ومن هذا تعلمين أنها أيضًا تريد القدوم. غير أنك سعيدة أنها على ما يبدو أقنعت نفسها بألا تفعل. كاستريما تحتاج إليها، وأنتِ تحتاجين إلى معرفة أن كاستريما ستظل موجودة بعدما تذهبين.

أخيرًا يصبح الجميع جاهزين. تأخذين يد هوا اليمنى في يسراك. ليس لديك يد أخرى تمنحنيها إلى لِرنا، فيلف ذراعه حول خصرك. وحينما تنظرين إليه يومئ إليك، عازمًا. وعلى الجانب الآخر من هوا، تونكي وهيازكا ودانيل، في سلسلة متصلة يدًا بيد.

تسأل هياركا: «هذا لن ينجح، أليس كذلك؟». هي الوحيدة التي تبدو متوترة. دانيل تشع بالهدوء، وقد أمست في سلام مع نفسها أخيرًا. تونكي متحمسة حد أنها لا تقدر على كبح ابتسامتها. ولِرنا يركز عليك، ثابتًا كالصخر، كما هو دائمًا.

تقول تونكي وهي تميل قليلًا: «ربما!».

تقول إيكا: «تبدو هذه فكرة كارثية». تقف مستندة إلى حائط البهو، بذراعيها مطويتين، تراقب المجموعة تحتشد. «صحيح أن إيستي عليها أن تذهب، لكن بقيتكم...»، وتهزّ رأسها.

يسألها لِرنا: «هل كنت ستنضمين إن لم تكوني القائدة؟». يسود

الصمت. دائماً هو من يلقي الحجر الأثقل هكذا، بهدوء، ومن حيث لا يحتسب أحد.

تتجههم إيكا وترمقه بحدة، ثم ترمقك بإنهاك وربما بقليل من الإحراج، قبل أن تنهد وتبتعد عن الحائط. لكنك ترينها. تعود الغصّة إلى حلقك.

تقولين قبل أن تهرب: «يا إيكا».

تحقق إليك. «أنا أكره هذا اللقب الصدي».

تتجاهلين ذلك. «قلت لي من قبل إنك لديك مخزون من السرديس، كان يفترض أن نثمل به بعد هزيمة الجيش الرينانيسي، أتذكرين؟». ترمش إيكا، ثم ترسم ابتسامة بطيئة على وجهها. «شربته وحدي وأنت في الغيوبة».

تحققين إليها، متفاجئة أن هذا يزعجك حقاً. تضحك في وجهك. ياله من وداع مؤثر.

لكن... حسناً. هذا شعور طيب على أي حال.

يقول هوّا: «أغلقوا أعينكم».

تضيفين محذرة: «إنه لا يمزح». عدا أنك لا تغلقين عينيك بينما ينقلب العالم ظلاماً وغبابة. لا تشعرين بأي ذعر، فأنت لست وحدك.

إنه الليل.

وناسّون تقف فيما تظن أنه كان أرض كوربوينت الخضراء. وهي ليست كذلك، فالمدينة قد بُنيت قبل المواسم، ولا حاجة إليها بأراضٍ خضراء. هذا مجرد مكان قريب من الحفرة الضخمة التي هي قلب كوربوينت. حول الحفرة مباني منحدرّة على نحو غريب، مثل الأبراج التي رأتها في سيل أناجيست، لكنها ضخمة، تعلو عدة طوابق وتشغل مساحات شاسعة. لقد تعلمت أنها حينما تقترب أكثر من اللازم من تلك المباني عديمة الأبواب والنوافذ، تُفعل تحذيرات من رموز وكلمات متوهجة بالأحمر، تطفو على ارتفاع عدة أقدام، وتتوهج في الهواء فوق المدينة. لكن الأسوأ هو أجراس الإنذار المُلحّة منخفضة الحدة، التي تدوي عبر الشوارع، وتثير في أسنانها شعورًا بالحكة والارتخاء.

(رغم كل ذلك سبق ونظرت في الحفرة. ووجدتها شاسعة، مقارنةً بحفرة المدينة تحت الأرضية، يفوق محيطها محيط الأخرى عدة مرات، حد أنها قد تستغرق ساعة أو أكثر، فقط كي تمشي حولها. مع ذلك، رغم كل تلك العظمة، والبرهان الذي تمثله على مآثر الهندسة الجينية الضائعة منذ زمن بعيد، لا تنبهر ناسّون بها. فالحفرة لا تغذي، ولا تأوي من رماد ولا عدوان. بل إنها حتى لا تخيفها... وإن كان ذلك بلا معنى. فبعد رحلتها في المدينة السفلية وفي قلب العالم، وبعد خسارة شافا، ما عاد يمكن أن يخيفها شيء أبدًا).

البقعة التي وجدت ناسّون هي قطعة أرض تامة الاستدارة، تقع خلف نطاق إنذار الحفرة. أرضيتها غريبة، ناعمة الملمس ومرنة تحت قدميها، ليست مثل أي مادة لمستها من قبل. لكن لا عجب في

كوربوينت. لا تربة في هذه الدائرة، باستثناء بعض البقايا التي راكمتها الرياح عند حوافها، ونبتت فيها بعض الأعشاب البحرية، وترى ناسون جذعًا شاحبًا هزيلًا لشجرة صغيرة، قاومت ما في وسعها قبل أن تطيح بها الرياح قبل أعوام مضت. وهذا كل شيء.

وعندما تتخذ ناسون موقعها في مركز الدائرة، تلاحظ أن عددًا من أكلي الصخر قد ظهروا في محيطها، لكن لا أثر لفولاذي. ويوجد ربما نحو عشرين أو ثلاثين آخرين في الشوارع وعلى الأرصفة، يجلسون على الدرجات أو يميلون إلى الحوائط، يلتفت بعضهم إليها وهي تمر، لكنها تجاهلتهم وتجاهلهم. لعلهم جاءوا ليشهدوا التاريخ، أو لعل بعضهم، مثل فولاذي، يأملون أن ينتهي هذا الوجود الأبدي المريع، ربما لهذا ساعدها بعضهم. أو لعلهم ببساطة ضجرون، فكوربوينت ليست أكثر المدن إثارة.

أيُّ من هذا لا يهم، باستثناء سماء الليل. وفي هذه السماء، يبدأ القمر يظهر.

يستقر القمر منخفضًا عند الأفق، أضخم على ما يبدو مما كان ليلة أمس، ويبدو بيضاويًا بفعل تشوهات الهواء، أبيض وغريب ومستدير، لا يكاد يستحق كل الألم والمعاناة اللذين سببهما غيابه عن العالم. ومع ذلك، يجذب كل شيء أوروبيني في ناسون، يجذب العالم كله.

حان الوقت إذن كي يجذبه العالم بدوره.

تغلق ناسون عينيها. إنهم الآن جميعًا حول كوربوينت... المفتاح الاحتياطي، ثلاثة في ثلاثة في ثلاثة، المسلات السبع وعشرون، اللواتي

قضت ناسون الأسابيع المنصرمة في ملامستها وملاطفتها وإخضاعها، كي تأتي وتطوف قريبًا. لا تزال تشعر بالياقوتية الزرقاء، لكنها بعيدة وليست في نطاق البصر. لا يمكنها أن تستخدمها، إن استدعتها ستستغرق شهرًا كي تصل. لكن البقية تكفي على أي حال. كم هو غريب أن ترى كل هذه المسلات في السماء معًا، بعد حياة كاملة كانت تخلو سماؤها من المسلات، أو تكتفي بواحدة. والأغرب هو شعورها بهم جميعًا مرتبطين بها، تتباين سرعة نبضاتهم، ويتباين عمق آبار طاقاتها. كلما قتم لون المسلة زاد عمقها. لا تفسير لذلك، لكن الفارق واضح.

ترفع ناسون يديها، وتفرد أصابعها في محاكاة لا واعية لأمها. وبحذر شديد تشرع في توصيل المسلات السبع وعشرين بعضهم ببعض، الواحدة بالثانية، ثم الاثنين بثالثة، وهكذا دواليك. تحكمها خطوط الرؤية، وخطوط القوى، غرائز غريبة تطالب بمعادلات حسابية لا تفهمها. كل مسلة جديدة تدعم الشبكة النامية، بدلًا من أن تلغيها أو تشوش عليها. ذلك يشبه بطريقة ما ربط عدة أحصنة في سرج واحد، حينما يكون أحدهم قويًا سريعًا والآخر يتبعه بتراخ... مثل ربط سبعة وعشرين حصان سباق أقوىاء معًا... المبدأ واحد.

وكم هي جميلة، لحظة اصطفاف تدفق كل تلك المسلات واندماجها في تناغم تام. تستنشق ناسون الهواء، وتبتسم رغما عنها، وتشعر بالسعادة لأول مرة، منذ دمر الأب الأرض شافا. كان ينبغي أن تكون هذه لحظة مرعبة، مع كل هذه القوة. لكنها ليست كذلك. تسقط إلى أعلى، عبر سيول رمادية أو خضراء أو بنفسجية أو بيضاء ناصعة، وتتحرك أجزاء

منها لم تعرف بوجودها قط، وتتأقلم في رقصة من سبعة وعشرين جزءاً.
كم هذا رائع! فقط لو كان شافا يستطيع...
ما هذا!!

شيء ما يجعل الشعيرات في مؤخرة عنق ناسون تنتصب. من الخطر
أن تفقد تركيزها الآن. ترغم نفسها على لمس كل مسلة تباعاً، فترخيهم
جميعاً في حالة تشبه الراحة. تقبل أكثر المسلات هذا، وحدها الأوبالية
تنتفض قليلاً، فتضطر ناسون إلى إخضاعها قسراً. وحينما يستقرون
جميعاً، تفتح عينيها وتنظر حولها.

تجد في البداية الشوارع التي ينيرها ضوء القمر الأبيض مثلما
كانت من قبل، ساكنة صامتة، برغم حشد آكلي الصخر الذين اجتمعوا
لمشاهدتها (في كوربوينت، يسهل أن تشعر بالوحدة وسط الجموع). ثم
تلمح... حركة. شيء ما -شخص ما- يتسلل من ظل إلى آخر.

تجزع ناسون، وتخطو نحو الشخص المتحرك.

«مر... مرحباً؟».

يمضي الشخص نحو عمود صغير ما، لم تفهم ناسون غرضه قط،
رغم أن هناك مثله في كل ركن من المدينة تقريباً. يكاد الشخص يقع
لولا أنه يستند إلى العمود، ثم يرتجف ويرفع رأسه حينما يسمع صوتها.
وتتبدى أمام ناسون من بين الظلال عيناوان بيضاوان بياض الثلج.
إنه شافا.

صاح، ويتحرك.

تبدأ ناسون من دون تفكير تهرول، ثم تركض نحوه. قلبها في فمها. لقد سمعت من قبل أناسًا يقولون تشبيهات مثل هذا، ولم تفهم منها شيئًا - مجرد شعر، مجرد سخافة - لكنها الآن تفهم معنى أن يحفّ حلق المرء، حتى يشعر بوجيب قلبه في لسانه. تلمع عيناها. «شافا!».

يبعد عنها نحو ثلاثين أو أربعين قدمًا، بالقرب من أحد الأبراج التي تحيط بحفرة كوربوينت. قريب بما يكفي ليتعرف عليها، ومع ذلك، ليس هنالك أثر في عينيه يشير إلى أنه عرفها. بل العكس، فهو يرمش، ثم يتنسم ببطء وبرود، فتقف فجأة حتى تكاد تتعثر، وتختلج بشرتها من الاضطراب.

«شا... شافا؟». تقولها مرة أخرى، صوتها حاد وسط الصمت.

يقول شافا: «أهلاً بالعدوة الصغيرة»، بصوت يدوي صدها في جبل كوربوينت تحتها، وفي المحيط الممتد لآلاف الأميال.

ثم يلتفت نحو مبنى البرج خلفه. ينفتح مدخل عالٍ ضيق إثر لسته، فيعبره متعثرًا، ويختفي بداخله في لحظة.

تصرخ ناسون، وتندفع خلفه.

مكتبة

t.me/soramnqraa

في أعماق طبقة الوشاح السفلية، في منتصف الطريق عبر العالم، تشعرين بتفعيل جزء من بوابة المسلة.

أو هكذا يفسر عقلك الأمر في البداية، حتى تتمكني من تهدئة الإنذار الداخلي، وتوجهي إلى أعلى كي تؤكد شعورك. وذلك عسير،

فهنا في أعماق الأرض، السحر غزير، ومحاولة الخوض عبر هذا كله، مثل محاولة تمييز صوت جدول معين وسط مئة شلال هادر قريب. يزداد الأمر سوءًا كلما توغل هوّا أعمق، حتى تقرري في النهاية غلق عينيك، والتوقف عن استشعار السحر بالكامل... فهناك شيء قريب هائل يعميك بوجهه. وكأن هناك شمسًا تحت الأرض، شمس فضية بيضاء ذات تركيز سحري لا يُصدق... لكنك تشعرين بهوّا يدور حول هذه الشمس، رغم أن ذلك يعني إطالة وقت الرحلة أكثر من اللازم. تقررين أن تسأليه عن هذا لاحقًا.

لا تقدرين على رؤية شيء غير الأحمر المتمخض في الأعماق. كم سرعتكم؟ يستحيل معرفة ذلك من دون مرجع قياسي. يظهر هوّا مثل ظل متقطع في الوهج الأحمر حولك، ترينه يتلألأ في اللحظات النادرة التي تلمحينه فيها، لكن الأرجح أنك نفسك تتلألئين. إنه لا يخوض في الأرض، وإنما يندمج فيه، وتتنقل جزيئاته بين جزيئات الأرض، مثل موجات يمكنك أن تسسبنيها، مثل النور أو الحرارة. هذه فكرة مرعبة بما يكفي من دون أن تفكري أنه يفعل هذا بك أيضًا. لا تشعرين بأي شيء، عدا ما يشبه الضغط من يده، واقتراح بالتوتر من ذراع لِرنا. لا صوت سوى همهمة عامة، ولا رائحة لكبريت أو غيره. لا تعرفين إن كنت تتنفسين أم لا، لا تشعرين إن كنت بحاجة إلى هواء في الأصل.

لكن الاستيقاظ البعيد لعدة مسلات يثير هلعك، يكاد يجعلك تفلتين هوّا كي تركزي، لولا أن هذه الفكرة -الغبية- لن تؤدي فقط إلى موتك، وإنما إلى إبادتك بالكامل، إذ ستحولين عندئذٍ لحظيًا إلى

رماد، ثم سيتبخّر الرماد، ثم سيحترق البخار. تصرخين: «ناسون!»، أو تحاولين الصراخ، لكن الكلمات تضيع وسط الهدير العميق. ولا يوجد من يسمع صراخك.

بل... يوجد.

يتحرك شيء حولك، أو... تدركين متأخرًا أنك من تتحركين قياسًا إليه. هذا ليس بالأمر الذي يشغل بالك، إلى أن يتكرر، فتظنين أنك تشعرين بلرنا يتململ إلى جوارك. ثم يخطر إليك أن تنظري في الأثر الفضي لأجساد رفاقك، وهذا شيء يسعك تمييزه من مادة الأرض الحمراء الكثيفة حولكم.

هذا وهج بهيئة بشرية متصل بيدك، ثقيل كجبل في مدخلات وعيك، ينسل بسرعة نحو الأعلى: هوّا. غير أنه يتحرك بغرابة، ينزاح دوريًا إلى ناحية أو أخرى، وهذا ما شعرت به يفعله قبل قليل. إلى جوار هوّا، ومضات باهتة منحوتة بدقة. لأحدهم ما يشبه التمثيل الفضي للذراع وحيدة؛ هذه تونكي. لا تقدرين على تمييز هياركا من دانييل، لأنك لا ترين الشعر أو الحجم النسبي، أو أي شيء مُفصل مثل الأسنان. لكن معرفة أن لِرنا هو الأقرب إليك يجعله مميزًا. وخلف لِرنا...

يمرق وميض آخر، ثقيل كجبل وذو سحر وهاج، له هيئة بشرية وليس بشرًا. وليس هوّا.

وميض آخر. يضربه شيء بزاوية عمودية، يعيق مساره ويدفعه بعيدًا. يقفز هوّا جانبًا مجددًا، فيتفادى وميضًا آخر، لكنه كان قريبًا. لِرنا يبدو أنه يجفل إلى جوارك. أيستطيع أن يرى ذلك هو أيضًا؟

تأملين أنه لا يرى، لأنك صرت تفهمين ما يحدث. إن هـوّا يتفادى. وأنتِ ليس بيدك سوى الثقة بأنه سيحميكم من آكلي الصخر المهاجمين، الذين يحاولون تمزيقكم عنه.

لكن لا. يشقّ عليك التركيز وأنتِ خائفة، وأنتِ منصهرة في صخور وشاح الكوكب عالية الضغط نصف المنصهرة، وكل من تحبينهم سوف يموتون ببطء وعذاب إن فشلتِ في مسعاك، وأنتِ محاطة بتيارات من السحر أقوى من أي شيء شاهدته من قبل، وأنتِ تتعرضين لهجوم آكلي الصخر القتلة. لكن... أنتِ لم تقضي جلّ طفولتك تتعلمين كيف تتصرفين تحت التهديد بالموت هباءً.

إن مجرد خيوط السحر لا تكفي لوقف آكلي الصخر. أنهار السحر الأرضية الملتوية هي كل ما يتوفر لك الآن، والتوجه نحو أحدها يُشعرك وكأنك تغمرين وعيك في قناة حمم، وللحظة، يشترك التساؤل إن كان هذا ما ستلاقيه إن تركك هـوّا... موجة ألم وحرارة، ثم العدم. تنحين هذه الفكرة جانبًا. تراودك ذكري، ميوف، ذكرى قص إسفين ثلجي من منحدر، في الوقت المناسب لتدمير سفينة تعجّ بالأوصياء...

... وتشكلين إرادتك في شكل إسفين، وترمينه في أقرب تدفق سحري. تحدث فرقة ضخمة. تنجح المحاولة، تتناثر دوامة من شرارات السحر في كل مكان، لكن تصويبك سيئ، ويضطر هـوّا للتفادي مرة أخرى، لكن هذه المرة لتفادي أثر فعلك. اللعنة. تحاولين مجددًا، لكن بتركيز هذه المرة، تتركين توتر أفكارك يرتخي. أنتِ في الأرض بالفعل، أرض أحمر بدلًا من الظلمة والدفء المعتادين، لكن هل يشكل هذا أي

فارق؟ أنت ما زلتِ في البوتقة، وإن كانت هذه المرة بوتقة حرفية لا رمزية. ينبغي عليك أن تضربي الإسفين هنا، وتصوبيه هنا، حيث وميض آخر بشري الهيئة جبلي الثقل، يبدأ ينطلق بغرض القتل...

... وهذا يثير تيارًا نقيًا لامعًا من الفضة في طريقه. لا يصيبه، ما زال تصويبك غير دقيق. لكنك تلمحين أكل الصخر يتوقف، بعدما يتوهج السحر المتناثر أمام أنفه. يستحيل عليك هنا، في أعماق الأرض الحمراء، أن تري تعبير وجهه، لكنك تتخيلين أنه مندهش، وربما حتى مذعور. أو تتمنين أنه كذلك.

تحاولين الصراخ: «والتالي سيصيبك، يا ابن الكانيبالي الصديء اللقيط»، لكنك لست جزءًا من الفضاء المادي، ولا محل هنا للصوت والهواء. فتتخيلين الكلمات، وتتمنين أن الصديء المقصود سوف يفهم المعنى.

لكن ما لا تتوقعينه، أن وميض آكلي الصخر المهاجرين قد توقف، وهواً يتابع المسير من دون مزيد من الهجمات. جيد، لطيفٌ أن تكون لك فائدة.

يصعد هواً أسرع، بعدما لم تعد أمامه معوقات. تبدأ سسبينتك تستوعب العمق على نحو عقلائي قابل للحساب من جديد. يبدأ الأحمر القاتم يتحول إلى بني قاتم، ثم يبرد حتى يصبح أسود غامق، ثم...

هواء، نور، حالة صلبة. تصبحين حقيقية من جديد، من لحم ودم لا يتخللها مواد غريبة، على طريق بين مبانٍ غريبة ناعمة، شاهقة كالمسلات تحت سماء الليل. إن عودة الشعور لأمر مذهل ساحق...

لكن هذا لا يقارن حتى بالصدمة العاتية التي تنتابك ما إن تنظري إلى فوق.

وذلك لأنك قضيت العامين المنصرمين، تحت سماء يملؤها الرماد، ولم تكن لديك أدنى فكرة أن القمر قد عاد.

عين بيضاء ثلجية وسط السواد، نذير شؤم هائل ومرعب، منقوش على سجادة النجوم. يمكنك أن تري، حتى بغير سسبنة، أنه صخرة ضخمة دائرية. يبدو صغيراً على نحو مخادع مقابل امتداد السماء الشاسع. تفكرين أنك تحتاجين إلى المسلات كي تسسبنينه بالكامل، لكنك ترين على سطحه أشياء لعلها فوهات. سبق لك السفر عبر الفوهات. وفوهات القمر كبيرة إلى حد أنها تُرى من هنا، إلى حد أن قطعها سيراً يحتاج إلى أعوام، ومن هذا تفهمين أن هذا الشيء ضخم إلى حد يفوق القدرة على الاستيعاب.

تقول دانييل: «اللعة»، ما يستعيد عينك من السماء. إنها على يديها وركبتيها، وكأنها تتشبث بالأرض امتناناً لصلابته. لعلها نادمة على اختيارها اتباع واجبها، أو لعلها لم تفهم من قبل أن اتباع درب القوالة، قد يكون بنفس بشاعة وخطورة درب قيادة الجيوش. «اللعة، اللعة!».

تقول تونكي: «هذا هو إذن»، وتحقق إلى القمر بدورها. وتلتفتين كي تري رد فعل لِرنا أيضاً، ... لِرنا.

بجوارك، حيث كان يتشبث بك، لا تجددين إلا الخواء.

يقول هـوا: «لم أتوقع الهجوم». لا تقدرين على الالتفات إليه، لا تقدرين على الالتفات عن المساحة الفارغة، حيث كان ينبغي أن يكون لِرنا. صوت هـوا كما عهدته، بلا تعبير... لكن، هل هو مرتجف؟ مصدوم؟ أنت لا تريدينه أن ينصدم، وإنما تريدينه أن يقول شيئاً مثل: لكنني بالطبع تمكنت من الحفاظ على سلامة الجميع، ولرنا هناك، لا تقلقي.

لكنه يقول: «كان ينبغي أن أخمن، فالعشائر التي لا تريد السلام...»، ويتداعى كلامه، ويصمت مثل أي شخص عادي لا يجد ما يقوله. «لِرنا». هذه الهجمة الأخيرة، تلك التي حسبت أنكم تفاديتموها بأعجوبة.

ليس ذلك ما كان ينبغي أن يحدث، أنت التي يفترض بها أن تضحي بنفسها بنبل من أجل مستقبل العالم. وهو كان ينبغي أن ينجو من هذا. «ما باله؟»، وهذه هياركا، وقد وقفت، لكنها منحنية، يداها على ركبتيها، وكأنها تفكر في التقيؤ. تونكي تفرك أسفل ظهرها، وكأن ذلك يمكن أن يساعد، لكن تركيز هياركا عليك. تتجههم، وترين اللحظة التي تدرك فيها ما تقصدين، فينصهر تعبيرها إلى الصدمة.

تشرين بال... خدر. ليس ذلك الخمول المعتاد الذي يتتابك وأنت تتحولين إلى تمثال. هذا مختلف، هذا...

تغمغمين: «أنا حتى لم أفكر أنني أحبه».

هياركا تجفل، غير أنها ترغب نفسها على الاعتدال، وأخذ نفس عميق. «لقد عرفنا جميعاً أن هذه ستكون رحلة في اتجاه واحد».

تهزّين رأسك في... ارتباك؟ «إنه... أقصد كان... أصغر مني بكثير». أي حسبت أنه سيعيش أطول منك. هذا ما كان ينبغي أن يكون. كان ينبغي أن شعري بالذنب لأنك ستركيه خلفك، وسيموت معك ابنه غير المولود، كان ينبغي أن...

«إيسون!». صوت هياركا يحتدّ، وتفهمين النظرة على وجهها. إنها نظرة قيادية، أو نظرة تذكر أنك القائدة هنا. لكنها محقة، أليس كذلك؟ أنت من يدير هذه البعثة الصغيرة. أنت من لم يرغم لِرنا، أو يرغم أيًا منهم، على أن يظل في بيته. أنت من افتقر إلى شجاعة فعل هذا بنفسه، كما كان ينبغي أن تفعل، لو أنك أردت فعلًا ما في صالحهم. أنت المسؤولة عن موت لِرنا، وليس هوّا.

تشيحين بصرك عنهم، وتحسين بلا وعي جدعة ذراعك. هذا غير عقلائي، فأنت تتوقعين علامات حرق، أو أي إصابة تشير إلى أنك فقدتي لِرنا. لكنك بخير، وتنظرين نحو البقية، فتجدينهم جميعًا بخير أيضًا، لأن مواجهة آكلي الصخر ليست بالشيء الذي يخرج المرء منه بجروح جسدية.

«هذه مقدمة للحرب». وبينما أنت في أحزانك، تلتفت تونكي عن هياركا، وهذه مشكلة، لأن هياركا تستند إليها. فتتدمر هياركا، وتحيط بذراعها عنق تونكي كي تبقىها في مكانها. لا يبدو على تونكي حتى أنها تلاحظ، بينما تجيل بصرها حولها بعينين جاحظتين. «يا شر الأرض، انظروا إلى هذا المكان. سليم تمامًا، من دون تحفّ ولا بنية دفاعية ولا تمويه، لكنه أيضًا من دون أراضٍ خضراء تجعله يكتفي ذاتيًا...»، ترمش،

«إذن فقد كانوا بحاجة إلى إمدادات مستمرة من أجل النجاة. إذن لم يُبَنَ هذا المكان بغرض النجاة، أي أنه من زمن ما قبل العدو»، وترمش مجددًا، «الناس هنا لا بد أنهم جاءوا من السكون. لا بد أن هناك وسيلة مواصلات ما هنا لم نَرَهَا بعد»، ثم تنجرف في التفكير، وتتكلم مع نفسها وهي تنحني كي تلمس مادة الأرض.

لا يهكم ذلك. وليس لديك وقت لتحزني لِرنا أو لتكرهي نفسك، ليس الآن. إن هياركا محقة، عندك ما يجب أن تفعله.

ولقد رأيت أشياء أخرى في السماء غير القمر؛ عشرات المسلات التي تحوم قريبًا، دانية، طاقاتها محكومة، ولا تكثرث أيها بلمساتك حينما تحاولين التوجيه إليها. مصفوفة معًا ومجهزة، الواحدة منها مربوطة بالأخرى على نحو يُنذر بالسوء. لكنهم لا يفعلون شيئًا، بل متروكون على وضع الانتظار.

ركزي. تنظفين حلقك. «هؤا، أين هي؟».

تنظرين إليه، وترين أنه اتخذ وضعًا جديدًا: تعبيرًا خاويًا، وجسدًا يواجه الجنوب الشرقي. تتبعين نظرتة، وترين شيئًا يذهلك أول وهلة: حزمة مبانٍ، ترتفع نحو ستة أو سبعة طوابق بقدر ما ترين، يشبه الواحد منهم الإسفين، وكلها عارية من التفاصيل. ترين بسهولة أنهم يشكلون في مجموعهم حلقة، وتخمينين بسهولة ما في قلب الحلقة، حتى لو كنت لا ترينها بسبب زاوية المباني. أخبرك بهذا الألبستر، أليس كذلك؟ إن هذه المدينة موجودة كي تحتوي الحفرة.

يغصّ حلقك حتى يعيق تنفسك.

يقول هؤا: «لا». حسنًا. ترغمين نفسك على التنفس. ليست إذن في الحفرة.
«أين هي إذن؟».

يستدير كي ينظر إليك. يفعل هذا ببطء. عيناه واسعتان. «إيسون... إنها ذاهبة إلى واراننت».

مثلما كوربوينت بالأعلى، وارانث بالأسفل.

تركض ناسون في ممرات سبجية منحوتة، ضيقة خانقة منخفضة السقف. الجو هنا ساخن، ليس إلى حد ضاغط، وإنما يسود دفء حميم. إنها سخونة البركان المتصاعدة من الصخر القديم في قلبه. تسسبن ناسون صدى ما فعلوه لبناء هذا المكان؛ لقد تم ذلك عبر الأوروچينية لا السحر، وإن كانت أوروچينية أدق وأقوى من أي شيء شهدته من قبل. لكنها لا تكثرث لأي من ذلك، إنها تحتاج إلى البحث عن شافا.

الممرات خاوية، يضيئها من فوق مزيد من تلك الأضواء المستطيلة، التي رأتها من قبل في المدينة تحت الأرضية. غير أن هذا عامل التشابه الوحيد بين المكانين، فالمدينة تحت الأرضية بدت وكأنها صُممت بهدوء وروية، وثمة آثار جمالية في محطة الفهيمال تشي بأنها تطورت بالتدريج، وأن كان هناك وقت للتأمل بين مراحل البناء. أما وارانث فمظلمة وعملية. وفيما تنزل ناسون الممرات المنحدرة، وتمر بقاعات المؤتمرات والفصول الدراسية وقاعات الطعام والردهات، ترى أنها كلها خاوية. إن جميع ممرات هذه المنشأة قد نُحتت ونبشت في البركان الدرعي، في

ظرف أيام أو أسابيع، على عجل. أما سبب ذلك فغير واضح، لا تميز ناسون سوى الطبيعة المتعجلة لهذا المكان... والخوف الذي تنضح به حوائطه.

لكن أيًا من هذا لا يهم، فشافا في مكان ما هنا. شافا، الذي ما كان يتحرك تقريبًا لأسابيع، يمشي ويركض، يقود جسده شيء غير عقله. تتبع ناسون أثر الفضة التي خلفها، ويذهلها كم ابتعد في اللحظات القليلة التي استغرقتها تحاول إعادة فتح الباب الذي عبره، ولما لم يفتح، مزقته بالسحر إربًا. لكن شافا يقترب، و...

وكذا آخرون غيره. تتوقف للحظة، تلهث، ويباغتها الاضطراب. الكثير منهم، عشرات، لا، بل مئات، وكلهم مثل شافا، الفضة فيهم نحيفة، غريبة، ويدعمها مصدر خارجي ما.

أوصياء. هذا إذن هو المكان الذي يذهبون إليه خلال المواسم... لكن شافا قال إنهم سيقتلونه لأنه «ملوث».

بل لن يقتلوه. تشدّ على قبضتيها.

(لا تخطر لها فكرة أنهم سوف يقتلونها أيضًا. بالأحرى، خطرت لها ذلك، لكنها فكرة تضحل أمام هيمنة فكرة لن يقتلوه على واقعها).

وحينما تندفع ناسون نحو باب عند رأس درج قصير، يفتح أمامها الممر المغلق بغتة، ليكشف عن قاعة ضيقة لكن طويلة وعالية السقف جدًا، عالية حد أن سقفها لا يكاد يظهر وسط الظلال، وطويلة حد أنها تمتد إلى أقصى بصرها. وعلى طول حوائط هذه القاعة، في صفوف منتظمة

تعلو بعضها حتى السقف، توجد عشرات، بل مئات الفتحات المربعة الغريبة. تذكرها بخلايا عش الدبابير، لكن باختلاف شكل الفتحة. وفي كل منها، جسد.

إن شافا ليس ببعيد، هو في مكان ما بهذه الغرفة، لم يعد يتقدم. تتوقف ناسون بدورها، تتغلب رهبتها أخيراً على حاجتها الملحة لإيجاد شافا. يجعل الصمت بشرتها توخزها. لا تقدر على منع نفسها من الخوف. التشبيه بعش الدبابير لم يفارقها، وصارت على مستوى ما، تخشى النظر إلى الخلايا فتجد يرقة تحديق بها، جاثمة مثلاً على جثة كائن ما (إنسان) تتغذى عليه.

تنظر من دون قصد إلى أقرب خلية لها؛ الخلية أعرض بالكاد من كتفي الرجل المستقر داخلها، نائماً على ما يبدو. هيئته شابة نوعاً، رمادي الشعر، أوسطي، يرتدي زياً رسمياً خمرياً، سبق لها أن سمعت بهذا لكنها لم تره قبل الآن. يتنفس، لكن ببطء. والمرأة في الخلية المجاورة له ترتدي نفس الزي، لكنها مختلفة عنه في كل شيء؛ ساحل شرقية بشرتها سوداء قاتمة، شعرها مضفر حتى منبته في أنماط متشابكة، وشفثاتها خمريتان قاتمتان. وعلى هاتين الشفتين أثر باهت لابتسامة... حتى في نومها لا تقدر على التخلي عن تلك العادة.

نائمون، وأكثر من نائمين. تتبع ناسون فضة الأجساد في الخلايا، وتستشعر أعصابهم ودوراتهم الدموية، وتفهم أنهم في حالة تشبه الغيبوبة. غير أنها تفكر أن الغيبوبة العادية ليست مثل هذه الحالة. لا يبدو أي من هؤلاء القوم متألماً أو مريضاً. وفي داخل كل وصي حجر

أساس، ساكن هادئ، لا غاضب متأجج مثل ذلك الذي في شافا. الغريب أن خيوط الفضّة في كل وصي، تخرج منه وتتوجه إلى خيوط الأوصياء القريبين منه، فتشكل شبكة منهم جميعاً. هل يدعمون بعضهم بعضاً؟ يشحنون بعضهم كي يؤدوا معاً عملاً من نوع ما، مثلما تفعل شبكة المسلات؟ لا تستطيع أن تخمن.

(لم يكن ينبغي أبداً أن يستمروا.)

ثم من مركز القاعة، على بعد نحو مئة قدم منها في الداخل، تسمع أزيزاً ميكانيكياً حاداً.

تقفز ملتاعة مبتعدة عن الخلايا، وترمق ما حولها بنظرات مرعوبة، لترى إن كان الصوت قد أيقظ أيّاً من سكان الخلايا. لكنهم لا يتحركون. تزدرد لعبائها وتنادي بخفوت: «شافا؟»

يأتيها الرد ويتردد صده في أرجاء القاعة الشاهقة؛ أنين خافت مألوف.

تنطلق متعثرة إلى الأمام، وتستعيد أنفاسها. إنه هو. أمامها في منتصف القاعة الغربية، أجهزة غريبة متراسة، يتكون كل منها من مقعد متصل بتركيبة معقدة من الأسلاك الفضية الملتوية المتشابكة. لم يسبق لها رؤية شيء كهذا (أما أنت فرأيت). كل جهاز منها كبير كفاية لاستيعاب شخص واحد، لكنها كلها خاوية. تنحني ناسون إلى الأمام كي ترى أفضل، فترتعد. كل من هذه الأجهزة يستقر قبالة عمود حجري، تخرج منه أدوات مربعة معقدة. من المستحيل ألا تلاحظ المشارط الصغيرة، التي يبدو بوضوح أن الهدف منها هو القطع والحفر...

شافا يتأوه في مكان قريب. تنفض ناسون أدوات القطع من تفكيرها، وتهرع على طول الصف حتى...

... حتى تتوقف أمام مقعد الأسلاك الوحيد في القاعة المشغول.

وضع المقعد مختلف. شافا يجلس فيه، لكنه مقلوب، وجهه إلى أسفل، وجسده معلق بالأسلاك، وشعره المقصوص متفرق حول عنقه. الأدوات المثبتة خلف المقعد دبّت فيها الحياة، وتمتد فوق جسده على نحو له طابع مفترس... لكنها تتراجع حالما تقترب ناسون. تتراجع الأدوات الملطخة بالدماء حتى تختفي داخل الجهاز، وتسمع ناسون منها أصوات أزيز خافتة أخرى، لعلها أصوات تنظيف. لكن تبقى إحدى الأدوات الصغيرة التي تشبه الملقط، تقبض على غنيمة لا تزال تلمع بدماء شافا. شظية معدنية صغيرة، غير منتظمة وداكنة.

أهلاً بالعدو الصغير.

إن شافا لا يتحرك. تحديق ناسون إلى جسده، وترتجف. لا تستطيع أن تعيد إدراكها إلى وضع الخيوط الفضية، إلى السحر، كي ترى هل لا يزال حيًا. الجرح الدموي على مؤخرة عنقه مَخيّط بعناية، بالضبط فوق الندبة القديمة التي لطالما تساءلت بشأنها. لا يزال ينزف، لكن من الواضح أن الجرح حدث بسرعة، وأُغلق بنفس السرعة.

مثل طفل يحاول إقناع نفسه بأن لا وحش تحت الفراش، تتمنى أن يتحرك شافا.

فيتحرك. يأخذ نفسًا عميقًا، ثم يتمتم بصوت مبحوح: «نا...ناسون.»

«شافا، شافا!». ترتمي على ركبتيها، وترحف نحوه حتى ترى وجهه من تحت المقعد السلكي، دون أن تكثرث بالدماء التي لا تزال تقطر من جانبي رقبته ووجهه. عيناها، عيناها الجميلتان، نصف مفتوحتين، ويظهر منهما أنه هو الحقيقي هذه المرة. ترى ذلك فتنفجر في البكاء. «شافا؟ هل أنت بخير؟ هل أنت بخير حقاً؟».

يأتي كلامه بطيئاً. ترفض ناسون أن تفكر في السبب. «ناسون، أنا...». يتبدل تعبيره ببطء أكثر، مثل زلزال بحري يبدأ من جبهته، تتبعه موجة تسونامي من الإدراك البطيء عبر بقية وجهه. تتسع عيناها. «لا... يوجد... ألم».

تلمس وجهه. «لم يعد... لم يعد هذا الشيء في داخلك يا شافا، الشيء المعدني».

يغلق عينيه، فتقلص معدتها، ثم يختفي التجعد من جبهته. يتبسم مرة أخرى، ولأول مرة منذ قابلته ناسون، ليس في ابتسامته توتر أو زيف. لا يتبسم لتخفيف ألمه أو مخاوف الآخرين. ينفث فمه. ترى جميع أسنانه. إنه يضحك رغم وهنه، ويتحب أيضاً، بارتياح وسعادة، وهذا أجمل شيء رأيته على الإطلاق. تحتوي وجهه بين يديها، بحرص كي لا تؤذي جرح رقبته، وتضغط جيئها على جيئها، وتهتز مع ضحكاته الخافتة. إنها تحبه. تحبه كثيراً.

ولأنها تلمسه، ولأنها تحبه، لأنها منسجمة تماماً مع احتياجاته وآلامه وسعادته، يتحول وعيها إلى الفضة. لم تقصد أن تفعل هذا، وإنما فقط أرادت أن تستخدم عينها كي تستمتع برؤيته ينظر إليها، ويديها كي

تلمس بشرته، وأذنيها كي تسمع صوته. لكنها أوروبية، ولا يمكنها أن تطفئ السسونا، مثلما لا يمكنها إيقاف نظرها وسمعها ولمسها. ولهذا تنداعى ابتسامتها ويتلاشى فرحها، لأنها في هذه اللحظة ترى كيف أن خيوط الفضة بداخله تبدأ تبهت، ولا تعود ناسون قادرة على إنكار أنه يحتضر.

بيطء.

قد يظل حيًّا لبضعة أسابيع أو أشهر، أو لعله يصمد عامًا بما تبقى فيه. لكن حينما يفيض من كل كائن حي فضته الخاصة على نحو طبيعي، حيث تندفق وتتشابك بين الخلايا، لا يوجد بين خلاياه سوى قطرات. ما تبقى فيه يجري أكثره في جهازه العصبي، وترى الخواء الفارغ الصارخ، حيث كان من قبل مركز شبكة الفضة بداخله، داخل سسبيته. سبق أن حذرنا، أنه من دون حجر الأساس، لن يصمد طويلًا.

عينا شافا تنغلقان. ينام، منهكًا بلا شك من دفع جسده الواهن عبر الشوارع. لكنه لم يكن من فعل ذلك، أليس كذلك؟ تنهض ناسون واقفة، ترتجف، وتبقي يديها على كتفي شافا. يستند رأسه الثقيل إلى صدرها. تحديق بمرارة إلى الشظية المعدنية، وقد فهمت على حين غرة لماذا فعل به الأب الأرض هذا.

إنه يعلم أنها تنوي إسقاط القمر، وهذا سوف يفضي إلى كارثة أسوأ من موسم الانشقاق. يريد الأرض أن يحيا. ويعلم أن ناسون تحب شافا، وأنها حتى الآن كانت تنوي تدمير العالم كي تمنحه السلام. أما الآن، فقد أعاد تشكيل شافا، وقدمه إلى ناسون كنوع من الإنذار الحي.

إنه الآن حي، الآن يمكنه أن ينعم بالسلام من دون موت. لو أردته أن يعيش، أيتها العدو الصغيرة، لا يوجد سوى طريق واحد.

إن فولاذي لم يقل إن هذا مستحيل الحدوث، وإنما إنه لا ينبغي أن يحدث. لعل فولاذي كان مخطئًا، لعل شافا إن أصبح آكل صخر، لن يكون حزينًا ووحيدًا إلى الأبد. إن فولاذي قاسٍ وبشع، ولهذا لا يرغب أحد أن يكون معه. أما شافا فطيب وحنون، بالتأكيد سيجد من يحبه.

خاصة، إن أمسى العالم كله آكلي صخر أيضًا.

وتقرر ناسون أن الثمن الصغير الذي سوف تدفعه من أجل مستقبل شافا، هو البشرية.

يقول هـوا إن ناسون نزلت تحت الأرض، إلى وارانث، حيث يَسْبُتُ الأوصياء، والهلج الناجم عن ذلك يملأ فمك بالمرارة، وأنت تخبيين نحو الحفرة، تبحثين عن طريق للنزول. لا تجربئين على أن تطلبي من هـوا أن ينقلك إليها، فلا بد أن حلفاء الرجل الرمادي يتلكؤون الآن في كل مكان، وسيقتلونك كما قتلوا لِرنا. وحلفاء هـوا موجودون أيضًا، فأنت تذكرين على نحو ضبابي رؤية جبلين يرتطمان بعضهما ببعض، دفع أحدهما الآخر عن مساره. لكن يظل دخول الأرض بالغ الخطورة، حتى تُحسم مسألة القمر نهائيًا. تسسبنين أن معشر آكلي الصخر بالكامل هنا، آلاف الجبال بأحجام بشرية في وتحت كوربوينت، بعضهم يراقبك تركضين عبر الشوارع بحثًا عن ابنتك. كل فصائلهم القديمة ومعاركهم الخاصة سوف تبلغ ذروتها الليلة، بطريقة أو بأخرى.

تتبعك هياركا والبقية، لكنهم أبطأ منك، فهم لا يشعرون بهلعك. تلمحين في النهاية المبنى المفتوح، أو الممزق على ما يبدو، وكأنها بسكين هائل، ثلاث ضربات غير منتظمة، أوقعت الباب من مكانه. كان سمك الباب قدمًا كاملاً، لكن خلفه ممراً واسعاً منخفض السقف، ينحدر إلى الظلام.

لكن أحدهم يصعد خارجاً، فتتوقفين بسرعة حتى توشكي على التعثر.

تقولين: «ناسون!»، لأنها هي.

الفتاة التي يوطرها المدخل أطول من التي تذكرينها بعدة بوصات. شعرها أطول، مضفر في جديلتين تتدليان خلف كتفيها. بالكاد تميزينها. تتوقف الفتاة بغتة فور رؤيتك، ترتسم على جبهتها تجعيدة حيرة خافتة، وتدرकिन أنها أيضاً يشقّ عليها تمييزك. ثم تميزك، وتحقق إليك وكأنك آخر شيء في العالم تتوقع رؤيته. لأنك كذلك.

تقول ناسون: «أهلاً يا ماما.»

أنا، في الأيام الأخيرة

وأنا شاهد على ما سيحدث، وسأحكيه كما هو.

أراقبك أنت وابنتك وجهًا لوجه، لأول مرة منذ عامين، تفصل بينكما هوة من المصاعب. أنا وحدي أعلم ما مرت به كل منكما. لا يمكن لأيكما أن تحكم على الأخرى إلا من هيئتها وسلوكها، وندوبها... على الأقل حتى الآن. أنت: أنحف بكثير من الأم التي رأتها هي آخر مرة، حينما قررت التغيب عن المدرسة. لقد أنهكتك الصحراء، جففت بشرتك، وغير المطر الحمضي لون صفائك إلى بني أفتح مما ينبغي، وزحف الشيب على المزيد. والملابس المتهدلة على جسدك مبيضة أيضًا بفعل الحمض والرماد، والكم الأيمن الخاوي لقميصك معقود، ويتدلى، فيما أنت تلهثين. ويتضمن أيضًا الانطباع الأول الذي يراود ناسون عن نسختك بعد التصدعية، مجموعة الأشخاص القادمين خلفك، المحققين إلى ناسون، بعضهم متوجس، وبعضهم لا يُبدي سوى العناء.

وناسون، ساكنة مثل آكل صخر. لقد نمت أربع بوصات فقط منذ التصدع، لكنها في عينيك طالت قدمًا. علامات النضج بدأت تظهر

عليها... مبكرًا، لكن هكذا هي الحياة في الأوقات العصيبة؛ إذ يستغل الجسد الوفرة ما إن يتسنى له ذلك، والشهور التسعة التي قضتها في جيكتي، كانوا طيبين. لا بد أنها سوف تبلغ في العام القادم على الأكثر، إن توفر لها طعام كافٍ. لكن الحذر في عينيها لا يمت بصلة إلى الخجل المتردد الذي تذكّرنيه. وتقف بكتفيها مشدودتين إلى الخلف، وقدماهما ثابتتان متوازيتان. سبق أن قلبت لها مليون مرة من قبل أن تتوقف عن الانحناء، والآن، ها هي واقفة طويلة قوية منتصبّة، جميلة وقوية.

وتشعرين بوخز أوروچينييتها في وعيك، راسخة كصخرة وحادة كمشقاب ألماسي. تفكرين: يا شر الأرض، إنها تسسبن بنفس طريقتك.

وتنتهي من السسبنة بسرعة خاطفة. تتيقنين من هذا كما تتيقنين من مقدار قوتها بعدما سسبنتها، ويغمرك البؤس. تقولين: «كنت أبحث عنك». تجدين أنك رفعت يدك دون أن تشعر، وأصابعك تنفتح وتختلج وتغلق، وتنفتح مجددًا، في إيماء نصفها شوق ونصفها توسل.

نظرتها تحتجب. «كنت مع بابا.»

«أعلم، لم أستطع إيجادك»، هذا تكرار واضح، تكرهين نفسك لارتباكك. «هل أنت... بخير؟»

تشيح بنظرها، مضطربة، ويزعجك أن قلقها الواضح ليس عليك، «أحتاج إلى... وصيي يحتاجني.»

تتجمدين. لقد سمعت ناسون من شافا عن ماضيه قبل ميوف، وتعلم، عقليًا، أن شافا الذي تحبه شخص مختلف بالمرة. لقد رأته مرتكرًا، ورأت كيف يشوه المرتكز ساكنيه. وتتذكر كيف كنت تتجمدين بنفس الطريقة، حينما تلمحين فقط اللون الخمرى، والآن، أخيرًا، هنا، في آخر العالم، تفهم السبب. إنها تعرفك الآن أكثر من أي وقت مضى

ورغم ذلك، شافا بالنسبة إليها الرجل الذي حماها من المهاجمين، ومن أبيها. هو الذي كان يطمئنها حين خوفها، ويضعها في فراشها ليلاً. لقد رأته يقاوم طبيعته المتوحشة، ويقاوم الأرض نفسه، كي يكون الأب الذي تحتاج إليه. هو من ساعدها على أن تحب نفسها كما هي.

وأما أنت؟ لم تفعلي أيًا من هذه الأمور.

وفي تلك اللحظة المشحونة، وأنت تقاومين ذكرى تفتت إينون فتاتًا، والألم الحارق لعظام اليد المكسورة في يد ما عدت تملكينها، وصوت يردد لا تقولي لي لا أبدًا في رأسك، تحدث ناسون ما ترفضين الاعتراف به حتى الآن:

لا أمل، لا يمكن أن تنشأ بينكما علاقة، ليس بينكما ثقة، فكلكما نتاج لما فعله بكم السكون والموسم. كان ألابستر محققًا، بعض الأمور متضررة إلى حد يتعذر إصلاحه، ولا خيار سوى تدميرها تدميرًا، من باب الرحمة.

وتهزّ ناسون رأسها مرة، بينما أنت في مكانك ترتجفين. ثم تلتفت عنك. تهزّ رأسها مجددًا، ويتهدل كتفها قليلًا، ليس كسلًا، وإنما تعب. إنها لا تلومك، بيد أنها أيضًا لا تتوقع منك شيئًا. الآن، أنت مجرد عائق في طريقها.

لذا، تدير لك ظهرها وتبتعد، وهذا يصعقك، ويخرجك من شروك. «ناسون؟»

مكتبة
t.me/soramnqraa

تكرر: «إنه يحتاج إلى مساعدتي». رأسها منخفض، وكتفها مشدودتان. لا تتوقف عن المشي. تتنفسين بعمق، وتتبعينها. «يجب أن أساعده».

أنتِ تعرفين ما يحدث. كنت تشعرين به وتحشينه طوال الوقت. تسمعين خلفك دانييل توقف الآخرين. لعلها تحسبك أنتِ وابنتك تحتاجان إلى الاختلاء بعضكما ببعض. تتجاهلينهم وتركضين خلف ناسون. تقبضين على كتفها، تريدنيها أن تلتفت إليك. «ناسون، ماذا تـ...». تنفضك عنها، تنفضك بقوة حتى إنك تتعثرين. ما عاد توازنك بخير منذ فقدت ذراعك، وهي أقوى مما كانت. ولا تلاحظ أنك أوشكت على الوقوع، وتتابع المضي. «ناسون!»، ولا تستجيب ولو بنظرة.

تتوقن بياس إلى لفت انتباهها، إلى أي رد فعل منها، أي شيء. تتلعثمين، ثم تقولين: «أع... أع... أعلم ما حدث لجيجا».

وهذا يوقفها. إن موت جيجا جرح لم يلتئم بعد داخلها، نظفه شافا وخيطه، لكنه لن يشفى قريباً. تنحني عاراً من حقيقة أنك تعرفين. كان ذلك ضرورياً، دفاعاً عن النفس. والآن، بتذكيرك لها بفعلتها، يتحول إحباطها وعارها إلى غضب.

تقول من جديد: «يجب أن أساعد شافا». ينتصب كتفها على نحو تعرفينه جيداً، رأيته مئات المرات في أمسيات بوتقتك المرتجلة، منذ كان عمرها عامين وتعلمت أن تقول لا. لا مجال للعقل معها بعد ذلك، لا يعود للكلمات معنى، وحدها الأفعال تنفع. لكن أي أفعال يمكن أن

توصل لها مشاعرك المتشابكة الآن؟ تنظرين نحو رفاقك بيأس؛ هياركا تمسك تونكي، ونظرة تونكي ثابتة على السماء، حيث تتجمع مسلات أكثر مما رأيتم في حياتكم كلها. دانييل بعيدة قليلا عن البقية، يدها خلف ظهرها، وشفتاها تتحركان بخفوت، وتفهمين أن هذه تمارين القوالين للحفظ، إنها تسجل كل ما تراه وتسمعه، حرفاً بحرف. ولرنا...

نسيت أن لرنا ليس هنا. لكنه حتى لو كان موجوداً، كان سيحذرك. لقد كان طبيياً، والجراح العائلية ليست في نطاق اختصاصه... لكن أي شخص كان سيرى بوضوح أن شيئاً هنا قد تعفن وتقيح.

تهرولين خلفها مرة أخرى. «ناسون، ناسون، يا للصدأ، انظري إليّ وأنا أكلّمك». تتجاهلك، وهذا بمثابة صفة على وجهك، لكنها ليست صفة من النوع الذي يحفزك على الشجار، وإنما من النوع الذي يعيدك إلى وعيك. حسناً، لن تسمعك إلا بعدما تساعد... شافا. تنحين هذه الفكرة جانباً، وإن كان ذلك مثل الخوض في مستنقع مليء بالعظام. حسناً. «دعيني أساعدك».

وهذا ينجح في جعلها تبطئ، ثم تتوقف. وحينما تلتفت إليك، تجددين تعبيرها متعباً، متعباً جداً. «تساعديني؟».

تنظرين خلفها، وتجددين أنها كانت متجهة نحو مبنى آخر من هذه المباني. وهذا المبنى عريض، وثمة درج ذو حاجز بجانبه المنحدر يصعد إلى قمته. لا شك أن مشهد السماء من فوق قمته مذهل... تخمينين على نحو غير عقلائي أنك عليك منعها من الصعود إلى هناك. «نعم»، وتمدين يدك الراجية مرة أخرى. «أخبريني بما تحتاجين يا ناسون، وأنا

سوف... ناسون». يخذلك لسانك. تريدنيها أن تشعر بما تشعرين به.
«ناسون».

وهذا لا يفلح. تقول بصوت قاسٍ كالصخر: «أحتاج إلى استخدام
بوابة المسلة».

تجفلين. قلت لك هذا من قبل، منذ عدة أسابيع، لكنك لا تصدقين.
«ماذا؟ لا يمكن».

وتفكرين: هذا سيقهلك.

فكها يضيق. «بل سأفعل».

وتفكر: لا أحتاج إلى إذنك.

تهزّين رأسك، لا تصدقين. «تفعلي ماذا؟»، لكن فات الأوان.
انتهى الأمر. قلت إنك ستساعدنيها، ثم ترددت. إنها، في أعماق قلبها،
ابنة شافا أيضًا. يا نار الأرض، لديها أبوان، وأنت من بين جميع الناس
ريبتها. لا عجب إذن في أنها صارت من هي الآن. بالنسبة إليها، التردد
والرفض سيان. إنها تكره من يقولون لها لا.

هكذا تلتفت ناسون إليك مرة أخرى وتقول: «لا تتبعيني بعد الآن
يا ماما».

لكنك بالطبع تتبعينها مجددًا. «ناسون...».

تستدير فجأة. إنها في الأرض، هذا تسسبينه، وفي الهواء، هذا
ترينه، ترين خيوط السحر، وعلى حين غرة تتداخل القوتان معًا، على
نحو لا تقدرين حتى أن تفهميه. وأرضية كوربوينت، التي هي مزيج

من معادن وألياف مضغوطة لا تعرفين لها اسمًا متراصة فوق صخرة
بركانية، ترتجف تحت قدميك. وبحكم العادة، وسنوات احتوائك
لنوبات غضب الأطفال الأوروبينية، تستجيبين حتى وأنت تتعثرين،
وتضربين نطاقًا في الأرض كي تستخدميه في إلغاء أوروبينيتها. لكن
هذا لا ينجح، فهي لا تستخدم الأوروبينية.

لكنها تسسبن ذلك، فتضيق عينيها، عينيها الرماديتين، مثلك، مثل
الرماد. وبعد لحظة، يرتفع جدار سبجي من الأرض أمامك، يخرق
معادن وألياف بنية المدينة التحتية، ويشكل حاجزًا يفصل بينكما يمتد
عبر الطريق.

القوة الناجمة عن هذه الثورة المفاجئة تطرحك أرضًا. وبعدما
تتلاشى النجوم من رؤيتك ويتبدد الغبار من حولك، ترفعين نظرك إلى
الجدار بذهول. إن ابنتك هي من فعل هذا، بك.
يمسك أحدهم بك، فتجفلين. إنها تونكي.

تقول: «لا أعرف إن كنت قد لاحظت، لكن ابنتك ورثت عنك
حدة أعصابك، لذا، من الأفضل ألا تكوني لحوحة».

تغمغمين بتشوش: «أنا حتى لا أفهم ماذا فعلت»، وتومئين إلى
تونكي شكرًا على مساعدتك. «هذا لم يكن... أنا لم...». ليس في ناسون
أدنى أثر للدقة المرتكزية، رغم أنك علمتها كل الأساسيات المرتكزية.
تضعين يدك على الجدار بارتباك، وتشعرين بخيوط الفضة الواهنة
المتلكئة في مادته، تتقافز بين الجزيء والآخر، حتى تبتهت. «إنها تمزج
السحر بالأوروبينية. لم أر مثل ذلك من قبل».

أما أنا فرأيت، كنا نسويه دوزنة.

وفي هذه الأثناء، كانت ناسون بعدما تخلصت من عائق وجودك، قد تسلقت درجات المبنى. وها هي الآن تقف على قمته، تحيط بها الرموز التحذيرية الحمراء المتوهجة التي ترقص في الهواء. تهب نسمة ثقيلة تعبق بالكبريت من حفرة كوربوينت العظيمة، تثير خصلة شعر منفلتة من ضفيريها. تتساءل: هل هذه تنهيدة راحة من الأب الأرض، بعدما تلاعب بها حتى تصفح عن حياته؟

إن شافا سوف يعيش، حتى ولو حولت كل من في العالم إلى آكلي صخر. وهذا كل ما يهم.

تقول: «الشبكة أولاً»، وترفع عينيها نحو السماء. المسلات السبع وعشرون يتنقلن بين الحالتين الصلبة والسحرية، في تناغم، وهي تحفزهم من جديد. تمد يديها أمامها.

وعلى الأرض، تحتها، ترتجفين وأنت تسسبنين، تشعرين بالتفعيل السريع للمسلات السبع وعشرين، وتنسجمين معهم. يتصرفن كوحدة واحدة، ينبضن معاً، بقوة تجعل أسنانك تؤلك. تتساءلين لماذا لا تتجهن تونكي مثلك، لكنها ثابتة في محلها.

غير أن تونكي ليست غبية، وهذه الأمور حياتها كلها. وبينما أنت تحديقن إلى ابتك بهلع، تضيق هي عينيها وتنظر إلى المسلات. تهمهم: «ثلاثة تربيع». تهزين رأسك، لا تفهمين، ترمقك بحنق، منزعجة من بطء فهمك: «لو أنني أريد محاكاة كريستالة ضخمة، سأبدأ بأن أضع الكريستالات الصغيرة في بنية شبه تكعيبية».

ثم تفهمين. الكريستالة الضخمة التي تحاول ناسون محاكاتها، هي الأونيكية. فتح البوابة يحتاج إلى مفتاح، هذا ما قاله ألابستر. لكن ما لم يخبرك به، هذا الأحمق عديم النفع، أن للمفاتيح أشكالاً عديدة. حينما أثار الصدع، استخدم شبكة من موصلي محطات التوصيل بالمنطقة، ولعل ذلك لأن استخدام الأونيكية وحدها كان سيحوّله إلى حجر بالكامل مرة واحدة. الموصولون كانوا مجرد بديل للأونيكية، مفتاح احتياطي. أنت لم تفهمي ذلك حينما فعلتها أول مرة، عندما استخدمت أوروچينيو كاستريما السفلية وربطتهم في الشبكة، لكنه كان يعرف جيداً أن الأونيكية أكثر من قدرتك على الإمساك بها مباشرة، حينها. لم تكن لديك المرونة ولا المهارة الكافيان لذلك، لذا علمك طريقة آمنة.

أما ناسون، فهي التلميذة التي لطالما أرادها ألابستر. إنها لم تستخدم البوابة من قبل، فقد كنت أنتِ المتحكمة بها، حتى الآن، لكنك تلاحظين بصدمة، بهلع، أنها تتوجه إلى ما وراء شبكة المفتاح الاحتياطي، وتجذب المسلات الأخرى وتربطها، واحدة تلو الأخرى. إن ذلك أبطأ مما تفعله الأونيكية، لكنه فعال كما يبدو لك. الأبائية، تم الاتصال والربط. السردوانية، ترسل نبضة صغيرة من حيث تحوم خارج نطاق البصر، في مكان ما في البحر الجنوبي. واليشمية...

ناسون سوف تفتح البوابة.

تدفعين تونكي. «ابتعدوا قدر ما تستطيعون».

لا تضيع تونكي الوقت في الجدال. تجحظ عيناها، وتلتفت

وتركض. تسمعنيها تصيح على الآخرين، وتسمعين دانييل تجادل، ثم لا يعود بوسعك التركيز معهم.

إذن ناسون سوف تفتح البوابة، وتتحول إلى حجر، وتموت.

الشيء الوحيد القادر على إيقاف شبكة مسلات ناسون، هو الأونيكية. لكن عليك أن تصلي إليها أولاً، لا سيما وهي الآن في الناحية الأخرى من الكوكب، حيث تركتها في منتصف الطريق بين كاستريا ورينانيس. سبق ذات مرة، أن نادتك الأونيكية إليها، في كاستريا العلوية. لكن هل تجرئين على انتظارها أن تناديك بنفسها الآن؟ وناسون تقبض على زمام أجزاء البوابة؟ عليك أن تصلي إلى الأونيكية أولاً. وكي تفعل ذلك، تحتاجين إلى سحر، سحر أكثر بكثير مما يسعك استحضاره بنفسك، من دون مسلة تحت طوعك.

البريلية، الهيئاتية، الإيوليتية...

سوف تموت، الآن وأمامك، ما لم تفعل شيئا.

ترمين وعيك بهلع في الأرض. إن كوربوينت تستقر فوق بركان، لعلك تستطيعين أن...

ما هذا؟ يلفت انتباهك شيء ما في فم البركان. تحت الأرض، لكنه قريب من السطح. تستشعرين شبكة في مكان ما تحت المدينة. خيوط سحرية منسوجة معا، تدعم بعضها، متجذرة بعمق كي تستمد المزيد... إنها واهنة، بطيئة. وهذا الطين القبيح المألوف، يدق في خلفية عقلك حينما تلمسين تلك الشبكة. طين، فوق طين، فوق طين.

آه، صحيح، إنهم الأوصياء، نحو ألف منهم. لم يسبق لك أن

تحسست سحر الأوصياء تحسُّسًا واعيًا، لكنك الآن لأول مرة تفهمين حقيقة هذا الطنين؛ هنالك جزء منك، من قبل حتى تدريب ألابستر، كان يشعر بالوجود السحري الغريب في داخلهم. إدراكك لهذا يأتي بمثابة صاعقة رعب تزلزل كيائك. إن شبكة الأوصياء قريبة، في متناول يدك، لكنك إن استخدمتهم، ما الذي يمنعهم من الغليان حتى الانفجار، وهجر أعشاشهم كسرب من الدبابير الغاضبة لأنك أزعجت عشهم؟ لديك ما يكفيك من المشاكل.

ناسون تئن من فوق برجها. و... يا شر الأرض، ترينها وسط السحر، يحيط بها، يموج فيها، يتوهج منها مثل لهب يلامس فتيلًا مزيتًا. إنها تحترق أمام عينيك، ووجودها السسوني يزداد ثقلًا مع كل لحظة تمر. الكيانيتية، الأورثوكلازية، السكابوليتية...

ويذهب خوفك كله مرة واحدة، فطفلتك تحتاج إليك.

هكذا تثبتين قدميك، وتتوجهين نحو الشبكة التي وجدتها، لا تفرق شبكة أوصياء من غيرهم. تزججرين من بين أسنانك وتتزعجن كل شيء. تتزعجن سحر الأوصياء، وسحر الأهداب التي تنبثق من سسبيناتهم وتغوص في الأعماق، وكل ما يسعك سحبه من السحر عبر تلك الأشياء، بل وحتى كل ما في الشظايا الحديدية بداخلهم ذاتها، تلك المستودعات الصغيرة لإرادة الأرض الشرير.

تستحوذين على كل هذا، تلجمينه بإحكام، وتمسكين باللجام.

وفي مكان ما في واراننت، يستيقظ الأوصياء صارخين، يتلوون في خلاياهم، ويمسكون برؤوسهم، وأنت تفعلين بهم جميعا ما فعله

ألا بستر بإحداهم ذات يوم، وما ودت ناسون أن تفعله لشافا... عدا أن ما تفعلينه بهم بلا أدنى شفقة. إنك لا تكرهينهم، وإنما فقط لا تكثرين. تنتزعين شظايا الفضة من أمخاخهم، وكل ذرة سحر من بين خلاياهم... وأخيرًا، بينما تشعرين بهم يتحولون إلى كريستالات ويموتون، يصبح لديك سحر كافٍ لبناء شبكة مرتجلة، تتجهين بها إلى الأونيكسية.

وتنصت إليك، من فوق السماء الرمادية في أقصى العالم. تقعين فيها، تغوصين في ظلامها، تعرضين قضيتك، تتوسلين إليها... أرجوك.

وتفكر في طلبك. ليس بالكلمات ولا بالإحساس، وإنما أنت تعلمين ببساطة أنها تفكر، وتتأملك بدورها... تتأمل ذعرك، وغضبك، وعزمك على تصحيح الأمور.

و... ويجد هذا العزم فيها صدى. تدركين أنها تتفحصك من جديد، عن كثب هذه المرة، بتشكك، خاصة وأن نداءك الأخير كان تافهًا (القضاء على مدينة فقط؟ أنت نفسك فعلت ذلك من قبل بلا بوابة). لكن ما تجده الأونيكسية فيك هذه المرة يختلف عمًا سبق، الخوف على ابتتك، والخوف من الفشل، والخوف المصاحب لكل التغيرات الكبرى المطلوبة، وتحت كل ذلك، تصميم صلب على تغيير العالم إلى الأفضل.

وعبر العالم، ترتجف مليارات الأشياء المحتضرة، بينما تنبس الأونيكسية بأصوات خفيضة جبارة ترج الأرض، وتصحو.

وناسون، فوق برجها، وتحت نبضات المسلات المتتالية، تشعر بذلك الكيان المظلم البعيد ينهض. لكنها منغمسة بالكامل في استدعاءاتها، وتحت طائلة العديد من المسلات، ولا يسعها أن تشتت انتباهها عمًا تفعله.

وبينما تخضع لها المسلات الممتان والستون الباقون تبعًا، وبينما تفتح عينيها كي تحلق إلى القمر الذي سوف تتركه يمرّ في حاله، وتحول بدلا منه اتجاه المحرك البلوتوني الجبار نحو العالم وأهله، كي تحوّلهم كما تحولت أنا ذات يوم... بينما يحدث ذلك كله، تفكر في شافا.

إن من المستحيل على المرء أن يخدع نفسه في لحظة كهذه، يستحيل عليه أن يرى فقط ما يود أن يراه، حينما تموج قوة العالم كله داخل عقله وروحه، وفي الفراغ بين خلاياه. سبق أن عرفت هذا قبلكما بكثير. يستحيل ألا تفهم أنها لم تعرف شافا إلا منذ أقل من سنة، ولا تعرفه جيدًا في الواقع، لا سيما مع كل ما فقده من نفسه. ويستحيل عليها ألا تدرك أنها متشبّثة به، لأنها لم يبقَ لها غيره...

ووسط عزمها الهائل، يوجد خيط من الشك في عقلها. ليس أكثر من خيط، لا يكاد يرتقي إلى فكرة. لكنه همسة، هل فعلاً لم يبقَ لي غيره؟ ألا يوجد ولو شخص واحد غير شافا في هذا العالم يهتم بي؟

وأراقب ناسون تتردد، أصابعها تتلوى ووجهها الصغير يقطب ويعبس ويضيق، حتى مع الاكتمال الوشيك لبوابة المسلة. وأراقب الطاقات الهادرة العvisية على الاستيعاب، تبدأ تصطف بداخلها. لقد فقدت قدرتي على التلاعب بهذه الطاقات قبل عشرات آلاف السنين، لكنني لا زلت قادرًا على رؤيتها، وأرى في داخلها البنية الأركانوكيميائية، ما تحسبنيها أنت مجرد حجارة بنية، تتشكل على نحو جميل.

وأراقبك ترين ذلك أيضًا، وتفهمين فورًا معناه. أراقبك تنفضين وتهدمين الحائط الذي يحول بينك وبين ابتك، ولا تلاحظين حتى أن

أصابعك قد تحولت إلى حجر وأنت تفعلين ذلك. أراقبك تركضين على قدميك وترتقين الدرج المؤدي إلى سطح البرج، وتنادينها: «ناسون!». وفي استجابة لأمرك المبالغت العميق غير القابل للجدل، تظهر الأونيكية من العدم في السماء.

يصاحب ظهورها فرقة منخفضة التردد جبارة الصدى ترجّ العظام. والهواء المنزاح الناجم يرسل موجة عاتية بما يكفي لطرحك أنت وناسون أرضًا. هي تصرخ وتنزلق وتقع درجتين، تكاد تقترب من فقدان قبضتها على البوابة إثر تشتت تركيزها. وأنت تصرخين حينما تجعلك الصدمة تلاحظين أن ساعدك الأيسر، وترقوتك، وكاحلك الأيسر، قد أمسوا حجرًا.

لكنك تجزين على أسنانك. ليس في داخلك ألم يذكر الآن سوى عذاب ابتتك، ولا لديك حاجة إلا إلى شيء واحد. معها البوابة، ومعك الأونيكية... وترفعين بصرك، نحو القمر الملتمع عبر الظلمة الشفافة، مثل قزحية بيضاء وسط بحر مدّهم، وتدركين ما ينبغي عليك فعله.

بمساعدة الأونيكية، تقطعين نصف الكوكب، وتغرسين نصل إرادتك في قلب جرح العالم. يرتجف الصدع وأنت تطالبينه بكل نقطة حرارة وطاقة فيه، وترتعدين تحت وطأة تدفق الطاقة الهائل عبرك، حتى تحسبي أن ستأتي لحظة وتنفجرين مثل عمود حمم يدمر كل شيء.

لكن الأونيكية الآن جزء منك، جزء لا يأبه بتشنجاتك - فأنت الآن متشنجة متلوية على الأرض، يسيل الزبد من فمك - وتأخذ عنان التحكم منك، وتتحكم بطاقة الصدع وتوازنها بيسر يخجلك. وترتبط

الأونيكسية بتلقائية بكل المسلات القريبة، بالشبكة التي أقامتها ناسون بهدف محاكاة قوة الأونيكسية. لكن المحاكاة ليست سوى للقوة، وليس للإرادة. ليس للشبكة نوايا. تمسك الأونيكسية بعنان المسلات السبع وعشرين، وتبدأ من فورها تلتهم بقية شبكة المسلات.

غير أن هنا، إرادة الأونيكسية ليست السائدة. فناسون تشعر بها، تقاومها. إنها عازمة مثلك تمامًا، يقودها الحب مثلك تمامًا... حبك لها، في مواجهة حبها لشافا.

وأنا أحبكما أنتما الاثنين. وكيف لي ألا أحبكما، بعد كل هذا؟ فأنا لا زلت إنسانًا، رغم كل شيء، وهذه معركة من أجل تحديد مصير العالم. يا لعظمة ويا لهول أن أكون شاهدا عليها.

لكنها معركة رغم كل شيء، بكل ما فيها من خيوط وأهداب السحر. تفور طاقات البوابة الجبارة، وطاقات الصدع، وتضطرم وتلتمع، تتأجج في هالات أسطوانية وهّاجة ملونة مثل الشفق القطبي، في أضواء مرئية تتجاوز أطوالها الموجية الطيف المعروف (وهذه الطاقات تتردد في داخلك، حيث اكتمل الاصطفاف، ولا تزال تتذبذب في ناسون، وإن كانت موجتها بدأت تنهار). إنها معركة بين الصدع والبوابة، بينك وبينها، وكوربوينت كلها تتزلزل تحت وطأة القوة البالغة لكل ذلك. وفي قاعات واران المظلمة، بين جثث الأوصياء المرصعة بالجواهر، تنزف الحوائط والأسقف المتشققة الغبار والحصى. تجاهد ناسون كي تستخلص السحر مما تبقى من البوابة، كي تستهدف كل من حولك وكل من حولهم، وأخيرًا... أخيرًا، تفهمين أنها تحاول أن تحول

كل من في العالم إلى آكلي صخر صديين. وأنت، على الناحية الأخرى، تتوجهين إلى أعلى، كي تلقفي القمر، ولعلك بهذا تمنحين البشرية فرصة ثانية. لكن كي تحقق أيّ منكما هدفها المنشود، عليها أن تستحوذ على البوابة والأونيكسية، والوقود الإضافي الذي يوفره الصدع.

وهذه حالة شلل لا يمكن أن تستمر. يستحيل إبقاء الصلة مع البوابة إلى الأبد، والأونيكسية لا يمكن أن تحتوي فوضى الصدع إلى الأبد، ولا يمكن لإنسانتين، مهما كانت قواهما وشدة عزائمهما، ألا يموتا تحت وطأة كل هذا السحر إذا طال الوقت.

ثم تصرخين حينما تشعرين أن التغيير يحدث، الطاقات تصطف في ناسون. يترتب السحر في بنية مادة وجودها بنظام، وتبدأ تتحول. بيأس وغريزة صافية، تنقضين على بعض الطاقة التي تسعى إلى تحويلها، وتطوحين بها بعيداً، لكن هذا تأجيل مؤقت للمحتوم. وفي المحيط، بالقرب من كوربوينت، تحدث هزة عميقة، حتى آليات التثبيت لا تستطيع احتواءها. وينبثق بغتة في الغرب بركان بهيئة نصل السكين، ينبثق من قاع المحيط. وفي الشرق ينبثق آخر، يبصق الدخان من عنقوان ولادته. ناسون، التي تزجر من الإحباط، تنقض على هذين المصدرين الجديدين للطاقة، وتسحب كل الحرارة والعنف منهما، فيتشققان ويتفتتان على الفور. تتمكن آليات التثبيت في المدينة من كبح المحيط وتمنع موجات التسونامي الناجمة، لكن هذا أقصى ما تقدر عليه. فالآليات التثبيت لم تصنع من أجل مقاومة كل هذا. سيقوم غيرهم، وفي النهاية حتى كوربوينت سوف تقع.

تصرخين مجددًا بعذاب: «ناسون». لا تسمعك. لكنك ترين، حتى من مكانك، أن لون أصابع يدها اليسرى قد تحولت إلى البني الصخري مثلك. وهي تدرك ذلك، تعلمين ذلك بشكل ما. لقد اتخذت قرارها، وهي مستعدة لموتها الحتمي.

أما أنت فلا. يا للأرض، لا يمكنك أن تراقبي ابنة أخرى لك تموت.

فتستسلمين.

أتألم من رؤية تعبير وجهك، فأنا أعلم كلفة التخلي عن حلم الألبستر، وحلمك. لقد أردت بشدة أن تصنعي عالمًا أفضل من أجل ناسون. لكنك تريدين، أكثر من أي شيء آخر، تريدين أن تعيش ابنتك الأخيرة... ولهذا اتخذت قرارك. الاستمرار في القتال سيقتلكما معًا، والطريقة الوحيدة للفوز، هي أن تتوقفي عن القتال.

أنا آسف يا إيسون. آسف جدًا. وداعًا.

ناسون تشهق، تنفتح عيناها مرة واحدة، ما إن تشعر بالضغط على البوابة -وعليها، بعدما سحبت إلى نفسك منها كل التحولات المريعة وارتدادات السحر- يرتخي مرة واحدة. والأونيكسية توقف هجومها، وتتألاً بالتوازي مع عشرات المسلات التي استحوذت عليها، زاحرة بالطاقة التي يجب... يجب أن تُستخدم، لكنها مع ذلك تتماسك مؤقتًا. وآليات سحر الثبيت تتمكن أخيرًا من السيطرة على المحيط الثائر حول كوربوينت. وخلال هذه اللحظة المشحونة، يتوقف العالم وينتظر، بتوتر. وناسون تلتفت.

تقولين: «ناسون». كانت هذه همسة، وأنت على أدنى درجة من درجات البرج، تحاولين أن تبلغيهما، لكن هذا لن يحدث. لقد تحجر ذراعك بالكامل، وجذعك أيضًا، وقدمك الحجرية تنزلق بلا فائدة على الأرضية الزلقة، ثم تثبت بعدما يتم تحجر بقية ساقك. لا يزال بإمكانك الدفع بقدمك السليمة، لكن الحجر ثقيل، وحالتك لا تصلح للزحف بأي حال. تقطب ناسون حاجبيها. تنظرين إليها، وتذهلين. كم تبدو صغيرتك هنا كبيرة، تحت الأونيكسية والقمر. كم هي قوية، كم هي جميلة. ولا يسعك منع نفسك من الانفجار بالدموع فور رؤيتها. وتضحكين، رغم أن إحدى رئتيك قد تحجرت، فلا يصدر عنك إلا صفير خافت. كم هي مذهلة، وكم أنت فخورة بالخسارة أمام قوتها.

وناسون تشهق مجددًا، وعيناها تتسعان، وكأنها لا تصدق ما تراه: أمها الجبارة، على الأرض، تحاول أن ترحف على أطراف حجرية. وجهها مبتل بالدموع، وتبتسم. لم يسبق لك أن ابتسمتِ لابتكت من قبل.

ثم يتغلب التحول على وجهك، وتموتين.

لكنك ما زلت هنا ماديًا، حجرًا رمليًا بنياً متجمداً في أدنى الدرج، تحمل شفتاه نصف المتحولتين اقتراحًا بابتسامة. دموعك لا تزال هناك، تتلأأ على الحجر. تحديق إليك ناسون.

تحديق إليك وتشهق نفسًا عميقًا أجوف، لأن فجأة لم يعد هنالك شيء، ليس في داخلها شيء، لقد قتلت أباهما، و قتلت أمها، وشافا يموت ولم يبق لها شيء، لا شيء، العالم يأخذ منها ويأخذ ويأخذ، ولا يترك شيئاً...

غير أنها لا تقدر على إزاحة نظرها عن دموعك التي بدأت تجف.
لأن العالم أخذ وأخذ وأخذ منك أيضًا، هي تعرف هذا. ورغم ذلك، ولسبب ما لا تعتقد أنها ستفهمه أبدًا... حتى وأنتِ تموتين، كنتِ تتوجهين نحو القمر.
ونحوها.

تصرخ. تمسك رأسها بيديها، اللتين أمست إحداهما صخرًا حتى منتصفها. تقع على ركبتيها، تنسحق تحت حمل حزنها، الثقيل كالكوكب كله.

الأونيكية، الصبور لكن محدودة الصبر، الواعية لكن بلا مبالاة، تلمسها. إنها الجزء الوحيد الباقي من البوابة، الذي لديه إرادة فعالة تكاملية. من خلال هذه اللمسة، تدرك ناسون خطتك، الباقية في الأونيكية على شكل أوامر جاهزة للتنفيذ لكنها لم تبدأ بعد: فتح البوابة، إطلاق طاقة الصدع من خلالها، رد القمر إلى مداره، إنهاء المواسم، إصلاح العالم. هذا ناسون تسسبته - تعرفه - تشعر بأنه كان أمنيته الأخيرة.

تسأل الأونيكية، بطريقتها الثقيلة عديمة الكلمات: تنفيذ (نعم/ لا)؟

وفي هذا الصمت البارد كالحجر، ناسون تختار.
نعم.

خاتَمًا أنا، وأنتِ

أنتِ ميتة، لكنك لست أنتِ.

استعادة القمر لم تكن لحظة درامية من منظور الموجودين تحته. تونكي، في الشقة العلوية بالمبنى الذي اتخذته مع الآخرين مأوى، استخدمت أداة كتابة قديمة -جفت من قديم الأزل، لكنها عادت للحياة مع بعض البصاق والدماء على طرفها- كي تحاول تتبع حركة القمر، بين الساعة والأخرى. لكن هذا لا يساعدها، لأنها لم تلاحظ متغيرات كافية لتصح حساباتها، ولأنها لا تفهم في شغل الفلكيين النصابين الصديين، بحق الأرض. وهي أيضًا غير متأكدة إن كانت أتقنت أخذ أول القياسات، لأن لحظتها ضربت كوربوينت هزة من الدرجة الخامسة أو السادسة، أخذتها هياركا إثرها بعيدا عن النافذة. تدمرت من هذا لاحقًا: «إن نوافذ بناء المسلات لا تهشم».

فردت هياركا: «لكن أعصابي اللعينة تهشم»، وهذا ينهي الجدل من قبل أن يبدأ. إن تونكي تتعلم التفاهم من أجل حياة سوية.

لكن القمر قد تغير حاله بالتأكيد، يلاحظون ذلك مع مرور الأيام

والأسابيع. لا يختفي، بل يتغير من شكل إلى آخر، ومن لون إلى آخر، في نمط يبدو في البداية عبثيًا، لكن حجمه لا يصغر في السماء في الليالي المتتالية. أما تفكيك بوابة المسلة فأكثر درامية نوعًا. فالبوابة بعدما تستهلك طاقتها القصوى، في تحقيق شيء بنفس ضخامة الجيوأركانبة، تفعل بروتوكول الإغلاق الخاص بها، مثلما صُممت كي تفعل. وتأتي المسلات الطافية حول العالم تبعًا إلى كوربوينت، وواحدة تلو الأخرى تفقد ماديتها، بعدما تحولت من الحالة الكمية إلى طاقة وضع (لست بحاجة إلى محاولة فهمها أكثر من ذلك)، وتنزل الهوة السوداء. يستغرق ذلك عدة أيام.

أما الأونيكسية، آخر وأعظم المسلات، فتطفو بدلا من ذلك نحو البحر. يعلو ضجيجها فيما تنخفض من علوها. ثم تدخل البحر برفق، في مسار معد سلفًا لتقليل الضرر، لما كانت الوحيدة بين المسلات التي احتفظت بحالتها المادية. وذلك، بحسب خطة المُسرّين القدامى، سوف يحفظ الأونيكسية حال ظهرت لها حاجة مستقبلية. وذلك أيضًا يمنح آخر بقايا النيسيين الراحة، أخيرًا، في قبر مائي عميق.

عسى ألا يعثر عليها أوروچيني شاب في المستقبل ويستدعيها.

تونكي هي من يذهب بحثًا عن ناسون. وكان ذلك في الصباح التالي، بعد موتك بساعات، تحت شمس مشرقة ودافئة في سماء زرقاء بلا رماد. بعدما تتأمل السماء بعجب واشتياق، تعود تونكي إلى حافة الحفرة، وإلى درج المبنى. تجد ناسون لا تزال جالسة عند الدرجة السفلية، إلى جوار الكتلة البنية التي هي أنت. ركبها مرفوعتان، رأسها منحنية،

ويدها الحجرية، التي تحجرت مفرودة تشير بالإيحاء التي استخدمتها لفتح البوابة، تستقر على نحو غير مريح على الدرج بجوارها.

تونكي تجلس على الجانب الآخر منك، وتحقق إلى ناسون للحظة تطول. تبدأ ناسون ترفع بصرها حينما تشعر بوجود شخص آخر، لكن تونكي تبتسم لها، وتضع يدها على ما كان ذات يوم شعرك. تزدرد ناسون لعبها بصعوبة، وتدعك آثار الدموع الجافة على وجهها، ثم تومئ إلى تونكي. ويجلسان معاً، معك، يكيانك.

ودانيل هي من تذهب مع ناسون، لاحقاً، لجلب شافا من ظلمة وارانث. الأوصياء الآخرون، الذين لم تزل في رؤوسهم أحجار أساس، تحولوا جميعاً إلى مجوهرات. مات أكثرهم ببساطة في مكانه، وإن كان بعضهم قد قام على يبدو من خليته متشنجاً، وهؤلاء تتناثر أجسادهم بغرابة أمام الحائط وعلى الأرض.

وشافا وحده لا يزال حيّاً. مشوشاً وضعيفاً. وحينما تساعده دانيل وناسون على العودة إلى نور السطح، يظهر أن شعره الممزق قد بدأ الشيب يغزوه بالفعل. دانيل تقلق من الجرح المخيط على مؤخرة عنق شافا، لكنه توقف عن النزيف ويبدو أنه ما عاد يؤلمه. ليس ذلك ما سوف يقتله.

وما إن يقدر شافا على الوقوف، وما إن تساعده الشمس على تصفية عقله، حتى يحتضن ناسون، يحتضنها بجوار ما تبقى منك. ناسون لا تبكي، فقد أمست شبه مخدرة. تأتي تونكي وهياركا وتنضمّان إلى دانيل، ويقفن مع شافا وناسون، حتى تغرب الشمس ويزغ القمر مجدداً. لعل هذه كانت جنازة صغيرة، أو لعلهم كانوا بحاجة إلى وقت وصحبة كي

يتعافوا مما شهدوه من أحداث هائلة وعجيبة وعصية على الاستيعاب.
لا أعرف.

وفي مكان آخر من كوربوينت، في حديقة تحولت منذ زمن إلى مرج بري، أقف أنا وچيواه نواجه رمواه -فولاذي، الرجل الرمادي- تحت القمر الباهت.

كان هنا منذ اتخذت ناسون قرارها. وحينما ينطق أخيرًا، أجد نفسي أفكر أن صوته أمسى هزيلًا ومتعبًا. كان ذات يوم يجعل الصخور ترتج من سخريته الجافة اللاذعة بحديثه الأرضي، أما الآن فصوته عجوز. هذا ما تفعله آلاف السنوات من الوجود المتواصل.

يقول: «كنت فقط أريد النهاية».

تقول چيواه/ أنتيموني: «لم نصنع من أجل هذا».

يدير رأسه ببطء كي ينظر إليها. إن مجرد رؤيته يفعل هذا تتعني. ذلك الأحق العنيد. يرتسم على وجهه يأس العصور، وكل ذلك فقط لأنه يرفض أن يعترف، أن ثمة أكثر من طريقة لوجود الإنسان.

تمد چيواه يدها. «وإنما صنعنا كي نجعل العالم أفضل»، وتنتقل نظرتها إليّ، طلبًا للدعم، فأتنهد، داخليًا، لكنني أقدم إليه يد الهدنة أيضًا. يأخذ رمواه يدينا. وفي مكان ما، ربما بين الآخرين الذين احتشدوا لمراقبة هذه اللحظة، يوجد بيمنواه وساليواه ودوشواه. لقد نسي هؤلاء من هم في الأصل منذ زمن بعيد، أو لعلهم فضلوا ببساطة تقبل حقيقتهم الحالية كما هي الآن. نحن الثلاثة فقط تشبثنا ببقايا الماضي. وهذا جيد، وسيئ في نفس الوقت.

يعترف: «أنا منهك».

أقترح: «قد يساعدك أخذ قيلولة، فالأونيكسية هناك».

يبدو أن شيئًا من رمواه القديم لا يزال موجودًا، فأنا لا أظن أنني أستحق تلك النظرة.

لكنه يأخذ أيادينا، ونذهب. ثلاثتنا، والآخرين جميعًا، كل من فهموا أن العالم يجب أن يتغير، والحرب يجب أن تنتهي. ونهبط إلى الأعماق الملتهبة.

وحينما نتخذ مواقعنا حول قلب العالم، نجده أهدأ من المعتاد. هذا مبشر. ولا يثور ويطردنا جميعًا فورًا، وهذه بشارة طيبة أخرى. نذكر شروطنا بترددات أرضية متدفقة: للأرض أن يحتفظ بسحره/حياته، ولبقيتنا أن نحتفظ بسحرنا/حياتنا من دون تدخل. لقد أعدنا له القمر، وتخلصنا من المسلات لضمان حسن النية. لكن في المقابل، يجب أن تنتهي الفصول.

تمر فترة صمت، سأعرف لاحقًا أنها كانت عدة أيام، لكن حينها بدت كألف عام.

ثم تقول هزة ثقيلة عاتية من موجات الجاذبية: حسنًا. وكبادة أخرى لحسن النية، يطلق سراح الأرواح التي لا تحصى، التي ابتلعها عبر العصور. تطوف الأرواح في دوائر، ثم تحتفي في تيارات السحر، ولا علم لي بما سيحدث لها بعد ذلك. لن أعلم أبدًا بما يحدث للأرواح بعد الموت، أو على الأقل، لن أعرف إلا بعد سبعة مليارات عام أو نحو ذلك، حينها يموت الأرض أخيرًا.

ولا تعود لنا وجهة، سوى نحو السطح.

أعود إليهم، إلى ابتك وإلى عدوك القديم وأصدقائك، وأبشرهم بالخبر. وأندesh حينها أدرك أنه قد مرت عدة شهور منذ غادرنا. كانوا قد استقروا في المبنى الذي شغلته ناسون من قبل، وعاشوا من حديقة الألبستر القديمة، والمؤن التي كنا قد جلبناها لناسون. هذا لن يكفيهم بالطبع على المدى البعيد، لكنهم عوضوا ذلك ببراعة بخيوط صيد أسماك مرتجلة، وأفخاخ لصيد الطيور، وأعشاب البحر المجففة، التي يبدو أن تونكي وجدت سبيلاً لزراعتها على حافة الماء. ما أوسع حيلة ناس هذه الأيام. لكن لا مناص من الحقيقة الواضحة، أنهم يجب أن يعودوا إلى السكون عمّا قريب، هذا لو أرادوا أن يظلوا أحياء.

أجد ناسون تجلس بمفردها عند البرج مجدداً. جسدك لم يزل حيث سقط، لكن أحدهم دسّ طاقة ورد بري طازج في يدك الباقية. وألاحظ يداً أخرى بجوارها، موضوعة مثل هدية إلى جوار ذراعك المبتورة. إنها صغيرة جداً بالنسبة إليك، لكنها حسنة النية. تظل ناسون طويلاً دون كلام بعدما أظهر، وهذا يسعدني. إن نوعها يثرثر كثيراً. لكنها تطيل الصمت حتى يكاد صبري ينفد.

أقول لها: «لن تري فولاذي مرة أخرى». إذ ربما كان ذلك يقلقها. تنتفض قليلاً، وكأنها نست وجودي، ثم تنهد. «قل له إنني آسفة، أنا... لم أقدر».

«إنه يتفهم».

مكتبة
t.me/soramnqraa

تومئ برأسها. ثم تقول: «اليوم، مات شافا».

لقد نسيته، وما كان ينبغي أن أفعل، فهو كان جزءاً منك. لا أقول شيئاً، فيبدو أنها تفضل ذلك.

تتنفس بعمق. «هل يمكنك أن... يقول الآخرون أنك جلبتهم هم وماما هنا. هل يمكنك أن تعيدنا؟ أعلم أن ذلك خطر».

«لقد زال الخطر». وحينما تتجههم، أشرح لها كل شيء: الهدنة، وإطلاق سراح الرهائن، ووقف الممارسات العدائية المتمثلة في المواسم. ذلك لا يعني الاستقرار التام، فالصفائح التكتونية ستظل كما كانت دائماً، والكوارث الشبيهة بالمواسم ستظل تحدث، لكن بمعدل أقل بكثير. وأختم حديثي: «وبوسعكم العودة إلى السكون بالفهيال».

فترتجف، وأتذكر متأخراً ما عانته هناك. وتقول: «لا أظني أستطيع تزويدها بالسحر، فأنا... أشعر أن...».

ترفع جدعة معصمها الأيسر الحجرية. وأفهم، إنها محقة، لقد أمسى السحر فيها مرتباً بإحكام، وستظل هكذا بقية حياتها. لقد فقدت الأوروچينية إلى الأبد، إلا لو أرادت أن تنضم إليك.

أقول: «سوف أشحنها، ينبغي أن تدوم الشحنة ستة أشهر، عليكم الذهاب قبل مضيها».

أغير وضعي عند قاع الدَّرَج، فتجفل، وتنظر حولها، وتجذني أحملك. والتقطت أيضاً يدها الحجرية، لأن أبناءنا جزء منا في النهاية. تنهض، وللحظة أخشى أن تستاء. غير أن محياها ليس مستاءً، وإنما مستسلم.

أنتظر للحظة، أو لسنة، لعلها تود قول شيء آخر للجثة. لكنها تقول: «لا أعلم ما الذي سيحدث لنا».

«لنا؟».

تتنهد: «نحن الأوروبيين».

آه. أقول: «الموسم الحالي سيدوم لفترة، حتى مع إخماد الصدع. النجاة منه ستتطلب التعاون بينكم وبين باقي البشر، فالتعاون يقدم الفرص».

تعبس. «فرص... لماذا؟ ألم تقل إن المواسم ستنتهي بعد هذا».

«نعم».

ترفع يديها، أو يداً ومعضماً مبتوراً، تعبيراً عن الإحباط. «الناس قتلونا وبغضونا حينما احتاجونا. والآن، حتى ذلك انتهى».

لم تزل تعدّ نفسها أوروبية، حتى وهي ما عادت تقدر غير على الإنصات إلى الأرض. أقرر ألا أشير إلى هذا، لكنني أقول: «ولستم بحاجة إليهم أيضاً».

تصمت، ربما ارتباكاً. وللتوضيح، أضيف: «بانتهاؤ المواسم وموت الأوصياء، سيكون بإمكان الأوروبيين الهيمنة على الراكدين، أو القضاء عليهم إن أرادوا ذلك. لكن من قبل، لم يكن بوسع أيهما النجاة من دون الآخر».

تشهق. «هذا فظيع».

ولا أكلف نفسي عناء توضيح، أن كون الشيء فظيماً، لا يعني أنه غير حقيقي.

تقول: «لم يعد هناك أي مرتكز»، وتشيح بوجهها باضطراب، ربما تذكرت تدميرها المرتكز الأنتاركتيكي. «أظن أن ما كانوا يفعلونه خطأ، لكنني لا أعلم طريقة أخرى لـ...».

أراقبها تضطرب صمتًا لشهر، أو للحظة، وأقول: «كان المرتكز خطأ».

«ماذا؟».

«تكبير الأوروبيين لم يكن السبيل الوحيد لضمان سلامة المجتمع»، وأتوقف للحظة عمداً، فترمش، لعلها تتذكر أن الآباء الأوروبيين، قادرون على تربية أطفال أوروبيين من دون كوارث. «لم يكن القتل الخيار الوحيد، لم تكن محطات التوصيل الخيار الوحيد، كل هذه الأمور كانت اختيارات. كان من الممكن دومًا اتخاذ خيارات أخرى».

كم في ابتك من أسى عظيم. عسى أن تدرك ناسون يومًا أنها ليست وحيدة في هذا العالم، عساها أن تتعلم الأمل مرة أخرى. تخفض بصرها. «لن يختار الناس أشياء مختلفة».

«بل سيفعلون، إن أجبرتهم».

إنها أحكم منك، ولا تخشى من فكرة إجبار الناس على احترام بعضهم. المشكلة فقط في الكيفية. «لم أعد قادرة على الأوروبية».

أقول بحدة كي تصغي إليّ: «الأوروبية لم تكن قط الطريقة الوحيدة لتغيير العالم».

تحقق إليّ، وأشعر أنني قلت كل ما يمكنني قوله، لذا أتركها تتأمل
كلماتي.

أزور محطة المدينة، وأشحن الفهيمال بسحر يكفيها للعودة إلى
السكون. وستستغرق ناسون ورفاقها عدة أشهر في العودة من الأنتاركتيا
إلى رينانيس، والموسم على الأرجح سييسوء خلال رحلتهم، بفضل عودة
القمر. لكنهم مع ذلك... جزء منك. أتمنى أن ينجوا.

وما إن ينطلقوا، حتى آتي إليك، هنا، في قلب البركان تحت
كوربوينت، لأعتني بك.

لا توجد طريقة معينة لفعلها. إن الأرض -ولأجل خاطر العلاقات
الطيبة، لن نصفه بالشرير بعد الآن- قد حولنا إلى هذا الشكل لحظيًا، ومع
الزمن، أتقن بعضنا تكرار عملية التحويل دون حاجة إلى فترات حمل
طويلة. غير أنني وجدت أن الإسراع غير مضمون النتائج، فألا بستر،
كما كنتِ تنادينه، لن يتذكر على الأرجح نفسه بالكامل لقرون، أو ربما
إلى الأبد. أما أنتِ، فيجب أن تكوني مختلفة.

لقد جئت بكِ إلى هنا، وجمعت المادة الأركانية الخام لكيانك،
وفعلت البنية التي ينبغي أن تكون قد حفظت جوهر كيانك. بعض
ذكرياتك ستفقدونها، لا مناص من ذلك مع التحول. لكنني حكيت لك
قصتك، وبذلك حفزت ما تبقى منك كي يحتفظ بباهيتك قدر الإمكان.
لكن ليس في ذلك إجبار لك على اتخاذ شكل معين، فمن الآن
فصاعدًا، لكِ أن تصبحي أيًا ما ترغبين. لكنك فقط بحاجة إلى معرفة
من أين جئتِ كي تعرفي إلى أين أنتِ ذاهبة. أفهمين؟

ولو أردت أن تركيني... فسأتحمل، فقد مررت بها هو أسوأ.
أنتظر.

يمرّ الوقت، عام، عقد، أسبوع... طول الوقت لا يهم، لكن حيواه
تفقد الاهتمام في النهاية وتغادر إلى شؤونها الخاصة. أما أنا فأنتظر. بأمل؟
لا، أنا فقط أنتظر.

ثم في أحد الأيام، في غور الشق الذي أودعتك فيه، ينشق الجيود
وينفتح بهسيس. تنهضين من بين شطريه، وتبدأ المادة التي تتكونين منها
تبرد ببطء.

أراك جميلة. صفائك يشب، وبشرتك رخام مخطط يوحى بما
يشبه خيوط الضحك حول عينيك وثرغرك، وطبقات متراكبة تشكل
ملايسك. تراقبينني، فأراقبك.

تقولين، بصدى صوتك القديم: «ماذا تريد؟».

أقول: «أن أكون معك».

«لماذا؟».

أغير وقفتي إلى وضع يوحى بالتواضع، رأسي منحنية ويدي على
صدري. «لأن بذلك ينجو المرء إلى الأبد، أو على الأقل بضعة أعوام.
بالأصدقاء، والأسرة، وبالمضي معهم قدمًا».

أتذكرين حينما أخبرتك بهذا أول مرة، حينما كنت قد يئست من
إصلاح الضرر الذي سببته؟ ربما. تتغير وقفتك أيضًا، بذراعين معقودتين،
وتعبر متشكك، مألوف. أحاول تجنب الأمل، وأفضل تمامًا.

تقولين: «هل أنا من أصدقائك أم أسرتك إذن؟».

«كلاهما وأكثر، لقد تجاوزنا هذه الأمور».

«هممم».

لست قلقًا. «وأنت، ماذا تريدين؟».

تفكرين. أصغي إلى هدير البركان البطيء المستمر. تقولين: «أريد أن يصبح العالم أفضل».

لم يسبق لي قبل الآن أن ندمت على أي لم أعد قادرًا على القفز في الهواء من الفرحة.

بدلًا من ذلك، أنتقل إليك، وأمد يدي. «إذن، هيا بنا نجعله أفضل».

يظهر عليك الجذل. إنك أنت، أنتِ حقًا. «بهذه البساطة؟».

«قد يتطلب هذا بعض الوقت».

«لن أستطيع صبرًا»، لكنك تأخذين يدي.

لا تصبري، لا تصبري أبدًا، بذلك يبدأ عالم جديد.

أقول: «ولا أنا، لنبدأ إذن».

شكر وعرفان

أوف... استغرق هذا وقتًا، أليس كذلك؟

إن «السماء الحجرية» بالنسبة إليّ أكثر من مجرد نهاية ثلاثية أخرى. لأسباب عديدة؛ اتضح أن الفترة التي كتبت فيها هذا الكتاب فترة تغيرات كبرى في حياتي. فمثلاً، استقلت من وظيفتي اليومية وأصبحت كاتبة بدوام كامل في يوليو ٢٠١٦. لقد كنت أحب وظيفتي، إذ كان يتسنى لي من خلالها مساعدة البعض على اتخاذ قرارات صحيحة، أو على الأقل مساعدتهم على النجاة حتى يفعلوا ذلك، خلال أحد أكثر الأوقات حرجًا في حياة الإنسان البالغ. ما زلت أساعد الناس وأنا كاتبة، أو على الأقل هذا ما أستشفه من الخطابات أو الرسائل الإلكترونية التي تصلني منكم، وتخبرني كم أن كتابتي لمستكم. لكن في وظيفتي السابقة، كان التأثير أكثر مباشرة، وكذلك كانت الآلام والمكافآت. كم أفتقدها.

لكن لا تسيئوا فهمي، فقد كان ذلك تحولاً حياتياً ضرورياً وجيداً. فقد ازدهرت مسيرتي الأدبية بأفضل شكل، وأنا في النهاية، أحب كوني

كاتبة. لكن طبيعتي هي تأمل التغير عبر الزمن، والاعتراف بما خسرت قدر ما أعترف بما كسبت.

هذا التغير كان ممكنًا بفضل حملة التمويل الجماعي التي أطلقتها عبر Patreon في مايو ٢٠١٦. وعلى نحو أكثر حزنًا، هذا الدعم هو ما سمح لي بالتركيز الكامل مع أُمِّي في آخر أيامها، في أواخر ٢٠١٦ وأوائل ٢٠١٧. لا أتحدث كثيرًا عن أموري الشخصية علنًا، لكن لعلكم ترون كيف كانت ثلاثية الأرض المكسور، هي محاولتي لفهم معنى الأمومة، وأمور أخرى. كانت سنوات أُمِّي الأخيرة غير سهلة. أعتقد أنني كنت أتوقع على نحو ما رحيلها (تبدو الآن كثير من الأمور الجوهريّة في رواياتي واضحة، بأثر رجعي)، ولذلك كنت أحاول تهيئة نفسي. رغم ذلك لم أكن مستعدة حينها حدث... لكن أحدًا أبدًا لا يستعد لذلك.

لذا أنا ممتنة للجميع، لعائلتي وأصدقائي ووكيلتي، وداعمي، وفريق أوربيت، بما في ذلك محررتي الجديدة، وزملاء عملي القدامى، وكل من ساعدني خلال هذه الفترة.

ولذلك أيضًا عملت بإصرار على إنجاز السماء الحجرية في موعده، رغم السفر ورحلات المستشفى والإجهاد، وآلاف الإهانات البيروقراطية التي تتبع وفاة أحد الوالدين. لم أكن في أفضل حالاتي وأنا أكتب هذا الكتاب، لكنني أستطيع أن أقول التالي: حيثما كان في هذا الكتاب ألمٌ، فقد كان حقيقيًا، وحيثما كان غضبٌ، فقد كان حقيقيًا، وحيثما كان حبٌ، فقد كان حقيقيًا. لقد مررتم بهذه الرحلة معي، وكنتم دومًا أفضل ما لديّ، وهذا ما كانت أُمِّي سترغب فيه.

عن المؤلفة

ن. ك. جيميسين N. K. Jemisin

نورا كيتا جيميسين كاتبة أمريكية مشهورة في مجال الخيال العلمي والفتازيا. تتناول رواياتها موضوعات متنوعة مثل الصراع الثقافي والقمع والنجاة في عالم مضطرب. حصلت على جوائز عديدة عن أعمالها، منها جائزة هيوغو Hugo لأفضل رواية لثلاث سنوات متتالية (٢٠١٥، ٢٠١٦، ٢٠١٧)، على ثلاثية الأرض المكسور (الموسم الخامس، بوابة المسلة، السماء الحجرية)، وهي أول كاتبة تحقق هذا الإنجاز.

عن المترجم

محمد أ. جمال

كاتب ومترجم مصري، نُشر له: «أبناء نوت وأساطير أخرى - ٢٠٢٤»، «طيران - ٢٠٢١»، «كتاب خيبة الأمل - ٢٠١٨». وعدد من الأعمال المترجمة من الإنجليزية إلى العربية، منها: «البطل بألف وجه - جوزيف كامبل» و«إفطار الأبطال - كورت فونيجت» و«أساطير إسكندنافية - نيل غايمن»، و«سباحة في بركة تحت المطر - جورج سوندرز». حاز جائزة «أخبار الأدب» في الرواية ٢٠١٧، ومنحة آفاق في الكتابة الإبداعية ٢٠٢٢.

مكتبة
t.me/soramnqraa

لم يكن هذا مجازاً يا إيسون، لم يكن مبالغة. لقد رأيت العالم بالفعل يحترق. لا تحدثني عن الشهود الأبرياء ولا عمن لم يستحقوا المعاناة ولا عن قسوة الانتقام. عندما تُقام كومونة فوق خط هزات نشيط، هل تلومين أسوارها عندما تقع حتماً على رؤوس أهلها؟ لا، بل تلومين من كانوا حمقى بما يكفي لأن يحسبوا أنهم قادرون على عصيان قوانين الطبيعة إلى الأبد. بعض العوالم بُنيت فوق خطوط هزات نشيطة من الألم، أساسها الكوابيس. لا تأسفي على انهيار عالم كهذا. إن الغضب الذي أثاروه كان فيه هلاكهم من البداية. سأخبرك الآن كيف انتهى هذا العالم، عالم سيل أناجيسيت. سأخبرك كيف أنهيته، أو على الأقل كيف قضيت على ما يكفي منه كي يضطر إلى البدء من جديد وبيني نفسه من الصفر. سأخبرك عن كيف فتحت البوابة وأطحت بالقمر وأنا أبتمس.

تتمزق إيسون بين رغبتها في البحث عن ابتتها، ومساعدة قومها، وإنقاذ الكوكب، وتتمزق ناسون بين الذنب جراء ما ارتكبت، والغضب تجاه العالم الذي أرغمها على ما فعلت، وحب وصيها، أبيها الجديد. والأرض ممزقة مكسورة بالفعل، ولا يرغب إلا في القضاء على الحياة كلها فوق سطحه.

«السماء الحجرية» هي تمة ثلاثية «الأرض المكسور» لكاتبة الفانتازيا والخيال العلمي الأمريكية: ن. ك. جيميسين، التي تُعدّ من أفضل أعمال الفانتازيا في العقد الأخير، إذ فاز كل من أجزائها الثلاثة بجائزة هوجو Hugo Award للفانتازيا والخيال العلمي، فئة أفضل رواية للأعوام (2016، 2017، 2018).

المترجم

مكتبة

t.me/soramnqraa

ن. ك. جيميسين

السماء الحجرية

ثلاثية الأرض المكسور - الكتاب الثالث



9

789921

88883

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

